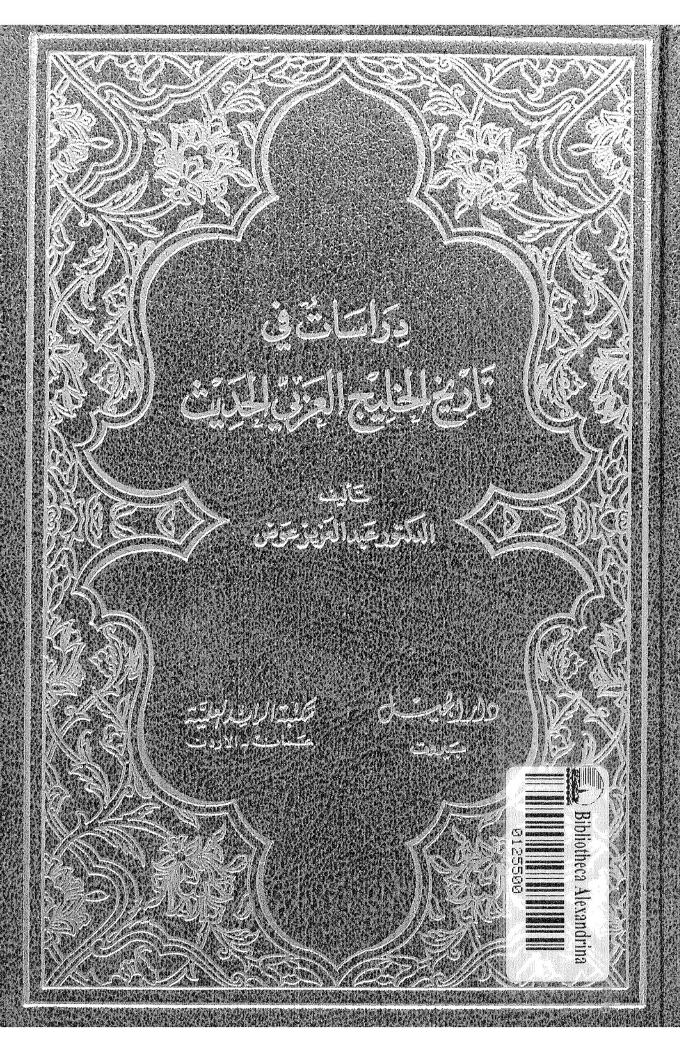

دراسات في
تاريخ الخليج العربي الحديث
تأليف
الدكتور عبد العزيز عوض
دار الجيل
بيروت
مكتبة الرائد العلمية
عمان - الاردن

دراسات في
تاريخ الخليج العربي الحديث

دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث

تأليف
الدكتور عبد العزيز عوض
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة اليرموك

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

مكتبة الرائد العلمية
عمان - الأردن

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

الإهداء

إلى ذكرى والدي محمد عوض

«انتقل إلى رحمته تعالى في يوم الأحد ١١ جُمَادى الأولى ١٤٠٤ هـ الموافق ١٢ شباط/ فبراير ١٩٨٤ م».

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

تميّز الخليج العربي قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر، بموقعه الجغرافي ومركزه التجاري المتوسطين بين الشرق والغرب، حيث ازدهرت الملاحة العربية بين موانئ الخليج العربي وموانئ المحيط الهندي، مستفيدة من الرياح الموسمية الصيفية، حاملة البضائع الهندية والصينية وغيرها من سلع جزر الهند الشرقية وجنوب شرقي آسيا نحو موانئ الخليج العربي والبحر الأحمر والساحل الشرقي لافريقية، ومن الرياح الموسمية الشتوية، حاملة البضائع العربية والفارسية والافريقية وغيرها نحو الموانئ الهندية.

وكانت البضائع الشرقية المنقولة بالسفن العربية عبر المحيط الهندي والخليج العربي ترد إلى البصرة ثم تتجه براً قاصدة حلب مارة ببغداد وحمص وحماة، حيث تنقلها السفن الإيطالية من حلب إلى الموانئ الأوربية ووجدت هذه البضائع وهي في طريقها إلى موانئ البحر المتوسط سوقاً رائجة في موانئ الخليج العربي. وتفوقت التجارة المنقولة عبر الخليج العربي على مثيلتها في البحر الأحمر ـ ذي الشعاب المرجانية والسواحل المجدبة ـ فبلغت ثلاثة أمثالها في معظم الأحيان، على الرغم من قصر المسافة بين السويس والاسكندرية بمقارنتها بين البصرة وحلب، وعلى الرغم من شدة الحرارة خلال فصل الصيف وتعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية.

ثم وقع الغزو البرتغالي ـ بما عرف عنه من تعصب صارخ وتنكيل شديد ـ على الساحل العماني وهرمز في العقد الأول من القرن السادس عشر، وما أعقبه من منع السفن العربية من الملاحة في المياه الشرقية إلا بتصريح من السلطات البرتغالية في هرمز وجاوه التي احتكرت التجارة والثروة في الموانئ العربية الخاضعة لسيطرتها، مستغلة تشتت القوى العربية والإسلامية وانصرافها عدة قرون عن تأمين القوة البحرية الكافية لحماية واستمرار تجارتها مصدر ثروتها ورخائها، مما مكّن لشبونة من احتكار التجارة الشرقية خلال القرن السادس عشر والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من الأرباح. ولكن بداية القرن السابع عشر شهدت تغييرات جذرية في نطاق الصراع الأوربي على التجارة الشرقية، حيث تمكن الإنكليز والهولنديون من الوصول إلى المياه الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح، وعندئذٍ أخفقت البرتغال في الاستمرار بالاحتفاظ بالسيادة البحرية التي طالما ادعتها في المحيط الهندي.

ونجحت شركة الهند الشرقية الهولندية منذ البداية في إقامة مراكزها التجارية الأولى في جزر الهند الشرقية في الأماكن النائية أو المهجورة متفادية المواجهة العسكرية مع البرتغاليين، ومستفيدة من دعم الحكومة الهولندية لها، ومن استعدادها للمخاطرة، ومن ضعف القوة البرتغالية في الشرق بعد خضوع البرتغال للحكم الاسباني (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠ م) ومن تقديم المساعدة العسكرية للانكليز ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، ومن الصعوبات التي اعترضت نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية.

ولما ازداد النفوذ الهولندي في الخليج العربي في العقد الخامس من القرن السابع عشر، أرغمت الشركة الانكليزية على نقل وكالتها التجارية من بندر عباس إلى البصرة. وجرى صراع مرير بين الشركتين الهولندية والانكليزية وحقق الهولنديون في البداية انتصارات عسكرية على منافسيهم الانكليز وانفردوا بالسيطرة على التجارة الشرقية، إلى أن أرغموا على التخلي عن مركزهم التجاري المتفوق مع نهاية القرن السابع عشر بسبب الأخطار التي هددت استقلالهم في أوربا بعد اتفاق فرنسا مع إنكلترا ضدهم. وعلى الرغم

من عقد الصلح بين هولندا وانكلترا في عام ١٦٧٤ م فقد دمرت فرنسا الأسطول الهولندي في عام ١٦٧٦ م فاضطرت هولندا للتحالف مع انكلترا في عام ١٦٨٨ م لمقاومة التوسع الفرنسي في أوربا مما أدى بدوره إلى خضوع المصالح الاقتصادية الهولندية للانكليز وانفرادهم فيما بعد بالسيطرة على منطقة الخليج العربي.

أما فرنسا فتأخرت عن غيرها من القوى الأوربية في المياه الشرقية، وكان نشاطها التجاري محدوداً في مياه الخليج العربي، وعلى الرغم من ذلك اقترح «دي لالين» مبعوثها إلى فارس في عام ١٦٦٧ م التحالف مع الشاه سليمان (١٦٦٦ - ١٦٩٤ م) للاستيلاء على ميناء مسقط واتخاذه قاعدة عسكرية، ولكن النفوذ الفرنسي ظل ضعيفاً في منطقة الخليج العربي لوقوف انكلترا وهولندا ضده، وللحروب التي كانت فرنسا طرفاً فيها في أوربا وخارجها، وازداد النفوذ الفرنسي ضعفاً خلال الغزو الأفغاني لفارس (١٧٢٢ - ١٧٢٩ م) وما أعقبه من فوضى واضطراب في الأوضاع الداخلية فيها وعندئذٍ اضطر الفرنسيون إلى وقف نشاطهم التجاري مع موانئ الخليج العربي.

ولا بد من القول بأن ازدياد الثروة والرخاء في أوربا الغربية في القرن السابع عشر قد أدى إلى زيادة الطلب على التوابل والحرير والمنسوجات الشرقية في انكلترا وفرنسا واسبانيا بصفة خاصة. وعلى الرغم من حرص حكومات تلك الدول على حماية صناعاتها المحلية وزيادة صادراتها للمحافظة على ثرواتها من الذهب والفضة، فقد ظلت بضائعها على اختلاف أنواعها لا تجد رواجاً في الشرق.

ويرجع اهتمامي بالخليج العربي وتاريخه إلى عقدين من السنين، ثم شغلت عنه ببحوث أخرى في تاريخ بلاد الشام في العهد العثماني إلى أن انتدبتني جامعة اليرموك في مهمة علمية للعام الجامعي ١٩٨٠/١٩٨١ م إلى جامعات ومكتبات متخصصة في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية للاستفادة من دور الوثائق فيها، مما مكّنني من جمع مادة كافية لكتابة بحوث في تاريخ

الخليج العربي في القرن السابع عشر آمل أن تنشر قريباً لعلها تلقي بعض الضوء على مرحلة حرجة في تاريخ العرب الحديث وتشجع على ظهور دراسات جديدة.

وبهذه المناسبة أشكر الأساتذة المتخصصين في دراسات الخليج العربي والعاملين في جامعات ومكتبات ودور الوثائق في لندن وواشنطن وميشيغان ولوس أنجلوس وشيكاغو وتوسان ـ أريزونا على المساعدات العلمية والتسهيلات المكتبية التي وفرت بعض الجهد والوقت. والله من وراء القصد».

عبد العزيز عوض

الفصل الأول

البرتغاليون

مقدمة

ثمة عدة عوامل ساعدت البرتغاليين على اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧ نذكر منها:

١ ـ اكتساب البرتغاليين مهارة وخبرة بحرية نتيجة اشتغالهم في الملاحة البحرية في عهد هنري الملاح (١٣٩٤ ـ ١٤٦٠) الذي اشتهر بحقده على الإسلام وبتجريده حملة على مدينة سبتة وأخذها عنوة في عام ١٤١٥؛ ثم قام بحملة أخرى على طنجة في عام ١٤٣٧ ووضع خطة طموحة لتطويق المسلمين في الشرق والتجارة المباشرة مع الهند. ولتحقيق هدفه أسس مدرسة نظامية للملاحين والبحارة جمع فيها كل من تجيش في صدره الروح الصليبية ومن يتصف بالمغامرة وحب المخاطرة في أعالي البحار. كذلك عمل على تحسين صناعة السفن المختلفة وتقويتها وتسليحها بالمدافع، وفي عام ١٤٥٤ منحه البابا نيقولا الخامس الحق في جميع الكشوف التي يقوم بها في الشرق.

٢ ـ رغبة البرتغاليين في الاحتفاظ ببعض جوانب الرفاهية الشرقية التي اعتادوا عليها خلال الحكم العربي ـ الإسلامي للأندلس والذي انتهى بسقوط غرناطة في عام ١٤٩٢ كآخر معقل للعرب والمسلمين في شبه الجزيرة الايبرية، وبعد ذلك تطلع البرتغاليون إلى الفوز بنصيب من تجارة التوابل الغنية

واحتكارها مع الكماليات الأخرى من الشرق[1]. وكانت منطقة مالبار أو كيرالا والتي تمتد من منجالور إلى رأس قومورين على الساحل الغربي للهند تعتبر المنطقة المثلى لإنتاج الفلفل ومنها تقوم السفن بنقله إلى الخليج العربي والبحر الأحمر وتحمل مع الفلفل الأنواع الأخرى من التوابل والمنسوجات الهندية وغيرها.

وكانت قاليقوط مركزاً رئيسياً لتجارة الأفاويه التي شملت الفلفل وحب الهال ومنتجات أخرى من ساحل مالبار بالإضافة إلى توابل أخرى منقولة بحراً من جزر المحيط الهادي؛ كما كانت قاليقوط أيضاً تتمتع بموقع ممتاز مكنها من الاستفادة من الرياح الموسمية. وكان لتجارها علاقات وثيقة مع المجتمعات التجارية العربية التي احتكرت نقل تجارة الأفاويه من الهند إلى الخليج العربي والبحر الأحمر وقامت علاقات خاصة بين حكام قاليقوط وحكام مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وفارس.

٣ ـ ازدياد قوة الروح الصليبية لدى البرتغاليين بعد المعارك التي خاضوا غمارها ضد العرب والمسلمين في الأندلس. ولذلك كانت المغامرات البرتغالية في المحيط الهندي والخليج العربي امتداداً لها واستمراراً للاندفاع البرتغالي ـ الاسباني ضد العرب والمسلمين[2] وقد تمثل ذلك في وحشية الأساليب التي اتبعها البرتغاليون في المشرق العربي والتي اتبعها الاسبان في المغرب العربي بدافع من الحماس الصليبي الموروث.

وقد استهدف البرتغاليون القضاء على القوة السياسية للمسلمين في البحار الشرقية والتبشير بالنصرانية في الشرق والرغبة في احتكار تجارة الأفاويه، ومنذ وصول دا جاما إلى الهند في عام ١٤٩٧ أصبحت هذه الأهداف محور السياسة البرتغالية في الشرق، ولكن فيما يتعلق بالتنصير أدرك البرتغاليون عدم قدرتهم على تنفيذه في الشرق فاكتفوا ببناء الكنائس وانشاء الأسقفيات في المناطق الواقعة تحت سلطتهم المباشرة.

---

(١) Nyrop. Richard F. Area Handbook for The Persian Gulf States. (? 1977) pp. 21-22.

(٢) Hawley, Donald, The Trucial States. (London 1970) pp. 68-69.

٤ ـ تصميم البرتغاليين على اكتشاف بلاد القس والملك النصراني بريسترجون «يوحنا الراهب» المجهولة والتي أثارت اهتمام الأوربيين آنذاك، وكان ملك البرتغال قد أرسل بعثة إلى بريسترجون ـ «ملك الحبشة» ـ رافقت ألفونسو دي البوكيرك الذي أنزلها براً بالقرب من مالندي على ساحل إفريقية الشرقي لتشق طريقها إلى الحبشة برفقة دليل تونسي. وبعد أن عادت البعثة بعد عام أرسلها البوكيرك مرة أخرى ومعها رسائل بالعربية والبرتغالية إلى ملك الحبشة وكان هدف البوكيرك من ذلك الاتصال فرض السيطرة البرتغالية على البحر الأحمر. ولتحقيق هذا الهدف وضع البرتغاليون خطة لإعداد حملة بحرية يشترك فيها ملك فرنسا بقوة عسكرية لاحتلال سواكن، وملك اسبانيا لاحتلال زيلع، وملك البرتغال ليتخذ من مصوع قاعدة لقواته. ولكن هذه الخطة لم تنجح لعدم مشاركة الفرنسيين والاسبان بقواتهم البحرية لتنفيذها كما أن البرتغال طلبت من الحبشة اعتناق المذهب الكاثوليكي، غير أن السكان في الحبشة رفضوا التخلي عن عقيدتهم وبذلك انتهى التحالف بين الحبشة والبرتغال[١].

وكان بارثليمي دياز قد اكتشف رأس «العواصف» الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧، وفي ٨ تموز ١٤٩٧ أقلعت أربع سفن برتغالية من ميناء بلم على مصب نهر التاجة بقيادة فاسكو دا جاما حاملاً معه المدفع والصليب شعار القوة البرتغالية في زحفها على الشرق.

وكانت السفينة المسلحة بالمدافع عاملاً بحرياً جديداً في المحيط الهندي حيث أتاحت للبرتغاليين ميزة سريعة وحاسمة على خصومهم من الهنود

---

(١) Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf. 1534-1581. (Journal Of Asian History pp. 45-87 Vol. 6. No.1. 1972) pp. 45-46.

وانظر بانيكار، ك م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٣٠ ـ ٣١، ص ٥٤ ـ ٥٥. وانظر أيضاً الشاطر بصيلي عبد الجليل. الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق أفريقية والبحر الأحمر (المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر ١٩٦٤/١٩٦٥ ص ١٢٩ ـ ١٤٠) ص ١٣١ ـ ١٣٣.

والمسلمين في المحيط الهندي. وكانت الدولة العثمانية قد استخدمت المدفعية في أسطولها، ولكنها عند وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي لم يكن لديها أسطول بحري فيه، وعندما تنبهت السلطات العثمانية لذلك التهديد كان البرتغاليون في وضع يستطيعون منه تعزيز بحريتهم باستمرار بينما لم يكن في وسع العثمانيين منافستهم بكفاءة لأن مركز ثقل قواتهم البحرية كان في البحر الأبيض المتوسط بعيداً عن المحيط الهندي.

كما أدخل البرتغاليون إلى المحيط الهندي أيضاً السفن الكبيرة ذات الشراع المربع، والتي تستطيع قطع المحيطات وتحدي الرياح القوية في أعالي البحار بينما لم يكن لدى العرب وغيرهم من الحكام المسلمين إمكانية بناء السفن الكبيرة لعدم توفر الأخشاب المناسبة في بلادهم باستثناء منطقة آسية الصغرى التي تملك أخشاباً مناسبة وإن كانت أقل جودة وملاءمة من الأخشاب الأوربية على ساحل المحيط الأطلسي. وقد أثر ذلك سلبياً على نتائج المعارك البحرية التي خاضها العرب والأتراك العثمانيون ضد السفن الحربية البرتغالية في البحار العربية والجنوبية[1].

وكان فاسكو دا جاما قد وصل ميناء قاليقوط على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند في ٢٧ أيار ١٤٩٨ بمساعدة مرشد هندي وضعه حاكم ماليندي تحت تصرفه. وكانت السفن الهندية تتردد قبل ذلك على موانئ الساحل الافريقي الشرقي. وحقق فاسكو دا جاما بوصوله إلى الهند حلماً أوربياً قديماً دأبت الشعوب الأوربية باستثناء البنادقة على تحقيقه مدة قرنين من الزمن[2].

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث (١٥٠٠ - ١٩١٨) الجزء الأول. (دمشق، ١٩٦٠) ص ٩.

(٢) هناك شكوك حول قيام شهاب الدين أحمد بن ماجد والذي ولد في جلفار بقيادة سفينة فاسكو دا جاما، لأن ابن ماجد نظم الأراجيز التي نعى فيها حظ العرب وما لحق بهم على يد البرتغاليين، وكان متديناً. انظر، قطب الدين بن أحمد الشهروالي المكي: البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر). تحقيق حمد الجاسر - الرياض ١٩٦٧ ص ١٨ - ١٩. وانظر أيضاً نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. (الرياض ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م) ص ٨٩ - ٩٣. وانظر أيضاً بانيكار ك، م: مرجع سبق ذكره، ص ١٩ - ٣٠.

وعاد فاسكو دا جاما إلى لشبونة في أيلول ١٤٩٩.

ولما كان هدف الرحلة الأولى التي قام بها فاسكو دا جاما الكشف والريادة فقد قصر همه على التماس الأذن بالتجارة من حاكم قاليقوط الملقب بالزامورين (الملك) الذي بادر إلى تلبية طلبه، ولكن قادة الأسطول البرتغالي رفضوا دفع الرسوم الجمركية مما دل على المتاعب التي سيواجهها الزامورين في التعامل مع البرتغاليين في المستقبل، كذلك لاحظ فاسكو دا جاما وجود العرب في قاليقوط وأدرك أنه قد التقى في المحيط الهندي بالأعداء العرب من جديد. وكان الزامورين متيقظاً للسياسة البرتغالية في المحيط الهندي بفضل المعلومات التي حصل عليها من التجار المسلمين.

أما الرحلة البرتغالية الثانية، فتألفت من ثلاث وثلاثين سفينة وألف وخمسمئة بحار مع قدر كاف من العتاد الحربي؛ وقصد منها إظهار قوة ملك البرتغال في البحار الشرقية وكانت بقيادة الفاريز كبرال وكانت التعليمات التي أعطيت له تقضي بالتوجه إلى قاليقوط ومطالبة الزامورين بالسماح للبرتغاليين بإنشاء مركز تجاري والسماح لخمسة من الآباء الفرنسيسكان بالتبشير في بلاده. ولكن لم يصل من هذا الأسطول سوى ست قطع بحرية وانتهت هذه الرحلة بالفشل حيث خسر البرتغاليون كثيراً من رجالهم على يد السكان في قاليقوط الذين ساءتهم تصرفات البرتغاليين والذين ردوا بقصف المدينة بالمدافع، وعندئذ جهز الزامورين أسطوله للرد على القصف البرتغالي وأرغم كبرال على الرحيل.

وعلى الرغم من هذا الفشل رفض البرتغاليون التخلي عن المحيط الهندي بل إن ملك البرتغال اتخذ لنفسه لقب «سيد الملاحة والفتح والتجارة ببلاد العرب وبلاد الحبشة وفارس والهند»، وجهز حملة بحرية ثالثة أقوى من سابقتها وعين فاسكو دا جاما قائداً عاماً لها، وطلب منه أن ينفذ بالقوة ادعاء البرتغال بالسيادة على البحار الهندية. وكانت جهود حكومة البرتغال في هذه الفترة مستمرة في تعزيز أساطيلها في البحار الشرقية فكانت الأساطيل البرتغالية متعاقبة دائماً وكان الملاحون على يقين أن مدداً لا ينقطع من السفن والرجال

في طريقه إليهم حاملاً معه النجدة لهم، مما مكنهم من الصمود في وجه أعدائهم في أشد المواقف حرجاً. وتنفيذاً للتعليمات عمد فاسكو دا جاما إلى قطع الطريق على السفن العربية التي كان يلتقي بها في طريقه ويدمرها بعد تفريغ السفن مما فيها من بضائع ثم يشعل النار فيها بعد أن يحظر على العرب الخروج منها.

ولما بلغت الزامورين أنباء القرصنة التي اقترفها فاسكو دا جاما استعد لحرب البرتغاليين. وكان منذ قصف كبرال عاصمته قاليقوط بالمدافع قد أخذ في تقوية أسطوله الذي امتاز بالسرعة ولكنه كانت تعوزه قوة النار التي يتمتع بها الأسطول البرتغالي المجهز بالمدفعية، وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه أسطول قاليقوط الهندي على الأسطول البرتغالي حيث أوقف دا جاما الاشتباك معه وأقلع بسفنه عائداً إلى بلاده، فلم يكن في وسع أسطول قاليقوط تعقب الأسطول البرتغالي لأن سفنه لم تكن صالحة للقيام بعمليات عسكرية بعيداً عن قاعدتها ولا تستطيع القتال إلا في المياه الساحلية. وقد استفاد البرتغاليون من نقطة الضعف هذه لدى الأساطيل العربية والهندية إلى أقصى حد ممكن. ولم يكد فاسكو دا جاما يغادر المحيط الهندي حتى وصل إلى مياه قاليقوط أسطول برتغالي آخر من أربع عشرة سفينة تمكنت من مفاجئة أسطول قاليقوط ودمرت جزءاً منه[1].

ثم أرسل ملك البرتغال فرانسيسكو دا الميدا في عام ١٥٠٥ إلى الهند ليتولى منصب نائب الملك فيها (١٥٠٥ ـ ١٥٠٩). وكان ذا قدرة فائقة وذا نفوذ كبير في البلاط البرتغالي. وكان يعارض كل سياسة ترمي إلى التوسع في البر ولكنه يقدر تماماً أهمية حصول البرتغال على السيادة في البحار الهندية، وأدرك ضرورة حصول البرتغال على الهيمنة البحرية وكان يعلم تماماً أن جميع خطط البرتغال لتأسيس امبراطورية تجارية في الشرق إنما تعتمد على تحقيق تلك الهيمنة البحرية.

---

(١) بانيكار ك، م: مرجع سبق ذكره، ص ٣٨ ـ ٤٢.

ولذلك كان دا الميدا على خلاف مع البوكيرك؛ فبينما يؤيد دا الميدا إنشاء محطات برتغالية على امتداد الطريق التجاري بين الشرق والغرب لأنها لا تحتاج إلا لعدد قليل من القوات العسكرية، كان البوكيرك يؤيد إنشاء مستوطنات برتغالية في الشرق وحشد قوات وجاليات برتغالية فيها. كذلك كان دا الميدا يرى أن من يتحكم في مداخل البحار يستطيع الاشتباك في حرب محدودة أو على نطاق واسع.

البرتغاليون في الخليج العربي

أدرك البرتغاليون أهمية الاستيلاء على الخليج العربي والبحر الأحمر ليتمكنوا من وقف الملاحة العربية في المحيط الهندي وإغلاق منافذ التجارة التي يستخدمها العرب والمسلمون في البحر الأحمر والخليج العربي[١]. ولذلك أرسل ملك البرتغال في عام ١٥٠٦ حملة بحرية أخرى إلى الشرق بقيادة تريستان دي كونها يرافقه الفونسو دي البوكيرك ومعه أمر بالبحث عن سفن الأعداء المسلمين والتوجه إلى جزيرة سوقطرة لإقامة قلعة فيها لفرض الحصار على مدخل البحر الأحمر ومهاجمة التجار العرب والمسلمين في البحار العربية. وبعد مغامرات بحرية كثيرة وبعض الخسائر وصل تريستان دي كونها إلى ميناء سوقطرة حيث وجد في انتظاره حاكمها السلطان إبراهيم الذي رفض تسليم القلعة، ولذلك استولى البرتغاليون عليها عنوة وقتلوا حاميتها بعد أن دافعت عنها ببسالة ولم يهرب منها أحد. وأصلح تريستان دي كونها القلعة، وسماها قلعة القديس توماس، وعيّن قريبه الفونسو دي نورنها حاكماً عليها[٢] وترك معه في القلعة عدداً من الجنود والمدافع من أجل الاحتفاظ بها باسم ملك البرتغال، واتخاذها قاعدة بحرية للتحكم في تجارة البحر الأحمر.

ثم أبحر تريستان دي كونها إلى الهند في آب ١٥٠٦ بعد أن ترك مع

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. (القاهرة، ١٩٧٩) ص ٧٦. وانظر أيضاً، صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ١٤.

(٢) Danvers, F.C. Report On Portuguese Records. (London 1892) pp. 112-113; Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf (? 1966) pp. 141-142.

البوكيرك ست سفن مع الرجال والمؤن والعتاد وترك له الحرية في تنفيذ عمليات حربية ضد التجارة الإسلامية.

وأدرك البوكيرك أنه لا يستطيع مهاجمة عدن بمثل هذه القوة الصغيرة كما رأى أن لا فائدة من حصار البحر الأحمر فتوجه نحو خليج عمان ووصل قرب جزيرة مصيره في أواخر آب ١٥٠٦ ثم أبحر بعد ذلك إلى رأس الحاد وبدأ بالعدوان على الموانئ العربية بإشعال النار في السفن التي وجدها راسية في خورفكان وتراوح عددها بين ثلاثين وأربعين سفينة[١] كما أحرق حوالي أربعين سفينة في رأس الحاد وقد واجه البوكيرك مقاومة عنيفة من سكان صور شمالي رأس الحاد والتي اشتهر أهلها بالملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي. وقد فوجئ البوكيرك بأهمية مضيق هرمز التجارية والاستراتيجية. وكانت هرمز تسيطر على معظم سواحل الخليج العربي. ومنذ البداية قاد البوكيرك حملة إرهاب وعنف وحرق وتخريب ضد السواحل العربية الجنوبية الشرقية. فقد دخل البوكيرك قريات عنوة، وبعد قيامه بمجزرة رهيبة فيها أمر بنهبها وإشعال النار فيها وإحراق ثلاث وثمانين سفينة كانت راسية في مينائها. ثم أبحر إلى مسقط وعندما وصلها أرسل حاكمها وفداً للمفاوضة ولكن البوكيرك قصف المدينة بالمدافع وأنذر السكان بدفع الجزية له خلال وقت قصير وإلا أحرق المدينة ولكنه لم ينتظر انتهاء الموعد الذي حدده لهم بل أحرق المدينة بما في ذلك المسجد والسفن الراسية في الميناء وأخذ عدداً من الرجال والنساء أسرى. وبعد أن جدع أنوفهم وقطع آذانهم أطلق سراحهم[٢]. وبعد أن أحرق البوكيرك مسقط تقدم إلى صحار وعقد معاهدة مع سكانها أصبحوا بموجبها تابعين للملك البرتغال. وعلى الرغم من حماية صحار بقلاع كثيرة ومنيعة فقد استسلمت للبوكيرك دون مقاومة خوفاً من أن تلقى مصير مسقط والتي

(١) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 142-143; Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970) p. 70; Barbosa, Duarte. A Description Of The Coasts of East Africa And Malabar In The Beginning of the Sixteenth Century. (Translated by Henry E.J. Stanley (U.S.A. 1970) p. 30.

(٢) Hawley, Donald. Op. Cit. p.70.

كانت مدينة تجارية مزدهرة قبل أن يقوم البرتغاليون بحرقها وتشريد سكانها. ثم تقدم البوكيرك نحو هرمز واستعد ملكها لحرب البوكيرك الذي أحرق المدن التابعة له على الساحل العربي. ولكن الأسطول البرتغالي هزم أسطول هرمز واضطر ملك هرمز إلى الخضوع لملك البرتغال وتقديم جزية له وتعهد بإعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم.

ولكن البوكيرك اضطر إلى العودة إلى الهند بعد أن قمع حركة التمرد التي قام بها الضباط في أسطوله لأن كثيراً من ضباطه كان يرغب في الحصول على الثروة وليس القيام بمغامرات بحرية حول سواحل الجزيرة العربية القاحلة. وكان على نائب ملك البرتغال في الهند فرانسيسكو دا الميدا (١٥٠٥ ـ ١٥٠٩) أن يفصل في النزاع بين ضباط الأسطول البرتغالي ويوحد الجهود لمواجهة الأسطول المملوكي في كجرات. ولكن بعد عودة البوكيرك إلى الهند وقع خلاف بينه وبين نائب الملك دا الميدا ورفع الخلاف إلى ملك البرتغال للنظر فيه والعمل على تسويته[١].

وهكذا قام البوكيرك بترويع الموانئ العربية وأصبحت قلهات ومسقط وصحار وصور وقريات محطات برتغالية لحماية هرمز والدفاع عن تجارتها، وبقي نظام الحكم المحلي في هرمز تحت الحماية البرتغالية، ولكن الكثير من السكان غادروا هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي، مما أثر على ازدهار هرمز وعمرانها السابق للاحتلال البرتغالي. فقد أحست هرمز بالضائقة الاقتصادية بسبب تحكم البرتغاليين بالطرق التجارية المؤدية إليها تنفيذاً لخطتهم التي استهدفت إغلاق الخليج العربي وعزله عن التجارة الشرقية. وباحتلال الموانئ الساحلية في الخليج العربي وتشييد الحصون القوية فيها سيطر البرتغاليون لأكثر من قرن على منطقة الخليج العربي واحتكروا التجارة ومنعوا السفن العربية من

---

(١) Lockhart, Laurence. Persian Cities. (London 1960). p.172; Danvers, F.C. Op. Cit. p.113.

وانظر أيضاً: عبد الكريم غرايبة: مرجع سبق دكره، ص ١٣ ـ ١٤ ولوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الدوحة ١٩٧٥ ؟ ج ١ ص ١٣.

التجارة دون تصريح منهم[١].

وبعد أن أصبح البوكيرك نائباً لملك البرتغال في الهند في تشرين الثاني ١٥٠٩ قرر العودة إلى الخليج العربي مرة أخرى ولكنه لم يتمكن من تنفيذ قراره إلا بعد عدة سنوات لانشغاله في نقل المركز الرئيسي للبرتغاليين إلى جاوه على ساحل المالبار وفي تنظيم القرصنة البرتغالية ضد السفن العربية والإسلامية بقصد اقتلاع جذور النشاط التجاري العربي من المحيط الهندي. كما تحالف البوكيرك مع الهندوس ضد المسلمين في الهند. كذلك انشغل البوكيرك في الاعداد لحملة بحرية على مالقا لمنع التجار العرب من الوصول إلى الشرق الأقصى. وقد صرفه ذلك كله عن معاودة نشاطه في الخليج العربي حتى شباط ١٥١٥ عندما أبحر من جاوه مع أسطول من أربع عشرة سفينة شراعية تقل حوالي ١٥٠٠ جندي برتغالي و٦٠٠ مالباري و٣٠٠ من العبيد فوصل بالقرب من رأس الحاد في ٢١ آذار ١٥١٥. وفي ٢٥ آذار ١٥١٥ وصل إلى قريات وكان حاكمها آنذاك الرئيس حمد ابن أخ الرئيس نور الدين مستشار ملك هرمز[٢].

وبعد أن أخضع البوكيرك هرمز في نيسان ١٥١٥ أصبحت الموانئ التابعة لها على الساحل العماني مثل قلهات ومسقط وصحار وغيرها محطات للوكلاء والتجار البرتغاليين الذين عينوا من قبل حاكم هرمز البرتغالي، وقدمت السلطات البرتغالية لهم الحماية الكافية بواسطة الزيارات الدورية التي كانت تقوم بها السفن البرتغالية في طريقها من الهند إلى الخليج العربي حيث كانت تمر بهذه الموانئ أثناء سيرها إلى هرمز والبحرين[٣].

وكان البوكيرك قد عيّن في ٢٠ تشرين الأول ١٥١٥ ابن أخيه بيرو قائداً

---

(١) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧ - ١٧٧٨) ترجمة هاشم كاظم لازم. (بغداد، ١٩٧٧) ص ٩. وانظر أيضاً: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وإمارات الساحل العماني (بغداد، ١٩٧٨) ص ٢٢ - ٢٨.

(٢) صلاح العقاد: مرجع سبق ذكره، ص ١٧. والشاطر بصيلي عبد الجليل، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦ - ١٣٧. وانظر أيضاً: Miles, S.B. Op. Cit. p.154.

(٣) Miles, S.B. Op.Cit. p.156.

لميناء هرمز وأبحر عائداً إلى الهند وتوفي في الطريق قبل وصوله إلى جاوه، وبعد وفاة البوكيرك في كانون الأول ١٥١٥ خلفه لوبو سواريز نائباً للملك في الهند فتوجه قاصداً عدن ودخل البحر الأحمر ووصل جدّة للبحث عن الأسطول المملوكي. وأحرق البرتغاليون زيلع ولكنهم فشلوا مرة أخرى في احتلال عدن، وحطمت العواصف الأسطول البرتغالي وبعثرته، وبذلك ابتعد الخطر البرتغالي عن البحر الأحمر ولكنه بقي قوياً في الخليج العربي[1]. وقد تجددت الاضطرابات في مراكز البرتغاليين في فارس والخليج العربي بعد وفاة البوكيرك؛ فقد أدى تعيين موظفين برتغاليين للمراكز الجمركية في هرمز والبحرين وصحار وقريات إلى إثارة سخط السكان مما أغرى ملك هرمز لتنظيم هجوم بري وبحري في وقت واحد على المواقع البرتغالية في الخليج للتخلص من الاحتلال البرتغالي؛ ولما كان الهجوم مفاجئاً للبرتغاليين فقد لحقت بهم خسائر جسيمة في الأرواح.

كما أدى استيلاء البوكيرك على هرمز في عام ١٥١٥ إلى استياء الشاه إسماعيل الأول الصفوي لاسيما بعد أن رفض ملك هرمز بناء على طلب البوكيرك الاعتراف بالسيادة الفارسية على هرمز وأرسل البوكيرك رداً قاسياً للشاه مع رسالة من ملك هرمز يرفض فيها إعلان الولاء له، مما أغاظ الشاه ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً من شأنه أن يؤثر في مركز البرتغاليين في هرمز والخليج العربي لانشغاله في حرب مع العثمانيين[2]. وقام البرتغاليون بجباية الأعشار من هرمز وأرسلوها إلى ملك البرتغال، وقد بلغ مقدارها مئة ألف فلورين[3]. ولذلك اضطر الشاه إسماعيل الأول إلى الاتفاق مع البوكيرك على ما يلي:

---

(١) عبد الكريم محمود غرابية: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠ - ٢١.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣ - ١٥. وانظر أيضاً: Lockhart, Laurence. Op. Cit. pp. 172-173.

(٣) Özbaran, Salih. A Turkish Report On The Read Sea And The Portuguese In The Indian Ocean (1525) pp. 81-88 (Arabian Studies IV. London 1978) p. 83.

ـ أن تقدم البرتغال بعض سفنها للشاه لتمكينه من غزو البحرين والقطيف.
ـ أن تقدم البرتغال مساعدتها للشاه لقمع ثورة مكران في مقابل موافقة الشاه على احتلال البرتغال لميناء جوادر على ساحل بلوشستان.
ـ أن تتحالف البرتغال وفارس ضد الدولة العثمانية.
ـ يتنازل الشاه عن هرمز ويعترف بالحماية البرتغالية عليها.
ـ وعد البرتغاليون الشاه بفتح جاوه للتجارة الفارسية ولكن البوكيرك أخبر سفير الشاه في عام ١٥١٥ بأن أي تاجر فارسي يضبط في أي مقاطعة أخرى في الهند باستثناء جاوه سيفقد بضائعه ويخضع لغرامات باهظة(١).

وعلى الرغم من الاتفاق فقد استولى البرتغاليون على البحرين لحسابهم في عام ١٥١٥ وأقاموا قلعة فيها وأخذوا الجزية من سكانها. وبعد فترة وجيزة أدرك البرتغاليون أن عدن وليست سقطرة هي التي تتحكم في مدخل البحر الأحمر الجنوبي وبالاستيلاء على عدن يتمكن البرتغاليون من خنق حركة التجارة في البحر الأحمر حيث ظلت السفن التجارية العربية تتسلل على نطاق واسع للمشاركة في تجارة الهند التي بدأت البرتغال في احتكارها ولذلك توجه الفونسو دي البوكيرك من الخليج العربي نحو البحر الأحمر قاصداً ميناء عدن لاحكام السيطرة عليه وبذلك يمكنه إغلاق البحر الأحمر في وجه التجارة الإسلامية، وكانت عدن آنذاك أكبر مخزن تجاري في مدخل البحر الأحمر.(٢) وبالاستيلاء على عدن يصبح في وسع البوكيرك تأمين طريق رأس الرجاء الصالح وغزو الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز. ولكن البوكيرك عجز في عام ١٥١٢ عن احتلال عدن على الرغم من أسطوله المؤلف من عشرين

(١) Issawi, Charles. The Decline Of Middle East Trade: 1100-1850. (Islam And The Trade Of Asia. A Colloquium. Edited by D.S. Richards. London 1970). p. 263; Serjeant, R.B. Historical Sketch of The Gulf In The Islamic Era From The Seventh To The Eighteenth Century. (Qatar Archeological Report, Excavations, 1973, Oxford 1978).

(٢) Serjeant, R.B. The Portuguese Off The South Arabian Coast. (Oxford 1963) pp. 15-16; Oliver, Roland And Mathew, Gervase. (Editors) History of East Africa. Vol.1. (Oxford 1963) p. 149.

سفينة عليها ١٧٠٠ برتغالي و٨٠٠ مجند أسيوي حيث تمكن حاكم عدن من صدهم فأحرق البوكيرك السفن العربية في ميناء عدن وقصفها بالمدافع واستولى على بعض السفن العربية. كذلك فشل البرتغاليون في الاستيلاء على جدة فنهبوا قمران وأحرقوا زيلع[١].

وفرض البرتغاليون حصاراً قوياً لمنع السفن القادمة من الهند من دخول البحر الأحمر والوصول إلى الموانئ العربية فيه وبخاصة جدة وسواكن والسويس، ومنع وصول التوابل والسلع الأخرى إليها. وقد أدى الحصار البرتغالي إلى إضعاف النشاط التجاري في البحر الأحمر. وبذلك تحول التجار الأجانب عن موانئ مصر وبلاد الشام إلى أسواق لشبونة في البرتغال[٢].

وعلى الرغم من الاحتكار البرتغالي وإغلاق مداخل الخليج العربي والبحر الأحمر فقد تمكن الملاحون والتجار العرب من الإفلات بمهارة من الحصار البرتغالي على منافذ البحار العربية الداخلية مما خفف من تأثير الحصار على الاقتصاد العربي، لأن الحصار الذي فرضه البرتغاليون لم يكن كاملاً حيث ظل جانب من البضائع الهندية يتسرب إلى التجار العرب فيحملونه في سفنهم الخفيفة إلى البصرة ومنها إلى بغداد وحلب أو إلى السويس ومنها إلى القاهرة والاسكندرية. وفي فترات السلام بين العثمانيين والصفويين كانت القوافل التجارية تمر من وسط آسيا حاملة منتجات الشرق عبر فارس ومنها إلى بغداد لتوزيعها.

غير أن كميات البضائع التي كان العرب يجلبونها خلال الحصار البرتغالي لم تكن كافية لبعث الازدهار الاقتصادي الذي سبق أن حققه العرب من التجارة الشرقية قبل وصول البرتغاليين إلى البحار الشرقية وتنفيذ مخططاتهم العدوانية ضد العرب والمسلمين[٣]. وهكذا فقد أدى اكتشاف البرتغاليين

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ص ١٩.
(٢) الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.
(٣) أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة، (القاهرة، ؟) ص ١٩٥، ٢٢٧.

للطريق البحري إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر إلى تحول الطرق التجارية الرئيسية التي تربط آسيا بأوربا عن الخليج العربي والبحر الأحمر. وبعد أن جرد البرتغاليون الخليج العربي من هذا الدور التجاري المهم وقع تحت السيطرة البرتغالية وتولت السلطات البرتغالية في الشرق تنظيم الحركة التجارية في البحار الشرقية ومنع السفن غير البرتغالية من الإبحار والتجارة في الخليج العربي إلا بعد الحصول على تصريح منها [1]، وشنت حرباً عنيفة ضد التجارة العربية وعملت على خنق العرب في مياههم الداخلية.

(١) جون، ب. كيلي: بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٧٠) ترجمة محمد أمين عبدالله (القاهرة، ١٩٧٩) ج ١ ص ٨.

الصراع البرتغالي ـ المملوكي

كانت تجارة الأفاويه تدر على الوسطاء العرب والتجار الأوربيين وغيرهم أرباحاً طائلة بوصفها سلعاً يشتد الطلب عليها في أوربا ولم يكن في وسع الأوربيين الحصول عليها إلا بواسطة المسلمين، ولم تكن كل تجارة الأفاويه، والتي كانت عاملاً قوياً لجذب الأوربيين نحو البحار الشرقية، من منتجات الهند ولكنها كانت تنقل من الموانئ الهندية إلى أوربا بواسطة طريق البحر الأحمر والخليج العربي، لأن الهند كانت تشتهر بالفلفل وحب الهال بينما كان القرنفل وجوزة الطيب وأنواع أخرى من الأفاويه تماثلها في أهميتها وزيادة الطلب عليها من منتجات جزر الهند الشرقية[1].

وقد تمكن البنادقة من احتكار التجارة الشرقية كما تمكنوا من مقاومة كل تحد لهم ومن المحافظة على تفوقهم التجاري ومن تكوين نفوذ قوي لهم لدى السلاطين المماليك في القاهرة لما لهم من خصائص تجارية ومهارة ديبلوماسية وحب للمغامرة، وقد خشي البنادقة أن يفقدوا دور الوسيط الذي قاموا به في التجارة الشرقية لذلك حثوا السلطان المملوكي في القاهرة على القيام بجهد مشترك ضد البرتغاليين الذين شكلوا خطراً محققاً على مستقبلهم التجاري كما طلبوا منه أيضاً تخفيض أسعار التوابل في الاسكندرية[2].

كذلك أدرك الزامورين بعد حروبه السابقة مع البرتغاليين أن سفنه غير

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٣١ ـ ٣٢.
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني. (بيروت، ١٩٨٢) ص ٨٣.

متكافئة مع السفن البرتغالية الثقيلة التسليح وأن حظها ضئيل في الفوز على الأسطول البرتغالي في العمليات الحربية البعيدة عن الساحل، ولذلك طلب مساعدة السلطان المملوكي في القاهرة قانصوه الغوري الذي تربطه به علاقات المودة والصداقة، وكانت قاليقوط مركز التجارة العربية في الهند يغادرها في كل موسم إلى البحر الأحمر حوالي خمس عشرة سفينة محملة بالتوابل وبضائع الهند حيث تعيد الموانئ المصرية والسورية تصديرها إلى أوربا، وكان السلطان المملوكي يتقاضى رسوماً على هذه التجارة تصل إلى ١٠٪. كذلك استنجد حاكم كجرات مظفر شاه بن محمود شاه بالسلطان المملوكي لمساعدته ضد البرتغاليين.

ولما كانت دولة المماليك قد تضررت اقتصادياً نتيجة لاكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح ومنافستهم التجارة المملوكية في مصر وبلاد الشام مما أصاب موانئ السويس والاسكندرية والبصرة وطرابلس في صميم تجارتها ونجم عن ذلك أزمات مالية واقتصادية جعلت من الصعوبة أن يتمكن المماليك من بناء أسطولهم البحري بجهودهم الخاصة لا سيما بعد استيلاء البرتغال على جزيرة سوقطرة وهرمز (١٥٠٧ ـ ١٥٠٨)[1]. وبينما كانت أسواق مصر وبلاد الشام في عام ١٤٩٨ تتكدس فيها التوابل فإن سفن البندقية لم تجد في عام ١٥٠٤ شيئاً فيها فعادت بدون حمولة في الوقت الذي كانت فيه السفن البرتغالية تنقل آلاف الأطنان من البضائع الشرقية وتفرغها في لشبونة لتوزيعها على الأقطار الأوربية. وبذلك تمكن البرتغاليون من حرمان العرب من القسم الأكبر من تجارة التوابل.

وهكذا تدهورت الأوضاع الاقتصادية في مصر وبلاد الشام إلى حد كبير؛ فقد فشل العرب في تهريب كميات كبيرة من التوابل، وخرب ميناء جدة بسبب عبث البرتغاليين في المحيط الهندي ولم تدخل البضائع إليه منذ عام ١٥٠٨، وكذلك خلت مدينة الاسكندرية من أعيان التجار وأصبحت في غاية الخراب

---

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ٨٢.

وفقد تجار البندقية فيها كل أمل في إعادة إحياء الطريق التجاري عبر البحر الأحمر[1].

ولذلك لم يكن في وسع السلطان المملوكي قانصوه الغوري تجاهل الخطر البرتغالي ولم يكن له بد من تلبية نداء أمراء الهند بتقديم المساعدة العسكرية لهم ضد الخطر البرتغالي المشترك. فبدأ المماليك في مصر في بناء أسطول لحرب البرتغاليين وإعادة السيطرة على التجارة الشرقية. ولكنهم واجهوا صعوبات جمة في بناء الأسطول. فمصر وبلاد الشام والجزيرة العربية لا تنتج من الأخشاب ما يصلح لبناء سفن قوية، ولذلك استنجد السلطان المملوكي قانصوه الغوري بالسلطان العثماني الذي بادر بإرسال الأخشاب والحبال وغيرها من المواد اللازمة لبناء ثلاثين سفينة كما أرسل إليه ٣٠٠ مدفع و٥٠ سارية و٣٠٠٠ مجذاف وعدداً من الخبراء. ولكن فرسان مالطة الذين كانوا ينطلقون من جزيرة رودس للسطو على سفن المسلمين تعرضوا لبعض هذه الشحنات فأرسل السلطان العثماني شحنات غيرها.

ومهما يكن من أمر فقد وصلت كميات من المواد المطلوبة لبناء السفن إلى الموانئ المصرية على البحر المتوسط ثم نقلت على ظهور الجمال إلى السويس. وتمكن الصناع من بذل جهدهم لبناء سفن ملائمة للملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي وأنجزوا بناء تسع عشرة سفينة مسلحة بالمدافع[2].

وبعد أن فرغ السلطان الغوري من بناء الأسطول أرسله إلى الهند بقيادة الأمير حسين الكردي وفيه ما لا يقل عن ١٥٠٠ جندي وكان هدفه جزيرة ديو لاتخاذها قاعدة له لإقامة الاتصال بواسطتها مع أسطول قاليقوط. وبعد ذلك يقوم الأسطولان المملوكي والهندي بمهاجمة الأسطول البرتغالي. وكان الأسطول المملوكي قد استفاد من انشغال البرتغاليين في الخليج العربي فلم يلق في طريقه عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي صعوبات. كذلك بادر المتحاربون في اليمن إلى تناسي خلافاتهم وعقد الصلح بين عامر صاحب عدن

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره ص ٩ - ١٤، ص ١٥.
(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: المرجع السابق، ص ١٢ - ١٥.

ومحمد بن حسين البهال صاحب صعدة وتوجه البهال إلى الهند للاشتراك في حرب البرتغاليين.

وقد فوجئ البرتغاليون وهم في هرمز بأنباء خروج الأسطول المملوكي من البحر الأحمر ووصوله سالماً إلى الهند[1]. وعندما وصل الأمير حسين الكردي إلى جزيرة ديو انضمت إليه سفن الزامورين حاكم قاليقوط، حيث اشتبك الأسطولان في صيف ١٥٠٨ في ميناء تشاول (في منتصف الطريق على الساحل) حيث دارت معركة عنيفة بالمدفعية وفشل البرتغاليون في النزول على ظهر السفن المملوكية، وبعد يومين من الحرب بالمدافع عزم البرتغاليون على الفرار. ومثل هذه الكارثة أثبتت للبرتغاليين أن عدواً يكافئهم في العتاد ويفوقهم في المهارة البحرية قد برز لهم في المياه الهندية. ولكن نائب الملك البرتغالي فرانسيسكو دا الميدا جمع كل ما لديه من سفن وجنود وبلغت ١٨ سفينة و١٢٠٠ رجل واشتبك مع الأمير حسين الكردي في ٣ شباط ١٥٠٩ خارج ديو. غير أن الاشتباك لم يكن حاسماً ولم يستطع أي من الطرفين ادعاء النصر لنفسه وانسحب الأسطول المملوكي من المياه الهندية بسبب خيانة حاكم كجرات[2].

وبرحيل الأمير حسين الكردي والأسطول المملوكي من المياه الهندية في عام ١٥٠٩ ثبت البرتغاليون ادعاءهم بالسيادة في البحار الشرقية وأصبحت لهم السيادة في أعالي البحار والتي لا ينازعهم فيها أحد، وبذلك وضعوا تجارة المحيط الهندي[3] تحت رحمتهم لأكثر من قرن. ورغم النتيجة التي أسفرت عنها معركة ديو البحرية في عام ١٥٠٩ فإن السلطان الغوري عاد فأرسل وحدات بحرية جديدة من السويس وكلف الأمير حسين الكردي مرة أخرى في عام ١٥١٦ بمطاردة الأسطول البرتغالي وإبعاد خطره عن البحر الأحمر. فأبحر

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣١ - ١٣٣ وانظر بانيكار ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٤٢ - ٤٤.

(٣) Hamilton, C.J. The Trade Relations Between England and India. 1600-1896. (Delhi, 1975) . 5, 10.

الأسطول المملوكي من السويس قاصداً جدة حيث بنى الأمير حسين الكردي حولها سوراً سخر أهل جدة في العمل به مستعملاً معهم وسائل العنف والشدة ثم قصد الأسطول موانئ اليمن حيث انشغل الأمير حسين الكردي في حرب مع أمرائها، فهاجم عدن لرفض حاكمها تقديم المؤن والذخائر لأسطوله وشجعه الإمام الزيدي في جهوده للقضاء على دولة بني عامر الشافعية ودخل الأمير حسين الكردي زبيد في حزيران ١٥١٦ ثم عاد إلى جدة حيث بلغته الأخبار بإعلان الحكم العثماني على مصر والشام والحجاز وألقى شريف مكة القبض عليه وقتله بأمر من السلطان العثماني سليم الأول[١].

ولما كان هدف البوكيرك الأساسي تأسيس قاعدة برتغالية منيعة في بلاد الهند يستطيع من خلالها أن يفرض بالقوة السيادة البرتغالية على المياه الشرقية، فقد قرر أن كوتشين القائمة على جزيرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها نصف ميل مربع والوحيدة الخاضعة للسيطرة البرتغالية آنذاك غير صالحة لتحقيق أهدافه فتوجه نحو قاليقوط. ولكن محاولة البوكيرك الاستيلاء عليها منيت بالفشل ولحقت بالبرتغاليين خسائر جسيمة وجرح البوكيرك ونقل إلى سفينته فاقدًا وعيه، وبذلك انتهت أول محاولة برتغالية لتحدي حكام الهند براً بكارثة تركت أثرها على البرتغاليين وغيرهم من القوى الأوربية التي ستلحق بهم إلى البحار الشرقية حيث لم تحاول دولة أوربية لمدة مئتين وثلاثين عاماً القيام بفتح عسكري أو إخضاع حاكم هندي لسلطانها باستثناء احتلال جاوه في عام ١٥١٠ والتي تحولت إلى قاعدة برتغالية عظيمة بسبب موقعها الاستراتيجي المهم في منتصف الطريق بين مينائي كوتشين وقاليقوط في الجنوب وميناء سورات في الشمال. ولكن ذلك الاحتلال قد تم بمساعدة الحكام الهندوس نكاية بالحكام المسلمين (آل عادل شاه) في نطاق الصراع الدائر بين الجانبين.

وقد استحدث التجار الهنود من غير المسلمين نظاماً للترخيص تمكنوا

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة، مرجع سبق ذكره، ص ١٤ - ١٥، ص ٢٠ - ٢١، ص ٣٠.
وانظر أيضاً الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٢ - ١٣٣.

بواسطته من الاستمرار في تجارتهم بعد زوال المنافسة العربية. وبذلك كان قضاء البرتغاليين على الاحتكار الذي تمتع به العرب أمداً طويلاً مصدر ترحيب من الهندوس، لاسيما وأن البرتغاليين بعد الهزيمة التي منوا بها في قاليقوط في بداية عهدهم قد تخلوا عن أطماعهم في امتلاك الأراضي على نطاق واسع في بلاد الهند واكتفوا بالسيطرة على جزيرة ديو وبومباي ومراكز تجارية منتشرة على الساحل الهندي ومنطقة جاوه وقلعة كوتشين. وأقام البرتغاليون صلات تجارية وثيقة مع الحكام الهنود وتبادلوا معهم الهدايا والسفارات والبعثات السياسية[1]. وكان موقف الدول الهندية من البرتغاليين ودياً باستثناء قاليقوط، لأن ادعاء البرتغاليين بالسيادة البحرية لا يتفق ومصالحها ولأن ازدهار قاليقوط قد ارتبط لأكثر من أربعمائة عام بنشاط تجارة التوابل العربية. ولذلك فإن الصراع البحري بين حكام قاليقوط والبرتغاليين قد استمر دون انقطاع حتى عام ١٥٩٩ عندما تم عقد معاهدة بينهم.

أما بالنسبة لحكام الهند الآخرين فإن النشاط البرتغالي لم يؤثر على مصالحهم لأن مهنة النقل التجاري كانت احتكاراً خالصاً للعرب في المحيط الهندي ولأن نزع هذا الاحتكار من العرب لا يلحق الضرر بمصالح الحكام الهنود التجارية والذين لم يجدوا ضيراً في بيع بضائعهم للبرتغاليين بل وجدوا فيهم ميزة على العرب لأن في وسع البرتغاليين بيع الحكام الهنود أسلحة وعتاداً حربياً[2]. وقد جمع العداء المشترك للإسلام بين الحكام الهندوس والبرتغاليين، وساعد أيضاً على قيام علاقات ودية وثيقة فيما بينهم وعلى توطيد النفوذ البرتغالي في جاوه والتي عرض البوكيرك كل العرب فيها على السيف وكان يملأ المساجد بهم ثم يضرم فيها النار[3]. ومهما يكن من أمر فإن البرتغاليين حيثما استطاعت سفنهم أن تحقق لهم الادعاء بالسيادة البحرية كما حصل في سيلان وفي مالقا فإنهم لم يخففوا من معاملتهم القاسية ولم يكتفوا فقط باحتكار الملاحة

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٢ - ٥٣.
(٢) بانيكار، ك.م: المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.
(٣) بانيكار، ك.م: المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٦.

والتجارة في البحار الشرقية، بل احتفظوا لأنفسهم بحق مصادرة جميع البضائع العائدة لكل من يجرؤ على الإبحار في المياه الشرقية دون تصريح منهم، كما أن طريقتهم التجارية قد تطورت وتمثلت بالنزول إلى البر في منطقة مناسبة وبناء حصن واتخاذه منطقة خاصة بهم والقيام بعمليات تجارية من تلك القواعد البحرية ـ التجارية.

ولما كان البوكيرك يطمح إلى تكوين امبراطورية برتغالية في الشرق فقد رأى إمكانية تحقيق ذلك الهدف بتأسيس عدد من القلاع الحصينة في كل من عدن وديو وهرمز وجاوه مع إقامة سلسلة من الوكالات التجارية والقلاع الحربية الصغيرة في كوتشين وكنانور وكويلون، ولم يكن البوكيرك يهدف من ذلك حماية التجارة على الساحل فقط ولكنه أراد أيضاً السيطرة على الحكام المحليين وارغامهم بالقوة على الاعتراف بالتبعية لملك البرتغال.

ورغب البوكيرك في السيطرة على ثلاثة مراكز في البحار الشرقية باعتبارها المفاتيح الرئيسية للسيادة على التجارة الشرقية، وهي مالقا عند مدخل المحيط الهادي وعدن عند مدخل البحر الأحمر وهرمز عند مدخل الخليج العربي. وتعتبر هرمز من وجهة نظر البوكيرك أهم هذه المراكز؛ وإذا تمكن البرتغاليون من السيطرة على هذه المراكز الثلاثة في الشرق فإنهم سيصبحون سادة العالم.

وكانت مالقا في مطلع القرن السادس عشر ميناء تجارياً مزدهراً واستفادت مالقا من موقعها الجغرافي كمفتاح للمحيط الهادي وكمستودع رئيسي لتجارة التوابل والأفاويه التي تنمو في جزر جاوه ومالقا وغيرهما. وكانت السفن تأتي مالقا بانتظام من الصين واليابان شرقاً ومن الهند وفارس والجزيرة العربية ومصر غرباً، ومن أجل ذلك كانت لمالقا أهمية لا بوصفها إحدى المراكز التجارية في الشرق فحسب، بل كمركز اتصال بين الصين وأقطار جنوب شرق آسيا[1].

---

(١) بانيكار، ك.م: المرجع السابق، ص ٧١ ـ ٧٢، ص ٤٧ وانظر أيضاً: William Gibson, Richard Coopar, And William Fall At Ispahan To The Company. Sep. 28,

وقد استولى البرتغاليون على مالقا في عام ١٥١١ بعد قتال عيف. وتم لهم ذلك بعد انسحاب حاكم الملايو وجيشه، وباع البرتغاليون المسلمين الذين نجوا من السيف في المذابح التي نظموها رقيقاً بينما أبقوا على رعايا الصين والهند وبورما. وبعد أن نهبوا مالقا تماماً أرسلوا إلى ملك البرتغال ٢٠٠,٠٠٠ كروسادو نصيبه من الغنائم والأسلاب.

وهكذا وطد احتلال مالقا السيادة البرتغالية في المحيط الهندي وفي جهات المحيط الهادي، أما مدينة مالقا فقد حولها البوكيرك إلى قلعة منيعة وعيّن راي دا فيو حاكماً برتغالياً عليها قبل عودته إلى جاوه. واستفاد البرتغاليون من الصراع المرير بين الحكام المسلمين والحكام الهندوس في جاوه وعملوا ما في وسعهم من تأليب الحكام بعضهم على بعضهم ووسعوا دائرة الخلافات الطائفية فيها.

وبعد أن أتم البوكيرك احتلال مالقا اكتمل بناء وتشييد أركان الامبراطورية البرتغالية في آسيا حيث لم يكن للبرتغال قبل عهد البوكيرك في بلاد الهند سوى محطة تجارية صغيرة في كوتشين ولكن بعد احتلال سوقطرة وهرمز ومالقا تأسس للبرتغاليين نظام للهيمنة ظل ثابتاً ما دامت قوتهم في أوربا قوية وكانت جاوه تقوم بدور مركزي في الامبراطورية البرتغالية في الشرق وقد طورها البرتغاليون لتصبح مدينة كبيرة ضمت جهازاً كاملاً للحكم كان الأساس الذي قامت عليه جميع خطط البوكيرك في الشرق[١].

= 1633. (The English Factories In India Vol.IV. 1630-1633 By William Foster. Oxford 1910). p. 319

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٤٨ - ٥٠.

البرتغاليون في شرق افريقية

وصل البرتغاليون إلى ساحل افـريقية الشرقي في نيسـان ١٤٩٨ وقد رحب سكان الساحل بهم في البداية، ولكن سرعان ما أدرك السكان أغراض البرتغاليين المتمثلة في الاستيلاء على بلادهم والقضاء على تجارتهم، ولذلك تحول الود إلى عداء عندما حاول البرتغاليون احتلال الساحل وعزله عن الداخل وقد عملوا على إثارة الحروب وتغذية المنازعات بين حكام الساحل الشرقي لافريقية لإضعافهم، وكانت المنافسات بين المدن والموانئ والجزر موجودة ومستمرة قبل وصول البرتغاليين إلى المنطقة لدوافع اقتصادية وسياسية مما أدى إلى فشل الجهود لإبعاد السيطرة البرتغالية.

وقد استهدف البرتغاليون استغلال المنطقة تجارياً واتخاذها قاعدة بحرية في طريقهم من الهند وإليها، والسيطرة أيضاً على تجارة الداخل وموارده من الذهب والعاج والرقيق ولذلك سيطروا على ميناء سفالة لأهمية موقعه بالنسبة لتجارة الذهب القديمة[١] على الساحل الشرقي لإفريقية.

وفي الربع الأخير من القرن السادس عشر تأثر مركز البرتغاليين في شرق إفريقية وعلى نطاق واسع بالأحداث التي تمت في أوربا حيث تمكن ملك اسبانيا فيليب الثاني من ضم التاج البرتغالي إليه في عام ١٥٨٠ وظلت البرتغال تابعة لاسبانيا حتى عام ١٦٤٠ عندما تمكن جون الرابع من تحريرها

---

(١) Alpers, Edward. A. Ivory And Slaves. (Gt. Brit. 1975) pp. 39-40.

من «الأسر الاسباني»[1] الذي دام ستين عاماً. وفي مطلع القرن السابع عشر كان معظم النشاط البرتغالي في الساحل الافريقي الشرقي يعتمد أساساً على وجود الحامية البرتغالية في قلعة يسوع في ممباسة. وقد بنى البرتغاليون هذه القلعة في عام ١٥٩٣. وساهم في بنائها عمال من مالندي والهند وقامت عند مدخل ميناء ممباسة[2] ونقلوا إليها الحامية البرتغالية من مالندي. وكذلك نقلوا حاكم مالندي المحلي الحسن بن أحمد إليها لتصبح مركزاً لحكمه.

وقد بدأت المقاومة المحلية للحكم البرتغالي في شرق أفريقية في عام ١٦٠٩ بقيام سلسلة من الاضطرابات بين الحكام المحليين وحاكم ممباسة البرتغالي. وبعد أن أصبح الحسن بن أحمد حاكم مالندي السابق وآخر حكام الأسرة الشيرازية فيها سلطاناً على ممباسة نشب نزاع بينه وبين حليفه الحاكم البرتغالي في قلعة يسوع[3] في عام ١٦١٤. ونتيجة لذلك النزاع ذهب الحسن بن أحمد إلى جاوه ليقدم الشكوى إلى السلطات البرتغالية فيها ضد تصرفات حاكم ممباسة البرتغالي. وفي أثناء عودته من جاوه هرب إلى القبائل الداخلية في شرق أفريقية حيث اغتيل على يد أحد أفرادها لرشوة قدمها البرتغاليون، ولكن هذا الادعاء لم يثبت عليهم نتيجة للتحقيق الذي جرى من قبل السلطات البرتغالية في لشبونة[4]. وقام بعد اغتياله كبير الأسرة الشيرازية بالوصاية على العرش في ممباسة.

وأرسل البرتغاليون ولده يوسف البالغ من العمر ـ آنذاك ـ سبع سنوات إلى جاوه في الهند في عام ١٦١٥ حيث تمت تربيته وتعليمه في جاوه وتم تعميده أيضاً. ولكنه على الرغم من تنصيره فقد ظل يمارس الشعائر الإسلامية

---

(١) Gray, John. History of Zanzibar From The Middle Ages To 1856. (London 1962) p. 46.

(٢) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا (حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس. المجلد العاشر ١٩٦٧ ج ٢٧٧ ـ ٣٤٠ القاهرة، ١٩٦٧) ص ٣٢٧.

(٣) Ingham, Kenneth. A History Of East Africa. (London 1962) p. 15.

(٤) Freeman — Grenville. The Coast 1498-1840 Chapter V. (History Of East Africa, Edited By Roland Oliver and Gervase Mathew. Vol. I Oxford 1963) p.140.

سراً بعد أن أصبح سلطاناً على ممباسة في ٢٣ آب ١٦٣٠ م. وعندما علم يوسف بتهديد الحاكم البرتغالي في ممباسة بترحيله إلى جاوه بسبب عودته إلى الإسلام أخذ معه حوالي ثلاثمئة من أتباعه المخلصين وزار الحاكم في القلعة وقتله بيده كما قام أتباعه بقتل البرتغاليين الآخرين في القلعة وخارجها ما عدا الذين دخلوا في الإسلام واشتعلت الثورة في معظم المدن الإسلامية باستثناء زنجبار وبات. وعندما علم نائب ملك البرتغال في الهند بارتداد يوسف وبمذبحة البرتغاليين في ممباسة أرسل أسطولاً صغيراً بقيادة ابنه لتأديب[١] يوسف. وكانت قد سبقت ثورة يوسف في آب ١٦٣١ اضطرابات جدية وخطيرة في المدن الإسلامية في الساحل الشرقي لإفريقية منذ عام ١٦٢٧. وعلى الرغم من قضاء البرتغال عليها فقد حقق بعضها نصيباً من النجاح إذ ضعضع الحكم البرتغالي في شرق إفريقية. وعندما قام يوسف بثورته في ممباسة شاركته بعض مدن الساحل المجاورة في إشعال الثورة لا سيما ممباسة. ولذلك ضعف النفوذ البرتغالي بسرعة في الساحل الشرقي لإفريقية.

وعلى الرغم من النصر الذي حققه يوسف على البرتغاليين فقد أدرك أنه لا يستطيع الوقوف بنجاح وعلى أرض ثابتة وبقدم راسخة في مواجهة الأسطول البرتغالي، ولذلك وضع خططه العسكرية على هذا الأساس فعندما شعر يوسف بعدم قدرته على مواصلة الحرب النظامية غادر ممباسة مع أتباعه ولجأ إلى اتباع أسلوب الغارات ضد البرتغاليين. ولما علم يوسف بإرسال أسطول برتغالي قوي إلى ممباسة في عام ١٦٣٥ عاد ثانية من الجزيرة العربية واستقر مع العرب في جزيرة مدغشقر[٢] وظل يشن الغارات على الحاميات البرتغالية حتى وفاته في عام ١٦٣٨.

---

(١) Stigand, C.H. The Land Of Zinj. (London 1913) pp. 19-20; Boxer, C.R. and De Azevedo, Carlos. Fort Jesus And The Protuguese In Mombasa 1593-1729. (London 1960) p. 169; Rensch, Richard. History Of East Africa. (New York 1961) pp. 258-261.

(٢) Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (Holland 1967). pp. 113-115.

وتمكن البرتغاليون في عام ١٦٣٩ من إعادة بناء قلعة يسوع مرة أخرى واتخذوا منها قاعدة لحكم الساحل الشمالي بينما كانت موزمبيق قاعدة لحكم الساحل الجنوبي وحرّموا على العرب الهجرة إلى الساحل الشرقي لافريقية[1]

ومهما يكن من أمر فإن التأثير البرتغالي في الساحل الشرقي لافريقية كان ضئيلاً في القرن السادس عشر في مجال حكم المقاطعات. فقد بقيت المدن الساحلية مستقلة ذاتياً عن الحكم البرتغالي وتحت سيادة حكوماتها المحلية. ومع ذلك فقد استمر التفوق البرتغالي وتمكنت الحاميات البرتغالية من توطيد مركزها تدريجياً في عدة مراكز على امتداد الساحل. ثم بدأت السلطات البرتغالية تتدخل في شؤون الحكم المحلي وعينت الأمراء المحليين وفق رغباتها وبذلك شهد القرن السابع عشر الانهيار الكامل لزعامة الأسرة الشيرازية[2] في الساحل الشرقي لافريقية بعد أن كانت مسيطرة على معظم المدن الساحلية في القرن السادس عشر.

وقد حافظت السلطات البرتغالية في شرق أفريقية على خط من القلاع والموانئ التجارية وبعض المناطق المهمة تحت نفوذها. وكان لموزمبيق دور تجاري في شرق أفريقية، واحتكر حاكمها البرتغالي كل التجارة الداخلية فيها وأشرف على منح التصاريح للسفن السواحلية بحرية التجارة في المحيط الهندي بالاشتراك مع حاكم مالندي الذي نقل مركزه إلى ممباسة في عام ١٥٩٣ وكان لهما الحق أيضاً في تحصيل الجمارك في الأماكن التابعة لهما[3]. وكانت السلطات البرتغالية تعتبر تجارة موزمبيق وممباسة مصدر ثروة كبيرة بالنسبة للمستوطنات البرتغالية في الشرق وأن إيراداتها تكفي لتغطية نفقات إدارة الساحل الهندي. وقد أعطت السلطات البرتغالية الأرباح التي حصلت

(١) عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية. (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٨٥-٨٧.

(٢) Berg, F.J. The Coast From The Portuguese Invasion. Chapter VI pp. 119-141. (Zamani A Survey of East African History. Edited by Ogot, B.A. and Kieran, J.A. Kenya 1969) pp. 119-123.

(٣) Sutton, J.E.G. The East African Coast. (Nairobi 1970). pp. 21-24.

عليها من شرق أفريقية والتي مصدرها موزمبيق أهمية فائقة [1]. وفي بعض الأحيان تأسست مراكز جمارك صغيرة في بات وفي أماكن أخرى، ولكن بسبب فساد الإدارة البرتغالية الناجمة عن عدم كفاءة الموظفين البرتغاليين لم يكن من السهل الحصول على التصاريح للسماح بالتجارة بواسطة السفن السواحلية. ولذلك كان التهرب من دفع الجمارك يكلف السفن الإسلامية ثمناً باهظاً بين الساحل الشرقي لأفريقية وبين عدن وموانئ البحر الأحمر.

وقد حافظ البرتغاليون على تفوقهم في الساحل الشرقي لأفريقية باستخدام العنف ضد المدن السواحلية بسبب وجود المقاومة المحلية واستمرار الاضطرابات والثورات ضد الحكم البرتغالي الذي أرغم السكان على الاعتراف به. وكان هدف البرتغاليين من توسعهم في الشرق الحصول على الموارد الاقتصادية بالقهر العسكري.

ولكن اجراءات القمع البرتغالية لم تكن فعالة حيث أمكن شراء الاعفاءات من البرتغاليين لبعض الوقت، وكان معدل الإنتاج وتجارة البضائع يختلف قليلاً من عام لآخر، وكان التأثير البرتغالي في الساحل الشرقي لأفريقية سلبياً. فهم لم يقوموا باستغلال المنطقة في شمالي موزمبيق، كما لم يتركوها في عزلة عنهم.

وقد تمكن البرتغاليون من تنفيذ سياستهم في الساحل الشرقي لأفريقية لتفوقهم العسكري على السكان المحليين المنقسمين على أنفسهم والمتنازعين على توسيع سلطتهم في بعض جهات الساحل. وقد استغل البرتغاليون هذه الأوضاع لتحقيق أغراضهم وأطماعهم.

ومن أسباب ضعف البرتغاليين في شرق أفريقية عدم قدرتهم على إخضاع مدن الساحل والسيطرة عليها بصورة قوية ومؤثرة. ومن تلك المدن بارا ومالندي وفازا وقاسمليو ولامو وممباسة وزنجبار؛ ولكن البرتغاليين لم يمارسوا

(١) Strandes, Justus. The Portuguese Period In East Africa. Translated From The German By Jean F. Wallwork. (Nairobi 1968) p. 212.

قهرهم العسكري على كيلوه وتومباتو كما هو الحال في المدن السابقة، وربما يعود ذلك إلى أن المصالح البرتغالية الأكثر أهمية لهم تركزت في جنوب ساحل كينيا[1]. كذلك لم يحاول البرتغاليون التغلغل إلى الداخل في القسم الشمالي من شرق أفريقية باستثناء محاولة مبكرة قاموا بها في عام ١٥٢٣ ولكنها منيت بالفشل بعد بضعة أيام من مغادرة البعثة البرتغالية مالندي[2]. كما واجهت البرتغال في بداية القرن السابع عشر صعوبات جمة تمثلت في الثورات التي انتشرت في مستعمراتها الافريقية والهندية والعربية، فعلى الرغم من ازدياد القوة البرتغالية في البداية على نحو متغطرس، لكنه لم يكن كافياً لفرض السيطرة البرتغالية ذات الموارد البشرية والاقتصادية المحدودة على تلك المناطق الشاسعة في الشرق، لا سيما بعد ظهور المنافسة الانكليزية والهولندية للبرتغاليين في البحار الشرقية والتي تمكنت من تأسيس احتكار تجاري أكثر كفاءة وفعالية من الاحتكار البرتغالي السابق لها[3]. ورغم هذه المنافسة الشديدة وضعف البرتغال وفقرها بعد انضمامها لاسبانيا في عام ١٥٨٠، فقد ظلت القوة الأوربية الأولى في النصف الغربي من المحيط الهندي خلال الربع الأول من القرن السابع عشر.

---

(١) Sutton, J.E.G Op. Cit. pp. 24-25; Berg, F.J. Op.Cit. pp. 126-127; Reusch, Richard. History of East Africa. (New York 1961) p. 252.

(٢) Strandes, Justus, Op. Cit. p. 274.

(٣) Reusch, Richard. Op Cit. pp. 257-258; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 274; Sutton, J.E.G. Op. Cit. p.25; Sir Thomas Roe At Ahmadabad To The Company. Feb. 14, 1618. (The English Factories In India Vol. I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) p.17.

الصراع البرتغالي ـ العثماني في الخليج العربي

اهتم العثمانيون في النصف الأول من القرن السادس عشر بوقف التوسع البرتغالي في المحيط الهندي في الوقت الذي أبدى فيه الصفويون استعدادهم لتموين السفن البرتغالية في مقابل الحصول على المساعدة البرتغالية ضد العثمانيين على الرغم من عدم ترحيب الشاه إسماعيل باحتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية.

وقد بذل السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) جهوده لبناء أسطول قوي في ميناء السويس حيث جدّد الصدر الأعظم إبراهيم باشا المرسى القديم في السويس وأقام قيادة بحرية منفصلة للبحر الأحمر تم الانفاق عليها من إيرادات الجمارك في مصر. ولكن هذا الأسطول لم يستخدم إلا في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) والذي قام بجهود نشيطة خلال فترة حكمه لتحطيم قوة البرتغاليين البحرية في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي[1]. فقد أدرك السلطان سليمان القانوني فداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق. ولاهتمامه بدفع ذلك الخطر، بدأ المفاوضات مع الزامورين حاكم قاليقوط ومع حاكم كامباي المسلم وكانت مصالحهما قد تضررت بالعدوان البرتغالي وتم الاتفاق على القيام بعمل مشترك ضد الأعداء البرتغاليين، وبعد ذلك أصدر السلطان العثماني أمره إلى والي مصر سليمان باشا الخادم لإعداد أسطول كبير في السويس والتوجه به إلى الهند للجهاد ولإزالة راية البرتغاليين من البحر وابعاد خطرهم

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. pp. 164-166.

عن الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة[1]. وهكذا نهض العثمانيون لوقف العدوان البرتغالي على البلاد العربية منذ فرغوا من الاستيلاء على مصر في عام ١٥١٧ ولكن جهودهم على قوتها واتساع نطاقها لم تؤد إلى نتائج حاسمة ولكنها نجحت في منع الاعتداء البرتغالي من الامتداد إلى الداخل[2] وحطمت إمكانية قيام جبهة مسيحية برتغالية حبشية ضد القوى العربية والإسلامية في البحر الأحمر وشرق أفريقية بعد أن أصبح الأسطول العثماني يسيطر على البحر الأحمر في القرن السادس عشر مما مكن الدولة العثمانية من استعادة قسط من التجارة الدولية عبر مصر في الوقت الذي كانت تصور فيه البرتغاليين القوة البحرية الكافية لإحكام الحصار على مدخل البحر الأحمر.

وكان التدخل البرتغالي في شئون البصرة قد بدأ لأول مرة في عام ١٥٢٩ في عهد حاكمها راشد بن مغامس والتابع اسميًّا للشاه الصفوي. فقد طلب راشد بن مغامس المساعدة من البرتغاليين في هرمز ضد الزعيم القبلي العربي حاكم منطقة الجزاير لطلبه الجزية من البصرة. وتمكن القائد البرتغالي بلشوار دي سوسا من إنهاء النزاع بين البصرة والجزاير باستعادة البصرة حصنيها من حاكم الجزاير والذي تعهد أيضاً بدفع جزية سنوية إلى البصرة. وفي مقابل هذه المساعدة طلب البرتغاليون من راشد تسليمهم ست سفن صغيرة لكنها كانت مجهزة جيداً ومسلحة بالمدافع. وعندما رفض راشد تسليمها لهم أحرق بلشوار دي سوسا بعض الأماكن المجاورة للبصرة وعاد إلى هرمز[3].

وبعد فترة قصيرة فقد البرتغاليون البحرين مرة أخرى في عام ١٥٣٤ عندما أرسل حكام البحرين والحسا والبصرة مبعوثين عنهم إلى بغداد للترحيب

---

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٠ - ٥١.
(٢) أحمد عزت عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤.
(٣) صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي. (١٥٣٤ - ١٥٨١) ترجمة عبد الجبار ناجي. (بغداد، ؟) ص ٢٣ - ٢٥.

بالسلطان سليمان القانوني. ثم دخل العثمانيون في صراع مع البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في عام ١٥٣٨ عندما قام أسطول عثماني كبير من ميناء السويس بقيادة سليمان باشا الخادم بالتوجه نحو المحيط الهندي للرد على محاولات البرتغاليين الإبحار في البحر الأحمر[١]. وكان السلطان سليمان القانوني قد تلقى طلباً للمساعدة البحرية من حاكم كجرات المسلم في غربي الهند ضد البرتغاليين. وتلبية لذلك توجه أسطول عثماني من السويس في حزيران ١٥٣٨ بقيادة سليمان باشا الخادم، وقد تمكن الأسطول العثماني من الاستيلاء على المناطق الساحلية العربية على البحر الأحمر واحتل عدن، ولكن بعد وصول الأسطول إلى كجرات غيّر حاكمها رأيه وبدّل موقفه فاضطر الأسطول العثماني إلى العودة إلى مصر دون أن يلحق أذى بالبرتغاليين. كما أن محاولات البرتغاليين لدخول البحر الأحمر لم تتوقف؛ ففي عام ١٥٤١ غادرت جاوه حملة بحرية كبيرة نحو السويس[٢].

وبعد أن أخضع العثمانيون البصرة لحكمهم المباشر في عام ١٥٤٦ عملوا على توطيد نفوذهم في سواحل الخليج العربي ويبدو أن العثمانيين قد استولوا على الحسا مباشرة بعد استيلائهم على البصرة. وبعد أن استولوا على حصن القطيف ـ بعد تنازل أهل القطيف عنه ـ وضعوا فيه بعض الجنود والمدافع[٣]. كما تمكنوا من إنزال أسطول جديد خاص بهم في الخليج العربي ولكن السويس ـ شأنها في العهد المملوكي ـ ظلت القاعدة الرئيسية لهم في البحار الشرقية واعتمدوا عليها في عملياتهم البحرية التي امتدت حتى ساحل الهند الغربي. أما عدن فلم يطمئن العثمانيون إلى ولاء سكانها حتى بعد احتلالهم لها في عام ١٥٣٤ لا سيما بعد أن تحالف البدو القاطنين بالقرب من الميناء مع البرتغاليين نكاية بالعثمانيين ومكنوهم من احتلال عدن لفترة قصيرة.

(١) Belgrave, J.H.D. History of The Bahrain Islands. (Journal Of The Roal Central Asian Society. Vol. XXXIX. January, 1952. Part 1, pp.57-68). pp.62-63; Hawley, Donald. Op.Cit. p.73.

(٢) Serjeant, R.B. Op.Cit. pp. 19-20.

(٣) Hopwood, Derek. (editor) The Arabian Peninsula, Society and Politics (London 1972) p. 94.

وقد نشب الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين منذ عام ١٥٤٦ بعد أن أرسل العثمانيون أسطولاً لمواجهة الأسطول البرتغالي في مياه الخليج العربي، وكان الهجوم العثماني البحري على ظفار. ثم تقدموا بعد ذلك إلى مسقط حيث قصفوها بقنابل المدافع. ولكن العثمانيين لم يغامروا بالنزول إلى البر فأبحروا بعيداً عن مسقط[١]. ورد البرتغاليون على ذلك الاجراء العثماني في عام ١٥٥٠ واغتنموا فرصة طلب بعض زعماء القبائل في منطقة البصرة مساعدتهم ضد العثمانيين فأرسلوا حملة بحرية ضد أهل القطيف ونجحت الحملة في إرغام الحامية العثمانية في القطيف على الاستسلام ودمرت الحصن أيضاً[٢].

وبعد أن فشل العثمانيون في عملياتهم البحرية ضد البرتغاليين في الخليج العربي حاولوا التفاهم معهم انطلاقاً من أهمية التجارة الشرقية عبر الخليج العربي. وكانت هذه المحاولات قد بدأت بعد إخضاع البصرة للحكم العثماني المباشر في عام ١٥٤٦؛ فقد كتب حاكم هرمز البرتغالي إلى نائب ملك البرتغال في الهند بأن والي بغداد إياس باشا يرغب في أن تكون البصرة مركزاً ملائماً للتجارة[٣] ولم تسفر تلك الرغبة العثمانية عن نتيجة إيجابية ولكن العثمانيين عادوا فجددوا الاتصال بالبرتغاليين في عام ١٥٦٢ عندما بعث بيكلريك حاكم البصرة مبعوثاً إلى هرمز للتفاوض مع البرتغاليين لإعادة العلاقات التجارية مرة أخرى إلى موانئ الخليج العربي، وأرسل نائب ملك البرتغال في الهند بدوره مبعوثاً إلى السلطان سليمان القانوني الذي بعث رسالة إلى ملك البرتغال تضمنت رغبة الدولة العثمانية في تأمين وحماية الطرق التجارية البرية والبحرية والسماح للرعايا العثمانيين بالتجارة مع الممتلكات البرتغالية[٤] في مقابل إقامة علاقات صداقة بين الدولتين، ولكن هذه المحاولة وجدت مصير سابقتها وظلت العلاقات العثمانية ـ البرتغالية تحكمها القوة البحرية للدولتين.

---

(١) Danvers, F.C. Op. Cit. pp. 116-119.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٠.

(٣) صالح أوزبران: المرجع السابق، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) صالح أوزبران: المرجع السابق، ص ٥٥ ـ ٥٦.

وقد شجع وجود الأسطول العثماني في البحر الأحمر على شن الهجوم على الموانئ التي سيطر عليها البرتغاليون على الساحل الأفريقي (سواكن وزيلع ومصوع) لا سيما وأن البرتغاليين قد سعوا بتحالفهم مع الحبشة إلى تعزيز وجودهم العسكري والتجاري في البحر الأحمر وإلى ضمان استمرار التجارة الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح، ولذلك نظم الأمراء المسلمون في دهلك ومصوع وزيلع وسواكن محاولة لغزو الحبشة في عامي ١٥٤٢ ـ ١٥٤٣ واستعانوا بالأسطول العثماني لطرد البرتغاليين من موانئ البحر الأحمر الأفريقية.

وقد استمر الصراع البرتغالي العثماني في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وتمكن العثمانيون من تصفية المواقع البرتغالية على امتداد سواحل البحر الأحمر وبنوا القلاع فيها وأقاموا إيالة الحبش ومركزها جدة. وفي مطلع القرن السابع عشر كانت السفن البرتغالية بانتظار السفن العثمانية التي تغامر بمغادرة البحر الأحمر بدون تصريح من البرتغاليين، وتتحدث التقارير الانكليزية بأن البرتغاليين يرسلون في كل عام ثماني سفن إلى مملكة برستر جون ـ الحبشة ـ والتي تزودهم بكثير من البحارة[١] في مجال التعاون البرتغالي ـ الحبشي ضد العثمانيين. وقد نشطت حركة النقل البحري في المحيط الهندي والخليج العربي، ونقل البرتغاليون اللآلئ والسجاد وغيرها من البضائع الثمينة. كما نشط العثمانيون في بناء السفن الحربية في السويس وطافوا بها الشواطئ البعيدة حتى عدن ـ والتي كانت في مطلع القرن السابع عشر غنية وقوية ـ ومالندي على ساحل أفريقية الشرقي[٢]. وقد استفاد العثمانيون من قربهم إلى قاعدتهم البحرية في البصرة بالمقارنة مع البرتغاليين. كما كانوا أقل تأثراً بمناخ الخليج العربي والأوبئة فيه، ولم يشتهر العثمانيون بنفس القدر من الفساد والقسوة والرشوة[٣] التي ميزت البرتغاليين عن غيرهم في الشرق.

(١) Colonial Papers. East Indies Vo.I. 1513-1616. (London, March 10, 1600) p.104.

(٢) Ibid. p. 104.

(٣) Belgrave, C.D. The Portuguese In The Bahrain Islands 1521-1602. Journal Of The Royal Central Asian Society Vol. XXII. Oct. 1935. Part IV. pp. 617-630) p. 627.

وهكذا ظل الخليج العربي مفتوحاً أمام الأساطيل البرتغالية لعدم توفر الموارد البحرية الكافية للعثمانيين لوقف التقدم البرتغالي كما لم يكن باستطاعة العثمانيين خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر المقاومة بسبب الخسائر الجسيمة التي لحقت بأسطولهم في سلسلة من العمليات الحربية[1]، والتي كان معظمها في صالح البرتغاليين، مما أدى إلى ازدياد الاعتداءات البرتغالية على السفن العثمانية. ففي شباط ١٥٦٥ هاجم البرتغاليون سفينة تجارية عثمانية وفي العامين التاليين حاول البرتغاليون اعتراض عدة سفن عثمانية كانت قاصدة البحر الأحمر. وفي عام ١٥٧٣ توجه البرتغاليون إلى البحرين واستولوا على عدة سفن عثمانية[2]. ومهما يكن من أمر فإن العثمانيين لم ينجحوا في المحيط الهندي والخليج العربي كما نجحوا في البحر الأحمر وربما يعود ذلك إلى بُعْدِ قواعدهم البحرية في المياه الشرقية عن مركز ثقل قوتهم البحرية في البحر المتوسط، ولعدم تمكنهم من حشد القوى الإسلامية ضد البرتغاليين حيث ظل النزاع العثماني ـ السني، والصفوي ـ الشيعي يستنفذ إمكانيات القوى الرئيسية في العالم الإسلامي، ولأسلوب بعض القادة العثمانيين في التعامل مع العرب مثل الأسلوب الغادر الذي استولى به سليمان باشا الخادم على عدن[3]. كما أدى عجز البحرية العثمانية في الخليج العربي والمحيط الهندي إلى نجاح البرتغاليين في قفل المنافذ البحرية في وجه التجارة العربية واقصاء العرب عن التجارة الدولية.

(١) صالح اوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥١ ـ ٥٢.
(٢) صالح أوزبران: المرجع السابق، ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٣) أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

الصراع البرتغالي ـ العثماني في شرق افريقية

يرتبط النشاط العثماني البحري في الساحل الشرقي لافريقية بالضعف الذي طرأ على البرتغال خلال الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠) لانضمامها إلى اسبانيا، وبتدهور مركز البرتغال في الشرق وقيام سلسلة من الثورات المحلية ضدها في الساحل الشرقي لإفريقية وقد وجدت هذه الثورات بعض المساعدة من العثمانيين[1] ولما كان ساحل أفريقية الشرقي إحدى الدعامات الرئيسية في قوة البرتغال ومن مصادر ثروتها ومركز اتصال مهم في خطوط مواصلاتها بين الشرق والغرب، لذلك تمسك البرتغاليون به حتى بعد خسارة ممتلكاتهم في الشرق الأقصى على يد الهولنديين.

ولذلك لم يقتصر الصراع بين الأسطولين العثماني والبرتغالي على البحر الأحمر والخليج العربي بل امتد إلى المحيط الهندي وقد بدأ العثمانيون يهتمون بذلك الصراع في الربع الأخير من القرن السادس عشر حيث وصل أحد القادة السابقين للأسطول العثماني في البحر المتوسط ـ علي بك ـ الذي بدأ حياته البحرية مع أسطول خير الدين بربروسا في البحر المتوسط إلى جدّة واتخذها قاعدة لعملياته البحرية في المحيط الهندي. وعندما ظهر أسطوله في خريف ١٥٨٥ أمام ممباسة ليتخذها قاعدة دائمة لطرد البرتغاليين من شرق أفريقية أعلن علي بك أن قواته طليعة أسطول السلطان العثماني مراد الثالث بينما لم يكن في حوزة علي بك سوى سفينتين شراعيتين وثمانين بحاراً. ولما كان السكان قد عانوا كثيراً من وحشية الأساليب البرتغالية فقد رحبوا بالقائد

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٥.

العثماني ووافقت مقديشو وبارا وقاسمليو وفازا وكيلوه وليبا على إعلان ولائها للسلطان العثماني. كما قرر السكان في بمبا الثورة على الحكم البرتغالي وتحرير أنفسهم أسوة بما قام به جيرانهم في ممباسة فقاموا بقتل البرتغاليين في مدينتهم ولكن حاكم بمبا المحلي تمكن من الهرب مع عدد قليل من البرتغـاليين إلى مالندي حيث تمكن بمساعدة البرتغاليين فيها من استعادة حكمه في بمبا(١)، وعاد علي بك إلى قاعدته في البحر الأحمر في نيسان ١٥٨٦ ومعه من الغنائم والأسلاب ما يقدر بحوالي ٦٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ومن الأسرى خمسين من البرتغاليين، كما استـولى على سفينـة برتغـالية بـالقرب من السـاحل الشرقي لأفريقية.

وهكذا شجع علي بك أمراء الموانئ الإسلامية من مقديشو حتى ممباسة على الثورة ضد البرتغاليين بإعلانه أن أسطولاً عثمانياً كبيراً سوف يلحق به وأن السلطان العثـماني قـد أرسله لتحـريـر السـاحـل الأفـريقي من الحكم البرتغالي. وهدد بذلك خطوط المواصلات البرتغالية بين شرق أفريقية وجزر الهند الشرقية لفترة قصيرة، ولكن الموانئ الإسلامية على الساحل الأفريقي لم تستطع مواصلة ثورتها ضد الحكم البرتغالي فاضطرت إلى إعلان تبعيتها مرة أخرى للبرتغال. فقد تبع رحيل علي بك وصول أسطول برتغالي كبير من جاوه في الهند بناء على استدعاء حاكم مالندي له، وأخذ في مهاجمة المدن العربية الإسلامية التي رحبت بالعثمانيين وتمكنت البرتغال من استعادة نفوذها في شرق أفريقية(٢).

ثم عاد علي بـك مرة أخـرى إلى الساحـل الشرقي لأفريقيـة في عام ١٥٨٨ ومعه أسطول من خمس سفن، ورحبت بـه المدن السـاحلية بـاستثناء مالندي التي أطلقت النار على سفنه واستنجدت بالبرتغاليين في جاوه مرة أخرى فوصل أسطول برتغالي من عشرين سفينة وتسعمائة جندي إلى ممباسة واستعد

---

(١) Ingrams, W.H. Op.Cit. p.112.
وانظر أيضاً، السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي (القاهرة، ١٩٦٨). ص ٢٣.

(٢) Ingram, W.H. Op.Cit. p. 102; Alpers, Edward, A. Op.Cit. p.50.

علي بك للمقاومة ولكن قواته الصغيرة لم تتمكن من مواجهة البرتغاليين في الساحل وقبائل الزيمبا الثائرة في الداخل في وقت واحد. ولذلك لم ينج من القوة العثمانية سوى عدد قليل مما سهل على البرتغاليين تفريقها وأسر علي بك وإرساله إلى لشبونة[1].

وقد وضعت نهاية علي بك حداً للمحاولات العثمانية في تحدي السيطرة البرتغالية في شرق أفريقية، لا سيما وأن العثمانيين قد استعملوا سفناً خفيفة وقوات صغيرة في جهات بعيدة عن قواعدهم الرئيسية؛ ولذلك حسمت السفن البرتغالية المتفوقة والقريبة نسبياً من قاعدتها الرئيسية في جاوه الصراع لصالحها، على الرغم من التأييد الذي حظي به العثمانيون في أوساط السكان في شرق أفريقية.

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٦. وانظر أيضاً أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٠.

الصراع البرتغالي ـ الانكليزي في الخليج العربي

بعد أن أصبحت البرتغال جزءاً من اسبانيا خلال الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠) ضعفت الامدادات العسكرية إلى المحطات البرتغالية في الشرق في الوقت الذي اشتدت فيه عداوة الشعوب الشرقية للسياسة البرتغالية بسبب قسوة أساليبها في الحكم والإدارة، كما زاد عداء الشاه عباس الأول للبرتغاليين فأعلن الحرب عليهم في منطقة الخليج العربي. وكانت التجارة الانكليزية مع الشرق قد بدأت في نهاية القرن السادس عشر، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الانكليز يشعرون بأن لديهم القوة الكافية للمخاطرة في بحار الشرق والمغامرة في مياه الخليج العربي كمنافسين للبرتغاليين للفوز بنصيب من التجارة الفارسية[١]. كذلك ظهرت السفن الهولندية لتنهي الاحتكار البرتغالي لتجارة المحيط الهندي. وعملت القوتان الأوربيتان الانكليزية والهولندية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر على إقصاء النفوذ السياسي والتجاري البرتغالي من الخليج العربي على الرغم من اتخاذ البرتغاليين كل الاجراءات للدفاع عن أنفسهم[٢] ضد أعدائهم بعد أن أحسوا بخطورة القوى المنافسة لهم.

وقد لجأ البرتغاليون في بداية منافستهم التجارية مع الانكليز إلى إغراق الأسواق الفارسية ـ كما حدث في عام ١٦١٦ ـ بكميات كبيرة ومتنوعة من

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p. 184,

(٢) Wm. Biddulph To The East India Company. Surat. Feb. 28, 1615. (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) p.388; Serjeant, R.B. Op.Cit. p.20.

الأقمشة والبضائع للتأثير على التجارة الانكليزية. ولكن على الرغم من ذلك فقد حقق الانكليز نسبة جيدة من الأرباح تراوحت بين ٧٠٪ - ٨٠٪ [١] بل توقع الانكليز في عام ١٦١٧ الحصول على أرباح جيدة من التجارة الفارسية أكثر من تلك التي حصلوا عليها في الهند، ولكن الشركة الانكليزية في بداية تجارتها مع فارس ظلت تخشى أن يسبقها الاسبان إلى الاتفاق مع الشاه عباس الأول لا سيما بعد أن تأكد لها وصول السفير الاسباني إلى هرمز في ربيع ١٦١٧ قادماً إليها من جاوه في الوقت الذي كان فيه ممثلها كونوك موجوداً في أصفهان للحصول على امتيازات تجارية من الشاه عباس[٢] وذلك خوفاً منها على مصالحها التجارية.

وهكذا كان التنافس الانكليزي - البرتغالي على أشده وكلاهما يحاول أن يسبق الآخر للفوز بالامتيازات التجارية في فارس. وقد استفادت الشركة الانكليزية من تأخر السفير الاسباني في جاوه لمدة عامين احتجاجاً على استيلاء فارس على ميناء جمبرون من البرتغاليين.

ولكن اسبانيا قررت في النهاية استرضاء الشاه عباس فطلبت من سفيرها التوجه إلى أصفهان ومعه الهدايا الثمينة إلى الشاه عباس ليحصل منه بواسطتها على امتيازات تجارية مهمة وبوعده بتزويد الموانئ الفارسية بالبضائع التي تحتاج إليها.

وقد أدرك الانكليز منذ بداية اتصالهم التجاري مع الفرس عبر الخليج العربي صعوبة زحزحة البرتغاليين في هرمز عن مكانتهم بالقوة لأن اللجوء إلى الحرب سيكلفهم ثمناً باهظاً ويؤثر أيضاً على ازدهار التجارة في الخليج العربي

---

(١) Edward Connock And Thomas Barker To The Factors At Surat. Jasquis. Jan. 19, 1617. (Letters Received By The East India Company From Its Servants In the East. Vol.VI. 1617 Edited by William Foster, London 1902) p.63.

(٢) Edw. Connock To G. Pley. Ispahan, April. 10, 1617, (Colonial Papers. Vol II. 1617-21) pp. 24-25; Thos. Barker and Wm. Bell To Edw. Connock Agent at Ispahan. Shiraz. May 8, 1617. p.27.

ويعرضها للخطر. ولذلك حبذ الانكليز اللجوء إلى المفاوضات المباشرة[1] مع البرتغاليين لتمكين الشركة الانكليزية من التجارة مع موانئ الخليج العربي بحرية، ولكن موقف البرتغاليين كان مختلفاً؛ فعندما وصلت الأخبار إلى جاوه في كانون الثاني ١٦١٧ بقرار الشركة الانكليزية إقامة قلعة لها في جاسك صدرت التعليمات إلى الأسطول البرتغالي في الخليج بمنع الانكليز من التجارة مع فارس مما أدى إلى وقوع اشتباك مسلح بين السفن البرتغالية والانكليزية بالقرب من ميناء جاسك وانتهى الاشتباك بهزيمة الأسطول الذي أرسلته السلطات البرتغالية في جاوه لوقف التقدم الانكليزي التجاري في فارس والخليج العربي.

وهكذا بدأت في العقد الثاني من القرن السابع عشر مؤشرات الصراع البرتغالي ـ الانكليزي. فمنذ البداية حاول الانكليز إرهاب البرتغاليين واحباط محاولاتهم الرامية لمنع التجارة الانكليزية من الوصول إلى موانئ الخليج العربي واستفاد الانكليز من كراهية السكان المحليين للبرتغاليين بسبب غدرهم ووحشية أساليبهم فتظاهروا باللطف والكياسة في التعامل التجاري وأظهروا مودتهم إلى السكان[2]. ولذلك بدأ البرتغاليون يخسرون الأسواق التجارية في منطقة الخليج العربي بسبب المنافسة الانكليزية والهولندية بعد أن سبق لهم تزويدها بالتجارة الشرقية وحققوا من ورائها أرباحاً طائلة في القرن السادس عشر.

ومهما يكن من أمر فقد تمكن الانكليز والهولنديون والفرس في العقد الثاني من القرن السابع عشر من إلحاق الهزيمة بالبرتغاليين في المحيط الهندي

---

(١) George Pley To Thos. Keridge At Surat. Ispahan, May 15, 1617. (Colonial Papers. Vol. II 1617-21) p.31; Sir Thomas Roe At Ahmadabad To The Company, February 14, 1618. (The English Factories In India Vol. I. 1618-1621 by William Foster. Oxford 1906) p.16.

(٢) Danvers, F.C. Op.Cit. pp. 117-119; Connock and others To Keridgė. Agent At Surat. Ispahan. May 16, 1617. Edward Pettus To Robert Middleton — Merchant, London — Ispahan. June 2, 1617. (Colonial Papers Vol.II 1617-21) p. 31-35.

وفي الخليج العربي مما أثر على الشهرة العسكرية التي تمتعوا بها في القرن السادس عشر. كذلك عملت التجارة الانكليزية في الشرق على إضعاف مركزهم التجاري وخفض نسبة أرباحهم [١] لاسيما بعد أن تمكنت شركة الهند الشرقية الانكليزية من إقامة علاقات صداقة مع الفرس وطلبت منهم تأمين وحماية تجارتها في ميناء جمبرون في عام ١٦١٨ من الاعتداءات البرتغالية، فقام الفرس بإبلاغ البرتغاليين بعلاقات الصداقة التي تربطهم بالانكليز.

وبينما كانت الشركة الانكليزية تتقدم بثقة لتوطيد مركزها التجاري في فارس وتحقق نجاحاً تجارياً هدد ازدهار الحركة التجارية البرتغالية في هرمز وترسل سفنها التجارية إلى الموانئ الفارسية مما أثار الذعر والفزع في هرمز[٢]، كان البرتغاليون مشغولين في محاولات لا جدوى منها لاسترضاء الشاه عباس الأول بسبب الشكوك التي ساورتهم في وجود خطة لديه لطردهم من هرمز حيث يوجد للبرتغاليين قلعة فيها ومراكز تجارية أخرى منتشرة في أنحاء الخليج العربي، ولذلك اتخذ البرتغاليون الاستعدادات اللازمة للدفاع عن هرمز. وتجددت الاشتباكات البحرية على نطاق واسع[٣] بين الانكليز والبرتغاليين في الخليج العربي خلال عامي ١٦٢٠ و١٦٢١ وخسر البرتغاليون فيها عدداً من قادتهم ولحقت خسائر جسيمة بأسطولهم بينما خسر الأسطول الانكليزي قائده اندرو شيلنج مع عدد من القتلى والجرحى.

وقد أدت كراهية البرتغاليين لأي تدخل أوربي في مياه الخليج العربي إلى قيام تحالف مشترك بين شركة الهند الشرقية الانكليزية والشاه عباس الأول لطرد البرتغاليين من الخليج وقد تم التوصل إلى هذا التحالف نتيجة لسياسة

(١) Sir Thos. Roe To Sec. Winwood. Ajmere. Jan 30, 1616, (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616). p. 457.

(٢) Edward Pettus To The East India Company. Moghistan. Nov. 30, 1618. (Colonial Papers. Vol.II. 1617-21) pp. 214-215; Amin, Abdul Amir, British Interests In The Persian Gulf. (Leiden, 1967) p.141.

(٣) Richard Swan's Account of His Voyage In The Hart To The Coast Of Arabia. (The English Factories In India Vol.I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) pp. 284-286; Miles S.B. Op.Cit. p.209.

مسبقة قام بإعدادها الشاه عباس[1] ووجد الانكليز فيها مصلحة لهم. وبمساعدة السفن الانكليزية تمكن الشاه عباس في عام ١٦٢٢ من استرداد هرمز والتي كانت مركزاً تجارياً مهماً للبرتغاليين وتتوسط مراكزهم التجارية في الشرق. فخسر البرتغاليون أفضل ممتلكاتهم في الشرق، ولذلك فإن الاستيلاء على هرمز كان بداية نهاية التفوق البرتغالي في الخليج العربي مما مهد الطريق أمام الانكليز لتعزيز مركزهم تدريجياً[2] في الشرق بعامة وفي الخليج العربي بخاصة. وبذلك كان طرد البرتغاليين من هرمز أحد المعالم البارزة في تاريخ النفوذ الانكليزي في الشرق. وكانت سبع سفن انكليزية قد ساعدت الفرس في الاستيلاء عليها. وقد أثارت المساعدة التي قدمتها الشركة الانكليزية للفرس مسألة حقها في إعلان الحرب ومسألة خرقها لمعاهدات السلام القائمة بين اسبانيا وانكلترا[3] منذ عام ١٦٠٤ ولكن تلك المعاهدات لم تمنع الرعايا الاسبان والبرتغاليين والانكليز من الاعتداء على بعضهم في المياه الهندية.

وقد جاء رد الفعل البرتغالي على سقوط هرمز بيد الفرس متأخراً وكانت الاستعدادات العسكرية البرتغالية والاسبانية قد بدأت متأخرة في لشبونة حيث تم إعداد أربع سفن بحرية بقيادة نائب الملك الجديد إلى جاوه. كما أرسلت لشبونة أربع سفن أخرى محملة بالجنود مع حاكم جديد إلى هرمز ولكنها جميعها وصلت بعد فوات الأوان. وكانت السلطات البرتغالية في لشبونة تعلم بوقوع نزاع مع شاه فارس بشأن الممتلكات البرتغالية في الخليج، ولكنها ظنت أن الشاه لن يستطع إلحاق الأذى بهرمز[4] لعدم وجود سفن حربية لدى الفرس.

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.2; Robt. Jefferies To The East India Company, Surat, March 14, 1621. (Colonial Papers Vol. II. 1617-21) pp. 420-421.

(٢) Wright, Arnold. Early English Adventurers In The East. (London 1917). p.254; (Sir Thos. Roe) To Sir Edward Herbert. His Majesty's Resident In France. Constantinople. Aug. 20-30, 1622. (Colonial Papers Vol.III. 1622-24) p.55.

(٣) Sir Henry Wottoh, The English Ambassador, To Sec. Calvert. Venice, Aug. 22, 1622. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-24) p.56.

(٤) Sir Walter Aston, The English Ambassador, To Lord Digby, Madrid, March 23; 1622. (Colonial Papers, Vol.III. 1622-24) p.26; Strandes, Justus. Op.Cit. pp. 195-196.

وحاول البرتغاليون استعادة هرمز في عام ١٦٢٣ ولكنهم فشلوا على الرغم من الامدادات التي وصلتهم من جاوه فقد نجح الفرس بمساعدة السفن الحربية الانكليزية والهولندية في صدهم عنها. ولكن محاولات البرتغاليين لم تتوقف فأرسلت السلطات البرتغالية في نيسان ١٦٢٤ أسطولاً قوياً من مسقط بقيادة راي فرايري[1] الذي عاد إلى مياه الخليج العربي بعد أن تمكن من الهرب من أسر الانكليز وطلب من الفرس إعادة هرمز إلى البرتغاليين أو إعفاء البضائع البرتغالية من الجمارك وأن تكون التجارة البرتغالية حرة في كل موانئ الخليج دونما مضايقة أو إزعاج من الانكليز والهولنديين[2]. وقد أخاف الأسطول البرتغالي في الخليج الفرسَ ولذلك حصَّنوا جمبرون وقشم خوفاً عليها من مهاجمة الأسطول البرتغالي. وأدرك الفرس في عام ١٦٢٤ صعوبة الدفاع عن مياه الخليج العربي ضد الخطر البرتغالي بدون وجود سفن بحرية للدفاع عنها ولذلك بذل الفرس عدة محاولات لتدمير مسقط.

ثم وقعت سلسلة من الاشتباكات بين السفن الانكليزية والهولندية من ناحية والسفن البرتغالية من ناحية أخرى في مقابل ساحل جمبرون في ١٤ شباط ١٦٢٥، وخسر الانكليز في هذه الاشتباكات ٢٩ رجلاً وخسر الهولنديون عدداً مماثلاً بينها فقد البرتغاليون حوالى ٤٠ رجلاً؛ وفي رواية أخرى بلغت خسائرهم ثلاثة أمثال خسائر الانكليز[3] ولحقت بالأساطيل المتحاربة إصابات بليغة، واستولت السفن الانكليزية على حمولة سفينة برتغالية من القطن والحبوب خارج مضيق هرمز. وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى البرتغاليون استعدادهم في نيسان عام ١٦٢٥ لاستعادة هرمز مرة أخرى. ولكن الفرس

---

(١) Danvers, F.C. Report On The India Office Record Relating To Persia And The Persian Gulf. (London ?) p.12.

(٢) Edward Heynes, William Gibson, And Richard Cooper In Persia To The Company. Feb. 15, 1632. (The English Factories In India Vol. IV. 1630-1633. By William Foster. Oxford 1910). pp. 207-208.

(٣) Thos. Barker, John Purefey, John Benthall, and John Haywarde To The East India Company. Ispahan. May 30, 1624. (Colonial Papers Vol.III. 1622-24) pp.286-288; Vol.IV. 1625-29. p. 20; Notes Of The Fights In The Persian Gulf. (The English Factories In India Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) p.85.

دافعوا عنها وكان راي فرايري قد خرّب قلاعاً كثيرة بين جاسك وجمبرون وأحرق معظم القوارب على طول الساحل الفارسي مما أثر على حركة التجارة في الخليج العربي وأبلغ السلطات الفارسية بأن الشركة الانكليزية لا تملك الجرأة لمنع البرتغاليين من أخذ هرمز[1] بسبب الاتفاق الذي تم بين البرتغال وانكلترا في أوربا. وهكذا ظل الخطر البرتغالي في الخليج العربي قوياً وهدد المصالح الانكليزية والهولندية حيث بلغ مجموع السفن البرتغالية في الخليج ٢٩ سفينة من ذوات ٦٥ مدفعاً فأقل[2] ولكن النتيجة النهائية للصراع لم تكن في صالح البرتغال.

وبعد ثلاث سنوات من الاستيلاء الفارسي على هرمز عقدت فارس اتفاقاً مع البرتغال في عام ١٦٢٥ اعترفت بموجبه البرتغال بانتقال هرمز وقشم إلى الشاه عباس الأول في مقابل حصول البرتغال على نصف العائدات الجمركية التي يتم تحصيلها في ميناء كونغ بالقرب من لنجه[3]. ولكن فارس ظلت تسعى إلى طرد البرتغاليين من مسقط على الرغم من الاتفاق السابق وطلبت من الشركة الانكليزية في عام ١٦٢٧ التعاون معها في هذاالشأن. وقد تردد الانكليز في الوقوف إلى جانب الفرس ضد البرتغاليين ربما بحكم تجربتهم السابقة معهم في هرمز. ولذلك تأجل المشروع حتى عام ١٦٣٠ لانشغال الشاه عباس الأول في الحرب ضد العثمانيين في عامي ١٦٢٨ - ١٦٢٩، وبرّر الانكليز امتناعهم عن تقديم المساعدة بدعوى أن مفاجأة مسقط تحتاج إلى قوة بحرية

---

(١) Consultations Held At Gonbroon, Present. Thos. Kerridge Agent For restlıng or disolving the Company's trade in Persia. Thos. Barker And John Benthall, Factors of long residence in these Parts. Jan.1 to Feb. 10, 1625. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-29) pp.2-3; Vol.IV. p.29, 59, 60. Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol XXIII. London 1914). p. 40 Court Minutes Of The East India Company Oct. 4-7, 1626.

(٢) Colonial Papers. Vol.IV 1625-29. p.274; Notes Of The Fights In The Persian Gulf (The English Factories In India Vol.III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) p.85.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥١ - ٥٢.

كبيرة[١] لأن الأسطول البرتغالي كان لا يزال قوياً في الخليج آنداك؛ وتوقع الانكليز الخطر الذي سيلحق بأسطولهم إذا ما جاء إلى الخليج متفرقاً[٢]. وبلغ من عنف الصراع بين البرتغاليين والانكليز في عام ١٦٢٧ أن عامل الجانبان الأسرى معاملة سيئة للغاية ونادى بعض المسؤولين الانكليز بإعدام كبار الضباط البرتغاليين ومعاملة راي فرايري إذا وقع في أسر الانكليز مرة أخرى نفس معاملته الوحشية للأسرى الانكليز. ولكن قرار الشركة الانكليزية قضى بمعاملة الأسرى البرتغاليين بالأشغال في الأسطول بعد تكبيلهم بالقيود حتى تتم مبادلتهم[٣]. وكانت السفن الأوربية والفارسية قد تعرضت على نطاق واسع لانتقام الأسطول البرتغالي بقيادة راي فرايري في العقد الثالث من القرن السابع عشر.

كذلك لم يحترم البرتغاليون الاتفاق السابق (١٦٢٥) فأخذوا يعززون قواتهم في الخليج، فقد غادرت جاوه في عام ١٦٢٨ خمس سفن حربية قاصدة مسقط، وحاولوا في عام ١٦٣٠ القيام بمشروع لاستعادة هرمز. ولتحقيق هذا الهدف أرسلت البرتغال إمدادات بحرية إلى نائب الملك في جاوه ضمت تسع سفن حربية وألفي جندي[٤] ويبدو أن النية لم تتوفر لدى السلطات البرتغالية في الشرق للدخول في حرب مع الآخرين في عام ١٦٣٠ فاكتفت بالحصول على فرمان من الشاه صفي بتجهيز السفن البرتغالية في الخليج العربي بما تحتاجه من مؤن في مقابل تزويد الشاه بكمية قليلة من الذخائر الحربية.

وجرت منافسة حادة بين البرتغاليين والانكليز في عام ١٦٤٥. وفي محاولة

---

(١) Court Minutes Of The East India Company. March 2-5, 1627. (Colonial Papers Vol. IV) pp. 327-329; Vol.IV. 1625-29 Dec. ? 1628. p.597. Vol.V 1630-34 Ispahan. Feb. 27, 1630; William Burt To The East India Company. pp. 6-7.

(٢) Ibid Vol. IV. 1625-29. Dec.? 1628. p.597.

(٣) Colonial Papers Vol.IV. 1625-29; Feb. 28, 1627, p.326.

(٤) Danvers. F.C. Op.Cit. p.20; Boxer, C.R. Anglo-Portuguese Rivalry In The Persian Gulf 1615-1635 pp.46-129. (Chapters In Anglo Portuguese Relations. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971) pp.123-124.

برتغالية لمنع التجار المحليين من عرب وفرس وهنود من نقل بضائعهم في سفن الشركة الانكليزية أعلنت السلطات البرتغالية في الخليج العربي أن حرباً ستقع بين الانكليز والبرتغاليين في عام ١٦٤٦ وأن نائب ملك البرتغال في الهند سيمنع السفن الانكليزية من التجارة مع البصرة(١).

ولكن العلاقات الانكليزية - البرتغالية تحسنت نتيجة لاتفاقية الزواج التي وقعت في ٢٣ حزيران ١٦٦١ والتي بموجبها أهدى ملك البرتغال جزيرة بومباي إلى ملك الانكليز شارل الثاني لزواجه من الأميرة البرتغالية انفانتا كاترين في ٣١ أيار ١٦٦٢. وقد استهدفت المعاهدة تأسيس صداقة قوية بين الدولتين، ووفقاً للمادة السرية الملحقة بالمعاهدة السابقة وعد ملك الانكليز بمساعدة البرتغال ضد هولندا واسبانيا وبالتوسط لعقد صلح بين البرتغال وهولندا وتعهد بعدم عقد معاهدة مع اسبانيا ما لم تكن البرتغال طرفاً فيها. ولكن على الرغم من هذه المعاهدة ظل البرتغاليون يحسدون الانكليز ويعادون الهولنديين(٢). كما أرغم البرتغاليون في عام ١٦٧٦ كل السفن التي كانت تدفع الجمارك في السابق في ميناء كونغ بالاستمرار في دفعها في كونغ واعترضوا سفن الشركة الانكليزية وهي في طريقها إلى جمبرون مما أدى إلى استياء الانكليز منهم وإلى النيل من سمعة البرتغاليين الذين رفضوا منح أي تصريح بالمرور لأي من السفن الصغيرة التي ترغب في التوجه إلى ميناء جمبرون(٣) مما أثر على حصة الانكليز من الرسوم الجمركية فيها.

---

(١) Colonial Papers. Vol. V. 1630-34 (Agent William Burt) To (The East India Company) Oct. 6, 1630, p.62; Robert Cranmer, Thomas Cogan And William Weale At Basra To The President And Council At Surat. Oct. 3, 1645. (The English Factones In India Vol.VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913). pp. 294-295.

(٢) David, M.D. History Of Bombay 1661-1708. (Bombay 1973). pp. 29-31, Annales Of The Honorable East-India Company. Vol.I. p.671.

(٣) Gerald Aungier, President and Councıl at Surat To Thomas Rolt. April 6, 1676. (Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With a Summary of Events 1600-1800) p.30; Sainsbury, Ethel Bruce. A Calendar Of The Court Minutes Etc. of the East India Company 1677-1679. (Oxford 1938) p.14.

وعلى الرغم من وضع الانكليز القوي في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر فإنهم لم ينفردوا في السيطرة على منطقة الخليج العربي بل تقاسموا النفوذ البحري والتجاري مع الهولنديين والبرتغاليين وعرب عمان. أما فارس فلم يكن لديها أسطول، كما لم يكن للأسطول العثماني من نفوذ خارج مياه البصرة.

تغير الأحلاف في الخليج العربي

استلم القائد البرتغالي راي فرايري في عام ١٦٢٤ طلباً للمساعدة من باشا البصرة العثماني الذي كان يواجه حملة فارسية قوية بقيادة إمام قولي خان ـ قائد الحملة الفارسية على هرمز في عام ١٦٢٢ ـ. ولما كانت البصرة قد أصبحت آنذاك مركزاً مهماً للتجارة البرتغالية في الخليج العربي بعد سقوط هرمز في يد الفرس، وحتى يبعد راي فرايري الخطر الفارسي عن مسقط فإنه كان على أتم الاستعداد لتقديم المساعدة إلى باشا البصرة للدفاع عن المدينة، ولذلك أرسل قوة بحرية تتألف من ست سفن حربية (غاليون) بقيادة دوم جون كلود دي سيلفر الذي بقي في البصرة حتى شهر تشرين الثاني ١٦٢٥[1] وأقام البرتغاليون مركزاً تجارياً لهم في البصرة واستقر الرهبان الكرمليون مع بعثتهم الدينية فيها. وقد جاءت المساعدة البحرية البرتغالية للدفاع عن البصرة بعد استيلاء الفرس على بغداد من الدولة العثمانية في عام ١٦٢٣.

وفي المقابل توجه خان شيراز «إمام قولي خان» بطلب ملح وعاجل إلى الانكليز طالباً مساعدتهم البحرية ضد البرتغاليين في البصرة، وعرض على الانكليز دفع كافة النفقات، غير أن قائد الأسطول الانكليزي في الخليج رفض العرض الفارسي بشدة لأن التدخل الانكليزي إلى جانب الفرس سيورط الانكليز في حرب مع العثمانيين كما سيؤدي إلى إلحاق الأذى بالتجارة

(١) Boxer, C.R. Op.Cit. pp.88-91.

الانكليزية في الدولة العثمانية(١).

ولما خاب أمل الفرس بالحصول على المساعدة من أصدقائهم الانكليز، فإنهم كانوا في عام ١٦٣١ على استعداد لإعطاء البرتغاليين مستوطنة في كونغ ومنحهم الامتيازات نفسها التي حصل عليها الانكليز في جمبرون «بندر عباس» على أن يتركوا للشاه ممتلكاته في جزيرة كونغ وأن يأخذوا نصف الجمارك فيها(٢). ولعل ذلك يعود إلى حنق الفرس لعدم حصولهم على المساعدة الانكليزية في متابعة الهجوم على مسقط بعد استيلائهم على هرمز في عام ١٦٢٢. وكان الفرس يتوقعون سهولة سقوطها في أيدي القوات الانكليزية - الفارسية المشتركة ولكن الفرس لم ييأسوا من رفض الانكليز تقديم المساعدة البحرية ضد مسقط فتقدموا مرات كثيرة بمشاريع مشتركة لطرد البرتغاليين من مسقط، منها ما تم في عام ١٦٣٤ حيث راودت الفرس الآمال بإمكانية الاستيلاء على مسقط من البرتغاليين(٣). ولكن هذه المحاولات الفارسية فشلت لعدم توفر المساعدة الانكليزية أو الهولندية لها لأن شركة الهند الشرقية الانكليزية وجدت أن من الأفضل لها الحصول على الأموال بدلاً من الحصول على الأراضي، وأدرك الفرس أن الانكليز بعد صلحهم مع البرتغاليين في الهند في عام ١٦٣٦ لا يستطيعون معارضة أي محاولة قد يقوم بها البرتغاليون لاستعادة هرمز(٤) كما توقع الانكليز انتهاز الهولنديين الفرصة والوقوف إلى جانب الشاه ضد البرتغاليين.

---

(١) Ibid, p. 91, 113, 123; Boxer, C.R. (editor) Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada (Gt. Brit. 1930) p.Li.

(٢) Hamilton, Alexander. A New Account of The East Indies. (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of the World. Vol. VIII. Digested By John Pinkerton. London 1811). pp 295-296; History of the Late Revolution of Persia. 2 Vols. (London 1740) Vol. I.p. 246.

(٣) Boxer, C.R. Op.Cit. p. 124; Agent Wm. Gibson, Wm. Falle and Philip Dickson To The East India Company. Ispahan. Nov. 27, 1634. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-34) p.597.

(٤) President Wm. Methwold, Nath Mountevey, Wm. Fremlen. Tho. Turnor, and Richard Cooper To The East India Company, Swally Road. Dec. 29, 1634, (Colonial Papers, Vol. V. 1630-34) p.614; The Company To The Agent And =

وهكذا بقي البرتغاليون في الخليج العربي؛ وعلى الرغم من ضعف قوتهم وزوال هيبتهم البحرية فقد حافظوا على وكالتهم التجارية في كونغ والتي أقام فيها وكيل برتغالي مفوض بمنح تصاريح المرور للسفن المحلية وباستلام حصة ملك البرتغال من الرسوم الجمركية[1]، وعلى محطاتهم التجارية في ساحل عمان حتى منتصف القرن السابع عشر. وقد أدت خسارة البرتغاليين مسقط في عام ١٦٥٠ إلى إضعاف النفوذ البرتغالي. ومنذ عام ١٦٣٥ شارك البرتغاليون الفرس في الرسوم الجمركية كما فعل الانكليز في بندر عباس وواجهوا الصعوبات نفسها في تعاملهم مع الفرس شأن الانكليز من قبل[2]. ولذلك لجأ البرتغاليون حوالي عام ١٦٧٥ إلى إرغام السفن للتوجه إلى كونغ بدلاً من جمبرون لخوفهم من مصادرة بضائعهم من قبل الأسطول البرتغالي الذي يزور كونغ سنوياً للحصول على نصف العائدات الجمركية من السلطات الفارسية[3] وكان الانكليز والبرتغاليون قد حاولوا القيام بعمل مشترك ضد الفرس في عام ١٦٤٥ للحصول على نصيبهم من الرسوم الجمركية في جمبرون وكونغ، ولذلك حدث استياء شامل في أوساط الشركة الانكليزية في عام ١٦٧٦ بسبب رفض البرتغاليين منح تصريح بالمرور للسفن المحلية التي ترغب في التوجه إلى جمبرون وقرر الانكليز في حالة إصرار البرتغاليين على موقفهم رفض منح السفن الهندية المتجهة إلى كونغ تصاريح مرور إنكليزية[4]. وفي عام ١٦٧٧ خف التوتر بين الفرس والبرتغاليين بشأن إرغام السفن التجارية على التوجه إلى كونغ بعد أن وعد الفرس البرتغاليين بمعاملة عادلة فيما يتعلق بحصتهم من الرسوم الجمركية في كونغ.

Factors In Persia. May 25, 1636. (The English Factories in India Vol.V. 1634- = 1636. By William Foster. Oxford 1911) p.260.

(١) Boxer, C.R. Op.Cit. p.113.

(٢) Boxer, C.R. (Commentaries) Op.Cit. p.XLIII; Amin Abdul Amir. Op.Cit. p.13.

(٣) The Surat Presidency, 1676. (The English Factories In India. New Series. Vo- l.I. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936). p.273.

(٤) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ١١٥ - ١١٦.

ومنذ عام ١٦٩٥ توقفت زيارات السفن الانكليزية لميناء كونغ بسبب قلة الأرباح فيه وكان لدى البرتغاليين شكوك بأن غارات عرب مسقط على السفن البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي إنما كانت بتشجيع وتحريض من الانكليز. وللثأر من عرب مسقط عرض البرتغاليون على الفرس المساعدة بأسطولهم في نقل الجنود الفرس إلى مسقط بهدف الاستيلاء عليها من العرب في مقابل مبلغ معين من المال[1]. وفي مطلع القرن الثامن عشر استولى العثمانيون على هرمز كما استولى العرب في مسقط على البحرين، وأرسل الشاه الصفوي سفيراً إلى جاوه لطلب المساعدة البرتغالية ضد العرب والعثمانيين فأرسلت السلطات البرتغالية أسطولاً إلى كونغ في عام ١٧١٩.

---

(١) The Surat Presidency, 1677. (The English Factories In India. Op.Cit.) p.286; William Pitt And Philip Wylde At Gombroon To The Company. May 16, 1645. (The English Factories In India vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913). pp 265-272. History Of The Late Revolution of Persia (Op-.Cit) p.246.

المقاومة العربية للاحتلال البرتغالي

شهدت الفترة (١٥٠٧ ـ ١٦٥٠) صراعاً عنيفاً بين القوى العربية في الخليج والقوة البحرية البرتغالية وقد استخدم البرتغاليون خلال فترة الصراع أعنف أساليب الإرهاب ومارسوا كل وسائل القسوة لإخضاع العرب لنفوذهم وتحقيق الأهداف البرتغالية في المنطقة العربية من بناء للمحطات التجارية والقلاع العسكرية والكنائس في موانئ هرمز ومسقط والبحرين. ومنذ البداية واجه الاحتلال البرتغالي مقاومة عربية في الساحل العماني.

وبعد طرد البرتغاليين من هرمز في ١٦٢٢ عملوا على توطيد نفوذهم في مسقط فأقاموا فيها مركزاً للجمارك في عام ١٦٢٤ وكنيستين؛ واتخذوا منها مركزاً رئيسياً لهم في الخليج العربي واهتموا بمينائها الذي جذبت شهرته الكثير من أثرياء التجار في هرمز ومنطقة الخليج العربي. ولكن الجهود البرتغالية لم تنجح في جذب الحركة التجارية إلى مسقط والنهوض بها لتحقيق الازدهار التجاري الذي نعمت به هرمز من قبلها[1]. وعلى الرغم من ذلك فقد تمتعت مسقط بمركز جغرافي حاكم ومسيطر وبدفاعات طبيعية منيعة مما جعلها تتفوق على غيرها من موانئ الخليج العربي.

ولم يمض وقت طويل على طرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢ حتى بايع عرب عمان ناصر بن مرشد إماماً عليهم في عام ١٦٢٤. وبعد أن استقرت

(١) Osgood, Joseph. Notes Of Travel of Recollections of Majunga, Zanzibar, Muscat, Aden, Mocha, and other Eastern Parts. (New York 1972). pp.81-82; Miles, S.B. Op.Cit. p.191.

الأوضاع في عمان بدأ الإمام ناصر يعمل على طرد البرتغاليين من الساحل العماني، وكانت جهود البرتغاليين قد انحصرت منذ عام ١٦٣٠ في المحافظة على مراكزهم في ساحل عمان مع محاولات فاشلة لاستعادة جزيرة هرمز. وقد نجح عرب عمان في طرد البرتغاليين من صحار وصور في عام ١٦٤٣[١]. وتمكن الإمام قبل وفاته في نيسان ١٦٤٩ من طرد البرتغاليين بنجاح من كل الموانئ العمانية باستثناء مسقط. وخلفه قريبه الإمام سلطان بن سيف الذي تمكن من طردهم من مسقط في عام ١٦٥٠ ومن تكوين أسطول قوي أخذ على عاتقه ملاحقة البرتغاليين حتى قواعدهم في الساحل الشرقي لافريقية وفي الهند أيضاً. وفشلت كل المحاولات التي بذلتها السلطات البرتغالية في لشبونة وجاوه لاستعادة مسقط. ففي عام ١٦٥٢ وصلت إلى الخليج أخبار عن الأسطول البرتغالي الذي ضم خمس سفن حربية وحوالي ثلاثين سفينة صغيرة، كما وردت الأخبار عن استيلائه على بعض السفن العربية وعن الخطة التي وضعها قادة الأسطول بالتوجه إلى كونغ للتزود بالمؤن ولتعزيز مركزهم الجمركي فيها وتأمين أعمالهم التجارية ثم التقدم بعد ذلك إلى مسقط لاستعادتها[٢]. وفي عام ١٦٥٢ أفادت التقارير بوصول الأسطول البرتغالي الكبير الذي يتألف من حوالي خمسين سفينة إلى ميناء مسقط ولكن دون جدوى؛ وقد أدى استيلاء العرب على مسقط إلى تدهور النفوذ البرتغالي في الخليج العربي كما أدى استيلاء العرب على ممباسة إلى انتقال السيطرة البرتغالية في شرق أفريقية إلى العرب لبعض الوقت.

وكان وضع البرتغاليين حرجاً في كونغ في عام ١٦٦٩، وكانوا يتوقعون أسطولاً من جاوه لتعزيز قوتهم فيها؛ فقد تحركت ست سفن حربية تابعة لأسطول عرب عمان بدعوى إرسالها إلى ميناء مخا في البحر الأحمر ولكنها

---

(١) Danvers, F.C. Op.Cit. p.12; Longrigg, Stephn Hemsley. Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut ?) pp. 105-106.

(٢) Stigand, C.H. Op.Cit. pp. 20-21; Strandes, Justus. Op.Cit. p.199; Messrs. Lewis, Young And Park At Gombroon To The Company. May 15, 1652. (The English Factories In India Vol. IX, 1651-1654 By William Foster. Oxford 1915) pp. 124-126.

توجهت إلى ميناء جمبرون الفارسي وتسبب ظهورها في إحداث قدر كبير من الذعر والفزع في مدينة جمبرون، ولكنها بعد أن تأكدت من عدم وجود سفن برتغالية في ميناء جمبرون غادرته دون أن تلحق به أذى[1]. وهكذا أخذت القاعدة البرتغالية في كونغ تلفظ أنفاسها مع نهاية القرن السابع عشر لازدياد نشاط الأسطول العربي وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق أي نصر حاسم ولم تقتصر المقاومة العربية للسيطرة البرتغالية على الخليج العربي بل امتدت إلى الساحل الشرقي لأفريقية أيضاً في النصف الثاني من القرن السابع عشر عندما طلب سكان ممباسة مساعدة العرب في عمان. ولبى الإمام سلطان بن سيف النداء وحاصر القلعة البرتغالية «قلعة يسوع» في ممباسة في عام ١٦٦٠؛ وبعد خمس سنوات من حصارها[2] استولى العرب عليها. ولكن البرتغاليين تمكنوا من استعادة القلعة وعاملوا السكان بوحشية بالغة ولذلك طلب السكان مرة أخرى مساعدة الإمام سيف بن سلطان «قيد الأرض» ضد البرتغاليين حيث تمكن الإمام في عام ١٦٩٨ من الاستيلاء على قلعة ممباسة ومن فرض نفوذه على زنجبار وكيلوه وبمبا ولكنه فشل في الاستيلاء على قلعة موزمبيق. وبتراجع البرتغاليين عن ممباسة خسروا معظم الساحل الشرقي لافريقية بعد سقوط القوة البرتغالية في شمال موزمبيق.

وفي نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر نظمت لشبونة وجاوه حملات بحرية في ١٦٩٩ و١٧٠٣ و١٧١٠ لاستعادة ممباسة ولكن دون جدوى. ولذلك سجل الربع الأول من القرن الثامن عشر طرد البرتغاليين من شرق أفريقية، باستثناء فترة قصيرة دامت عامين (١٧٢٧ - ١٧٢٩) تمكنت البرتغال خلالها من فرض سيادتها مرة أخرى على الساحل.

---

(١) Sutton, J.E.G. Op.Cit. p.25; Messrs, Spillers, Young, Park, And Joscelyn At Gombroon To The Company Feb. 28, 1653. (The English Factories In India Vol IX. 1651-1654 By William Foster. (Oxford 1915) pp.195-197; The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India Vol. XI. 1665-1667 By Sir William Foster. Oxford 1925) p.211.

(٢) Strandes, Justus, Op.Cit. p.200; Ogot B.A. and Kieran, J.A. Op.Cit. p.122, Eliot, Sir Charles. The East Africa Protectorate. (London 1966). pp.19-20.

الأساليب البرتغالية في الحكم

تميز الحكم البرتغالي في الشرق بالغطرسة والوحشية في معاملته للسكان المحليين، كما تميز أيضاً بالظلم والاستبداد وبالاعدامات الدموية التي قام بها مما تسبب في زيادة نفور الشعوب الشرقية من البرتغاليين وفي كراهيتها المطلقة لنظام الحكم البرتغالي البغيض؛ ولذلك لم يجد البرتغاليون بصورة عامة أصدقاء مخلصين لهم في الشرق يمكنهم الاعتماد على ولائهم في ساعة الخطر[1] باستثناء بعض الحالات القليلة.

وقد قامت السياسة البرتغالية في القرن السادس عشر على الاعتماد على القوة البحرية والاكتفاء بإقامة محطات للتموين والحراسة وعدم اللجوء إلى ممتلكات برية واسعة. ولذلك اكتفى البرتغاليون في الجهات التي وصلوا إليها بالاستيلاء على شريط ساحلي فيها لفشل محاولاتهم السابقة عندما جربوا الاستيلاء على الأراضي الداخلية ولأن امبراطوريتهم كانت ذات أهداف اقتصادية تقوم على احتكار تجارة الأفاويه والتوابل بين الشرق والغرب ومنع البضائع الشرقية من الوصول إلى موانئ البحر الأحمر والخليج العربي عبر طرق التجارة الشرقية القديمة.

ولما كان البرتغاليون قد اهتموا في البداية بالشؤون التجارية البحتة لأسباب تجارية محضة فقد تبنوا سياسة خاصة بهم قامت على تأسيس مراكز

---

(١) Reusch, Richard. Op.Cit. p.257.
وانظر أيضاً: زين الدين: تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين ص ٤٤ ـ ٤٧. Edited by David Lopes (Lisboa 1898).

تجارية وقواعد عسكرية في الموانئ التي وصلوا إليها وكان الهدف الأساسي منها تأمين سلامة رسو السفن البرتغالية وتحصيل الرسوم والضرائب وتأمين التصدير، ووجد البرتغاليون أنه ليس في مصلحتهم التدخل في شئون الحكم المحلي طالما بقي السكان محافظين على الهدوء باستثناء استغلالهم كقوة بشرية في العمل أو في تحصيل الضرائب والإيرادات المالية الأخرى[1]. ولكن في حالة قيامهم بثورة أو اضطراب فيتم إخضاعهم بقسوة بالغة وعنف شديد.

وفي الخليج العربي أحكم البرتغاليون سيطرتهم على هرمز منذ عام ١٥١٥ واتخذوا منها قاعدة لحكم المنطقة في القرن السادس عشر، كما أحكم البرتغاليون قبضتهم على المناطق التي استولوا عليها على الرغم من الصعوبات والتحديات التي واجهتهم في مياه الخليج العربي، كذلك سيطرت السفن البرتغالية على مداخل معظم الموانئ في الخليج العربي وتحكمت فيها ونظمت السلطات البرتغالية في هرمز التجارة في المنطقة بواسطة قلعة كبيرة كان البوكيرك قد أقامها في هرمز واستقرت فيها حامية برتغالية قوية تحكمت في مدخل الخليج العربي، وعملت على استمرار التفوق البرتغالي السياسي والتجاري وأشرفت على حكم مدينة هرمز وعلى مركز الجمارك فيها. ومن هرمز أشرفت السلطات البرتغالية على الموانئ الأخرى في الخليج العربي. وقد وفّر هذا الأسلوب في الحكم كل الفوائد التجارية التي رغب البرتغاليون فيها[2].

وقد فرضت السلطات البرتغالية على السفن غير البرتغالية والتي يرفع بعضها العلم المحلي الحصول على تصاريح مرور للإبحار في المياه الشرقية وكان من الصعب الحصول على تلك التصاريح في كثير من الأحيان[3].

---

(١) Savory, M. "A.D. 600-1800". (Cottrell, Alvin J. — General Editor — The Persian Gulf States, A General Survey, London 1980). p.32.
وانظر أيضاً محمد عبد اللطيف البحراوي: مرجع سبق ذكره ص ٧٦.

(٢) Kelly, J.B. Britain And The Persian Gulf. 1795-1880. (Oxford 1968). p.2; Miles. S.B. Op.Cit. pp.164-166 Danvers, F.C Op.Cit. pp. 10-11.

(٣) Danvers. F.C Op.Cit. p.9, Hawley Donald, Op.Cit. pp.77-79.

وبتطبيق هذه السياسة الاحتكارية سيطر البرتغاليون عملياً على الملاحة والتجارة في المحيط الهندي وتحكموا في الأسواق التجارية فيه أيضاً.

هذا ولم يتدخل البرتغاليون في الشئون المحلية الأخرى مثل الإدارة الداخلية والعادات المحلية والمسائل الدينية فتركوا للشعوب الشرقية قوانينها الخاصة(١). وتركوا السكان ليحكموا أنفسهم كما يرغبون حتى في الموانئ والمدن التي أقامت فيها حاميات برتغالية طالما كان ذلك لا يؤثر على المصالح البرتغالية وطالما بقي الحكام المحليون لا يعارضون السيادة البرتغالية ولا يتدخلون في شئون التجارة الهندية. بل حاول البرتغاليون الانتفاع من الأنماط التجارية والصناعية التقليدية في الخليج العربي لزيادة منافعهم الاقتصادية.

ولكن الاشراف على كل تجارة المحيط الهندي مهمة تفوق القدرات والامكانيات البرتغالية ذات الموارد المحدودة، ولذلك كان خصوم البرتغال من الأوربيين منذ أواخر القرن السادس عشر على استعداد تام لمهاجمة المركز البرتغالي المتفوق في المياه الشرقية وعلى إنهاء الاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر.

ولما كان استغلال الثروات الشرقية والاحتكار التجاري لها بالإضافة إلى الأهداف السياسية والدينية الأخرى الطابع المميز لسياسة المؤسسة الحاكمة في البرتغال في القرن السادس عشر فقد أصبحت موانئ قلهات ومسقط وصحار بعد إخضاع هرمز محطات للتجارة البرتغالية، وعينت السلطات البرتغالية الحاكمة في هرمز حكاماً عليها من البرتغاليين إلى جانب حكامها المحليين الذين عينهم ملوك هرمز. كما قدمت السفن البرتغالية وهي في طريقها إلى هرمز والبحرين الحماية الكافية لوكلاء المحطات التجارية البرتغالية فيها(٢).

ولم يكن البرتغاليون في البداية بحاجة إلى إقامة حاميات عسكرية برتغالية في المحطات التجارية على الساحل العماني، ولذلك اكتفوا بإقامة

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.166.
(٢) Danvers. F.C. Op.Cit. pp.9-11.

مراكز تجارية في كل من قلهات ومسقط وصحار. وكانت مسقط أفضلها لسهولة الدفاع عنها ولمينائها الآمن من الرياح والعواصف، ولـذلك أصبحت خـلال الربع الثاني من القرن السابع عشر محور العمليات التجارية الـبرتغاليـة في الساحل العماني والمركز الفعلي للنشاط العسكري البرتغالي في الجزء الغربي من المحيط الهندي. ولكن على الرغم من أهمية مسقط فقـد ظلت هرمـز المركـز الاقليمي[1] للحكم البرتغالي في منطقة الخليج العربي حتى استيلاء الفرس عليها في عام ١٦٢٢. ولكن السياسية البرتغالية السابقة قد تغيرت فيها بعد عندما أسس البرتغاليون قوتهم بإحكام وقاموا بنقل السلطة الفعلية تـدريجياً وبهدوء إلى قبضتهم بعد أن أقاموا حاميات عسكرية لهم في صحار وقلهات ومسقط وغيرها وحصنوا تلك الموانئ جيداً[2]. وهكذا تبنى البرتغاليون في الخليج العربي سياسة تقوم على الاحتفاظ بتفوقهم السياسي والعسكري بتشديد قبضتهم على المحطات التجارية والتي أقاموا فيها القلاع والحصون.

ومهما يكن من أمر، فإن تأثير البرتغاليين في منطقة الخليج العربي كان ثانوياً. فعلى الرغم من تأسيس القلاع والحصون على الساحل، فإنهم لم يفعلوا شيئاً ملموساً لتغيير الأوضاع الداخلية فيه، ولم يقدموا معلومات مهمة عنه باستثناء بعض الإشارات الموجزة التي وردت في مذكرات بعض القادة البرتغاليين الأوائل الذين وصفوا بإيجاز المدن الساحلية[3]، ونقلوا في مذكراتهم بعض الروايات المتعلقة بالمناطق الداخلية للخليج العربي.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.156; Ozbaran Salih, Op.Cit. pp.45-46.

(٢) Danvers, F.C. Op.Cit. p.9.

(٣) Hogarth, David George. The Penetration Of Arabia. A Record Of The Development Of Western Knowledge Concerning The Arabian Peninsula. (U.S.A. 1904) pp.32-34; Hawley, Donald. Op.Cit. p.77, 79.

إنهاء السيطرة البرتغالية

أخذت السيطرة البرتغالية في التدهور في البحار الشرقية بعد خضوع البرتغال للتاج الاسباني خلال الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠. فقد أصبحت المصالح البرتغالية خاضعة للمصالح الاسبانية في أوروبا وفيها وراء البحار. وكانت الحكومة الاسبانية حكومة مركزية متحيزة لمصالحها ولذلك عملت على تكديس التوابل والبهارات في مخازنها التجارية[١]. ولذلك بدأت قبضة البرتغال تتراخى تدريجياً في البحار الشرقية وعاد التجار العرب والفرس إلى رحلاتهم التجارية في المحيط الهندي والخليج العربي تدريجياً. وفي النصف الأول من القرن السابع عشر تمكن الفرس والعرب من إغلاق بعض موانئهم في وجه السفن البرتغالية، كما استفاد الفرس من ضعف البرتغاليين في الخليج العربي فنهضوا لاسترداد الأماكن التي سبق للبرتغاليين احتلالها وبنوا فيها القلاع الحصينة فتمكن الشاه عباس الأول من طردهم من البحرين (١٦٠٢)، ومن جمبرون (١٦١٤) ومن هرمز (١٦٢٢) ثم توالت الهزائم على البرتغاليين في الخليج العربي فأرغمهم عرب عمان على الجلاء عن صور وصحار (١٦٤٣) وطردهم العرب من مسقط (١٦٥٠) وفشلت محاولاتهم في استعادة هرمز ومسقط كما فقدوا نفوذهم في البصرة وتحول نشاطهم التجاري والبحري إلى قرصنة ضد السفن العربية والفارسية والانكليزية والهولندية.

وثمة عوامل كثيرة ساهمت في إضعاف القوة البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي نذكر منها:

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٢.

١ ـ الاتحاد الاسباني ـ البرتغالي (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠):

أخذت قوة البرتغال في الخليج العربي وفي المحيط الهندي تضعف منذ انضمامها إلى اسبانيا في عام ١٥٨٠؛ وقد ظهر ذلك في محاولات البرتغال غير الناجحة في منع سفن الشركة الانكليزية من دخول ميناء جاسك(١) بعد سيطرة برتغالية على الخليج العربي لأكثر من قرن بدون تحدٍ من قوة أخرى احتكروا خلاله التجارة الشرقية. ولما كانت اسبانيا في العقد الثالث من القرن السابع عشر في حرب في كل مكان تقريباً فقد تأثرت تجارة البرتغال وأصابها الضعف نتيجة لتحمل البرتغال تبعات السياسة الاسبانية الطموحة. ووجدت البرتغال صعوبة في توفير الأموال اللازمة لبناء السفن وصناعة المعدات والذخائر الحربية وحشد الجيوش لإرسالها إلى الشرق في وقت كانت فيه الامبراطورية الاسبانية تتعرض للهجوم من عدة جهات(٢). كما كانت الدلائل تشير إلى احتمال زوال السيطرة البرتغالية على الخليج العربي خلال فترة وجيزة لحاجة قواعدهم إلى السفن الحربية والجنود. ولكن السلطات البرتغالية في جاوه تمسكت بالسيطرة على قواعدها العسكرية ومحطاتها التجارية، ولذلك عملت على زيادة قوتها البحرية؛ وقام نائب ملك البرتغال في الهند بقيادة الأسطول البرتغالي إلى الخليج العربي في عام ١٦٣٠.

ومهما يكن من أمر فقد كان للاتحاد الاسباني ـ البرتغالي دور مهم في انهيار الحكم البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي. وقد استردت البرتغال استقلالها في عام ١٦٤٠ بفضل جهود يوحنا الرابع ولكنها لم تتمكن من استعادة ممتلكاتها في الشرق والتي استولت عليها القوى الأوروبية المنافسة لها. وعلى الرغم من انهيار القوة البرتغالية في الخليج العربي في منتصف القرن

(١) Özabaran, Salıh. A Turkısh Report On the Red Sea And The Portuguese In The Indian Ocean. 1525. pp.81-88. (Arabian Studies IV. Edıted By R.B. Serjeant and R.L. Bidwell. p.83; Nyrop, Richard F. Area Handbook For The Persian Gulf States. (?1977) p.22-23.

(٢) De Olıveira Marques, A.H. History Of Portugal. Vol.I. (New York 1972). pp. 337-338; Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970). p.73.

السابع عشر بطردها من مسقط فقد ظلت البرتغال تحتفظ بمصالح تجارية في فارس والعراق وظلت السفن البرتغالية تتردد على موانئ الخليج العربي لا سيما على الوكالة التجارية البرتغالية في كونغ [1]. ولكن أهمية البرتغال السياسية قد تلاشت تدريجياً. ومع عام ١٧٢٠ اختفى البرتغاليون نهائياً من الخليج العربي.

٢ ـ المنافسة الانكليزية والهولندية للبرتغاليين في التجارة الشرقية والتي كانت منافسة منظمة قامت بها شركات تجارية مساهمة اعتمدت على قوات عسكرية مدربة ومنضبطة وعلى جهاز إداري تقاضى رواتب جيدة ومنعته التعليمات من التورط أو الانغماس في الأعمال التجارية لحسابه الخاص [2]. كما اعتمدت أيضاً على موارد اقتصادية ساهمت فيها قطاعات واسعة من المجتمع الانكليزي والهولندي، بينما كانت التجارة البرتغالية احتكاراً خاصاً بالبلاط البرتغالي [3] وتمت إدارتها وتنظيمها كاحتكار ملكي ولم يحفل البرتغاليون كثيراً بها؛ كما أن ملوك البرتغال لم يتركوا مجالاً للبرجوازية البرتغالية النشيطة لممارسة الأعمال التجارية أو تأسيس الشركات التجارية كما هو الحال في هولندا وانكلترا. كذلك كانت موارد البرتغال الزراعية والصناعية ضعيفة، وكانت قوتها البشرية محدودة.

ولذلك أثر النشاط التجاري الانكليزي والهولندي سلبياً على مركز البرتغاليين في الخليج العربي وساهم في القضاء عليه في نهاية القرن السابع عشر بينما كانت العمليات التجارية البرتغالية عاجزة عن الصمود أمام المنافسة التجارية الانكليزية والهولندية [4] بعد أن ظل البرتغاليون مسيطرين على

---

(١) Colonial Papers Vol.V. 1630-34 Year 1630. p.51,54.
وانظر أيضاً، أحمد مصطفى أبو حاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) Strandes, Justus, Op.Cit. p.271.

(٣) Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954). p.156.

(٤) Prestage, Edgar. Protuguese Expansion Overseas, Its Causes And Results Chapter VI. pp.171-198. (Chapters In Anglo-Portuguese Relations. Op.Cit. pp186-191; Amin Abdul Amir, Op.Cit. pp.4-5; Wilson, Sir Arnold. Op.Cit. p.155-156; Mukherjee, Ramkrishna. The Rise And Fall Of the East India Company. (Berlin 1958). p.99.

الخليج العربي في القرن السادس عشر وعلى تجارة الحرير الفارسي. وفشلت كل المحاولات التي بذلها العثمانيون للتأثير على مركزهم السياسي والتجاري في الخليج العربي. فقد شهد آخر القرن السادس عشر عدم قدرة القوة البحرية البرتغالية السيطرة على المحيط الهندي والخليج العربي مما أدى إلى مشاركة القوى الأوربية الانكليزية والهولندية المنافسة في تجارة التوابل والأفاويه الشرقية وكانت صناعة السفن قد شهدت تطوراً مهماً في قوتها وحجمها وتسليحها مما سمح لها القيام بدور بارز في التجارة الشرقية(١). وقد تمكن أسطول الشركة الانكليزية من إلحاق هزيمة بالأسطول البرتغالي في عامي ١٦١٢ و١٦١٥ في مقابل ساحل سورات مما زاد في هيبة الانكليز في العقد الثاني من القرن السابع عشر.

وهكذا أدى ظهور الانكليز والهولنديين في الشرق كمنافسين تجاريين للبرتغال إلى إضعاف الامبراطورية البرتغالية في الشرق والتي لم تتمكن من الصمود طويلاً بعد سلسلة من الاشتباكات والمعارك البحرية في نطاق الصراع البحري غير المتكافئ مع الانكليز والهولنديين(٢). وفي الوقت الذي زادت فيه الهجمات الانكليزية والهولندية على المراكز البرتغالية في الشرق عجزت السلطات البرتغالية في لشبونة عن تلبية احتياجات قواتها في الشرق بإرسال الإمدادات والنجدات اللازمة(٣) ولتمكينها من الصمود مما تسبب في إلحاق خسائر فادحة بالمصالح البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

وفقدت القوة البرتغالية في الخليج العربي أهميتها في الربع الثاني من القرن السابع عشر ولم تعد تسبب أي خوف لمنافسيها الأوربيين بل استولت على البرتغاليين رغبة شديدة في الحصول على سلام مع الانكليز في الهند؛ كما لم يكن في وسعهم منافسة القوة البحرية الهولندية في الخليج العربي التي تأتي

(١) Hopwood, Derek (Editor) Op.Cit. p.100; Issawi, Charles. Op Cit. pp.265-266.

(٢) Miles, S.B. Op.Cit. p.184, 191.

وانظر أيضاً. لوريمر: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) De Oliverira Marques A.H. Op.Cit. p.337.

سنوياً بعدد من السفن يتراوح بين عشر وأربع عشرة سفينة. وقد أثر ذلك على مركز البرتغاليين الذين لم يتجرأوا على مغادرة الموانئ الخاضعة لحكمهم خوفاً من السطوة الهولندية[1]. كذلك انشغلت البرتغال خلال النصف الأول من القرن السابع في حماية مصالحها التجارية في البرازيل من الهولنديين وغيرهم من الخصوم الأوربيين.

٣ ـ موقف الشاه عباس الأول من السيطرة البرتغالية في الخليج العربي:

أصبح مركز البرتغال على طول الساحل الفارسي للخليج العربي في غاية الحرج ولم تستطع السفن البرتغالية الحصول على تجهيزات أو إمدادات من الموانئ الفارسية. ونفذ الفرس ضد المراكز البرتغالية عدداً من العمليات الحربية الناجحة[2] وأصبح مركز البرتغال العسكري حرجاً في الخليج العربي في عام ١٦٠٢ عندما طرد الشاه عباس الأول البرتغاليين من البحرين مما أثر على سمعتهم العسكرية. وفي عام ١٦٠٤ عجزت السفن البرتغالية عن حمل الامدادات الكافية للحاميات البرتغالية في الخليج نتيجة الغارات الفارسية المتكررة عليها ولوجود مناطق كثيرة في الخليج معادية لهم. كذلك استعاد الشاه عباس قشم في عام ١٦١٤ وفرض الحصار على القلعة البرتغالية في جمبرون[3]، وكان النجاح الوحيد الذي حققه البرتغاليون في الربع الأول من القرن السابع عشر استعادة صحار من الفرس في عام ١٦١٦ وكان ذلك عملاً دفاعياً من الجانب البرتغالي وقد تم بمساعدة بعض الشيوخ العرب. وقد خرّب البرتغاليون صحار لمنعها من منافسة هرمز ومسقط ليحتفظوا بعائداتهم من الضرائب كما أخلّوا بشروط الاستلام فقتلوا حامية صحار وحاكمها

(١) Cap. Rich. Allnutt To The East India Company. Jan. (31) 1634. (Colonial Papers. Vol.V. 1630-34) p.518.

(٢) Danvers. F.C. Report on Portuguese Records p. 58; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.2.

(٣) Wilson, Sir Arnold T. Early Spanish And Portuguese Travellers In Persia. (The Asiatic Review. Vol.XXII. Oct. 1926. Jan. 1927). p.141.

(الشيخ محمد) وأخاه[1].

ولما كانت قوة الفرس البحرية غير كافية للاستيلاء على هرمز فقد طلبوا المساعدة من الشركة الانكليزية التي أدى ظهورها في الخليج إلى تبدّل ميزان القوى في الخليج العربي لغير صالح البرتغاليين في الوقت الذي كانت فيه فارس في عهد الشاه عباس في أوج قوتها بينما لم يكن لدى البرتغاليين القوة العسكرية الكافية بسبب الضعف العام الذي أصاب القوة البرتغالية في الشرق.

وقد استفاد الشاه عباس من وقف الحرب مع الدولة العثمانية منذ عام ١٦١٨ فأخضع المناطق المجاورة للخليج العربي، وقرر في عام ١٦٢١ استعادة هرمز من البرتغاليين معتمداً على المساعدة البحرية الانكليزية، فطلب من ملك هرمز دفع الجزية التي كان يدفعها أسلافه إلى خان لار الفارسي قبل السيطرة البرتغالية على الخليج العربي. ولكن البرتغاليين رفضوا دفع أي جزية ولو صغيرة من ملوك هرمز والمدن التجارية التابعة لهم إلى فارس[2]، ونشبت الحرب وخسر البرتغاليون هرمز في عام ١٦٢٢، حيث استولت عليها القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة. وبخسارتها خسر البرتغاليون مركزهم المتفوق في الخليج العربي.

٤ ـ ازدياد قوة ونشاط دولة اليعاربة في عمان:

تمكن عرب عمان من طرد البرتغاليين من صحار في عام ١٦١٦ ومن جلفار «رأس الخيمة» في عام ١٦٢٠. وكانت المقاومة العربية العنيفة من بين العوامل المهمة التي أدت إلى إنهاء الوجود البرتغالي في الخليج العربي. فقد أخذت دولة اليعاربة على عاتقها تحرير الساحل العماني من الحكم البرتغالي

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٨ ـ ٢٩، وانظر أيضاً Hopwood, Derek, (Editor) Op.Cit. p.96.

(٢) Nyrop, R.F. Op. Cit. pp.22-23; Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. pp. 143-144.

وقد تمكنت من تحقيق مهمتها بطردهم من مسقط في عام ١٦٥٠. ولم يكتف عرب عمان بذلك بل هددوا المواصلات البرتغالية في المحيط الهندي. وفي نهاية القرن السابع عشر انشغل البرتغاليون في صراع يائس ضد عرب عمان الذين هاجموا القاعدة البرتغالية في كونغ وألحقوا بها خسائر جسيمة. وفي العقد الثاني من القرن الثامن عشر قضى العرب على القوة السياسية والتجارية البرتغالية في الخليج العربي.

٥ ـ فساد الحكام والمسؤولين البرتغاليين:

انتقلت عدوى فساد جهاز الحكم والإدارة في لشبونة إلى المراكز البرتغالية في الشرق، ويجمع المؤرخون على أن إساءة استعمال السلطة وابتزاز الأموال وانتشار الرشوة والفساد وتفشي أعمال القرصنة[١] أصبحت ظاهرة عامة وصفة مميزة للحكم البرتغالي في الشرق في آخر القرن السادس عشر. وساهمت كلها في إضعاف السيطرة البرتغالية التي اعتمدت على استخدام القوة البحرية، ولذلك لم يكن في وسع البرتغال أن تصمد طويلاً في مواجهة أعداء يملكون إمكانيات هائلة بالمقارنة بموارد البرتغاليين البشرية والاقتصادية[٢]. كما أدى عدم وجود نظام دقيق في البحرية البرتغالية إلى ازدياد حوادث التمرد والخلافات المسلحة بين كبار الضباط وإلى تفشي الحسد وانتشار المنازعات في أوساطهم مما أدى إلى هبوط مستوى النظام في البحرية البرتغالية في الشرق كما سادت الفوضى والفردية في الأسطول البرتغالي والذي كان قادته يحاربون من أجل النهب والسلب والحصول على مكاسب شخصية.

ويبدو أن القوة البرتغالية في الشرق في القرن السادس عشر مبالغ فيها؛ فقد بلغ مجموع السفن البرتغالية التي ذهبت إلى الهند حوالي ثلاثمئة سفينة خلال أكثر الفترات البرتغالية ازدهاراً (١٥٠٠ ـ ١٥٢٨) بمعدل عشر سفن في

(١) Amin, Abdul Amir, Op.Cit. p.13; Prestage, Edgar. Op.Cit. p.191.
(٢) Ibid. p.193.

كل عام. وفي الفترة التالية (١٥٢٩ - ١٦١٢) بلغ مجموع السفن البرتغالية التي قامت برحلات تجارية حوالي خمسمئة سفينة بمعدل ست سفن في العام علماً بأن عدداً من هذه السفن التي أرسلت إلى الهند قد تحطمت نتيجة ارتطامها بالصخور أو بسبب العواصف البحرية. وخلال الفترة (١٦١٢ - ١٧٢٥) بلغ مجموعها حوالى أربعمئة وخمس وعشرين سفينة بمعدل أربع سفن في العام عاد منها إلى البرتغال ٢٨٥ سفينة بينما حلت الكارثة بباقي السفن بطريقة أو بأخرى[١].

٦ - تعصب البرتغاليين وقسوتهم وجشعهم:

لم يحاول البرتغاليون الفوز بثقة واحترام السكان والتجار المحليين بل أسرفوا في استخدام القوة من أجل تأسيس تفوقهم في المياه الشرقية. فقد تميز الحكم البرتغالي في الشرق بالوحشية المتناهية في معاملته للسكان وفي محاولة إرغامهم على التنصر؛ وكان حماس البرتغاليين قوياً جداً لإرغام الحكام المسلمين والهنود على التنصر[٢]. وكذلك اتبع البرتغاليون سياسة القهر العسكري واستغلال الشعوب المقهورة في الاستثمارات الاقتصادية وفي تعزيز الحاميات البرتغالية في الخليج العربي كما كان البرتغاليون يتبعون أساليب عنيفة ويسيئون معاملة الشعوب الشرقية التي يقيمون علاقات تجارية معها[٣]، مما أدى إلى زيادة عداء الشعوب الآسيوية والافريقية لهم. كما اتصف حكمهم في الخليج العربي بعدم التسامح والقسوة والجشع مما أدى إلى كراهية السكان الفرس والعرب لهم على حد سواء[٤] ولذلك فإن الأساليب البرتغالية القاسية

---

(١) Strandes, Justus. Op.Cit. p. 266; Wilson. Arnold T. Op.Cit. p.156.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج١ ص ٦٧.

(٢) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 92-93.

(٣) Wilson, Arnold T. Op.Cit. 156.
ويذكر صلاح العقاد أن نصف حامية هرمز البرتغالية كانت من سكان المالبار في الهند، انظر: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ٢١.

(٤) Hopwood, Derek, (Editor) Op.Cit. p.100; Lockhart, Laurence. Persian Cities (London 1960). p. 173.

المتمثلة في حرق السفن العربية وإغراقها وتعذيب بحارتها وحرمانها القوى العربية والإسلامية من الازدهار التجاري الذي نعمت به قبل قدوم البرتغاليين قد زادت في كراهية السكان العرب والمسلمين للبرتغاليين في كل المناطق التي وصلوا إليها. وقد فضل كثير من التجار الاستقرار بعيداً عن السيطرة البرتغالية كلما كان ذلك ممكناً.

ومهما يكن من أمر فقد كان البرتغاليون غير محبوبين من السكان في الخليج العربي لاختلافهم معهم في العقيدة الدينية، ولاحتكارهم التام للتجارة ولأنظمتهم الجائرة ولاستعمالهم الأساليب العنيفه معهم. ولذلك كله فشل البرتغاليون في الحصول على تأييد السكان المحليين مما أدى في النهاية إلى طردهم من الخليج العربي.

٧ ـ الاحتكار البرتغالي:

كانت التجارة البرتغالية على نقيض التجارة الانكليزية والهولندية التي نظمت بنجاح مشاريعها التجارية الخاصة واختارت الجهاز الإداري المناسب لشركاتها وفقاً لأنظمتها الاحتكارية، بينما كان الاحتكار البرتغالي خاصاً بالبلاط الملكي وكانت النشأة الراقية وشرف المحتد والنسب والاتصال بالبلاط من المؤهلات الرئيسية لاشغال المناصب العالية في الدولة[1]. وعندما قرر ملك البرتغال احتكار مجموعة من السلع التجارية أصدر قانون الاحتكار في عام ١٥٢٠، والذي شمل الفلفل والزنجبيل والقرفة والدارصيني والقرنفل وجوز الطيب والحرير. ولم يسمح القانون بالتجارة في هذه الأصناف إلا بتصريح ملكي، ومنع القانون عدداً كبيراً من موظفي الدولة من ممارسة التجارة لحسابهم الخاص،ولكن تم خرق هذا القانون في كثير من الأحيان من قبل البرتغاليين والآسيويين على حد سواء لأن عدداً كبيراً من المستوطنين البرتغاليين في الشرق تقاضوا جزءاً من الراتب على شكل بضائع عينية. وحتى بعد وقف هذا الجزء العيني فإنه لم يكن في وسع التاج البرتغالي منع القادة والضباط من التجارة

(١) Strandes, Justus. Op. Cit. p.271; Miles, S.B Op.Cit. p.191.

لأن مرتباتهم هزيلة وغير كافية لسد نفقاتهم.[1] وفي بعض الأحيان كانت الحكومة البرتغالية غير قادرة على دفعها مما ساعد على انتشار الرشوة والفساد والحسد والمنازعات[2] وإلى ممارسة الموظفين التجارة. كذلك تمكن الآسيويون من تجاهل الاحتكار البرتغالي بالتهريب أو بتقديم الرشوة للسماح لهم بنقل التوابل والبهارات إلى البحر الأحمر والخليج العربي. ولم يكن في وسع القوات البرتغالية في مثل هذه الحالة من الضعف والفساد مراقبة التجارة البحرية جيداً.

وكان للسياسة التي اتبعها البرتغاليون في الخليج العربي من تعسف في التجارة واحتكار للبضائع والنقل وتحكم في أسعار البضائع أثر سيِّئ في أوساط السكان المحليين مما زاد في عدائهم ونفورهم من البرتغاليين. وقد استمرت هذه الأساليب البرتغالية حتى نهاية القرن السابع عشر.

---

(١) Strandes, Justus. Op.Cit. p 271.
وانظر الشاطر بصيلي عبد الجليل. مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٢) Wilson, Arnold T. Op.Cit. 156; Ricks, Thomas Millet. Politics And Trade In Southern Iran And The Gulf 1745-1765 (Indiana University 1975) p.77.

الفصل الثاني

الانكليز

مقدمة

بدأت محاولات الانكليز للوصول إلى الشرق في النصف الثاني من القرن السادس عشر لرغبتهم الشديدة للمشاركة في التجارة الشرقية، ولكن خوفهم من القوة البرتغالية في البحار الشرقية دفعهم إلى البحث عن طريق أخرى لا يسلكها البرتغاليون، فبدأوا بالمتاجرة مع الشرق عن طريق روسيا وبحر قزوين وأرسلوا لذلك عدة حملات تجارية ولكنها لم تحقق نجاحاً ملحوظاً[1]. وكانت أولى هذه المحاولات الانكليزية قد تمت بثلاث سفن تجارية صغيرة في عام ١٥٥٣ عندما اكتشف الانكليز إمكانية الوصول إلى منطقة الخليج العربي عبر الأراضي الروسية إلى ميناء أركنجل.

ثم تأسست في انكلترا في عام ١٥٥٤ الشركة الموسكوفية «الروسية». وحصلت على براءة من الحكومة الانكليزية للتجارة مع روسيا وأرسلت الشركة الجديدة أربع سفن تجارية في عام ١٥٥٧ كان في إحداها أنطوني جنكنسون الذي عبر الأراضي الروسية وتوجه منها إلى بخارى حيث اكتشف أن معظم التجارة الفارسية تمر عبر الأراضي العثمانية من خلال الموانئ السورية. وتوصل جنكنسون في عام ١٥٥٨ إلى طريق يصله بمصادر إنتاج

(١) Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967) pp. 2-3.

الحرير الخام في فارس من خلال الأراضي الروسية. ولذلك أبحر في عام ١٥٥٩ نحو الجنوب بواسطة نهر الفولجا إلى نيجفورد ثم إلى قازان فاستراخان ومنها عبر بحر قزوين إلى فارس(١). وعاد جنكنسون من هذه الرحلة إلى انكلترا في عام ١٥٦٠.

وكان جنكنسون قد التقى خلال رحلته إلى فارس بالشاه طهماسب في قزوين وسلمه رسالة من الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣). ويبدو أن الشاه لم يحسن استقباله، ولكنه منح الانكليز حق المتاجرة مع فارس؛ ولذلك فإن رحلة جنكنسون إلى فارس لم تسفر عن نتائج ذات أهمية بالنسبة للتجارة بين فارس وانكلترا(٢). ويبدو أن ذلك يعود إلى اقتناع جنكنسون بأن الوقت لم يحن بعد لبدء التجارة مع فارس بسبب الاضطرابات الداخلية في فارس وحروبها مع الدولة العثمانية وانتشار القراصنة في بحر قزوين، ورغم توزع نشاط جنكنسون واهتمامه بين الدولة العثمانية وفارس فقد حصل في عام ١٥٥٣ على فرمان من السلطان العثماني بحرية التجارة الانكليزية في الدولة العثمانية ولكنه لم يسفر عن نتيجة أيضاً.

ولكن محاولات الشركة المسكوفية «الروسية» للوصول إلى فارس لم تتوقف. ففي عام ١٥٦٣ أرسلت الشركة ثلاثة من وكلائها عبر الأراضي الروسية إلى البلاط الفارسي في قزوين في مهمة تجارية؛ وبعد ثلاث سنوات من بداية هذه الرحلة أرسلت الشركة في عام ١٥٦٦ عدداً آخر من وكلائها ومعهم الثياب الصوفية الانكليزية، والتقى الوكلاء الانكليز في فارس بالتجار البنادقة الذين جاءوا من حلب لمقايضة الحرير الفارسي الخام بالملابس الصوفية من صنع البندقية والتي استخدمها السكان في فارس. وكان البنادقة يسيطرون على تجارة الحرير الفارسي إلى أوربا وظلوا يقومون بدورهم في توزيع التوابل

---

(١) Danvers, F.C. Report On The India Office Records Relating To Persia And The Persian Gulf. (London ?) pp. 12-14.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وإمارات الساحل العماني (بغداد، ١٩٧٨) ص ٤٥.

الشرقية أيضاً[١].

ثم تعزز موقف الشركة الروسية في عام ١٥٦٦ عندما حصلت مرة أخرى من البرلمان الانكليزي على تأكيد لامتيازاتها التي منحتها لها الحكومة الانكليزية في عام ١٥٥٤ ومنها حق المتاجرة مع روسيا وميديا وفارس ومنطقة بحر قزوين، ولكن خلال العامين التاليين بدا وكأن التجارة الفارسية عبر الأراضي الروسية قد أهملت، غير أن محاولات الشركة الروسية تجددت مرة أخرى في عام ١٥٦٨ عندما بدأت بتنفيذ مشروع جديد للتجارة مع الشرق عبر روسيا استمر حتى عام ١٥٧٣ وبرهن على الفائدة التي يمكن للشركة الحصول عليها من تلك التجارة الفارسية إلى أن ظهرت بعض الخلافات بين قيصر موسكو والتجار الانكليز ووكلاء الشركة الروسية[٢].

وكانت الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣) قد أرسلت السير توماس راندولف في عام ١٥٦٨ إلى موسكو لعقد معاهدة تجارية جديدة للشركة الروسية ووافق القيصر على منحها مرة أخرى الاعفاء من كل الجمارك وترك لها حرية نقل بضائعها من فارس وإليها[٣]. كما منح القيصر التجار الانكليز في عام ١٥٦٩ امتيازات جديدة مثل حق التجول في بلاده وحرية المرور إلى قازان واستراخان وفارس[٤]. ومنحهم أيضاً منجماً للصلب والحديد على ضفة نهر الفولجا وأعطاهم قطعة من الأرض في نارفا ليقيموا عليها مركزاً لهم وصرّح لهم بنصب حبل لاستخدامه كجسر على نهر الفولجا.

ثم تطورت العلاقات التجارية الانكليزية - الروسية وازداد اهتمام التجار الانكليز في الحصول على البضائع الفارسية والهندية، فشكلت الملكة اليزابت

---

(١) Thomas Bannister And Geoffry Ducett To Cecil. Aug. 12, 1568. (Calendar Of State Papers. 1568. Edited By Allan James Crosby London 1871). p.518.

(٢) Danvers. F.C. Op.Cit. pp. 14-15.

(٣) Ibid. p.15.

(٤) Comparison Of Privileges Granted to Randolph And To Horsey. (List and Analysis of State Papers. Elizabeth I. Vol.I. 1589. June 1590. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1964). p.432.

بعثة تجارية سافرت إلى روسيا من أجل إرساء التجارة الانكليزية معها على أسس ثابتة ولاستعادة مخزون الشركة الروسية من وكلائها السابقين، ولتأسيس إدارة أفضل من السابقة في مراكز الشركة في الأراضي الروسية(١). ورحب قيصر روسيا بدوره مرة أخرى بالتجار الانكليز في بلاده فمنحهم تسهيلات في جميع أنحاء روسيا وحق العبور إلى فارس من خلال أراضيه مع حق التجار الانكليز في الحصول على تعويض عن كل المضايقات التي قد تلحق بهم مثل تعرض بضائعهم للخطر أثناء نقلها وذلك وفقاً للامتيازات الممنوحة لهم. وكان التجار الانكليز قد نُهِبُوا عندما جاءوا لأول مرة مع جنكنسون، ولم يتجرأ بعضهم على العودة إلى انكلترا بسبب الديون المتراكمة عليهم(٢). ولكن الرحلات الانكليزية عبر الأراضي الروسية لم تنقطع. ففي عام ١٥٧٩ ذهب كريستوفر فريبورغ إلى فارس وعاد منها إلى بلاده في عام ١٥٨١.

وفي العقد الأخير من القرن السادس عشر أبدى قيصر روسيا عطفاً لم يسبق له مثيل على التجار الانكليز في بلاده؛ فقد عمّم في عام ١٥٩٢/١٥٩١ الامتيازات التي سبق له وأن منحها لهم لتشمل قازان واستراخان وما وراء بحر قزوين وبخارى مع إعفائهم من دفع رسوم الجمارك في كل الموانئ والمراكز الروسية. وبذلك كان الانكليز أول من حصل على مثل هذه الامتيازات الشاملة(٣) في روسيا. وعلى الرغم من وصول الانكليز إلى مياه الخليج العربي واتصالهم بالشاه الفارسي عبر رأس الرجاء الصالح فقد استمرت الرحلات الانكليزية عبر الأراضي الروسية، ففي عام ١٦٢٠ قام هوبز أحد وكلاء الشركة الروسية برحلة من موسكو إلى أصفهان عن طريق استراخان ووصف تجارة الحرير الفارسي الخام المزدهرة في مختلف موانئ بحر قزوين وأشار في

---

(١) Thomas Bannister And Geoffry Duckett To The Privy Council June 25, 1569. (Calendar Of State Papers. 1569-71. Elizabeth. Edited By Allan James Crosby. London 1874) p.90.

(٢) Humfrey Lock To Cecil. July 1, 1568. (Calendar Of State Papers, 1568. Edited By Allan James Crosby. London 1871) p.493.

(٣) Danvers, F.C. Op.Cit. p.15; The Russia Company's Privileges Confirmed. (Lists And Analysis Of State Papers. Elizabeth I. Vol.III. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1980). p.485.

رسالة له من أصفهان إلى أن الشركة الروسية يمكنها نقل الحرير الفارسي إلى انكلترا عبر الأراضي الروسية[1].

وكان لانتشار البروتستنتية في أوربا نتائج بالغة الأهمية في العلاقات بين الشرق والغرب في القرن السادس عشر، فقد رفضت الشعوب الأوربية البروتستنتية الاعتراف بمنحة البابا[2] للبرتغال باحتكار التجارة الشرقية في عام ١٤٥٤. وتمكنت انكلترا في عهد الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣) من تحدي الأسطول الاسباني في أعالي البحار، وبعد هزيمة الأرمادا الاسبانية في عام ١٥٨٨ أصبح في وسع الانكليز والهولنديين الوصول إلى المياه الشرقية ومنافسة البرتغال واسبانيا في الأسواق الشرقية في العقد الأخير من القرن السادس عشر.

وتعود المحاولة الانكليزية الأولى للوصول إلى الهند إلى عام ١٥٨٣ عندما غادرت جماعة من التجار المغامرين الانكليز لندن تقودها الرغبة في الوصول إلى بلاد الشرق، وضمت التاجر رالف فيتش والتاجر جون نيوبري والصائغ وليم ديدز والرسام جيمس ستوري. وبعد أن وصلوا طرابلس الشام توجهوا إلى الفلوجة وبغداد عن طريق الفرات ومنها إلى البصرة وهرمز[3] حيث ألقي القبض عليهم بتهمة التجسس. وبعد أن وضعوا فترة في السجن أرسلوا إلى جاوه- المركز الرئيس للبرتغال في الشرق - وكان هدف رالف فيتش تطوير التجارة الانكليزية مع الشرق. وبعد عودته إلى انكلترا في عام ١٥٩١ -

---

(١) Danvers, F.C. Op.Cit. p.17.

(٢) كان الباب نيقولا الخامس قد أصدر هذه المنحة في عام ١٤٥٤ وأكدها البابا كاليكستوس الثالث في ١٣ آذار ١٤٥٦ وبعد ذلك تم الاتفاق بين اسبانيا والبرتغال في معاهدة تورديسيلهاس في ٩ حزيران ١٤٩٤ بتحديد خط يقع إلى الغرب من جزر رأس ڤردي بنحو ٣٧٠ فرسخاً كحد فاصل بين ممتلكات ومكتشفات البرتغال واسبانيا ثم أكد البابا الكسندر السادس هذه الاتفاقية وبذلك أصبح الخط المذكور حداً للتقسيم النهائي. انظر بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٢٧ - ٢٩.

(٣) Tweedy Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. (England.?).p 14.

بعد ثمانية أعوام من التجوال في الأقطار الشرقية زار خلالها بلاط المغول في أجرا ـ قامت جمعية هاكلويت الانكليـزية في لنـدن بنشر رحلته التي ضمت التقارير المشجعة عن الامكانيات التجارية في المياه الشرقيـة. كذلـك قامت جمعية هاكلويت بنشر رحلة جون نيوبري في عام ١٥٩٨.

وكانت أطماع الانكليز في التجارة الشرقية قد زادت بعد وقوع إحدى السفن البرتغالية في أسر القراصنـة الانكليز في عـام ١٥٨٧ وعندئـذ تحقق الانكليـز من الثراء الفاحش الـذي يحصل الـبرتغاليـون عليه من التجـارة الشرقية مما زاد في تصميم الانكلبيز على المشاركة في تلك الـثروة. ولذلـك قامت ثلاث سفن شراعية انكليزية بمحاولة الوصول إلى الهند في عام ١٥٩١ بقيادة القبطان جيمس لنكستر بعد أن مكثت في زنجبار ثلاثة أشهر في انتظار تغير هبوب الرياح الموسمية لمتابعة رحلتها إلى الهند. ثم عادت إلى انكلترا في عام ١٥٩٤. وقد كشفت تلك الرحلة للانكليز عن خطورة الطريق البحري الطويل إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح بمقارنته مع طريق البحر المتوسط ولكنها كشفت أيضاً عن فرص الثروة غير المحدودة[١] التي تنتظر الانكليز من تجارتهم المباشرة مع الشرق عبر رأس الرجاء الصالح بعد انتظارهم الطويل للحصول عليها وتأمين نصيبهم من الأسواق الشرقية مباشرة.

وأخذ الانكليز في خلال الفترة (١٥٩٥ ـ ١٥٩٧) يقـومون بـرحلات تجارية خاصة. ولكن البرتغاليين اعترضوا طريق السفن التجارية الانكليزية في البحار الشرقية وعملوا على عرقلة تجارتهم واشتبكوا معهم في حروب بحرية قاسية[٢]، بدأت قرب ساحل الهند في عام ١٦١٢ وتلتها معركـة سورات ١٦١٥ وخاض الانكليز صراعاً مريراً لمدة قرنين تقريباً في الخليـج العربي، تشبث الانكليز خلالها بعناد حتى تمكنوا من إحراز التفوق على منافسيهم من

(١) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) Fraser, Lovat. Some Problems Of The Persian Gulf. (Proceeding Of The Central Asian Society. pp.1-23. January 8, 1908). p.5.

الأوربيين في النهاية[1]،كما تعلم الانكليز دروساً في القوة والتجارة، وباشروا في إنشاء مراكز تجارية لهم في وجه معارضة شديدة من البرتغاليين واستفادوا من رغبة السكان المحليين في التخلص من الحكم البرتغالي، وكذلك من عداء الفرس والعرب والهنود للبرتغاليين[2] وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم في منطقة الخليج العربي.

---

(١) Selections From State Papers. Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With a Summary of Events. 1600-1800. Period IX (1698-1708) p.VIII.

(٢) De Oliveira Marques, A.H. History Of Portugal. Vol.I (New York 1972) p. 337.

سفارة الأخوين شيرلي

نجح الانكليز في إقامة علاقة مباشرة مع الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) في عام ١٥٩٩ من خلال الجهود التي بذلها بعض المغامرين الانكليز بزعامة أنطوني شيرلي الذي قام مع أخيه رويرت شيرلي بالإضافة إلى خمسة وعشرين فارساً انكليزياً بزيارة إلى بلاط الشاه عباس الأول بهدف إقناعه بالتحالف مع القوى الأوربية ضد الدولة العثمانية وإقامة علاقات تجارية بين انكلترا وفارس وتأسيس التجارة الانكليزية على قواعد راسخة في الشرق، وكانت التجارة الفارسية عبر الأراضي العثمانية والروسية بواسطة القوافل التجارية وعبر الخليج العربي بواسطة السفن البرتغالية[١] قد جذبت إليها أنطوني وروبرت شيرلي اللذين دخلا في خدمة الشاه عباس.

ويذكر أنطوني وروبرت شيرلي بأنهما قدما هدية إلى الشاه عباس فقبلها واستقبلهما في قزوين وكان في نية أنطوني شيرلي أن يقترح على الشاه عباس وقف إرسال البضائع الفارسية إلى بغداد ودمشق عن طريق البصرة. وإذا ما أوقف الشاه تجارة بلاده عبر الأراضي العثمانية فسوف يلحق بالدولة العثمانية خسارة محققة بمنعها من الاستفادة من رسوم المرور والجمارك كما أن في وسع الشاه أن يلحق الخسارة بالبرتغاليين أيضاً[٢].

وكما يبدو فقد استجاب الشاه عباس الأول لاقتراح أنطوني شيرلي فأعلن

---

(١) Amin, Abdul Amir, Op.Cit. pp.2-3; Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970) p.74.

(٢) Sherley, Sir Antony. His Relation Of His Travels Into Persia. (London 1613) p.104.

عن فتح بلاده أمام التجارة الأوربية بحيث يتمكن التجار المسيحيون من التنقل في أرجائها دون إزعاج أو مضايقة مع إعفائهم من الرسوم الجمركية[١]، ومن الاجراءات القضائية مع ضمان المحافظة على ممتلكاتهم، كما منحهم امتيازات واسعة واضعاً بذلك الأساس للامتيازات الأجنبية في فارس[٢]، ونتيجة لمساعي أنطوني شيرلي صرف الشاه عباس السفير العثماني الذي جاء للتفاوض معه لإقرار الصلح بين فارس والدولة العثمانية.

وقضى أفراد البعثة الانكليزية ستة أشهر في ضيافة الشاه عباس الأول استفاد منهم خلالها في تدريب الجيش الفارسي وإعادة تنظيمه وفق الأساليب الأوربية وبخاصة تنظيم المشاة والمدفعية وفي إقامة مصانع للأسلحة في أصفهان زودت الجيش الفارسي بالمدافع والبنادق[٣] والتي استفاد منها في حروبه ضد الدولة العثمانية وفي تحقيق بعض الانتصارات العسكرية على أعدائه الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب.

وعاد السير أنطوني شيرلي يرافقه حسين علي بك بيات إلى أوربا مكلفاً بمهمة من الشاه عباس إلى حكامها في عام ١٥٩٩ لإقامة علاقات ودية معهم ولاقتراح نوع من التعاون والتحالف العسكري والاقتصادي ضد العثمانيين[٤] ولإبلاغهم بمنحة الشاه عباس للتجار المسيحيين. وزار من أجل هذه المهمة

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. (القاهرة ١٩٧٩) ص ١١٥.

(٢) محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ - ١٧٦٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الثالث لعام ١٩٦١ ص ٢٦١ - ٢٧٨) ص ٢٣٩ - ٢٤٠. وانظر، أحمد قاسم البوريني: الامارات السبع على الساحل الأخضر. (؟ ١٩٥٧) ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم ج ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٥. وانظر لوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الدوحة ١٩٧٦. ج ١ ص ٢٣ - ٢٤. وانظر أيضاً: Davies, D.W. A Primer Of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade. (? 1961) p.96.

(٤) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٢.

روسيا وألمانيا وإيطاليا واسبانيا لكنه لم يزر انكلترا ولم تسفر مهمته عن نتيجة ذات أهمية. وهكذا فإن الجهود التي بذلها أنطوني شيرلي لتحويل تجارة الحرير الفارسي من حلب إلى هرمز لم تسفر عن نتيجة إيجابية، وفي روما حدث خلاف بين حسين علي بك بيات وأنطوني شيرلي ربما بسبب سرقة بعض رسائل الشاه عباس إلى ملوك أوربا أو بسبب بيع أنطوني شيرلي جزءاً من الهدايا التي أرسلها الشاه إلى ملوك أوربا لبعض التجار الانكليز. وعاد حسين علي بك بيات إلى فارس حيث أمر الشاه بإعدامه، ثم استقر أنطوني شيرلي في اسبانيا حتى وفاته فيها عام ١٦٣٠[1]، وكانت علاقاته بفارس قد انقطعت بعد خلافه مع حسين علي بيك بيات في روما، مما أثر على مركز أخيه روبرت شيرلي لدى الشاه عباس ولكن روبرت شيرلي استرد ثقة الشاه عباس الأول به بعد قيامه بتدريب الجيش الفارسي والاشتراك في معاركه ضد العثمانيين في عامي ١٦٠٥/١٦٠٦ م[2].

ثم استخدم الشاه عباس روبرت شيرلي بناء على طلبه في عام ١٦٠٨ في مهمة دبلوماسية إلى حكام أوربا لتوطيد العلاقات بين فارس والدول الأوربية وإضعاف موقف العثمانيين في مجال العلاقات الدولية[3]، ولإبلاغ حكام أوربا عن عزم الشاه على مواصلة الحرب ضد العثمانيين وتوسيع حدود بلاده على حسابهم لتتصل بالحدود الأوربية، وبعد أن زار روبرت شيرلي بولندا وألمانيا في عام ١٦٠٩ وإيطاليا في عام ١٦١٠ توجه إلى اسبانيا ليشرح إلى الملك الاسباني خطة الشاه عباس الأول بشأن تحويل تجارة الحرير الفارسي عن طريق البر والذي تستفيد منه الدولة العثمانية إلى طريق البحر بواسطة ميناء هرمز أو أي ميناء آخر قريب منه على ساحل الخليج العربي، وطلب من

(١) "The Commandment Of Shah Abbas. Great Sophy Of Persia". (Colonial Papers — East Indies Vol.I. 1513-1616) Year 1599? p.103; Thos. Bays To Salisbury. June 10, 1609. (Colonial Papers. Op.Cit.) pp.185-186.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٤.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٣) محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٠.

اسبانيا التعاون مع فارس لتحقيق هذه الخطة. وكان الشاه عباس الأول يرغب أساساً في تنظيم قوة بحرية في الخليج العربي تستطيع أن تشحن الحرير الفارسي من الموانئ الفارسية على الخليج إلى أوربا[١] ليحرم الدولة العثمانية من الاستفادة من الأرباح التي تحققها من الرسوم التي تحصلها من تجارة الحرير، ولكن اقتراح روبرت شيرلي لم يحظ بالاهتمام الكافي في البلاط الاسباني. ولذلك توجه روبرت شيرلي إلى انكلترا في محاولة منه لإغراء شركة الهند الشرقية الانكليزية لبدء التجارة مع فارس[٢] وحظي بمقابلة الملك جيمس الأول في ١٢ تشرين الأول ١٦١٢ وعرض عليه المهمة التي جاء من أجلها وقدم له رسالة من الشاه عباس يبدي فيها محبته وإخلاصه ورغبته الصادقة في اقامة علاقات ودية مع ملك انكلترا ويعرض عليه حرية التجارة لكل الرعايا الانكليز في جميع انحاء فارس[٣] ويقترح اقامة تحالف بين فارس وانكلترا ويضع ثقته في روبرت شيرلي.

وخلال إقامة روبرت شيرلي في لندن لفت إليه أنظار المسؤولين الانكليز بظهوره بالزي الفارسي مع زوجته التي ارتدت الملابس الشرقية أيضاً. ولكنه وجد صعوبة في التعامل معهم بسبب الشكوك التي ساورتهم حول الصفة الرسمية ومدى الصلاحيات التي يتمتع بها روبرت شيرلي[٤] للتحدث باسم الشاه عباس الأول، كما أن المسؤولين الانكليز في شركة الهند الشرقية عارضوا المشروع الذي تقدم به روبرت شيرلي خوفاً من أن يؤدي إلى اضطراب التجارة الانكليزية «الليفانت» مع الدولة العثمانية، وإلى إغضاب المسؤولين العثمانيين الذين سيخسرون العائدات التي يحصلون عليها من مرور التجارة

---

(١) Davies, D.W. Op.Cit. p.96. (٧)

(٢) Selections From State Papers, Bombay. Op.Cit. p.111. (٨)

(٣) رسالة مؤرخة في شهر رمضان ١٠١٩ هـ/١٦٠٧ وقدمها روبرت شيرلي في الأول من اكتوبر ١٦١١ م أنظر Colonial Papers. Vol.I. Op.Cit. p.164. وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٥. وأيضاً بديع جمعة وأحمد الخولي؛ مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠٧.

(٤) Wright, Arnold, Early English Adventurers In The East. (London 1917). p.243.

الفارسية والشرقية عبر البصرة وبغداد إلى الموانئ السورية ومنها إلى أوربا وهو أقصر طريق مع الشرق، كما اتهم السير توماس رو - سفير انكلترا لدى بلاط المغول في الهند - روبرت شيرلي بالخيانة لبلاده والعمل لحساب السلطات الفارسية[١].

ومهما يكن من أمر فقد غادر روبرت شيرلي انكلترا في كانون الثاني ١٦١٣ عائداً إلى فارس حاملاً معه رسالة مجاملة من الملك جيمس الأول إلى الشاه عباس الأول فوصل الهند في أيلول ١٦١٣ وعاد منها براً إلى أصفهان[٢]، حيث وجد وكلاء الشركة الانكليزية في أصفهان ولكنه تجاهلهم بسبب موقف المسؤولين في الشركة منه أثناء زيارته لندن. ولكن موقف روبرت شيرلي لم يمنع الشاه من منح الشركة الانكليزية الكثير من التسهيلات[٣].

وبعد فترة قصيرة من عودة روبرت شيرلي من رحلته إلى انكلترا غادر أصفهان في تشرين الأول ١٦١٥ إلى أوربا في مهمة أخرى في وقت كان فيه الشاه عباس الأول مشغولاً بالاستعداد لمتابعة احتلال جمبرون وطرد البرتغاليين منها. وحتى يتمكن فيما بعد من طردهم من هرمز فهو بحاجة إلى توفير السفن الحربية؛ كما كان على استعداد لإعادة النظر في تصدير الحرير الفارسي عبر الخليج ومنع تصديره عبر الأراضي العثمانية ومنح امتياز تصديره بواسطة الموانئ الفارسية على الخليج العربي لقوة أوربية[٤]، وابتدأ روبرت شيرلي بزيارة اسبانيا وبقي فيها حتى عام ١٦٢٢ وقد خشيت الشركة الانكليزية أن تؤدي زيارة روبرت شيرلي إلى اسبانيا إلى الاتفاق معها على احتكار تجارة الحرير الفارسية والتي كانت تعتبرها تجارة غنية مما سيؤدي إلى إلحاق الضرر بتجارتها في فارس والشرق ولذلك اقترحت الشركة الانكليزية على المسؤولين الانكليز

(١) محمود علي الداود: مرجع سبق دكره، ص ٢٤٠ - ٢٤١.
(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦.
(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤١٣.
(٤) Stevens, Sir Roger. Robert Sherley: The Unanswered Questions. (IRAN. Vol XVII Journal Of The British Institute Of Persian Studies. pp. 115-125. 1979) p.119.

توضيح الضرر الذي قد يلحق بها إذا حصل الاسبان على موطئ قدم لهم على الساحل الفارسي[1]. ووصل روبرت شيرلي إلى انكلترا في عام ١٦٢٤ وتمكن من مقابلة الملك جيمس الأول وعرض عليه مشاريع ذات اهتمام مشترك لكل من انكلترا وفارس.

وقد سبّب ظهور روبرت شيرلي في لندن مرة أخرى الفزع في أوساط المسؤولين عن شركة الهند الشرقية الانكليزية والتي تمكنت من إقامة علاقات جيدة مع فارس منذ عام ١٦١٦[2]. وقدمت مبالغ إلى مزارعي الحرير الفرس وإعانة إلى الشاه عباس على حساب محصول الحرير الفارسي مقدماً. ولذلك التمست من البلاط الانكليزي الأخذ بوجهة نظرها عند البحث في اقتراحات روبرت شيرلي[3] ويعود موقف الشركة الانكليزية العدائي من روبرت شيرلي لاتهامه بالعمل ضد مصالحها في فارس، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن روبرت شيرلي من مقابلة ملك انكلترا مرتين الأولى في ٢٨ كانون الثاني ١٦٢٤ والثانية في ١٣ نيسان ١٦٢٥.

وفي آب ١٦٢٤ تقدم روبرت شيرلي بمشروعه إلى ملك انكلترا باسم شاه فارس وبصفته سفيراً له، وقد تضمن المشروع ما يلي:

١ ـ رغبة الشاه عباس الأول في تقديم مساعدة عسكرية إلى ملك انكلترا في الشرق حوالي ٢٠,٠٠٠ ـ ٢٥,٠٠٠ جندي لاستخدامهم بالطريقة التي يراها مناسبة وللقيام بأي مغامرة عسكرية في المنطقة التي يرغب الانكليز الاشتباك فيها ضد الأعداء[4]، ويدفع الشاه لهم من حسابه نفقات ثلاثة أشهر ويضعهم في خدمة ملك انكلترا للاستفادة منهم في حروبه في الشرق

---

(١) Edward Connock To The East India Company. Ispahan. April 2, 1617. (Colonial Papers. Vol.II. 1617-21) p.23.

(٢) Stevens, Sir Roger. Op.Cit. p.115.

(٣) Court Minutes Of The East India Company. Dec. 6-8, 1626. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-29). p.278.

(٤) Stevens, Sir Roger, Op.Cit. p.118, 120; Court Minutes Of The East India Company Aug. 18-20, 1624. (Colonial Papers, Vol.III 1622-1624) p.365.

ولاخضاع أمراء الهند، ويكونون حلفاء للملك الانكليز في كل الأوقات[1]. ولكن عرض الشاه بتقديم ٢٠,٠٠٠ ـ ٢٥,٠٠٠ جندي مسلح ربما يهم دولة انكلترا أكثر مما يهم الشركة الانكليزية.

وفي نيسان ١٦٢٦ كرر الشاه عباس الأول بواسطة سفيره في لندن رغبته في التحالف مع الانكليز وذكّر بأنه قد عمل الكثير من أجل تحقيق هذه الرغبة[2].

٢ ـ نية الشاه عباس الأول لإرسال جميع الحرير الفارسي إلى انكلترا وعلى سفن انكليزية، ولكن الشركة الانكليزية وجدت أن من الخطأ بناء الآمال الكثيرة على تجارة الحرير الفارسي لأن الكمية التي يمكن نقلها سنوياً إلى أوربا لا تتجاوز ٧٥٠٠ بالة من الحرير[3] وقيمتها حوالى ٦٥,٠٠٠ جنيه انكليزي. ولذلك وصفت الشركة الانكليزية اقتراحات شيرلي بأنها ضعيفة وليست مقنعة وتساءلت أيضاً عن الضمان الذي يمكن أن يقدمه الشاه في مقابل المبالغ اللازمة للإنفاق على السفن الانكليزية التي ستبقى في الخليج أو تلك التي تقضي الضرورة بإبقائها، مما سيلحق الخسارة بالشركة الانكليزية لتجميد مبالغ كبيرة من الأموال[4]، ولكن ملك انكلترا أعرب عن رغبته في الاشتراك في التجارة الفارسية وذلك بإحضار كل تجارة الحرير الفارسي بعد شحنها من الموانئ الفارسية إلى انكلترا بواسطة اتفاقية تعقد بين ملك نكلترا وشاه فارس[5]، بناء على رغبة الشاه عباس في وقف التجارة الفارسية عبر

---

(١) Propositions made by Sir Robert Sherley to the King in the name of the King of Persia. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.243.

(٢) Answer to the Propositions of Sir Robert Sherley. Aug.? 1624. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.370; Court Minutes Of The East India Company. March 8-22, 1626. (Colonial Papers, Vol.IV. 1625-1629). pp.171-172.

(٣) Court Minutes Of The East India Company. Aug. 18-20, 1624. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.365, 370.

(٤) Answer To The Propositions Of Sir Robert Sherley. (Colonial Papers. Vol III. 1622-1624) p.370.

(٥) Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624. p.460.

الأراضي العثمانية وتحويلها إلى مكان آخر. ولكن ليس في وسع الانكليز استيعاب جميع التجارة الفارسية بسبب سياستهم الاقتصادية التي تهدف إلى الحد من تصدير كميات كبيرة من السبائك الذهبية.

وفي نيسان ١٦٢٦ أعرب الشاه عباس بواسطة سفيره في لندن عن رغبته في أن يحتكر التجار الانكليز الحرير الفارسي، وأبدى استعداده وقف الطريق البري للحرير الفارسي إلى القسطنطينية وعبر الأراضي العثمانية الأخرى؛ كما طلب الشاه إقامة وكالة تجارية للانكليز في أصفهان ليرسلوا إليها بضائعهم وقدّر الأرباح التي سيحققها الانكليز بنسبة ٣٠٠٪ - ٤٠٠٪ من التبادل التجاري مع فارس(١).

وكان روبرت شيرلي قد عرض على ملك انكلترا ورعاياه في عام ١٦٢٤ شراء الحرير الفارسي وتعهد بتسليمه في ميناء جمبرون خالياً من كل الرسوم بسعر ربع ريال لكل رطل انكليزي كبير(٢). وبذلك تكون قيمة ٥,٠٠٠ بالة من الحرير الفارسي تساوي مليون جنيه استرليني بينما تبلغ قيمتها في انكلترا وأوربا ضعف هذا المبلغ ولكن مجلس اللوردات وجد أن كل حرير فارس الذي يرسل إلى الدول الأوربية تبلغ قيمته مليون جنيه استرليني وليس كما يزعم شيرلي(٣).

وردت الشركة الانكليزية على تأكيدات روبرت شيرلي بإمكانية تسويق ٣٠,٠٠٠ ثوب صوف انكليزي في العام وبذلك يمكن الحصول على الحرير الفارسي بدون تصدير أموال نقدية إلى خارج انكلترا بمعرفتها إمكانية تسويق الأقمشة الصوفية في فارس على نحو أفضل مما يعرفه شيرلي، ومهما يكن من أمر فإن رغبة الملك الانكليزي ومجلس اللوردات كانت مع استمرار التجارة الانكليزية وعلى نطاق واسع في فارس. وترك للشركة الانكليزية تنفيذ هذه

---

(١) Stevens, Roger, Op. Cit. p.118, Court Minutes Of The East India Company. April 10, 1626; (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.184.

(٢) الرطل العادي = ١٦ أونصة والرطل الكبير = ٢٤ أونصة.

(٣) William Burt To Messrs. Heynes And Gibson (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol..V. 1630-1634 p.39).

الرغبة وفقاً لتجربتها[1].

ولذلك التمس روبرت شيرلي من ملك انكلترا في تشرين الثاني ١٦٢٥ أن يبعث معه أحد رجاله إلى فارس ورسالة إلى الشاه عباس ليحصل على موافقته الرسمية بنقل الحرير الفارسي إلى انكلترا. وقد شجع هذا العرض التجار الانكليز لإرسال خمس سفن في رحلة إلى فارس لشراء الحرير منها[2] حيث توقعوا ربحاً قد يصل إلى ١٥٠٪ كما أن ملك انكلترا قرر إرسال أربعة قوارب خاصة به إلى شاه فارس. وكان لدى المسؤولين الانكليز القناعة الكافية بفوائد التجارة الفارسية وعدم تمكين العثمانيين العدو المشترك لفارس وأوربا منها[3]. كما أعرب الشاه عباس عن رغبته في شحن حرير بلاده بالسفن الانكليزية لبيعه في انكلترا.

٣ ـ اقتراح الشاه عباس بأن تقوم السفن الانكليزية بنقل مجموعة من السفن الشراعية الانكليزية المفككة والتي يمكن إعادة تجميعها في الموانئ الفارسية لاستخدامها في الخليج العربي[4]. كذلك اقترح روبرت شيرلي تبادل الحرير الفارسي بالسفن الانكليزية الصغيرة على أن يُنقل الحرير الفارسي إلى انكلترا بالسفن التابعة للشركة الانكليزية. وقدّر روبرت شيرلي تكاليف تجهيز أربع سفن انكليزية صغيرة بمبلغ ٦,٠٠٠ جنية انكليزي وتكاليف أجور وسفر الثمانين رجلاً الذين سيرافقونها بحوالي ٣,٠٠٠ جنيه انكليزي في حين أن قيمة الحرير الذي سيتم تصديره إلى انكلترا ستبلغ ٣٦,٠٠٠ جنيه

---

(١) Court Minutes Of The East India Company July 16, 1624, (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.323.

(٢) Colonial Papers. Vol.IV. 1625-1629 p.17; Sir Robert Sherley To The King. Nov. 25? 1625. (Colonial Papers. Vol. IV) p.119.

(٣) توقع الانكليز شراء الحرير بمعدل شلنين للرطل الواحد ومعدل كلفة حمولة السفينة (١٨٠,٠٠٠) جنيه انكليزي. وبذلك ستحقق السفينة الواحدة ربحاً قدره (٢٧٠,٠٠٠) جنيه انكليزي. انظر: Court Minutes Of The East India Company May 30, 1625, (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) pp.71-72.

(٤) Stevens, Roger. Op. Cit. p.118.

انكليـزي[١]. وسوف تمكن هـذه السفن الشاه عبـاس من تـأمـين السفن التجارية الانكليزية في الخليج بقواته الخاصة وعلى حسابه الخاص أيضاً. وفي مقابل ذلك فإن الشاه عباس مستعد للقيام بأي مشاريع تجاريـة أخرى[٢] يقترحها الانكليز عليه.

وقد أرسل ملك انكلترا شارل الأول دود موركتن سفيراً له إلى بلاط الشاه عباس الأول لمعرفـة ما إذا كان روبرت شيرلي سفيراً للشاه إلى البلاط الانكليزي وعما إذا كان مفوضاً بالبحث في مسألة السفن الشراعية الحربية[٣] والتي طلبها الشاه من الانكليز لإدخالها في خدمته في مياه الخليج العربي.

ولكن المسؤولين عن الشركة الانكليزية أبدوا مرة أخرى شكوكهم في حقيقة الصفة الدبلوماسية لروبرت شيرلي وعما إذا كان سفير الشاه عباس أم لا. وكان لدى المسؤولين الانكليز أيضاً قدر ضئيل من الثقة بأن روبرت شيرلي مخول من الشاه عباس الأول للتفاوض مع الحكومة الانكليزية كسفير له[٤]، ولذلك لا يمكن أخذ اقتراحات روبرت شيرلي بأن تكون التجارة الفـارسية للانكليز وحدهم بجدية. كذلك حاول روبرت شيرلي إغراء الانكليز بالادعاء بـأن السفير الفـرنسي قد عـرض عليه مبلغ مليـوني جنيه انكليـزي سنويـاً للمساهمة في إحضار الحرير الفارسي إلى مرسيليا، ولكنه لم يقبل بهذا العرض لاقتناعه بأفضلية وأهمية الانكليز في مجال تجارة الحرير الفارسي[٥].

---

(١) Report To (The Duke Of Buckingham) On The Offer of The King of Persia's Ambassador To Sell "all the Silk that will be vented in these parts of Europe". (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) pp.370-371.

(٢) Propositions made by Sir Robert Sherley. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624) pp. 243-244.

(٣) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan. Oct 22, 1628. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. 562-563.

(٤) Court Minutes Of The East India Company. August. 13, 1624. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p. 360.

(٥) Court Minutes Of The East India Company, May 30, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV 1625-1629) p.71.

ولكن وجهة نظر الشركة الانكليزية كانت مختلفة تماماً ولذلك ردت على اقتراحاته بما يلي:

أ ـ ان الشركة الانكليزية ليست بحاجة لمساعدة روبرت شيرلي.

ب ـ ليس لدى الشركة الرغبة في التعاون معه في المستقبل.

جـ ـ ان السفن الحربية الصغيرة التي يريدها الشاه عباس لا تستطيع الدفاع عن السفن الانكليزية في الخليج العربي، بل ربما استخدمها الشاه ضدها في المستقبل.

د ـ ان الشاه لن يتمكن من بيع الانكليز أكثر من كميات الحرير الموجودة في بلاده[1] وهي أقل بكثير من تقديرات روبرت شيرلي لها.

ولما كان ما سبق يوضح موقف الشركة الانكليزية من روبرت شيرلي فقد أبدت تذمرها في نيسان ١٦٢٦ عندما طلبت الحكومة الانكليزية منها نقله إلى فارس بواسطة سفن الشركة.

ولما كانت الشركة الانكليزية على خلاف مع روبرت شيرلي فقد فندت مرة أخرى في حزيران ١٦٢٦ ادعاء شيرلي بأنه سفير الشاه عباس إلى ملك انكلترا، مستندة في ذلك إلى أن الشاه عباس لم يبحث مطلقاً مع وكلاء الشركة الانكليزية في أصفهان سفارة روبرت شيرلي. ولذلك نصحت الشركة ملك انكلترا أن من الأفضل لمصالحها إبقاءه في أوربا. أما فيما يتعلق بمشاريع روبرت شيرلي المقترحة فإنها من وجهة نظر مسئولي الشركة الانكليزية تافهة ولا طائل من ورائها ولذلك لم ترحب بها لأن إرسال عشرين فرقاطة وقارباً حربياً إلى الشاه لإرهاب البرتغاليين والاستفادة منها في الدفاع عن هرمز والموانئ الفارسية الأخرى لا يحقق فائدة ملموسة للشركة الانكليزية. كما أن استخدام السفن الانكليزية في نقل التجارة الفارسية إلى انكلترا لن يحقق ربحاً لعدم وجود تجار مسلمين ـ آنذاك ـ يقبلون السفر على السفن الانكليزية في رحلات بحرية طويلة[2].

---

(١) Ibid. p.71.

(٢) Memorandum Concerning The East India Company And The Persian Trade. =

وعلى الرغم من موقف الشركة الانكليزية من روبرت شيرلي فقد عرض على المسؤولين الانكليز استعداده للاستمرار في خدمة المصالح الانكليزية في فارس وبذل كل جهوده للتأثير على الشاه عباس لما فيه مصلحة الشركة الانكليزية والتي كانت ترغب في استمرار الامتيازات الممنوحة لها وفي إرسال الحرير الفارسي إلى شيراز لما في ذلك من مصلحة مشتركة للشاه والشركة. كما حصل روبرت شيرلي على قائمة بلجان الشركة الانكليزية وعلى هدية فضية منها[1]. وكرر شيرلي الوعد بإمكانية إرسال الحرير الفارسي إلى ميناء جمبرون وبمساعدة الشركة الانكليزية في استرداد العائدات الجمركية المستحقة لها بأمر من الشاه عباس أو من خان شيراز، وبدفع حصتهم بانتظام في المستقبل، كما أبدى شيرلي رغبته في التوسط لدى الشاه عباس بمنح الانكليز قلعة هرمز لتكون مركزاً لإصلاح سفنهم في كل الحالات والمناسبات[2].

٤ ـ أعرب الشاه عباس عن رغبته منذ البداية في إرسال سفينتين حربيتين انكليزيتين ليتمكن بهما من الدفاع عن موانئ بلاده وعن السفن التجارية الانكليزية في الخليج ضد هجمات البرتغاليين[3] ولكن الشركة الانكليزية لم ترحب بذلك باعتباره لا يحقق فائدة لها ولا يخدم مصالحها على نحو أفضل مما هو موجود آنذاك.

٥ ـ رغبة الشاه عباس في تحويل التجارة الفارسية عن ممتلكات الدولة العثمانية إلى مكان آخر يحقق فائدة أكثر له بسبب الاضطرابات في الدولة العثمانية مما يعرّض التجار والبضائع الفارسية للخطر في الطريق البري الذي يسلكونه عبر بغداد إلى الموانئ السورية على البحر المتوسط. كما رغب الشاه عباس أيضاً في مقايضة ـ مبادلة ـ البضائع الفارسية بالبضائع الانكليزية بسبب

= April ? 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.185, pp. 212-213.

(١) Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629. p.325.

(٢) Court Minutes Of The East India Company. March 9. 1627. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.330.

(٣) Court Minutes Of The East India Company. May 30, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV 1625-1629) p.71. and June 14, 1626. p.212.

القيود التي تفرضها الحكومة الانكليزية على إخراج السبائك الذهبية[1]. ولكن الشركة الانكليزية وجدت أن الفائدة التي يمكن تحقيقها من تجارة الحرير الفارسي الذي سيباع لها لا تتجاوز ٥٠٪ بينما تحقق تجارة الحرير بواسطة طريق بغداد ـ حلب ربحاً قدره ٧٠٪ ـ ٨٠٪ ولذلك أعرب السفير الفارسي عن رغبة الشاه في قطع تجارة الحرير عبر الأراضي العثمانية، كما أعرب الشاه عباس عن رغبته في الحصول على حلفاء دائمين وأصدقاء مخلصين لإضعاف العدو العثماني المشترك بكافة الوسائل، ولذلك عرض إمكانية نقل بضائع التجار الفرس على السفن الانكليزية[2] على أن يدفعوا الرسوم الجمركية في الموانئ الانكليزية كتلك التي يدفعها التجار الانكليز.

وأخيراً ترك روبرت شيرلي للملك الانكليز أن يأخذ من هذه الاقتراحات ما يرغب فيه ويرضى به. ولكن جيمس الأول توفي قبل التوقيع على المعاهدة التي اقترحها الشاه عباس الأول وتولى الحكم في انكلترا شارل الأول الذي ماطل في توقيعها[3] متذرعاً بالخلاف الذي وقع بين روبرت شيرلي مندوب الشاه عباس والسفير الفارسي نجدي علي بك. وبتأثير من الشركة الانكليزية أوقف شارل الأول المفاوضات وأرسل دود موركتن إلى فارس للاطلاع على وجهة نظر الشاه عباس في النزاع الدبلوماسي بين السفيرين الفارسيين روبرت شيرلي ونجدي علي بك ولدراسة إمكانية التوسع في العلاقات التجارية بين فارس وانكلترا[4]. وفي طريق العودة انتحر نجدي علي بك بالقرب من سورات.

---

(١) Propositions made by Sir Robert Sherley. Op.Cit. p.244.

(٢) Ibid. p.244; Colonial Papers. Vol. IV Year 1627. p.325.

(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٩. وانظر أيضاً: William Bell, Thomas Barker, John Purefey, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. Jan 9. 1623 (Colonial Papers., Vol. III. 1622-1624) pp. 161-163.

(٤) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٨. وانظر أيضاً، محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٨.

وكان نجدي علي بك قد وصل إلى لندن في شباط ١٦٢٦ موفداً من الشاه عباس لمساعدة روبرت شيرلي في مهمته الدبلوماسية في انكلترا ومعه رسالة من الشاه عباس الأول إلى الملك جيمس الأول أعرب له فيها عن صداقته للانكليز ووعْد الشاه بمنح التجار الانكليز حرية البيع والشراء دون دفع شيء من الأموال[١] وعين ملك انكلترا في آذار ١٦٢٦ لجنة للتباحث مع السفير الفارسي والاطلاع على التعليمات الخاصة التي يحملها من الشاه والمتعلقة بالتجارة مع فارس.

لكن مسؤولي الشركة الانكليزية حرضوا نجدي علي بك على الطعن في صحة الرسائل التي يحملها روبرت شيرلي ووقفت الشركة الانكليزية إلى جانب نجدي علي بك في خلافه مع روبرت شيرلي[٢]. وكانت أوضاع روبرت شيرلي المالية أثناء إقامته في لندن سيئة ويعتمد في بعض نفقاته على الشركة الانكليزية.

وبعد أن قرر شارل الأول وقف المفاوضات بسبب الخلاف بين السفيرين وإرسال السير دود موركتن إلى فارس، غادر روبرت شيرلي ونجدي علي بك لندن ومعهما السير موركتن قاصدين فارس بواسطة سفن الشركة الانكليزية، وبعد انتحار نجدي علي بك في سورات وصلت البعثة الانكليزية إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» في ١٠ كانون الثاني ١٦٢٨ ثم تابعت رحلتها عبر لار إلى شيراز. وفي ١٠ نيسان ١٦٢٨ دخلت البعثة الانكليزية أصفهان، وفي ٢١ أيار ١٦٢٨ توجهت لمقابلة الشاه عباس في إقليم مازندران[٣] حيث قدم السير موركتن التهنئة له لانتصاره على العدو العثماني المشترك وشكر جهوده لتنشيط التجارة بين الدولتين وأكد على قيام رابطة صداقة قوية بين فارس وانكلترا. وفي المقابل وعد الشاه بتسليم الانكليز عشرة الاف بالة حرير في بندر

(١) Shah Abbas, King of Persia, To King James, March, 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.170.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠٩، وانظر أيضاً: Colonial Papers. Vol. IV. (May 10, 1626). p.197 and June 14, 1626) p.212.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٦ - ٥٨.

عباس في مقابل الأقمشة الصوفية الانكليزية.

أما نهاية روبرت شيرلي فكانت في فارس حيث نجح خصومه في بلاط الشاه من تشويه سمعته، فأصدر الشاه عباس الأول أمراً بإخراجه من فارس ولكنه ما لبث أن مرض وتوفي في قزوين في عام ١٦٢٨، ثم لحق به بعد شهر السير دود موركتن ودفن في قزوين أيضاً. ويبدو أن الشاه عباس قد تخلى عن روبرت شيرلي بعد أن استنفد منه أغراضه لإثارة حكام أوربا ضد الدولة العثمانية والتي لم تسفر عن نتيجة ملموسة. كما أن علاقة الشاه عباس الوثيقة بالشركة الانكليزية والتي عملت على إفشال سفارة روبرت شيرلي لدى البلاط الانكليزي كانت وراء قرار الشاه عباس في التخلي عنه والاستغناء عن خدماته[١].

وبعد وفاته بفترة قصيرة التمس الكابتن توماس شيرلي من ملك انكلترا إعادة الاعتبار لروبرت شيرلي للخدمات التي قدمها لبلاده، ومنها سعيه لمنح الانكليز تجارة الحرير الفارسي بواسطة الموانئ الفارسية ووقف التجارة الفارسية مع الدولة العثمانية وتكريس كل جهوده لخدمة المصالح الانكليزية على الرغم من افتراءات بعض التجار الانكليز عليه[٢].

---

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٢) Petition of Capt. Thomas Sherley To The King. Year 1628? (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.593.

العلاقات الانكليزية الفارسية

كان الشاه عباس الأول يرحب بالتعاون مع الانكليز رغبة منه في الحصول على مساعداتهم لطرد البرتغاليين من هرمز ومنطقة الخليج العربي، ولذلك منح شركة الهند الشرقية الانكليزية الامتيازات والتسهيلات التجارية في ميناء جاسك لتوريطها بالاشتراك معه في حرب ضد البرتغاليين في الخليج العربي. ولعل الشاه عباس كان يهدف أيضاً من تعاونه مع الانكليز الاستفادة منهم في محاربة الدولة العثمانية اقتصادياً بتحويل التجارة الفارسية من الأراضي العثمانية إلى الموانئ الفارسية على الخليج العربي، وكذلك رغبة الشاه في الحصول على أسعار أعلى لمنتجات بلاده ولا سيما الحرير منها.

ومهما كانت حقيقة دوافع الشاه عباس فقد حقق أهدافه من خلال الامتيازات التي منحها للانكليز ومنها فرمان آب ١٦١٧ الذي منح الشاه عباس الأول الشركة الانكليزية[١] بموجبه الامتيازات التالية:

- حماية التجارة الانكليزية وإعفاء نسبة كبيرة منها من الرسوم.
- حق الرعايا الانكليز في حمل السلاح في فارس وحرية ممارسة شعائرهم الدينية.
- خضوع الرعايا الانكليز لقانونهم عند حل مشكلاتهم.

ولذلك أخذت السلطات البرتغالية في هرمز وجاوه حذرها عندما وجدت

(١) Sir Thomas Roe To William Robbins At Ispahan Aug. 2, 1617, (Letters Received by the East India Company From Its Servants In The East. Vol. VI, 1617 Edited by William Foster. London 1902) p.76.

سفن الشركة الانكليزية قد أخذت تقترب من منطقة الخليج العربي[1]. وكانت السفينة الانكليزية «جيمس» قد وصلت مع بضائعها إلى جاسك في كانون الثاني ١٦١٦ وصدرت التعليمات إلى وكيل الشركة الانكليزية في فارس للاتفاق مع الشاه عباس لإرغام البرتغاليين في الخليج العربي على القبول بحرية التجارة[2].

وكانت الشركة الانكليزية قد أرسلت بعثة إلى أصفهان ضمت باركر ومونوكس اللذين تمكنا بصعوبة من الحصول على منحة أفضل من تلك التي حصل عليها كونوك في آب ١٦١٨. وقد استفسر الشاه عباس الأول منهما عن إمكانية القيام بحملة فارسية - انكليزية - مشتركة لطرد البرتغاليين من هرمز[3]. ولكن الشركة الانكليزية كانت قد رسمت أهدافها في فارس على نحو يكفل لها الحصول على الحرير الفارسي ثم نقله بحراً إلى انكلترا للاستفادة من فرق أسعار الحرير الفارسي في حلب وأسعاره في موانئ فارس. ولذلك رغبت الشركة الانكليزية في أن يقوم الشاه عباس الأول بالمحافظة على قلعة جاسك على نفقته الخاصة بينما تأخذ على مسؤوليتها تأمين سلامة سفنها من مضايقات البرتغاليين وخدعهم الحربية. ورأت أن أفضل وسيلة لضمان الهدوء للتجارة الانكليزية في فارس تقديم رسالة من ملك انكلترا إلى الشاه الفارسي[4] يعرض فيها مودته وصداقته ورغبته في التعاون بين الانكليز والفرس؛ وبذلك أشرفت الشركة الانكليزية على العلاقات الانكليزية - الفارسية من خلال وكالتها في أصفهان.

---

(١) Wright, Arnold. Early English Adventures in The East. (London 1917). p.246.

(٢) Sir Thos. Roe's Instructions To The Chief Factors, Thos. Barker, And Edw. Monox In Perisa. Ahmedabad, Feb. 4, 1618. (Colonial Papers. Vol.II. 1617-1621). p.116.

(٣) Selections From State Papers, Bombay, Op, Cit. p. IV.

(٤) Thos. Barker To Sir Thos. Roe. April? 1618. (Colonial Papers. Vol. II. 1617-1621) pp. 155-158, Minutes of Consultation held at Jark, Moghistan, Lar, Shiraz, and Ispahan between 13 Dec. 1618 and 24 Sep. 1619. (Colonial Papers. Vol.II) pp.306-308.

صمم الشاه عباس الأول على استعادة هرمز بعد الانتصارات العسكرية التي أحرزها على الدولة العثمانية في عام ١٦١٨. وبعد تأمين حدوده الشمالية الشرقية والشمالية الغربية طلب في عام ١٦٢٠ من تابعه خان شيراز أن يحصل الجزية[١] من ملك هرمز كما جرت العادة قبل الاحتلال البرتغالي لجزيرة هرمز. وأبلغ الشاه عباس الشركة الانكليزية سراً بقراره الاستيلاء على هرمز لطرد البرتغاليين منها وتسليمها للانكليز. وتم الاتفاق بين الشركة والشاه على تقديم المساعدة العسكرية للفرس لمحاصرة قشم بحراً وتدريب القوات الفارسية وتنظيمها في مقابل حصول الانكليز على الحرير[٢] والسماح لهم بالانتقال من جاسك إلى جمبرون وهي أقرب إلى أصفهان من جاسك مسافة ثمانية أيام.

وكتب الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٢ رسالة إلى الملك جيمس الأول أكد له فيها على علاقات المودة والصداقة، وعلى منحه الحرية للرعايا الانكليز في بلاده، ووضح له هجمات البرتغاليين على السفن الانكليزية في مضيق هرمز ووقوف فارس إلى جانب الانكليز ضد البرتغاليين بتقديم المساعدة العسكرية الفارسية لهم وحرمان البرتغاليين من التزود بالماء العذب من جزيرة قشم القريبة من جزيرة هرمز[٣]. كما طلب الشاه المساعدة من الشركة الانكليزية التي قدمت مساعدتها البحرية بعد تردد. وبناء على الاتفاق قامت قوات مشتركة فارسية ـ انكليزية بمحاصرة قلعة هرمز في ١٠ شباط. وفي ٢٣ نيسان ١٦٢٢ استسلمت الحامية البرتغالية في قلعة هرمز إلى الانكليز[٤]، مما أدى

---

(١) Hawley, Donald. Op.Cit. p.74.

(٢) Francks Pinder At Gombroon To The President At Surat. Feb. 7, 1622. (The English Factories In india. Vol. II. 1622-1623 by William Foster. Oxford 1908) p.37.

(٣) Abbas Mirza, Shah of Persia To King James I. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-34) pp.633-634; Thos. Barker, Edward. Monox, Wm. Bell. and Thos. Barker, Jun. To The East India Company. Ispahan. Oct. 16, 1619 (Colonial Papers. Vol.II. 1622-1623) pp. 303-304.

(٤) Danvers, F.C. Reports on Portuguese Records (London 1892) pp. 119-121.

إلى إزالة التفوق البرتغالي في الخليج العربي عن مكانته التي تمتع بها لأكثر من قرن ومهد الطريق أمام الانكليز والهولنديين لتأسيس نفوذهم كقوى تجارية منافسة للبرتغاليين.

كذلك استفاد الفرس من الهزيمة التي لحقت بالبرتغاليين في هرمز فاحتلوا صحار وخورفكان على ساحل عمان؛ ولكن القائد البرتغالي راي فرايري الذي تمكن من الهرب من أسر الانكليز تمكن من استردادها مرة أخرى بسبب حجب المساعدة البحرية الانكليزية عن الفرس الذين انتقم البرتغاليون منهم بتدمير موانئهم على طول الساحل من جاسك جنوباً وحتى جمبرون شمالاً ومهاجمة سفنهم وقطع الامدادات عن هرمز(١).

وبعد طرد البرتغاليين من هرمز أقام الانكليز وكالة لهم في جمبرون وأصبح لهم دور مؤثر وفعال في التجارة الفارسية وفي مياه الخليج العربي لبعض الوقت. ورغب الفرس في متابعة الهجوم على مسقط بعد الاستيلاء على هرمز للاستفادة من وضع البرتغاليين الحرج في الخليج؛ ولكن الانكليز رفضوا الاستجابة لطلب الفرس بالمساعدة العسكرية بعد تجربتهم أثناء الاستيلاء على هرمز(٢). وكان الفرس قد قاموا في كانون الأول ١٦٢٣ بإغراء الشركة الانكليزية بكميات كثيرة من الحرير الفارسي وبوعود كثيرة بتقديم تسهيلات تجارية لها في فارس، ولكن عندما استفسر الفرس من قائد الأسطول الانكليزي في الخليج عن استعداده للمشاركة في عمل عسكري ضد مسقط اكتفى بالإجابة بعدم وجود تعليمات لديه بهذا الشأن من ملك انكلترا(٣)،

---

(١) Selections From State Papers, Bombay, Op.Cit p.IV; Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954). p.150.

(٢) Bennett, Thomas Jewell. The Past And Present Connection Of England With the Persian Gulf. (Journal Of The Society of Arts. Vol. L. June 13, 1902. pp. 634-652) pp. 637-639; Boxer, C.R. Anglo-Portuguese Rivalry In The Persian Gulf. 1615-1635. (Chapters In Anglo Portuguese Relations. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971) pp.88-89.

(٣) Captain John Hall (At Swally) To The Company. Dec. 16, 1623. (The English Factories In India. Vol.II. 1622-1623 By William Foster. Oxford 1908) p.339.

فضاعت الفرصة لطرد البرتغاليين من مسقط الموقع البرتغالي الحصين بعد هرمز لعدم استطاعة الفرس الاستيلاء عليها بدون المساعدة الانكليزية البحرية.

وهكذا تبع سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ فتور في العلاقات الفارسية ـ الانكليزية ورفض الشاه عباس الاستجابة لرغبة الانكليز في بناء حصن لهم في هرمز. ولذلك كان الأمل باحتلال مسقط ضئيلاً في عام ١٦٢٨ بسبب فقرها من ناحية ولعدم ثقة الانكليز بالفرس من ناحية أخرى. وعلى الرغم من ذلك كان هناك مخطط انكليزي لاحتلال مسقط بالاشتراك مع الفرس وفق شروط مسبقة، منها السماح للانكليز وحدهم بامتلاك قلعة مسقط وترك المدينة للفرس ولكن مثل هذه المحاولات كانت تنطوي على مخاطر عسكرية بالغة فيما يتعلق بتدمير السفن البرتغالية في ميناء مسقط. ولما كانت الشركة الانكليزية لا ترغب في أن يأخذ الهولنديون زمام المبادرة[1] منها فقد كانت على استعداد للمساهمة في احتلال مسقط لا سيما بعد أن قاست كثيراً من تدخل الهولنديين والمنافسين التجاريين الآخرين لها في منطقة الخليج العربي.

ثم قام الانكليز بتنظيم مهم لتجارتهم مع فارس في عام ١٦٣١ مما أدى إلى زيادة اهتمامهم بالمشاريع الفارسية ضد البرتغاليين في الخليج العربي. وكانت السلطات الفارسية دائمة الإلحاح على الانكليز والهولنديين لتنفيذ مشروعها للاستيلاء على مسقط ولكنهم تهربوا من التورط في حرب جديدة ضد البرتغاليين بإجابات ووعود غامضة بالمساعدة العسكرية خوفاً من أن يكون كل طرف قد أبدى رغبته في تقديم المساعدة قبل الآخر ودون علمه. ولذلك تركت الشركة الانكليزية لوكلائها في فارس ولقادة أسطولها في الخليج العربي اتخاذ القرار المناسب وفق إمكانيات الأسطول الانكليزي. وكان الفرس على

(١) President Kerridge And Council At Surat To The Factors In Persia. Dec. 7. 1626, (The English Factories In India Vol. II 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908) pp. 163-164; President Kerridge, Richard Wylde, John Skibbow, Joseph Hopkinson, William Martin, and George. Poge At Surat To The Company. Jan. 4, 1628. (The English Factories. Vol. II.) pp. 191-214; Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.150.

استعداد للاتفاق مع الانكليز على شروط مناسبة للطرفين[1] فرحبوا بالانكليز وعملوا على كسب صداقتهم في النصف الأول من القرن السابع عشر. ولكن الشركة الانكليزية واجهت في منطقة الخليج العربي قوة هولندية بحرية وتجارية متفوقة استغلت ظروف الحرب الأهلية في انكلترا لتوجه ضربة قوية ضد النفوذ الانكليزي[2]. وخاضت الشركتان الانكليزية والهولندية صراعاً عنيفاً للسيطرة على التجارة الشرقية واحتكارها.

ولم تتوقف المحاولات الفارسية ضد مسقط حتى بعد طرد البرتغاليين منها في عام ١٦٥٠ على يد عرب عمان. ففي عام ١٦٥٧ طلبت السلطات الفارسية من الأسطول الانكليزي في الخليج العربي المساعدة بنقل الجنود الفرس لمهاجمة مسقط مقابل مبلغ نقدي يتفق عليه[3]. ويمكن القول إن طلبات الفرس المتكررة للمساعدة الانكليزية ضد البرتغاليين ثم ضد العرب في مسقط كانت من بين أهم أسباب الاحتكاك بين الجانبين، لا سيما بعد أن نكث الانكليز بتعهدهم تطهير ممرات الخليج العربي من السفن المعادية لفارس على أن تقوم بدفع نصف التكاليف المستحقة.

ومهما يكن من أمر فإن الشركة الانكليزية لجأت في منتصف القرن السابع عشر إلى التماس عطف الفرس فطلبت من وكلائها في فارس الإعراب للسلطات الفارسية عن سرورهم لعطف الشاه على المصالح الانكليزية في بلاده وابداء رغبتهم في الحصول على معاملة أفضل من أعدائهم الهولنديين الذين يسيئون إلى الشاه، وسوف يستمرون في سلوكهم المعادي لفارس إذا لم يخافوا من الانكليز[4].

(١) Selections from State Papers, Bombay, Op.Cit. p.IV; John Lewis, Thomas Codrington, And Thomas Best At Gombroon To The Company. May 22, 1649. (The English Factories In India. Vol VIII. 1646-1650. p.263. Consultation Held At Surat By President Hopkinson And Council And Captains Weddell And Slade. Dec.6, 1632 (The English Factories In India Vol. IV. 1630-1633. By William Foster Oxford 1910) p.247.

(٢) Selection From State Papers, Bombay. Op Cit. p IV (٨)

(٣) Persia And Basra, 1657 (The English Factories In India. Vol. X. 1655-1660. By William Foster. (Oxford 1921). p.128.

(٤) The President And Council At Surat To The Factors At Gombroon. March 22, 1651. (The English Factories In India Vol. IX, 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.54.

ولكن نظرة الفرس للانكليز تغيرت منذ عـام ١٦٥٤ بعد أن ضعف أسطولهم التجاري في الخليج العربي، ولذلك تدهورت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية في الربع الثالث من القرن السابع عشر، واقترحت الشركة الانكليزية في سورات في عام ١٦٥٩ اتباع سياسة عنيفة ومتشددة مع السلطات الفارسية بإقامة قاعدة عسكرية في مسقط، فبدأت المفاوضات مع إمام عمان ولكنها لم تسفر عن نتيجة. كما قرر مجلس إدارة الشركة الانكليزية في لندن محـاصرة ميناء جمبرون «بندر عباس» أو الساحل الفارسي.

ولكن الحصار المقترح كان يقضي بتوفير ما لا يقل عن ثماني سفن حربية بينما لم يكن في مياه الخليج العربي سوى سفينتين غير مجهزتين تماماً، ويتطلب أيضاً إقامة قواعد ثابتة مع تـوفير الامـدادات الكافيـة فيها. ولـما لم تتمكن الشركة الانكليزية من تنفيذ سياسة استخـدام القوة اتبعت سيـاسة تقليص وجـودها التجـاري في فارس إلى الحـد الأدنى، فأوصى مجلس إدارة الشركـة الانكليزية في لندن في عام ١٦٦٣ إبقاء عدد محدود من الموظفين من ذوي الأمانة والكفاءة لمتابعة تجارة الشركة ورعاية مصالحهـا وتحصيل نصيبهـا من العوائد الجمركية المستحقة لها في مقابل حصولهم على عمولة قدرها ٥٪. وفي وقت لاحق صدرت توصية أخرى تقضي بانسحاب الوكالة الانكليزية[١] من جمبرون «بندر عباس» وإرسال أحـد موظفي الشركـة في كل عـام لتحصيل نصيبها من الرسوم الجمركية في جمبرون. ولكن وكالة الشركة في سورات قررت في عام ١٦٦٤ ترك موظفين فقط في جمبرون «بندر عباس» ووقف المفاوضات مع الفرس في أصفهان.

ولم تستـطع الشركة الانكليـزية تسـوية خـلافها المـالي مـع السلطات الفارسية التي طلبت تأخير دفع الديون المستحقة للشركة الانكليزية في عام ١٦٦٣ لعدم وجود تجارة أجنبية في ميناء «بندر عباس» وأدركت الشركة أن عليها الاحتفاظ بأسطولها وقواتها في الخليج العربي إذا كانت مهتمة في وقف

(١) Messrs. Spiller And Young At Ispahan To The Company. Sep. 8, 1654. (The English Factories In India Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.288.

التفوق الهولندي[1]. وما لبثت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية أن تدهورت مرة أخرى حتى فكرت الشركة الانكليزية بإعلان الحرب على فارس بسبب الصعوبات التي زعمت الشركة أن السلطات الفارسية قد وضعتها في طريقها بدون مبرر من وقت لآخر. ولذلك اقترحت إرسال قوة انكليزية كافية لاستعادة حقوقها في الرسوم الجمركية في جمبرون بعد أن تحملت أذى ومماطلة السلطات الفارسية عدة سنوات[2].

وظنت الشركة الانكليزية أن اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية سيرغم الفرس على توقيع معاهدة جديدة معها تكون شروطها في مصلحتها وتمكنها من فرض نفوذها في منطقة الخليج العربي[3]. ولكنها أجلت تنفيذ خطتها السابقة باستخدام القوة، وقررت في عام ١٦٦٨ أن يقيم وكيلها في جمبرون «بندر عباس» وأرسلت بعثة إلى أصفهان لتتولى الاشراف على شئونها التجارية فيها، ولتقوم بتحصيل نصيبها من العوائد الجمركية كرها، وكان الاقتصاد الفارسي قد شهد بعض الانتعاش في عام ١٦٦٩ ثم عاودت وكالة الشركة الانكليزية في سورات البحث في إمكانية استخدام الاجراءات الانتقامية ضد الفرس ولكنها وجدت أن الحرب مع الفرس لن تكون مأمونة العواقب ولا بد لها من ضمان حياد الهولنديين والفرنسيين الذين أرسلوا سفنهم في عام ١٦٦٩ إلى جمبرون «بندر عباس» وأن أي نزاع مع الفرس سيكون في مصلحة الفرنسيين[4].

ولما فشلت بعثة الشركة الانكليزية إلى بلاط الشاه في عام ١٦٧١ خابت آمالها في حل الخلاف عن طريق المفاوضات، ورأت أن القوة هي الوسيلة

---

(١) Selections From State Papers, Bombay Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf. With A Summary Of Events 1600-1800. p.22, 24.

(٢) The Surat Presidency, 1668. (The English Factories In India 1668-1669 By Sir William Foster. Oxford 1927). p.30.

(٣) Ibid. p.30.

(٤) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories 1668-1669) p.200; Selections From State Papers. Op.Cit. p.IV.

الوحيدة لحسم خلافها مع السلطات الفارسية والتي ستلحق الهزيمة بها. ومن وجهة نظر الشركة الانكليزية يجب أن يعرف الشاه الفارسي مدى مساهمتها في تقدم بلاده[1].

ولذلك أعربت الشركة الانكليزية عن استيائها في عام ١٦٧٢ من موقف السلطات الفارسية منها لرفضها الموافقة على طلب خان شيراز باستعمال إحدى سفنها لنقل الجنود والمدافع، وطلبت منه تفريغ سفنها وشحنها بالبضائع[2] وفقاً لمعاهدة ١٦٢٢ بين الفرس والانكليز؛ وكذلك كتب الملك شارل الثاني إلى الشاه سليمان في آذار ١٦٧٢ مهنئاً بارتقائه عرش فارس ومذكراً بمساهمة الشركة الانكليزية في الاستيلاء على قشم وهرمز قبل نصف قرن في مقابل نصف العوائد والرسوم الجمركية في ميناء جمبرون «بندر عباس»[3].

وأخيراً نفذت الشركة الانكليزية قرارها باستخدام القوة العسكرية في عام ١٦٧٥ والذي يقضي بتسليح سفن الشركة التجارية في منطقة الخليج العربي. وأرسلت في عام ١٦٧٦ سفينتين مسلحتين محملتين بالأقمشة والقصدير لحماية التجارة وتحصيل حصة الشركة من الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس». كذلك أوضحت الشركة الانكليزية إلى الشاه سليمان أن نصيبها في الجمارك يعود إلى الخدمات والمساعدة العسكرية التي قدمتها للشاه عباس الأول لتمكينه من الاستيلاء على هرمز في عام ١٦٢٢. وطلبت من السلطات الفارسية دفع نصف نفقات السفن الانكليزية المسلحة التي أرسلتها لضمان الأمن في منطقة الخليج العربي[4].

---

(١) Selections From State Papers. Op.Cit. p.25.

(٢) Gerald Aungier, President and Council At Surat. To Thomas Rolt, etc. Agent and Council In Persia (Selections From State Papers. Op.Cit.) pp.26-27.

(٣) The King To Shah Sulaiman, King of Persia. March 6, 1672. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1671-1673. By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1932) p.113.

(٤) Extract From a Despatch, dated Aug. 10, 1663. From The Court of Directors To The President and Council at Surat. (Selections From State Papers. Op-.Cit.) pp. 22-23.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٩٨ - ٩٩.

وتمشياً مع هذه السياسة الجديدة أرسلت الشركة الانكليزية بضائعها إلى جمبرون «بندر عباس» في عام ١٦٧٦ مع أوامر مشددة لمنع التلاعب في البضائع الهندية لإعفائها من الرسوم الجمركية. وذلك بوضعها تحت إشراف الوكيل الانكليزي لبيعها بمعرفته.

كما اشتد طلبها على صوف كرمان الفارسي فأصدرت تعليماتها إلى وكلائها بتصدير أكبر كمية ممكنة منه[١]. وعندما رغبت الشركة الانكليزية في اتخاذ موقف متشدد أكثر بفرض حصار بحري على الساحل الفارسي عادت فاستدركت وعبّرت عن خوفها من أن يقوم البرتغاليون أو الهولنديون باستغلال أي حرب قد تنشب بين الفرس والانكليز للحصول على احتكار التجارة الفارسية في جمبرون «بندر عباس» فتراجعت عن إجراءاتها العسكرية وفضلت عليها اللجوء إلى المفاوضات لتسوية المسائل المختلف عليها مع السلطات الفارسية ولكن دون جدوى. وعندئذ قررت الشركة انتهاج سياسة أكثر حزماً فأرسلت احتجاجاً للشاه وقامت بمناورات بحرية أمام الساحل الفارسي وجهزت إحدى سفنها «شارل الثاني» وأمرت قبطانها «توماس جرانهام» بالتوجه إلى جمبرون «بندر عباس» وبذل جهوده لتحصيل الرسوم الجمركية المتأخرة وإرساء التجارة الانكليزية في فارس على أسس ثابتة[٢].

ولكن القبطان الانكليزي وجد في طريقه أسطولاً هولندياً كبيراً، كما وجد قوات فارسية كبيرة مستعدة للدفاع عن جمبرون «بندر عباس» فعاد أدراجه إلى بومباي. وهكذا أخفقت الشركة الانكليزية في تنفيذ قرارها باستخدام القوة المسلحة، واضطرت إلى العودة للمفاوضات مع السلطات الفارسية لا سيما بعد أن وجدت صعوبة في تسويق بضائعها من الأقمشة الصوفية والقصدير

---

(١) The Surat Presidency, 1676, p.273: The Surat Presidency, 1677, p.286. (The English Factories In India. Vol.I. New Series 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936).

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) Selections From State Papers, Bombay, Op.Cit. p.IV.

وغيرها في فارس في عام ١٦٨٤ على الرغم من بيعها بخسارة في أصفهان[١]. ولذلك أعربت عن استعدادها للتعاون مع الفرس والسماح لهم باستخدام السفن الانكليزية بإشراف الوكيل الانكليزي في جمبرون «بندر عباس» في مقابل الحصول على فرمان من الشاه باحتكار نقل البضائع الفارسية على سفنها؛ كما أبدت استعدادها لتوفير عدد من السفن الجيدة باستمرار وتزويد الموانئ الفارسية بامدادات كافية من مختلف أنواع البضائع[٢].

ومهما يكن من أمر فقد تحسنت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية في عام ١٦٨٦ عندما حصلت الشركة الانكليزية على تأكيد امتيازاتها السابقة في فارس على الرغم من مكائد الشركة الهولندية. ثم حققت الشركة الانكليزية نجاحاً آخر في بلاط الشاه حسين عندما نجحت في ١٨ حزيران ١٦٩٧ في الحصول على فرمان تعهد الشاه فيه بدفع حصتها من الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس» بانتظام على أن يدفع جزءاً من الديون المتأخرة والمستحقة نقداً والباقي حريراً[٣] على الرغم من معارضة وكلاء الشركة الهولندية الذين عرضوا على المسؤولين الفرس مبلغاً من المال لمنع تأكيد الامتيازات الانكليزية. واتخذت الشركة الانكليزية خطوة أخرى في عام ١٦٩٧ لتوطيد مركزها في فارس عندما قررت أن تكون أصفهان مقراً رئيسياً لنشاطها التجاري والسياسي في فارس ومنطقة الخليج العربي وأن تكون وكالتها في جمبرون «بندر عباس» تابعة لها. وبذلك أرست تجارتها الفارسية على أسس ثابتة أكثر من أي وقت مضى[٤]. كما اتخذت اجراءات نشيطة للحصول على عطف الشاه والمسؤولين الفرس لمنع الهولنديين من الكيد لها في البلاط الفارسي.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠١. وانظر أيضاً: Surat 1684. (The English Factories In India. New Series. Vol.IV. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1955). p.357

(٢) Selections From State Papers, Bombay. Op.Cit. p.35.

(٣) Danvers, F C. Report on the India Office p.29; Amin, Abdul Amir. Op,Cit. p.11.

(٤) Selections From State Papers, Bombay. Op. Cit. P.V; Hall, Lesley A. Factory Records. Persia and Persian Gulf. (1620-1822) pp.3-4; Danvers F.C. Op.Cit. pp. 28-29.

وشهدت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية بداية جديدة في نهاية القرن السابع عشر عندما قام الشاه حسين في ٢٤ تموز ١٦٩٩ بزيارة شخصية إلى مقر الوكالة الانكليزية في أصفهان. وعلى الرغم من إنفاق الشركة الانكليزية مبلغ ١٢٠٠ جنيه استرليني ثمناً للهدايا التي قدمتها للشاه فقد اعتبرت الزيارة شرفاً كبيراً لها لا سيما بعد أن فشلت جهود منافستها الشركة الهولندية في حمل الشاه حسين على القيام بزيارة مماثلة للوكالة الهولندية. وفي مقابل الامتيازات التي حصلت عليها الشركة الانكليزية في فارس فقد قرر مجلس إدارتها في عام ١٧٠٠ إرسال هدية ثمينة للشاه حسين اعترافاً بفضله[١] على المصالح الانكليزية. وفي مطلع القرن الثامن عشر أخذت السفن التجارية الانكليزية تجوب مياه الخليج العربي وتتجول بين موانئه على نطاق واسع.

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp. 12-13; Selections From State Papers Bombay. Op.Cit. p.IV; Danvers. F.C. op.Cit. p.29.

العلاقات الانكليزية ـ العثمانية

حصل أنطوني جنكنسون على فرمان من السلطان سليمان القانوني في عام ١٥٥٣ أثناء وجوده في حلب منح فيه الرعايا الانكليز حرية التجارة في الدولة العثمانية على قدم المساواة مع فرنسا والبندقية على أن يدفعوا الرسوم المعتادة. ولكن لم يحدث تطور مهم في العلاقات التجارية الانكليزية ـ العثمانية حتى عام ١٥٧٨ عندما قام وليم هاربورن خفية برحلة إلى الآستانة فوصلها في تشرين الثاني ١٥٧٨ وحصل من السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) على رسالة إلى الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) في ١٥ آذار ١٥٧٩ ورد فيها «أن الدولة العثمانية ستقدم كل المساعدة والعون للانكليز وستبقى موانئها وأراضيها مفتوحة دائماً للتجارة الانكليزية»[١].

وبادرت الملكة اليزابت إلى الرد على رسالة السلطان مراد الثالث وطلبت منه منح تسهيلات تجارية للرعايا الانكليز وأعربت عن استعدادها منح امتيازات مماثلة في بلادها للتجار العثمانيين. ولذلك أصدر السلطان مراد الثالث فرماناً في عام ١٥٨٠ منح فيه الانكليز امتيازات شاملة في بلاده، وبذلك تم تنظيم العلاقات التجارية بين العثمانيين والانكليز وفق معاهدة ١٥٨٠ وحصل الانكليز بموجبها على امتيازات تجارية في الدولة العثمانية[٢]. مماثلة للامتيازات التي حصل الفرنسيون عليها في عام ١٥٣٥. وتأسست في

---

(١) زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني. (القاهرة، ١٩٦٦) ص ١٢ ـ ١٤.

(٢) Saleh, Zaki. Mesopotamia (Iraq) 1600-1914 (Baghdad 1957) p.25.

لندن شركة «الليفانت» في عام ١٥٨١ لتصدير الحرير الفارسي عن طريق البصرة ـ بغداد ومنها إلى حلب ثم إلى موانئ البحر المتوسط.

ورغبة من السلطان العثماني في إقامة حلف مع انكلترا ضد النمسا واسبانيا فقد جدد الامتيازات الانكليزية وتم تأكيدها مرة أخرى في عام ١٥٨٣ وأصبحت بذلك الأساس للامتيازات الانكليزية في القرون التالية. واستقر هاربورن سفيراً لانكلترا في الآستانة على الرغم من معارضة السفراء الآخرين وكيدهم له. وتمتع هاربورن بالسلطة على جميع التجار الانكليز في الدولة العثمانية وبتعيين القناصل وتنظيم شؤون التجارة الانكليزية[1]. كما كان هربورن أول مندوب لشركة الليفانت حيث تقاضى منها رواتبه وظلت شركة الليفانت ترشح السفراء الانكليز إلى الآستانة وتدفع رواتبهم حتى مطلع القرن التاسع عشر.

وقد ازدهرت تجارة الليفانت في الربع الأخير من القرن السادس عشر وكانت حلب سوقاً رائجة للتجارة الشرقية التي تأتي إليها من الهند وفارس عبر الخليج العربي أو عبر العراق وتشتمل على التوابل والعطور والسجاد والأقمشة الهندية والفارسية وكان للحرير الفارسي شهرة واسعة في الأسواق الأوربية حيث اعتمدت عليه صناعة الأقمشة الحريرية الانكليزية في القرن السابع عشر؛ وكانت حلب مركزاً مهماً لتصديره لا سيما بعد أن قلت كميات البضائع الشرقية التي كانت تحملها السفن البرتغالية بعد اندماج البرتغال في اسبانيا في عام ١٥٨٠ وعودة الانتعاش الاقتصادي إلى الطريق البري عبر البصرة والفرات وحلب[2].

وبعد أن حققت انكلترا انتصارها على اسبانيا في عام ١٥٨٨ توسعت في السنوات التالية بالتجارة مع الموانئ العثمانية على البحر المتوسط وكانت

---

(١) Wood, Alfred C. A History Of The Levant Company (London 1964) p.15; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp.2-3.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة (القاهرة، ؟) ص ٢٠٧.

الرحلات التجارية الانكليزية التي تتم بدون تصريح من الدول البحرية الأخرى في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر مغامرة خطيرة للغاية[1]، ولذلك اضطرت شركة الليفانت إلى دفع أتاوات باهظة ولحقت بها بعض الخسائر. ولما كانت الحرب بين اسبانيا وانكلترا شبه مستمرة في الربع الأخير من القرن السادس عشر فقد اضطرت شركة الليفانت في عام ١٥٨٧ إلى تعليق أعمالها مؤقتاً بسبب خطورة الرحلات التجارية في البحر المتوسط. كما شجب أسقف لندن التجارة الانكليزية في البحر المتوسط لأنها تعرض الرعايا الانكليز للأسر والاسترقاق على يد قراصنة الشمال الافريقي ودعا إلى وقفها[2].

ثم حصلت انكلترا من الدولة العثمانية في عام ١٦٠٤ على تأكيد حق سفنها بالتجارة في الموانئ العثمانية تحت أعلامها الانكليزية بينما كانت السفن الأجنبية الأخرى ـ باستثناء سفن البندقية ـ مضطرة لرفع العلم الفرنسي[3]. وقام السفير الانكليزي هاربورن خلال السنوات الأولى لتجارة الليفانت (١٥٨٣ ـ ١٦٠٥) بدور فعال في نشاطها حيث منحته الملكة اليزابت صلاحيات واسعة، فعين قنصلاً لانكلترا في القاهرة والاسكندرية والجهات المجاورة لها في عام ١٥٨٣، ولكن شركة الليفانت تخلت عن السوق المصرية في منتصف القرن السابع عشر وتركت التجار الانكليز يمارسون أعمالهم التجارية على مسؤوليتهم الخاصة. كما عين قنصلاً آخر في طرابلس الشام وأشرف منها على التجارة الانكليزية في جهات حلب ودمشق وعمان والقدس وغيرها من المدن والموانئ الأخرى في الولايات السورية[4].

وكان القناصل الانكليز في الدولة العثمانية يمثلون مصالح الشركة

---

(١) Rawlinson, H.G. Early Trade Between England and the Levant. (Journal Of Indian History. Vol.II. 1922-1923. pp. 107-116).p.109, 112.

(٢) Wood,. Alfred C.Op.Cit. pp.16-17.

(٣) Saleh, Zaki. Op.Cit. p.25.

(٤) Wood, Alfred C. Op.Cit. p.15.

التجارية ويرأسون الجاليات الانكليزية ويديرون شئونها ويتبعون بدورهم لشركة الليفانت التي تعينهم في مناصبهم وتعزلهم منها وتدفع لهم رواتبهم.

ولكن التجارة الانكليزية في حلب تضررت في الربع الأول من القرن السابع عشر نتيجة لاستمرار الصراع العثماني ـ الصفوي في عهد الشاه عباس الأول الذي كان حريصاً على تحويل التجارة الفارسية لا سيما تجارة الحرير عبر أراضي الدولة العثمانية وموانئها، فبحث عن طرق تجارية أخرى عبر الأراضي الروسية والخليج العربي بواسطة شركة الهند الشرقية الانكليزية. ولكن شركة الليفانت قاومت تحويل الطريق التجاري التقليدي ونجحت لبعض الوقت في إحباطه لأن الأراضي العثمانية كانت خارج نطاق احتكار شركة الهند الشرقية، ولأن شركة الليفانت كانت تحتكر التجارة الشرقية عبر الأراضي العثمانية وتقوم بإحضارها من الموانئ العثمانية إلى انكلترا[١]، مما زاد في كراهية الرعايا الانكليز لها حتى عام ١٦٠٠ م لا سيما بعد أن قامت بإضافة مبلغ من المال على البضائع التي يأتي بها التجار الآخرون من الانكليز والأجانب على السواء[٢].

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر حصلت انكلترا على امتيازات جديدة من الدولة العثمانية تمكن الانكليز بواسطتها من توطيد نفوذهم في الدولة العثمانية. فقد اشتملت معاهدة كانون الثاني ١٦٦١ على ٦٧ مادة نذكر منها:

- يتم البحث في كل التهم مهما كان نوعها والموجهة ضد أي من الرعايا الانكليز في الدولة العثمانية بحضور السفير أو القنصل الانكليزي.
- جميع الامتيازات الخاصة التي منحتها الدولة العثمانية إلى الفرنسيين وغيرهم

---

(١) Wilbur, Marguerite Eyer. The East India Company And The British Empire In The Far East. (New York 1965). p.201.
وانظر أيضاً: أحمد عزت عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٩.

(٢) Epstein, M. The Early History Of The Levant Company. (London 1908?) p.42.

يجب أن تمنح للانكليز أيضاً بالإضافة إلى الامتيازات التي سبق منحها لهم.
وبذلك عاملت الدولة العثمانية انكلترا معاملة الدولة الأكثر رعاية.

- لا يجوز أن يخضع أي قنصل انكليزي مقيم في الدولة العثمانية للسجن مهما كانت الأسباب والظروف.
- لا تخضع البضائع العائدة للانكليز في الدولة العثمانية لرسوم أو ضرائب أكثر من ٣٪[١].

ثم أكدت انكلترا معاهدة ١٦٦١ مرة أخرى وحصلت على امتيازات جديدة عندما عقدت معاهدة مع الدولة العثمانية في أيلول ١٦٧٥ تضمنت ما يلي[٢]:

- تحديد قيمة الرسوم الجمركية على البضائع الانكليزية بـ٣٪ من قيمة الصادرات والواردات.
- للسفن الانكليزية الحق في إحضار بضائعها إلى الموانئ العثمانية وللانكليز الحق في البيع والشراء وفق القوانين والأنظمة العثمانية.
- إذا دفع الانكليز الرسوم الجمركية أو غيرها مرة واحدة في أحد الموانئ أو المراكز العثمانية فلا تُحصَّل منهم مرة أخرى.
- إذا أفرغت السفن الانكليزية حمولتها من البضائع في أحد الموانئ العثمانية ودفعت الرسوم المقررة ثم لم تستطع تسويقها فلها الحق في إعادة شحنها إلى أي ميناء عثماني آخر لتسويقها دون أن تدفع عنها رسوماً جديدة.

---

(١) Precis Containing Information Regard To The First Conncection Of The Hon'ble East India Company With Turkish Arabia. (Calcutta, 1874). p.187.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار: المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ - ١٩١٤ (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٢٥ - ٢٦.

العلاقات الانكليزية ـ العربية

بدأت علاقات شركة الهند الشرقية مع العرب في عمان مع بداية حكم اليعاربة (١٦٢٤ـ ١٧٤٩). وقد تم الاتصال الأول بين الجانبين في عام ١٦٤٥ بناء على طلب الإمام ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) واستجابت الشركة الانكليزية لطلب الإمام وأرسلت أحد مستخدميها في سورات فيليب وايلد إلى صحار للتفاوض بهدف عقد معاهدة تعاون مع دولة اليعاربة. وتوصل الجانبان، إلى اتفاق في شباط ١٦٤٦ تضمن منح الانكليز امتيازات شملت حرية الاستيراد والتصدير والاعفاء الجمركي وتوفير الأمن والحماية والحرية في ممارسة الشعائر الدينية.

ولكن الانكليز لم يتحمسوا لتنفيذ الاتفاق لانكماش حجم التجارة الانكليزية في نقطة الخليج العربي في منتصف القرن السابع عشر بمقارنتها بالتجارة الهولندية[1]، والتي تأثرت بدورها بالركود الاقتصادي الذي أصاب الأسواق الفارسية في منتصف القرن السابع عشر عندما كسدت البضائع الأجنبية في أسواق فارس مما دفع بالهولنديين إلى البحث عن أسواق أخرى، وحاولوا إقامة علاقات تجارية مع مسقط واتخاذها مركزاً لرعاية شئونهم التجارية في منطقة الخليج العربي[2]. ومهما يكن من أمر فقد توثقت

---

(١) انظر الفصل الرابع: (الهولنديون).

(٢) The Factors At Ispahan To The President And Council At Surat. Sept. 27, 1653. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915). p.202.

العلاقات بين الشركة الانكليزية ودولة اليعاربة. ويبدو أن الانكليز قدموا مساعدتهم سراً لليعاربة ضد البرتغاليين فرحب اليعاربة بسفن الشركة الانكليزية في ميناء مسقط.

وفي عهد الإمام سلطان بن سيف أدرك الانكليز أهمية موقع مسقط الاستراتيجي في الخليج العربي، ولذلك وضعت وكالة الشركة الانكليزية في سورات خطة في عام ١٦٥٩ لتأمين استيلائها على ميناء مسقط وإقامة قاعدة آمنة لسفنها فيه لتمكينها من زيادة أرباحها التجارية في الساحل الغربي للهند من ناحية ولتقوية مركزها في الخليج العربي من ناحية أخرى بعد أن أحرزت منافستها الشركة الهولندية نصيباً أفضل منها في مجال التجارة والنفوذ في منطقة الخليج العربي. كما رغبت الشركة الانكليزية أيضاً في ممارسة الضغط على الحكومة الفارسية من مركز قوة لتحصل على نصيبها كاملاً في جمارك جمبرون «بندر عباس»[1]. ولذلك أجرى «الكولونيل رينسفورد» ـ أحد ضباط الشركة الانكليزية ـ في عام ١٦٥٩ مفاوضات مع دولة اليعاربة في مسقط أراد منها حصول الانكليز على إحدى القلاع في مسقط والاحتفاظ بحامية من مئة جندي فيها وأن يكون للانكليز من المفاوضات إقامة قاعدة بحرية وتجارية قوية لإرهاب السلطات الفارسية، وممارسة الضغط عليها لإعادة النظر في جمارك جمبرون «بندر عباس» وتسوية الخلاف الجمركي الانكليزي الفارسي، والوقوف بحزم في وجه تفوق القوة والتجارة الهولندية في منطقة الخليج العربي.

ولكن إمام اليعاربة لم يتحمس للمشروع الانكليزي ربما لتحريض الشركة الهولندية التي كان نفوذها قوياً واحتكرت التجارة في الخليج العربي ـ آنذاك ـ وربما أيضاً لحرص اليعاربة على عدم السماح بقيام أي نشاط أوربي عسكري على أراضيهم بحكم التجربة المرة والطويلة التي خاضوها ضد

(١) Lockhart, Laurence. The Menace Of Muscat And Its Consequences In The Late Seventeenth And Early Eighteenth Centuries. (The Asiatic Review, October, 1946. London. Vol. XLIII. No. 152. pp 363-369) p.363.

الاحتلال البرتغالي للساحل العماني ولذلك فشلت محاولة الانكليز في إقامة وكالة تجارية لهم في مسقط[1]. وعلى الرغم من رفض اليعاربة عقد معاهدة مع الانكليز تقيد حريتهم وتفرط في سيادتهم على أراضيهم فقد حرصوا على عدم الدخول في صراع مع الانكليز حيث ظلت السفن الانكليزية تقوم بزيارات دورية لميناء مسقط بهدف التبادل التجاري مما أدى إلى استمرار التعاون العسكري بين الانكليز واليعاربة ضد البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي، ولكن دون دخول الانكليز في صراع مباشر مع البرتغاليين. وقد وجه البرتغاليون في عام ١٦٩٧ اتهامات للانكليز بتقديم الأسلحة والذخائر وإرسالها من بمباي لدولة اليعاربة، وأن بعض السفن العربية كانت بقيادة ضباط من الانكليز.

وحرص اليعاربة على عدم التعرض للسفن الانكليزية والهولندية في الخليج العربي لا سيما أثناء صراعهم مع الفرس حتى لا تقوم إحدى الشركتين الانكليزية أو الهولندية بتقديم مساعدتها لأعدائهم[2]. ولكن حرص اليعاربة على انتهاج هذه السياسة لم يمنع حدوث اشتباكات في بعض الأحيان بين السفن العربية والانكليزية، وقيام الأسطول العربي بالاستيلاء على بعض السفن الانكليزية وارغام بحارتها على الاشتراك معه في بعض العمليات البحرية ضد البرتغاليين وكذلك استيلاء الانكليز على بعض السفن العربية ورد اليعاربة على ذلك بالاستيلاء على سفينة انكليزية أخرى.

ولذلك نظر الانكليز بحذر إلى تعاظم القوة البحرية لليعاربة لا سيما بعد قيامها بالإغارة على ميناء كونغ البرتغالي وتهديد ميناء بندر عباس الفارسي، كما قام الأسطول العربي في عام ١٧٠٤ بإعاقة التجارة الانكليزية في

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢، وانظر أيضاً: صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠ (بغداد، ١٩٧٩)، ص ٦٠.

(٢) عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقية (بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٦٩ - ١٧٣.

الخليج العربي مما أثر على حصة الشركة الانكليزية في عائدات جمارك جمبرون «بندر عباس» ولكن الضعف الشديد الذي أصاب دولة اليعاربة بعد عام ١٧١٩ وما رافقه من حرب أهلية واضطراب واحتلال فارسي للساحل العماني قد أدى إلى توقف العلاقات بين الانكليز واليعاربة إلى أن تمكن أحمد بن سعيد من تأسيس عهد جديد بقيام دولة البو سعيد في عمان في عام ١٧٤٩.

الصراع الانكليزي ـ البرتغالي

كانت مياه الخليج العربي والمحيط الهندي مسرحاً للصراع بين القوى الأوربية الرئيسية (البرتغاليون والانكليز والهولنديون والفرنسيون) المتنافسة على التجارة الشرقية في القرن السابع عشر[١]، وكان البرتغاليون قد بدأوا في أخذ الحيطة والحذر من الانكليز الذين بدأوا في إقامة علاقات تجارية مع فارس هددت الاحتكار البرتغالي للتجارة في منطقة الخليج العربي بعد أن ظل احتكارهم التجاري لأكثر من قرن.

وكان الانكليز قد أحكموا سيطرتهم على سورات، وفشل البرتغاليون في اعتراض السفن الانكليزية في طريقها إلى جاسك على الساحل الفارسي مما برهن على عجزهم في الوقوف بحزم في وجه المنافسة الانكليزية في المياه الشرقية[٢] لا سيما بعد أن انتصرت السفن الانكلبزية على السفن البرتغالية في عام ١٦١٣ وفي عام ١٦١٥ بالقرب من الساحل الغربي للهند.

وفي مطلع عام ١٦١٧ وصلت السفينة الانكليزية «جيمس» إلى ميناء جاسك على الساحل الفارسي بعد أن فشلت المحاولة التي قام بها البرتغاليون لاعتراضها. وقد أثبت أول اتصال تجاري للشركة الانكليزية مع فارس عن إمكانيات تجارية جيدة.

---

(١) Mukherjee, Ramkrishna. The Rise And Fall of The East India Company. (Berlin 1958). p. 91.

وانظر، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٧.

(٢) Wright, Arnold. Early English Adventures In The East. (London 1917) p.246.

وهكذا بدأت الشركة الانكليزية في محاولاتها الأولى لكسر الاحتكار البرتغالي والوصول مباشرة إلى الأسواق الفارسية التي اكتشفها ريتشارد ستيل لتسويق الأقمشة الصوفية الانكليزية الكاسدة في الهند. [1] وكان حاكم جاسك الفارسي قد أخبر الانكليز باستعدادات البرتغاليين العسكرية في هرمز لمهاجمة السفن الانكليزية. فقرر الانكليز الاحتفاظ بالبضائع التي أفرغوها في قلعة جاسك خوفاً عليها من البرتغاليين تمهيداً لبيعها في الأسواق الفارسية[2] وتوجيه ضربة قوية للمصالح البرتغالية في الخليج العربي والبقاء سنة أخرى في ميناء جاسك ليتمكنوا بعدها من الوصول إلى ميناء جمبرون - أفضل ميناء على الساحل الفارسي آنذاك - والذي لا يبعد عن هرمز كثيراً.

وفي حزيران ١٦١٧ وصل أسطول انكليزي من سورات إلى جاسك بعد أن قطع المسافة في غضون ٣٦ يوماً في الوقت الذي أخذ فيه البرتغاليون يتحركون بنشاط ضد التجارة الانكليزية في المحيط الهندي أكثر من أي وقت مضى[3]، وعندما قرر البرتغاليون منع الأسطول الانكليزي من دخول ميناء جاسك تلقى أسطولهم هزيمة مريرة في ٢٨ كانون الأول ١٦٢٠، ولحقت بهم خسائر جسيمة بلغت ١٦٠ من القتلى و٢٠٠ من الجرحى. ولكن الأسطول الانكليزي خسر قائده أندرو شيلنج الذي توفي متأثراً بجراحه في ٦ كانون الثاني ١٦٢١ بالإضافة إلى ثمانية من القتلى[4] وتحالف الانكليز مع الفرس في عام ١٦٢٢ للاستيلاء على جزيرة هرمز ولطرد البرتغاليين منها.

---

(١) Savory, Roger. Iran Under The Safavids (Gt. Brit. 1980) p.113.
وانظر أيضاً: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) Sir Thomas Roe To Thomas Kerridge, And Thomas Rastell At Surat. Jan. 5, 1617 (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) p.326.

(٣) Edward Connock, George Pley, Edward Pettus, And William Tracy To The East India Company. Ispahan June 2, 8, 1617 (Letters Received Vol. V 1617) pp. 278-280, 302; Consultation Of Connock And Council Dec. 17, 1616, Edward Connock To Capt. Alex. Childe. Dec. 26, 1616. (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) pp. 484-485.

(٤) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p.185.
وانظر أيضاً: لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤١.

وفي عام ١٦٢٥ جرى قتال بين الأسطولين الانكليزي والهولندي من جهة والأسطول البرتغالي من جهة أخرى ولحقت الهزيمة بالبرتغاليين وأرغموا على الانسحاب من المعركة مما ألحق الضرر بسمعتهم العسكرية في منطقة الخليج العربي، ولكنهم ثأروا لأنفسهم في العام التالي وألحقوا بالأسطول الانكليزي خسائر جسيمة بعد أن تهرب الهولنديون من الاشتراك في القتال إلى جانب الانكليز[1] الذين كان عليهم تأمين حماية سفنهم التجارية في الخليج العربي من خطر الأسطول البرتغالي الذي اتخذ من مسقط قاعدة رئيسية له بعد طرده من جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢. ولذلك كان على الانكليز العمل بكل قوتهم ضد البرتغاليين في الوقت الذي لم تكن فيه سفنهم تجرؤ على الاقتراب من الساحل العربي للخليج[2] خوفاً من وقوعها في شرك الأسطول البرتغالي المتحفز دائماً لمواجهتها والإغارة عليها.

ومهما يكن من أمر فقد تحسنت العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية بعد عقد الصلح بين الانكليز والبرتغاليين في عام ١٦٣٥. وقد تمت المحافظة على السلام بين الدولتين في البحار الشرقية ثم استخدمت بعض السفن الانكليزية ميناء كونغ البرتغالي في الخليج العربي في عام ١٦٤٠ في طريقها إلى البصرة لإصلاحها أو للحصول على بعض الملاحين[3] مما يدل على استمرار تحسن العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية. وقد ظلت السفن والمنتجات البرتغالية تصل إلى موانئ الخليج العربي حتى عام ١٧٢١، وكذلك ظلت الوكالة البرتغالية في كونغ تستقبل السفن التجارية القادمة من الهند.

---

(١) Captain John Weddell To East India Company, Cape Comorin. April 27, 1625, and Henry Hawley, President, Rich. Bix, and Geo. Muschampe To Harris. (At Jambi). Batavia. June 10, 1626. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.61, 202.

(٢) Thos. Barker, John Purifey, Robt. Loftus, and Geo, Smith To The East India Company. (Colonial Papers. Vol.III). pp.211-212.

(٣) Sykes, P.M. A History Of Persia. Vol. II (London 1915) p. 280, Agent Merry And Other Factors At Ispahan To The Company. June 5, 1640. (The English Factories In India Vol. VI. 1637-1641. By William Foster. Oxford 1912) pp. 243-244.

الصراع الانكليزي ـ الهولندي

بدأ الانكليز تجارتهم المباشرة مع الشرق الأقصى بالاتفاق مع الهولنديين الذين سمحوا لهم بالوصول إلى جنوب الصين، ثم عقدت شركة الهند الشرقية الانكليزية وشركة الهند الشرقية الهولندية معاهدة في عام ١٦١٩ تضمنت إرغام السفن التجارية الصينية على قصر معاملاتها التجارية على الشركتين الانكليزية والهولندية وتشكيل قوة عسكرية مشتركة لاحتكار التجارة مع الصين. ولكن الهولنديين لم يتقيدوا بالمعاهدة وسعوا لاحتكار التجارة الشرقية لوحدهم، فقرر الانكليز التفاهم مع البرتغاليين وحصلوا على موافقتهم بالاتصال مع الصين[1].

أما في منطقة الخليج العربي فقد تميز ظهور الهولنديين فيها بتقديم المساعدة العسكرية للانكليز والفرس ضد البرتغاليين. وكانت بداية وصول السفن الهولندية إلى مياه الخليج العربي في عام ١٦٢٣ عندما وصلت إلى هرمز سفينتان هولنديتان محملتان بالبضائع الشرقية والأوربية وحملت أيضاً كمية كبيرة من الأموال النقدية لشراء الحرير الفارسي. وقد أصاب الهولنديون منذ البداية حظاً وافراً من تجارة الحرير الغنية[2].

وبعد استيلاء القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة على هرمز في عام ١٦٢٢ استقر ممثلو الشركة الانكليزية في جمبرون «بندر عباس» لتحويل الشاه

---

(١) بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) Postscript. Jan. 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624) p.165.

عباس الأول تجارة هرمز إليها. وكان الشاه عباس قد سمح لوكلاء الشركة الانكليزية بالإقامة في بيتين في جمبرون. ولكن الانكليز سرعان ما اكتشفوا بعد النجاح الذي حققوه ضد البرتغاليين أن عليهم أن يتغلبوا على الهولنديين كمنافس تجاري جديد لهم في منطقة الخليج العربي[1]. ولشدة المنافسة بين الشركتين الهولندية والانكليزية فقد طلبت الأخيرة من ملك انكلترا تقديم المساعدة العسكرية لها للمحافظة على ممتلكاتها وثرواتها في الشرق والتي قدرتها بـ ٢٤ سفينة وبضائع قدرت قيمتها بـ ٨٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ولتمكينها من الوقوف في وجه منافسة الشركة الهولندية الشديدة التي خططت للاستيلاء على سفنها وبضائعها في جزر الهند الشرقية[2].

وعلى الرغم من ذلك حرصت الشركة الانكليزية في البداية على إقامة علاقات حسنة مع الشركة الهولندية. فعندما ترك حوالي خمسة عشر بحاراً هولندياً سفنهم في عام ١٦٢٨ والتجأوا إلى السفن الانكليزية وجدت الشركة أن مصلحتها تقضي بإعادتهم إلى الأسطول الهولندي حتى لا يتمكنوا من الالتحاق بالبرتغاليين[3] - عدوهم المشترك - من ناحية وحتى لا تزيد في تدهور العلاقات مع الهولنديين من ناحية أخرى. ولكن المنافسة الهولندية ضد الانكليز ازدادت شدتها في عام ١٦٣٠ عندما رفض الهولنديون دفع الرسوم الجمركية عن بضائعهم في جمبرون - وكان الشاه عباس قد منح الشركة الانكليزية في عام ١٦٢٥ نصف العائدات الجمركية في جمبرون بدلاً من نفس الحقوق التي كانت لها في هرمز - وفي المقابل تمسك الانكليز بما يرونه حقاً لهم ورفضوا التخلي عنه.

ورد الهولنديون على ذلك باتباع سياسة تجارية منافسة ألحقت الضرر بالمصالح التجارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي. فقد تعامل الهولنديون

(١) Hawley, Donald. Op.Cit. p.75; Saleh, Zaki. Op. Cit. p.39.

(٢) Petition Of The East India Company To The King. July 10, 1624. (Colonial Papers. Vol. III) p.302.

(٣) President Kerridge, Richard Wylde, John Skibbow And Others At Surat To The Company. Jan. 4, 1628. (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629, By William Foster. Oxford 1909) p.191,

مع الشاه الفارسي مباشرة وعرضوا عليه أسعاراً أعلى للحرير الفارسي من الأسعار التي تقدم بها الانكليز، وقد رحب الشاه بالمنافسة الانكليزية ـ الهولندية وحقق أرباحاً جيدة من بيع حرير بلاده للشركة الهولندية[١] (١٦٤٣ ـ ١٦٤٤) ولم يكتف الهولنديون بذلك بل سعوا لاحتكار التجارة الشرقية لأنفسهم فألقوا القبض على عدد من السفن الانكليزية وأزعجوا الانكليز في مختلف المراكز التجارية في الشرق مما أضعف التجارة الانكليزية في فارس واضطرها إلى ترك فارس والتوجه إلى ميناء البصرة العثماني، ولكن الهولنديين سرعان ما لحقوا بالانكليز ونجحوا في تجريدهم من تجارتهم فيها في غضون عامين[٢]. واضطرت الشركة الانكليزية مرة أخرى لاصدار تعليماتها إلى وكيلها في البصرة للانتقال إلى مكان أكثر أمناً.

ولما كان الخليج العربي قد وقع في قبضة الشركة الهولندية فقد اقترحت الشركة الانكليزية على وكلائها في فارس إرسال الحرير الفارسي الذي يشترونه إلى أوربا عن طريق أصفهان ومنها إلى حلب لأن السيطرة الهولندية كانت طاغية ولا يمكن للانكليز منافستها إلا باستخدام الأساليب الهولندية المتمثلة في حشد الأساطيل التجارية والحربية وشحنات البضائع الكبيرة[٣] في موانئ الخليج العربي، وهذا ما لا يقوى الانكليز عليه في منتصف القرن السابع عشر لا سيما بعد أن نجح الهولنديون في إبرام العقود التجارية مع الشاه لشراء الحرير الفارسي في عام ١٦٥١. وكان الانكليز يرغبون في المساواة مع الهولنديين ليس في مجالات الفوائد والمنافع الاقتصادية فحسب بل للمحافظة على سمعتهم وكرامتهم في منطقة الخليج العربي، ولأن استمرار المنافسة الهولندية الشديدة سيؤثر على حصتهم في العائدات الجمركية، ولأن السلطات

(١) Cosultations held While Captain Weddell's fleet Was At Gombroon. Jan.1 — Feb. 10, 1625. (The English Factories In India. Vol. III.) p. 42; President Breton, Thomas Merry And Richard Fitch At Swally Marine To The Company. Nov. 28, 1644. (The English Factories In India Vol. VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913) p.199, Selections From State Papers, Bombay,. Op. Cit. p.7

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٨.

(٣) Danvers, F.C. Op.Cit. p.24; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.8.

الفارسية لا تدفع شيئاً من نصيب الشركة الانكليزية إلا بدافع من الخوف في بعض الأحيان[1]. ومهما يكن من أمر فقد ظل الهولنديون في وضع قوي يمكنهم من شراء الكميات التي يريدونها من الحرير الفارسي لاتباعهم أسلوب المضاربة التجارية واستعدادهم لدفع أسعار أعلى بمعدل عشرة تومانات للحمل الواحد من الحرير ـ رغم عدم جودته ـ زيادة عن السعر الدارج.

وقد لحقت بالشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي خسائر جسيمة نتيجة للحروب الانكليزية ـ الهولندية في أوربا والمياه الشرقية والتي نشبت في عام ١٦٥٢. وقد استمرت الحرب الأولى من ١٦٥٢ إلى ١٦٥٤ وتمكن الأسطول الهولندي من الاستيلاء على عدة سفن انكليزية في الخليج العربي حيث فقدت الشركة الانكليزية خلال الحروب الانكليزية ـ الهولندية أكثر من ست سفن أخذت أو أغرقت أثناء رحلاتها من فارس إلى سورات[2]. وعلى الرغم من بعض الانتصارات التي حققها الأسطول الانكليزي في البحار الشرقية فقد استمر التفوق الهولندي في مجال القوة والتجارة في منطقة الخليج العربي، مما مكّن الهولنديين من التحكم والسيطرة على الأسواق الفارسية. وتوقفت التجارة الانكليزية عملياً، فقد نقص عدد الوكلاء الانكليز في فارس إلى الحد الأدنى لتأمين الاستمرار في إرسال الحرير الفارسي الخام إلى انكلترا.

ولكن بعد أن تم عقد الصلح بعد الحرب الأولى في عام ١٦٥٤ خف العداء مؤقتاً بين الجانبين ولفترة قصيرة. فقد اندلعت الحرب الثانية (١٦٥٥ ـ ١٦٥٧) والتي أعقبها صلح استمر نافذاً حتى عام ١٦٧٢ وتمكنت الشركتان الانكليزية والهولندية من الاتفاق في عام ١٦٦٨ على حرية التجارة مع جزر

---

(١) John Lewis And Robert Wychoeley At Ispahan To The Company. Dec. 25, 1651. (The English Factories In India. Vol. XI.1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) pp. 78-79.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٨.

(٢) Messrs. Spiller And Young At Ispahan To The Company Sept. 8, 1654. (The English Factories In India Vol. XI 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915). p.288; Cotton, Sir Evan. East Indiamen. Edited by Sir Charles Fawcett. London ?) pp.150-151.

الهند الشرقية غير المحتلة من قبلهما والامتناع عن تقديم أي مساعدة عسكرية لطرف ثالث يكون في حالة حرب مع أي منهما[1]، كما حاولت الشركة الانكليزية مواصلة علاقاتها التجارية مع فارس، فقدمت في عام ١٦٦٨ أيضاً هدايا إلى الشاه تضمنت أقمشة صوفية فائقة الجودة أمل الانكليز منها منافسة البضائع الهولندية المماثلة لها.

وهكذا أدت الحروب الانكليزية ـ الهولندية إلى إضعاف التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي لمدة ثلاثين عاماً[2] وحتى عام ١٦٨٢. ثم تحسن مركز الشركة الانكليزية في الخليج العربي في العقد الأخير من القرن السابع عشر بسبب الأحداث التي جرت في أوربا وما نتج عنها من تحالف هولندي ـ انكليزي ضد فرنسا ولكن على حساب المصالح الهولندية في المياه الشرقية. وبينما فقد الهولنديون سيطرتهم على منطقة الخليج العربي رغم استمرارهم في مواصلة دورهم التجاري فيه تمكن الانكليز من توطيد مركزهم التجاري بالتعاون مع السلطات الفارسية.

---

(١) Hamilton, C.J. The Trade Relations Between England And India. 1600-1896 (Delhi 1975) p.30; Proposals For The Amendment Of The Treaty Marine. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1668-1670. By Ethel Bruce Sainsbury Oxford 1929) pp. 136-137. Danvers. F.C. Op.Cit. pp.23-24.

(٢) Ferrier, R. The Armenians And The East India Company In Persia In The Seventeeth And Early Eighteenth Centuries. (The Economic History Review pp. 38-70. Second Series. Vol. XXVI. No. 1. February 1973) p.48.

الفصل الثالث

شركة الهند الشرقية الانكليزية

مقدمة

كان لقرار الهولنديين في عام ١٥٩٩ رفع سعر الفلفل من ثلاثة شلنات للرطل الواحد (١٢ أونصة) إلى ثمانية شلنات والذي أثار الذعر في الأوساط التجارية الانكليزية، ونَشْرِ رحلة رالف فيتش في عام ١٥٩٨ تأثير مباشر[١] في قيام تجار لندن بتأسيس شركة الهند الشرقية في ٢٢ أيلول ١٥٩٩ باسم «اتحاد التجار المغامرين للتجارة مع الشرق» برأسمال قدره ٣٠,٠٠٠ جنيه استرليني. وتألفت لجنة إدارة الشركة من أربعة وعشرين عضواً. وفي ٣١ كانون الأول ١٦٠٠ م أصدرت الملكة اليزابث الأولى (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) مرسوماً بمنح الشركة حرية التجارة والاحتكار في الهند والمناطق المجاورة لها لمدة خمسة عشر عاماً تخضع بعدها لتقدير التاج الانكليزي. وكانت منطقة الخليج العربي واقعة في دائرة احتكارها، كما حظر المرسوم منح الامتيازات للآخرين في الشرق إلا بموافقة الشركة الانكليزية مع إعفاء إيراداتها من الجمارك عن رحلاتها الأربع الأولى إلى الشرق والتصريح لها بإخراج مبلغ ثلاثين ألف جنيه نقداً أو بضائع من انكلترا في كل عام[٢] لتغطية نفقات مشترياتها من السلع الشرقية.

(١) Fraser, Lovat. Some Problems Of The Persian Gulf. (Preceeding of The Central Asian Society. January 8, 1908. pp. 1-23) p.5; Hawley, Donald. The Trucial States (London 1970) pp. 73-74.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وامارات الساحل العماني (بغداد ١٩٧٨) ص ٤٧ ـ ٤٨.

وكان هدف الشركة الانكليزية الأساسي الحصول على جزء من ثروات الشرق وتوفير التوابل والحرير والمنسوجات الشرقية للأسواق الانكليزية من البضائع الشرقية مباشرة[1]. وخلال العقد الأول من تأسيسها أرسلت إلى جزر الهند الشرقية عن طريق رأس الرجاء الصالح مجموعة من السفن التجارية في كل عام ونجحت في إقامة محطة تجارية لها في سورات على ساحل الهند الغربي في عام ١٦٠٨.

وقد بدأت الرحلة البحرية الأولى للشركة الانكليزية بأربع سفن تجارية إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح في ٢٤ كانون الثاني ١٦٠١. وتمكنت من بيع الأقمشة الصوفية الانكليزية لحكام المغول في الهند ووصلت سومطرة وعادت إلى انكلترا بعد عامين ونصف في نيسان ١٦٠٣ ومعها كمية كبيرة من التوابل بلغت ١,٠٣٠,٠٠٠ رطل من الفلفل وحققت الشركة الانكليزية ربحاً صافياً بلغ ٩٥٪. وكان هدف الشركة الانكليزية من تجارتها الشرقية الحصول على أعلى الأسعار للتوابل التي تبيعها[2].

ولكن الأقمشة الصوفية لم تجد رواجاً في الهند لارتفاع الحرارة فيها وفقر سكانها وارتفاع ثمن الأقمشة الصوفية الانكليزية بمقارنتها مع الأقمشة الأخرى. ولما كانت الشركة الانكليزية حريصة على الاحتفاظ بالتجارة الشرقية فقد عملت على استمالة الرأي العام الانكليزي بمختلف الوسائل الممكنة، فعملت منذ البداية على زيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية على الرغم من صعوبة تسويقها على نطاق واسع في الأقطار الشرقية، وكانت صناعة الأقمشة الصوفية الانكليزية تحتل مكانة رفيعة في الصناعة الانكليزية منذ القرن الخامس عشر حيث ارتبطت بها قطاعات واسعة من المجتمع الانكليزي شملت المشتغلين بتربية الماشية والعاملين في صناعة الغزل والنسيج

---

(١) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي. (مجلة الخليج العربي، العدد ٨ سنة ١٩٧٧) ص ١٧ - ١٨.

(٢) Roelofs Z, Meilink. The Earliest Relations Between Persia And Netherlands. (Persica No.VI. 1972-1974. pp. 1-50) p.44.

والصباغة[١]. ولذلك اهتمت الشركة الانكليزية بالبحث عن أسواق أخرى غير الهند لصادراتها من الأقمشة الصوفية. وفي هذه الأثناء وصل ريتشارد ستيل إلى سورات قادماً من حلب عبر الأراضي الفارسية في عام ١٦١٤.

أدرك ريتشارد ستيل وهو تاجر انكليزي من بريستول[٢] حاجة الأسواق الفارسية للأصواف الانكليزية بسبب برودة مناخها لا سيما في مناطقها الشمالية ولوجود نسبة لا بأس بها من السكان بحاجة إليها وتقدر على شرائها[٣]. وكانت الشركة الروسية والشركة التركية «الليفانت» والتي سبقت الشركة الانكليزية إلى تلك الأسواق قد مهدت الطريق لتجارة الأصواف الانكليزية ووفرت زبائن كثيرين لها. وكذلك لاحظ ستيل رخص أسعار الحرير في فارس بنسبة ٥٠٪ بمقارنتها بأسعاره في حلب كما يمكن للانكليز مقايضة الحرير الفارسي بالصوف الانكليزي.

وعرض ستيل على «والدورث» مسؤول الوكالة الانكليزية في سورات ما استطاع جمعه من معلومات تجارية خلال رحلته عبر الأراضي الفارسية[٤] كما عرض عليه فكرة بيع كميات الأقمشة الصوفية التي عجزت الشركة الانكليزية عن تسويقها في الهند إلى فارس. وربما تأثر والدورث أيضاً بما نقله إليه «كيردج» أحد موظفي الشركة الانكليزية عن رغبة روبرت شيرلي في دعوة الهولنديين إلى فارس إذا لم يقبل الانكليز بالتجارة معها.

ورحبت وكالة الشركة الانكليزية في سورات بالفكرة وأرسلت ريتشارد ستيل ومعه جون كروثر أحد موظفي الشركة الانكليزية في الهند لدراسة وضع

---

(١) عبد الأمير محمد أمين: مرجع سبق ذكر، ص ١٨ - ١٩.
(٢) Ahmedabad. Dec. 20, 1614. (Colonial Papers East Indies. Vol. I. 1513-1616). p.334.
(٣) Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safvi Dynasty And The Afghan Occupation Of Persia. (Cambridge 1958). p.360.
(٤) Surat. Aug. 19, 1614. (Colonial Papers, East Indies. Vol. I) pp. 316-317; Sykes, P.M. A History Of Persia. Vol. II (London 1915) pp.273-274.

الأسواق الفارسية ومعرفة مدى احتياجها للبضائع الانكليزية والتأكد من أهمية التجارة معها ومعرفة الموانئ المناسبة لشحن البضائع وتفريغها وأعطتهما مبلغ مئة وخمسين جنيهاً استرلينياً[١] وقام ستيل وكروثر بالسفر في ٢٧ كانون الأول ١٦١٤ إلى أصفهان براً عن طريق أجمير لتحقيق هدفين:

أ - جمع المزيد من المعلومات عن التجارة الفارسية.

ب الحصول على فرمان من الشاه عباس الأول بتأمين دخول السفن والبضائع الانكليزية إلى الموانئ الفارسية التي تصل إليها والمطالبة بترتيبات خاصة في ميناء جاسك[٢].

وقامت البعثة الانكليزية بدراسة الساحل الفارسي على الخليج العربي وقدمت تقريراً عن ميناء جاسك ووصفته بأنه أفضل مكان للتجارة الانكليزية في فارس لوقوعه خارج مضيق هرمز الذي يسيطر عليه البرتغاليون ولسهولة رسو السفن فيه بمساعدة مرشدي الميناء[٣] ولوقوعه إلى الشرق من هرمز ولقربه منها حيث يبعد عنها حوالي ٩٠ ميلاً انكليزياً.

واجتمع ستيل وكروثر في أصفهان بالسير روبرت شيرلي في مطلع عام ١٦١٥ وكان عائداً لتوه من رحلة له في أوربا من أجل مساعدتهم وتسهيل مهمتهم في الحصول على فرمان من الشاه يسمح للانكليز بالإقامة والتجارة في كل أنحاء فارس التي يمكنهم الوصول إليها[٤].

ونجح ستيل وكروثر في مقابلة الشاه عباس الذي أحسن استقبالهما، وفي

---

(١) Danvers, F.C. Report On The India Office Records Relating To Persia And The Persian Gulf. (London ?) p.16.

(٢) John Crouther To The Governor And Committees of The East India Company. Ahmedabad. Dec. 26, 1614. (Colonial Papers. Vol. I) pp.359-360.

وانظر لوريمر، ج.ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - الدوحة ١٩٧٦. ج ١ ص ٢٧.

(٣) Thomas Mitford To The East India Company, March 25, 1615 (Letters Received By The East India Company. Vol.III. 1615. Edited by William Foster. London 1899) p.84, 177; Sykes, P.M. Op.Cit. p.274.

(٤) Ahmedabad. Jan 2, 1615, (Colonial Papers. Vol. I) pp. 364-365.

استصدار فرمان منه في شباط ١٦١٦ يأمر فيه حكام الموانئ والمدن الساحلية الفارسية بتقديم المعونة لكل سفينة انكليزية تصل إليها. وتعهد الشاه عباس بحسن معاملة رعاياه للانكليز مما يدل على حرص الشاه عباس على كسب صداقة الانكليز في صراعه ضد البرتغاليين في الخليج العربي. ثم غادرت سورات في ١ كانون الأول ١٦١٦ بعثة انكليزية أخرى برئاسة إدوارد كونوك على ظهر سفينة الشركة الانكليزية جيمس يحدوها الأمل بإيجاد سوق للأقمشة الصوفية الانكليزية(١). وعلى الرغم من محاولة البرتغاليين اعتراضها فقد نجحت السفينة في توزيع حمولتها في جاسك، ثم توجه كونوك بعد ذلك براً إلى شيراز ومنها إلى أصفهان حاملاً معه رسالة من ملك انكلترا جيمس الأول يطلب فيها صداقة الشاه للانكليز وحرية التجارة في بلاده وهدايا مناسبة للشاه عباس. وتمت المقابلة مع الشاه على الحدود الفارسية العثمانية وكانت ودية(٢) وحصل كونوك من الشاه عباس على فرمان آخر منح فيه الشركة الانكليزية ما يلي:

أ ـ حرية التجارة في أنحاء فارس، وإقامة وكالات تجارية انكليزية في أصفهان وشيراز وتقديم ميناء جاسك أو سواه من الموانئ التي يطلبها الانكليز.

ب ـ إرسال سفير انكليزي للإقامة في أصفهان. ويتمتع بسلطة تعيين الوكلاء والمقيمين بالطريقة التي يراها مناسبة ويطبق قوانين بلاده على الرعايا الانكليز لحل المنازعات التي يكونون طرفاً فيها.

جـ ـ وعد الشاه عباس الشركة الانكليزية بتزويدها بكمية تتراوح بين ألف

---

(١) Bennet, Thomas Jewell. The Past And Present Connection of England With The Persian Gulf. (Journal Of The Society Of Arts. Vol. L. June 13, 1902. pp. 634-652) pp. 637-639; Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967). pp. 4-5; The Prospects Of British Trade In Mesopotamia And The Persian Gulf. Confidential Papers (Delhi 1917) p.1.

(٢) Edw. Connock, Wm. Tracy, And Wm. Robins To The East India Company. (Colonial Papers. Vol. II) p. 45.

وثلاثة آلاف بالة من الحرير الفارسي الخام سنوياً لتصديرها من جاسك بدون دفع رسوم جمركية عليها، وبأسعار معتدلة، على أن يدفع ثلث ثمنها نقداً، ومقايضة الباقي بالبضائع الانكليزية والشرقية[١]. وبذلك حصل كونوك على ضمان من الشاه للامتيازات السابقة.

واتخذت الشركة الانكليزية احتياطات أمنية في جاسك. ففي عام ١٦١٩ أصدرت تعليماتها بشحن البضائع الانكليزية من جاسك لتكون في مأمن من الهجمات البرتغالية. كذلك طلبت من سفنها التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها[٢] عدم البقاء مدة طويلة في ميناء جاسك خوفاً من استيلاء البرتغاليين عليها.

وكان توماس رو- سفير انكلترا لدى بلاط المغول- قد اعترض في البداية على تجارة الشركة الانكليزية مع فارس لاعتقاده بأهمية التفاهم مع اسبانيا لتأمين سلامة التجارة الانكليزية في البحار الشرقية ولوجود مفاوضات بين اسبانيا وفارس على أساس تعهد اسبانيا بشراء جميع الصادرات الفارسية وتزويد فارس بما تحتاج إليه من البضائع الشرقية مع تخصيص ميناء لاسبانيا على الساحل الفارسي. وإذا نجحت المفاوضات فإن ذلك سوف يضعف كثيراً دور التجارة الانكليزية مع فارس كما أن ميناء جاسك بعيد عن المراكز التجارية الرئيسية في فارس وفي وسع القوات البرتغالية الإغارة على السفن الانكليزية مما سيحمل الشركة أعباء مالية لحماية سفنها من الخطر البرتغالي. ولذلك حاول توماس رو بدون جدوى إقناع وكالة الشركة في سورات بوجهة نظره[٣]. بينما كانت وكالة الشركة الانكليزية في سورات تعتقد بأهمية التحالف مع الشاه عباس الأول لطرد البرتغاليين وأن التجارة مع فارس ليست من اختصاص توماس رو وأنها تريد الاستفادة من غياب روبرت شيرلي عن

---

(١) Ibid. p. 46.

(٢) Instructions To Captain Bickley For A Voyage To Persia. Nov. 3?, 1619. (The English Factories In India. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) p.133.

(٣) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، (القاهرة، ١٩٧٤) ص ٢٨ - ٢٩.

فارس «باعتباره عدواً كثير الشغب أو صديقاً باهظ النفقات». كذلك رأت وكالة سورات أن استمرار الحرب الفارسية العثمانية وما نتج عنها من عرقلة للمواصلات مع أوربا سيؤدي إلى توفر كميات الحرير الفارسي وإلى ندرة الأقمشة الصوفية وغيرها في الأسواق الفارسية. وكان توماس رو قد بعث إلى الشاه عباس الأول رسالة بواسطة الصائغ الانكليزي «وليم روبنسن» شكر فيها الشاه على الفرمان الذي سبق ومنحه لوكلاء الشركة الانكليزية كما تضمنت مطالب الانكليز في فارس وهي[1]:

أ ـ منح الانكليز ميناء على الساحل الفارسي يكون لهم أو لكل الدول دون تمييز ليتمكنوا من تفريغ بضائعهم وفق الامتيازات التي ستمنح لهم.

ب ـ تثبيت أسعار تجارة الصادرات والواردات التي يمكن تبادلها بين الانكليز والفرس.

جـ ـ إقامة سوق رئيسي على الساحل الفارسي أو بالقرب منه لنقل الحرير الفارسي إليه لاعتبارات تجارية.

وقد اقترح توماس رو على الحكومة الانكليزية قبل مغادرة السفينة الانكليزية «جيمس» سورات في ١ كانون الأول ١٦١٦ إلى ميناء جاسك توجيه إنذار إلى اسبانيا بأن انكلترا تعتبر أي محاولة من جانب اسبانيا لمنع الدول الأخرى من التجارة في الخليج العربي عملاً معادياً وسترد عليه بالقوة وسيكون مبرراً لإعلان الحرب ضدها.

ومنذ بداية الاتصال التجاري مع فارس اندفعت الشركة الانكليزية بحماس بالغ في تصدير الأقمشة الصوفية إلى منطقة الخليج العربي على الرغم من أن حاجة الأسواق الفارسية من الأقمشة الانكليزية لم تتجاوز ٤٠٠ ـ ٥٠٠ ثوب سنوياً، وتراجع الشاه عباس في عام ١٦١٨ عن وضع سعر محدد للحرير الفارسي بعد أن كان قد وعد كونوك في آب ١٦١٧ أن في وسع

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٢ ـ ٣٤.

الانكليز الحصول على الحرير الفارسي على ظهر السفن في جاسك خالياً من الرسوم الجمركية وغيرها بسعر ٦ شلنات و٦ بنسات للرطل الانكليزي (الرطل = ١٦ أونصة) في مقابل حصوله على كميات كافية من القصدير والأقمشة الصوفية والسكر والتوابل وغيرها من السلع التجارية غير المتوفرة في فارس(١).

ومهما يكن من أمر فقد قرر الشاه عباس شراء كميات البضائع التي تحضرها الشركة الانكليزية مهما بلغت وتسليم الحرير لها بالسعر الجاري في فارس ورفض توقيع أي عقد مع وكلائها(٢). كما اعترض البرتغاليون في البداية محاولات الشركة الانكليزية للتجارة مع فارس عبر الخليج العربي. فقد أدى ظهور الانكليز في الخليج العربي إلى حرب بين سفن الشركة الانكليزية والبرتغالية ومنذ أن أصبحت جاسك مركزاً للنشاط التجاري الانكليزي في فارس أضحت السفن الانكليزية هدفاً للقوة البحرية البرتغالية في الخليج العربي على الرغم من حالة السلام بين انكلترا والبرتغال في أوربا(٣). ففي عام ١٦٢٠ قامت سفينتان تجاريتان للشركة برحلة تجارية من سورات إلى جاسك ولما وجدتا الأسطول البرتغالي يغلق ميناء جاسك عادتا إلى سورات مرة أخرى حيث انضمت إليهما سفينتان أخريان وتوجهت جميعها إلى جاسك، وعندئذ اضطر الأسطول البرتغالي إلى الانسحاب من مدخل الميناء والعودة إلى هرمز استعداداً للمعركة الحاسمة مع الأسطول الانكليزي.

وبعد تأسيس الشركة الانكليزية وكالتها في جاسك أقامت وكالة لها في جمبرون «بندر عباس» في عام ١٦٢٢ وأخرى في أصفهان وثالثة في شيراز. ثم توطدت علاقة الشركة الانكليزية بالخليج العربي في عام ١٦٢٢ عندما تمكنت القوات الفارسية ـ الانكليزية ـ المشتركة من طرد البرتغاليين من هرمز حيث

(١) Edw. Connock, Wm. Tracy, And Wm. Robins To The East India Company. (Colonial Papers. Vol II) pp. 45-46.
(٢) Colonial Papers. Vol.II. Year 1618. p.158, 174.
(٣) Stiffe. A.W. The Island Of Hormuz (The Geographical Magazine. April 1894. Vol. I) p.15; Boxer, C.R. (Editor) Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada. (Gt. Brit. 1930). pp. XXIII-XXVI.

حققت الشركـة الانكليزيـة مكاسب مهمـة من طردهم يمكن إجمـالهـا فيـما يلي[1]:

أ ـ لم يكن في وسع الأسطول الانكليزي قبل الاستيلاء على هرمز التصدي بنجاح للأسطول البرتغالي في الخليج العربي.

ب ـ كانت المصالح الانكليزية في منطقة الخليج العربي عرضة للإغارة عليها من قبل السلطات البرتغالية في هـرمز حيث لم يكن في وسـع الشركة الانكليزية منافسة المركز البرتغالي المتفوق فيها.

جـ ـ حصلت الشركة الانكليزية بعد سقوط هرمز على امتيازات وتسهيلات تجارية إضافية من الشاه عباس الأول.

د ـ وجود بعض السفن الانكليزية الحربية التابعـة للشركة في ميـاه الخليج بصفة منتظمة للرد بسرعة على أي إجراء انتقـامي من البرتغـال. فقد أخذت الشركة الانكليزية على مسؤوليتها الاحتفاظ بسفينتين حربيتين في الخليج العربي بشكل دائم للدفاع عنه[2].

و ـ وبسقوط هرمز وهزيمة الأسطول البرتغالي في عام ١٦٢٥ أمام أسـطول انكليـزي ـ هولنـدي مشترك بـدأت نهاية التفـوق البرتغـالي في الخليج العربي.

كما قررت وكالة الشركة الانكليزية في سورات في عام ١٦٢٨ إرسال أسطول من خمس سفن إلى الخليج العربي للعمل ضد البرتغاليين، والسعي لإنعاش التجارة الانكليزية في فارس ومنطقة الخليج العربي، واتخذت إجراءات احتياطية لضمان إرسال السبائك الذهبية إلى الشرق بتوزيعها في حقائب على

(١) Ferrier, R.W. The Armenians And The East India Company In Persia In The Seventeenth And Early Eighteenth Centuries. (The Economic History Review. Second Series. Vol. XXVI No1. February 1973. pp. 38-70) pp. 38-40, 41, 48; Danvers, F.C. Op.Cit. pp. 17-18.
وانظر كذلك: بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، (القاهرة، ١٩٧٦؟) ج ١ ص ٤١٣ ـ ٤١٧.

(٢) Historical Section Of The Foreign Office, Persian Gulf. (London 1920) pp. 65-67.

معظم السفن الانكليزية زيادة في الحرص من خطر الاعتداء عليها أو الغرق[1]. كذلك حرصت الشركة الانكليزية في عام ١٦٣٠ على استمرار مركزها التجاري في فارس فالتمست من الملك شارل الأول أن يبعث برسالة إلى الشاه صفي يذكّره فيها بالعلاقات الانكليزية - الفارسية في عهد الشاه عباس، ويعرب فيها عن رغبته في استمرار الصداقة بين الانكليز والفرس لما فيه مصلحة الدولتين ويعترف بالحماية والعدل اللذين شمل بهما التجارة الانكليزية في بلاده[2]. ويطلب منه التصديق على الامتيازات التي سبق منحها للشركة الانكليزية في عهد الشاه عباس وأن يرسل الحرير والبضائع الفارسية الأخرى إلى الساحل للتخفيف من عناء السفر على التجار الانكليز[3].

ورد الشاه صفي على رسالة شارل الأول مؤكداً له استمرار العلاقات الودية وبأن موانئ فارس ستبقى مفتوحة دائماً أمام التجارة الانكليزية.

---

(١) Danvers, F.C. Op.Cit. p.20; Court Minutes Of The East India Company, March 7-12, 1627. (Colonial Papers. Vol.IV) p.330.

(٢) King Charles I. To Shah Suffie. Aug. 15, 1630. (Colonial Papers. Vol.V.) p.38.

(٣) King Charles I. To Shah Sefi I. Westminster. 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 63-64.

النشاط التجاري للشركة الانكليزية

عملت شركة الهند الشرقية الانكليزية منذ بداية تأسيسها في عام ١٦٠٠ على السيطرة على التجارة الشرقية، فقد حصلت على براءة ملكية تمنحها حق احتكار التجارة في المنطقة الواقعة إلى الشرق من رأس الرجاء الصالح وحق شراء الأراضي فيها. ولذلك عملت الشركة الانكليزية منذ البداية على مزاحمة شركة الهند الشرقية الهولندية في الساحل الغربي من الهند بعد أن أحكم الهولنديون قبضتهم على جزر الهند الشرقية، وتمكنت من تأسيس وكالة تجارية لها في سورات في عام ١٦١٢ ولكنها لم تتمكن من بيع الكميات الكبيرة من الأقمشة الصوفية التي أحضرتها من انكلترا[١] حيث لم تتجاوز الكمية التي باعتها ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ثوب سنوياً؛ وحتى عام ١٦١٤ لم تجد الأقمشة الصوفية الانكليزية سوقاً رائجة في الهند حيث قام الحكام والأغنياء بشرائها في البداية لصنع الأغطية للفيلة أو لشراء الأسرجة للخيول ولكن الهنود لم يتخذوا منها لباساً لهم.

ولذلك بدأت الشركة الانكليزية بالتجارة مع فارس بعد مبادرة ريتشارد ستيل. ولكن البداية كانت متواضعة؛ فقد قدرت قيمة البضائع التي أرسلتها الشركة إلى ميناء جاسك في ٢٤ كانون الأول ١٦١٦ بمبلغ ٦٣٣٣ جنيهاً استرلينياً بالإضافة إلى مبلغ ٥٥٠ جنيهاً نقداً[٢]. واستغرقت الرحلة من

---

(١) Ahmedabad. Dec. 20, 1614 (Colonial Papers. Vol.I) p.334.

(٢) Surat, Aug. 19, 1614. (Colonial Papers. Vol.I) pp.316-317; Edward Connock And Thomas Barker To The East India Company. Jasques. Jan. 19, 1617. (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) pp.56-57.

سورات إلى جاسك ٢٦ يوماً وقامت القوارب الصغيرة بنقل البضائع من سفينة الشركة «جيمس» إلى الميناء، وكان حاكم موغستان الفارسي في استقبال البعثة التجارية الانكليزية للترحيب بها بناء على تعليمات الشاه عباس(١). وكان هدف الشركة الانكليزية منذ البداية تحقيق الربح التجاري ومقايضة الأصواف الانكليزية بالحرير الفارسي ولكنها سرعان ما اكتشفت فقر جاسك وقلة سكانها وبعدها عن ساحل البحر وضعف قلعتها وخلوها من المدفعية والمعدات الحربية للدفاع عنها؛ فقد كانت جاسك مأوى لصيادي الأسماك الفقراء وكانت موغستان المجاورة لها تماثلها في فقرها.

ولذلك ساورت وكلاء الشركة الانكليزية الشكوك في مدى نجاح التجارة مع فارس، وكان البديل تفريغ البضائع في هرمز ولكن خوف الانكليز من البرتغاليين منعهم من ذلك(٢).

ولما وجدت الشركة الانكليزية صعوبة تحقيق أرباح تجارية إذا ما استمرت في تفريغ بضائعها في جاسك ثم نقلها إلى أصفهان وغيرها من المدن الفارسية على حسابها أعربت عن رغبتها في أن يكون ميناء جاسك لها وحدها، وأن يقوم الشاه بحماية الميناء على نفقته الخاصة وطلبت من السلطات الفارسية الاتفاق على أسعار بيع البضائع الانكليزية، وأن يقوم الشاه بإرسال الحرير الفارسي سنوياً إلى جاسك لتتمكن من الحصول عليه بسعر أرخص مما يباع به في حلب. وكان الشاه قد تعهد بعدم تصدير حريره عبر الأراضي العثمانية وعدم بيعه للاسبان أو البرتغاليين(٣).

---

(١) Edward Connock And Thomas Barker To The East India Company. Jask. Jan. 9, 1617; Edward Connock And Thomas Barker To Thomas Kerridge, Chief Factor At Surat. Jask. Jan. 19, 1617. (Colonial Papers. Vol. II.) p.12.

(٢) Thos. Doughty To The East India Company. Surat. Feb. 26, 1617. (Colonial Papers. Vol. II) p.17.

(٣) قدرت المسافة بين جاسك وأصفهان بـ(٥٥٠ ـ ٥٦٠) ميلاً انكليزياً يمكن قطعها في ٤٥ يوماً بالجمال و٤٠ يوماً بالحمير و٣٦ يوماً بالبغال و٣٠ يوماً بالخيل. انظر: Edward Pettus To The East India Company. Moghistan. Nov. 30, 1618 (Colonial Papers. Vol. II) pp.214-215.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠.

وبذلك ضمنت الشركة الانكليزية استقرار تجارتها في فارس وإقامتها على أسس قوية وثابتة. ولكن الوضع الاقتصادي في فارس كان في ركود وكساد في عام ١٦١٨ بسبب الحروب المستمرة بين الصفويين والعثمانيين ووجدت التجارة صعوبة في المرور من فارس وإليها بسلام، ولذلك حمل التجار الهندوس الأقمشة الكتانية ومعظم أموالهم من الذهب والفضة لدى مغادرتهم فارس على الرغم من منع السلطات الفارسية لذلك بانزال عقوبة الموت بحق المخالفين من التجار(١). وانتقل وكلاء الشركة الانكليزية من جاسك للإقامة في جمبرون «بندر عباس» حيث سمح لهم الشاه عباس في عام ١٦٢٣ بإشغال بيتين فيها ولكنه لم يسمح لهم بإنشاء بناء خاص بهم خوفاً من تحويل المكان إلى قلعة حصينة لهم(٢). ووجدت الشركة الانكليزية في جمبرون مستقراً لها؛ فأقامت مركزاً تجارياً وحصلت من الشاه عباس على شراء الحرير الفارسي ونقله إلى أصفهان دون دفع رسوم في مقابل ذلك. ولكن الشاه أصر على موقفه الرافض لمحاولات الشركة الانكليزية تحصين هرمز أو أي من موانئ الخليج العربي.

وقد شهدت التجارة الانكليزية مع فارس بعض الازدهار في عام ١٦٢٣ وأرسلت الشركة الانكليزية كميات كبيرة ومتنوعة من بضائعها الانكليزية والشرقية حيث أمِلَت أن تحقق ربحاً جيداً من بيعها. وثار بين المسؤولين في الشركة الانكليزية جدل بشأن إرسال سفنها إلى الموانئ الفارسية ورغبتها في الحصول على هرمز من السلطات الفارسية بعد أن تم طرد البرتغاليين منها وضرورة شراء البضائع الثمينة نقداً بدلاً من مقايضتها(٣) وكذلك نقل الركاب وشحن البضائع بين الهند وهرمز والتي قدرت أن تحقق

(١) Sir Tos. Roe To William Robbin Agent To Sır Robert Sherley In Persia. Jan. 17, 1617 (Colonial Papers. Vol. II) p.10; Edward Pettus To The East India Company Ispahan. Sept. 27, 1618. (Colonial Papers. Vol.II) pp. 198-199.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٢.

(٣) Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624. Oct. 1623. pp. 160-161, Nov. 1623. p.180.

لها ربحاً قدره ٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً واستخدام الطريق التجاري عبر مضيق هرمز بعد أن أرغمت وحشية الأساليب البرتغالية التجار الفرس على نقل بضائعهم عبر قندهار.

ثم عادت تجارة الشركة الانكليزية إلى الانكماش مرة أخرى في عام ١٦٢٤ فقد تغير الوضع الاقتصادي في فارس لصالح التجار الأرمن الذين سيطروا على تجارة الحرير الفارسي كما وصلت الشركة الهولندية إلى الخليج العربي وتغلغلت بضائعها في الأسواق الفارسية بعد أن عرضت مقايضة التوابل الشرقية بالحرير الفارسي. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت الشركة الانكليزية من توطيد مركز وكالتها في أصفهان لبعض الوقت ولكن أعمالها التجارية كسدت في فارس لرفع سعر الحرير حتى كادت وكالاتها في فارس أن تغلق أبوابها[١] لقلة الطلب على الصوف الانكليزي حيث لم تتجاوز مبيعات الشركة ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ثوب في ذلك العام ولخوف التجار المحليين من نقل بضائعهم في السفن الانكليزية خشية أعمال البرتغاليين الثأرية.

ولذلك رغب وكلاء الشركة الانكليزية في فارس أن يكون لشركتهم سفن مسلحة مزودة بالمدافع للدفاع عن تجارتهم ومصالحهم في الخليج العربي ضد الأعداء ولكن الشركة لم تتمكن من تلبية رغبتهم لأنها لا تستطيع تغطية نفقات تلك السفن والتي قدرت بألف جنيه استرليني سنوياً[٢].

ومهما يكن من أمر فقد فرغت الشركة الانكليزية من مرحلة الكشف والريادة في فارس وبدأت مرحلة التجارة الفعلية في هرمز وقشم وغيرها من

---

(١) Court Minutes Of The East India Company. Nov. 26, 1623 (Colonial Papers. Vol.III) p.183; Stevens, Roger. Robert Sherley; The Unanswered Questions. pp.115-125. (IRAN. Vol. XVII. 1979. Journal Of The British Institute Of Persian Studies). p.119.

وانظر، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٢.

(٢) Jno. Purefey And Jno. Hayward To The East India Company. Ispahan. April 18, 1624. (Colonial Papers. Vol. III) p.268. Mem. By Sir Robert Sherley. 1625. (Colonial Papers. Vol. IV) p.19.

سوانئ الخليج العربي مستفيدة من تجربتها وخبرتها السابقة لتوطيد تجارتها بكل الوسائل الممكنة.

ولكن الشاه عباس الأول رفض الاستجابة لطلبات الشركة الانكليزية حتى تصل سفنها وبضائعها إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» وعندئذ سيمنحها فرماناً يحررها من كل المضايقات في بلاده مع استمراره في رفض منحها تصريحاً ببناء بيت لها في جمبرون «بندر عباس». ورحب الشاه عباس بشراء الانكليز الحرير الفارسي في مقابل دفع ثلث القيمة نقداً والباقي مقايضة ببضائع أخرى واشترط على الانكليز استلام الحرير في المكان وبالسعر الذي يحدده بنفسه، وفوض أحد موظفيه للإشراف على شئون الشركة الانكليزية في فارس[1]. وبعد أن تمكنت الشركة الانكليزية من تدعيم مركز وكالتها في جمبرون على الساحل الفارسي سعت إلى توسيع عملياتها التجارية في جهات فارس الأخرى.

وحققت الشركة الانكليزية ربحاً في تجارة الأقمشة الصوفية الانكليزية بلغ ٦٠٪ في آب ١٦٢٤ بعد أن زاد استعمالها في فارس؛ فقد قرر الشاه عباس الأول توزيع ألفي ثوب من الصوف على جنوده البالغ عددهم حوالي ٣٥,٠٠٠ جندي[2].

وعندما اشتدت منافسة الشركة التركية «الليفانت» في عام ١٦٢٥ وقفت السلطات الفارسية إلى جانب الشركة الانكليزية وفرضت ضرائب جديدة على الشركة التركية «الليفانت» وأرغمت تجارها على القدوم إلى الأسواق الفارسية لشراء الحرير منها عندما يكتب لهم وكلاؤهم في فارس، مما حصر عملها في

(١) William Bell, Thomas Barker, John Purefey, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. Oct. 15, 1623 and Jan. 9, 1624. (Colonial Papers. Vol. III) pp. 161-164.

(٢) Thos. Barker, Jno. Jurefey, Jno. Benthall, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. 28, 1624 (Colonial Papers. Vol. III) pp. 375-376; Savory, Roger. Iran Under The Safavids. (Gt. Brit. 1980). p.118.

نقل الحرير الفارسي، لذلك هددت بترك التجارة الفارسية[1] بينما كانت الشركة الانكليزية ترغب في إقامة وكالة دائمة لها في هرمز لتنشيط تجارتها في الخليج العربي.

وحققت مبيعات الشركة من الأصواف الانكليزية تقدماً ملحوظاً في عام ١٦٢٦ فقد باعت منها ٢٥٠٠ ثوب بالإضافة إلى ٨٠ طناً من القصدير والسلع الأخرى وكانت ترغب في مضاعفة الكميات السابقة ولكنها تذمرت من بعض الرسوم والهدايا التي كان عليها أن تقدمها إلى المسؤولين الفرس[2].

ولكن الشركة الانكليزية التي أرسلت في عام ١٦٢٤ أحد موظفيها «كيريدج» من لندن إلى الخليج العربي لتثبيت تجارة الشركة في فارس أو تصفيتها لم تقرر حتى عام ١٦٢٧ ترك التجارة الفارسية بل رأت في إرسال ١٠٠ ـ ٢٠٠ ثوب صوف إلى جمبرون ما يحقق بعض الفائدة لها لا سيما بعد أن علمت بأن التجار الأرمن واليهود والفرس قد أحضروا معهم إلى ميناء جمبرون كميات كبيرة من الذهب لشراء البضائع الانكليزية من صوف وتوابل وغيرها[3]. وكانت الحكومة الانكليزية قد وافقت على إخراج ٤٠,٠٠٠ جنيه استرليني في عام ١٦٢٧، ولما كان مثل هذا المبلغ لا يكفي لشحن سفن الشركة الانكليزية بالبضائع والعودة بها إلى انكلترا فقد قامت الشركة بإرسال أقمشة بقيمة عشرة آلاف جنيه لبيعها في فارس. وبذلك صممت على المضي

---

(١) Minutes of A General Couit of the East India Company. March 30, 1625. (Colonial Papers. Vol.IV) pp.46-47.

(٢) Colonial Papers. Vol.III Year 1625. p.29; Memorandum Concernıng The East India Company And The Persian Trade. April. 1626. (Colonial Papers. Vol IV) p.185.

(٣) عقد كيريدج معاهدة مع خان شيراز ولكن لا قيمة لها إذا لم يصدر الشاه الفرمان المؤكد لها. أنظر:

Consultations Held At Gombroon. Present. Thos. Kerridge, Thos Barker And John Benthall, Factors Of Long residence in Those Parts. Jan.1 — Feb. 10, 1625 (Colonial Papers. Vol.IV) pp.2-3, 289, 302.

قدماً في التجارة الفارسية على الرغم من الصعوبات الفنية التي اعترضت صناعة الأقمشة الانكليزية في مجال جودة الصباغة. وقدرت الشركة الانكليزية قيمة البضائع التي سيتم إرسالها من سورات إلى فارس في عام ١٦٢٨ بمبلغ يتراوح من ١٠٠,٠٠٠ إلى ١٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني[1]. ولما كانت الشركة الانكليزية قد استنفدت كل مخزونها من البضائع في شراء ٨٠٠ بالة من الحرير ثم شحنها إلى انكلترا، فقد ناقشت فكرة استدعاء وكلائها في فارس لعدم وجود أمل بتزويدهم بالبضائع في ذلك العام.

وبعد أن تبين للشركة الانكليزية أنها قد حققت فائدة بحصولها على نصف جمارك جمبرون والامتيازات الأخرى التي منحها الشاه عباس لوكلائها والتي كلفتها ثمناً باهظاً قررت الاحتفاظ بوكلائها في فارس وزيادة رأسمالها بطرح اكتتاب جديد؛ وأكدت على ضرورة استمرار التجارة مع فارس[2] وأنها إذا لم تتمكن من إرسال بضائعها إلى فارس في العام التالي فسوف تفقد مصالحها وعندئذ ستقع فريسة سهلة في قبضة الشركة الهولندية التي تمكنت من توطيد مركزها التجاري في الخليج العربي على نحو قوي ومؤثر. ولذلك استأنفت الشركة الانكليزية في كانون الأول ١٦٢٨ رحلاتها البحرية إلى الخليج العربي، وأصدرت تعليماتها بحسن معاملة المسافرين على سفنها من الجنسيات الأخرى. لكنها اشترطت استمرارها في شحن البضائع (القطن والتنباك والرز) إلى فارس بإنهاء الأعمال العدائية للمصالح الانكليزية في الخليج العربي[3]. وكان الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٨ يرغب في معرفة

(١) Minutes Of A General Court. May 30, 1628, (Colonial Papers. Vol.IV) pp. 506-508.

(٢) Court Minutes Of The East India Company. Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vol.IV) p.561 and see also Minutes Of A General Court. Dec. 15, 1628, (Colonial Papers. Vol.IV) p.585,

(٣) Minutes Of A Court of Mixed Committees Of The East India Company. Oct. 24. 1628 (Colonial Papers. Vol.IV). p.564; Commission And Instructions From The President And Council At Surat To Captain Richard Swanley For A Voyage To Gombroon In The Persian Gulf And Back. Dec. 12, 1628 (Colonial Papers. Vol.IV) p.583, Minutes Of A general Court. Dec. 15, 1628, Colonial Papers. Vol.IV) p.585.

مدى اهتمام الشركة الانكليزية باستمرار تجارتها مع فارس. وحتى يتأكد من ذلك رفض إرسال الحرير الفارسي إلى أبعد من شيراز؛ وربما كان الشاه عباس على استعداد لتقديم تسهيلات أكثر للشركة الانكليزية إذا ما تأكد له عملياً اهتمامها بتوسيع نطاق التبادل التجاري مع بلاده لأن تجربة الشاه عباس مع الانكليز لأكثر من عقد من السنين قد أثبتت له أن الشركة الانكليزية لا تترك أي ثروة لها في فارس؛ ولذلك لم يكن الشاه عباس يرغب في منح الانكليز امتيازات أخرى غير التي حصلوا عليها من قبل[1]. ونظراً لعنف المنافسة الهولندية والبرتغالية في الخليج العربي، فقد وضع الانكليز في عام ١٦٢٩ خطة لتحويل تجارة الحرير واحضارها إلى انكلترا عن طريق موسكو مما سيؤثر على الملاحة الانكليزية في المحيط الهندي.

وبعد وفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩ وغزو العثمانيين فارس تدهور الاقتصاد الفارسي. وأمِلَت الشركة الانكليزية أن يؤدي استقرار الأوضاع بعد الحرب إلى استئناف نشاطها الاقتصادي[2] في فارس. ولكنها واجهت مشكلة تجديد الامتيازات التي حصلت عليها من الشاه عباس لأن الامتيازات التي يمنحها الشاه الفارسي ينتهي أجلها بوفاته ولا بد من تجديدها من خلفه. وقد تمكنت الشركة الانكليزية من تجديد فرمان ١٦١٧ في تموز ١٦٢٩ في عهد الشاه صفي (١٦٢٩ - ١٦٤١) بعد أن تعهد الوكلاء الانكليز في أصفهان بشراء ما قيمته عشرون ألف تومان من الحرير الفارسي ثلثها نقداً والباقي مقايضة بالبضائع الانكليزية والشرقية، وبتقديم هدايا سنوية للشاه وحاشيته بقيمة ١٥٠٠ جنيه استرليني تقريباً[3].

---

(١) Court Minutes Of The East India Company. Jan. 2-30, 1629. (Colonial Papers. Vol.IV) p. 602, 617.

(٢) Court Minutes Of The East India Company. Feb. 6-11, 1629 (Colonial Papers. Vol.IV) pp. 620-621; Edward Heynes and William Gibson To The East India Company. Ispahan. Sept. 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 51-52.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج٢ ص ٦١.

كما تم الاتفاق بين وكلاء الشركة الانكليزية والشاه صفي في عام ١٦٣٠ على قيام الشركة بتصدير الأقمشة الصوفية الانكليزية الناعمة والخشنة والقصدير الانكليزي إلى فارس على أن تكون نوعية الأقمشة الصوفية جيدة وألوانها ثابتة(١). وسوف تجد الشركة الانكليزية صعوبة في تسويق الأقمشة الصوفية والقصدير في عام ١٦٣١ لحصول فارس على هذه السلع بواسطة التجار الأرمن وتجار حلب عبر أراضي الدولة العثمانية وروسيا بأسعار مساوية لأسعار الشركة الانكليزية على الرغم من رغبة السلطات الفارسية في توجيه التجارة الفارسية نحو موانئ الخليج العربي(٢). ولكن وضع الشركة الانكليزية تحسن في عامي ١٦٣٣ و١٦٣٤ وحققت تجارتها في أسواق فارس والخليج العربي رواجاً وربحاً جيداً رغم الرشاوى التي قدمتها الشركة الهولندية للمسؤولين الفرس. وتشجعت إدارة الشركة الانكليزية في لندن فأصدرت تعليماتها إلى وكلائها في الهند بتصدير الفلفل والبهارات بهدف تنشيط التجارة الانكليزية في الخليج العربي(٣). كذلك استفادت الشركة الانكليزية من توقف جميع العمليات التجارية بين فارس والدولة العثمانية بعد استعادة العثمانيين بغداد في عام ١٦٣٨.

ولكن ازدهار تجارة الشركة الانكليزية في فارس لم يستمر طويلاً حيث تدهورت تجارتها مرة أخرى في عام ١٦٤١ بسبب تقلب الأسواق التجارية الفارسية وصعوبة تحصيل ديون الشركة والهدايا التي كان على الشركة تقديمها للشاه في مقابل كل فرمان يصدره مما شكل عبئاً عليها واستهلك جزءاً من أرباحها. ثم تعرضت تجارة الشركة الانكليزية لمنافسة شديدة من تجار فارس

---

(١) Edward Heynes, And William Gibson To The East India Company. Ispahan. Sept. 1630. (Colonial Papers. Vol.V.) pp. 51-53; Translation Of The Contract And Firmans Obtained From The Emperor Of Persia By Agent Burt In 1630. Oct. 8 — Nov. 6, 1630. (Colonial Papers. Vol.V) p.63

(٢) Colonial Papers. Vol.V. 1630-1639 Year 1631. p.196.

(٣) Agent Wm. Gibson, Wm. Fall, And The Philip Dickson To The East India Company. Ispahan. Oct. 13, 1634. Colonial Papers. Vol.V) pp.576-578.

وحلب الذين باعوا البضائع الأوربية بأسعار رخيصة، ولإلغاء الشاه عباس الثاني (١٦٤١ ـ ١٦٦٦) إعفاء البضائع الانكليزية من الرسوم والجمارك بسبب تخفيض الشركة الانكليزية لكميات الحرير التي تعهدت بشرائها[١].

وقد أدركت وكالة الشركة الانكليزية في سورات أن جرأة الفرس على الانكليز إنما تعود إلى عدم قدرة الآخرين على شراء الحرير الفارسي، وإلى فقر تجارتهم في الخليج العربي، ولذلك فإن استخدام القوة هي الوسيلة الوحيدة[٢] لإرغام الفرس على احترام الامتيازات التجارية التي حصل الانكليز عليها من الشاه عباس الأول.

ولما كان من الصعوبة بمكان ممارسة القوة ضد فارس لتفوق القوة البحرية الهولندية في الخليج العربي، فقد أخذت الشركة الانكليزية بفكرة بيع مخزونها من البضائع في وكالاتها الفارسية وتحصيل ديونها والانسحاب نهائياً من التجارة الفارسية. كما أدرك الانكليز في عام ١٦٤٣ أن الفائدة التي يحصلون عليها من التجارة الفارسية قد أصبحت ضئيلة وأنهم لا يستطيعون الحصول على نصيب من الجمارك أكثر مما يسمح به الفرس بالإضافة إلى قلة الطلب على الأقمشة الصوفية[٣] وضعف مركز الشركة الانكليزية في جمبرون «بندر عباس»؛ ولذلك صدر القرار بنقل كل بضائع الشركة من جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة.

ويعود نشاط الشركة الانكليزية في البصرة وهي الميناء الرئيسي على الساحل العربي للخليج إلى عام ١٦٣٥ عندما أرسلت سفينة صغيرة إلى

---

(١) President Fremlen And Messrs. Breton And Wylde At Surat To The Company. Dec. 1639 (The English Factories In India. Vol. VI. 1637-1641. By William Foster. Oxford 1912) p.194, 213.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٦١.

(٢) President Fremlen, Francis Breton, And Thomas Merry At Swally Marine To The Company. March 20, 1643 (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) p.98.

(٣) Ibid. p.98.

مينائها ولم يمنع المنافسون البرتغاليون في البصرة تلك البضائع الانكليزية المتواضعة[1]. وكانت السفن الانكليزية تتجه إلى البصرة بعد توقفها في جمبرون وكانت التجارة تنقل بعد ذلك من البصرة إلى حلب وغيرها من الموانئ العثمانية على البحر المتوسط. ومع حلول عام ١٦٤٠ تحولت معظم التجارة الانكليزية من جمبرون إلى البصرة[2]. فأقامت الشركة الانكليزية وكالة صغيرة لها في البصرة في عام ١٦٤٣ لتسويق بضائعها وقد تمتعت بفترة قصيرة من الازدهار قبل أن تلحق الشركة الهولندية بها.

ولكن قرار الشركة الانكليزية ترك جمبرون «بندر عباس» ظل معلقاً حتى عام ١٦٤٤ وأدى هبوط أسعار الحرير في فارس إلى انتعاش تجارته وإلى قرار الشركة الانكليزية البقاء في جمبرون. ولكن الشركة بدلت موقفها في العام التالي (١٦٤٥) فقامت بنقل مخزونها من البضائع من جمبرون إلى البصرة[3] مع استمرار حرصها على شراء بعض الخيول من شيراز لإرسالها إلى سورات لرخص أسعارها في شيراز بالمقارنة مع أصفهان.

ثم تدهور الوضع الاقتصادي في فارس مرة أخرى في عام ١٦٤٧ وتسببت الحرب بين الفرس والمغول (١٦٤٨ - ١٦٤٩) في اضطراب التجارة البرية بين فارس والهند مما مكّن الشركة الانكليزية من تحقيق أرباح جيدة من نقل البضائع بحراً بين البلدين ولذلك أكدت الشركة على وجوب استمرار وكالتها في أصفهان لأنها أفضل من شيراز في مجال تسويق البضائع الانكليزية ولأن وجود وكلاء الشركة الانكليزية في أصفهان يمكنهم من الاتصال ببلاط الشاه وبالتالي التأثير على المسؤولين الفرس في جمبرون[4] لمصلحة الشركة

(١) Robert Cranmer, Revett Walwyn, Thomas Cogan, And William Weale At Basra To The Company. July 31, 1645 (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) p.273; Hall, Lesley A. Op. .Cit. pp.3-4; Longrigg, Stephn Hemsley. Four Countries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) p.107.

(٢) Wilbur, Marguerite Eyer. The East India Company And British Empire In The Far East. (New York 1965) p.201.

(٣) Longrigg, Stephn Hemsley. Op.Cit. p.108.

(٤) William Pitt. Philip Wylde, And Thomas Codrington, At Ispahan To The President And council At Surat. Sept. 7. 1645. (The English Factories In India. =

الانكليزية. ولكن النشاط الانكليزي في فارس ضعف كثيراً في منتصف القرن السابع عشر حتى عجز الوكلاء الانكليز عن تسويق الأقمشة الصوفية.

وعلى الرغم من ضعف التجارة الفارسية في جمبرون وأصفهان فقد ظلت الشركة الانكليزية قادرة على حماية امتيازاتها التي حصلت عليها وتمكنت من الحصول على وعد من الشاه بإصدار ثلاثة فرمانات لإعفائها من دفع رسم الـ ٤٪ على البضائع المباعة في أصفهان والسماح لها بإعادة بناء مركزها في جمبرون الذي دمرته هزة أرضية ودفع حصتها من الجمارك في جمبرون بانتظام[١]. وقد ساعدت هذه التسهيلات الفارسية على تحسن وضع التجارة الانكليزية في الأسواق الفارسية خلال الفترة (١٦٥٥ - ١٦٦٠)، غير أنها امتنعت عن شراء الحرير الفارسي لاحتكار الشاه له وفرضه أسعاراً عالية.

وكان لقرار الشاه في عام ١٦٦٩ بمنع تفريغ البضائع في ميناء كونغ وتوجيه التجارة إلى ميناء جمبرون تأثير في انتعاش التجارة الانكليزية مرة أخرى مما دفع بالانكليز إلى التفكير بالعودة إلى جمبرون لا سيما بعد أن تضررت تجارة البصرة نتيجة للحرب بين الفرس والعثمانيين ولذلك عملت الشركة على تعزيز مركزها في فارس في الربع الأخير من القرن السابع عشر فوسعت نطاق تجارتها الفارسية وأرسلت إلى فارس في عام ١٦٨٠ كمية من الأقمشة الصوفية بلغت ٢١٧ بالة ثم أخذت بتنظيم تجارتها في الخليج العربي على نحو جديد في عام ١٦٨٢ بواسطة الرحلات الدائرية. وقد وضعت مشروعاً للتبادل التجاري مع موانئ الجزيرة العربية يقضي بإرسال سفينة انكليزية من انكلترا إلى جزيرة

= Vol.VII. 1642-1645 By William Foster, Oxford 1913) pp. 276-279; President Merry And Messrs. Tash, Pearce And Oxenden At Swally Marine To The Company. Jan. 25, 1650. (The English Factories In India. Vol. VIII. 1646-1650 By William Foster, Oxford 1914) pp. 274-280.

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٧٧ - ٧٨. وانظر أيضاً: President Merry And Messrs. Pearce And Oxendent At Swally Marine To The Company. April 8, 1651 (The English Factories In India Vol. IX. 1651-1654 By William Foster. Oxford 1915) pp.55-58; Danvers. F.C. Op.Cit. pp. 23-24.

سوقطرة لتلتقي فيها بثلاث سفن محلية. وبعد شحنها بـالبضائـع من السفينة الانكليزية تتجه تلك السفن المحلية إلى ميناء مخا باليمن حيث تتم مقايضة حمولتها بالبن وغيره من منتجات اليمن ثم تلحق بالسفينـة الانكليزيـة التي توجهت إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» وميناء البصرة للتبادل التجاري. وفي أحد موانئ الخليج العربي تفرغ السفن المحلية العائدة من ميناء مخا حمولتها في السفينة الانكليزية لتتجه بعد ذلك إلى سورات[١]. ولكن مشروع الرحلة الدائرية لم يحقق توقعات الشركة الانكليزية لأن التبادل التجاري مع أسواق مخا والبصرة يمكن أن يتم على نحو أفضل بواسطة الوكالات الانكليزية في فارس والهند والتجار الأرمن في موانئ فارس والخليج العربي.

ولذلك عادت الشركة الانكليزية إلى اتباع أسلوبها السابق في التبادل التجاري مع منطقة الخليج العربي، فأرسلت في عام ١٦٩١ كميـة كبيرة من الأقمشة الصوفية الانكليزية مع تعليمات لوكلائها في فارس ببذل جهـودهم لبيعها وبجمع أكبر كمية من الحرير الفارسي الخام[٢]. وعملت على زيادة عدد وكلائها وموظفيها في فارس في عام ١٦٩٣ وبتدريب وإعداد الموظفين الانكليـز بإشراف التجـار الأرمن في أصفهان واهتمت بصيـانة وكـالاتها في جمبرون وأصفهان باستمرار[٣].

وقد تعزز مركز الشركة الانكليزية في فارس نتيجة للزيارة التي قام بها الشاه حسين وزوجته إلى وكالتها في أصفهان في ٢٤ تموز ١٦٩٩، والتي أكدت على قوة مركز الشركة الانكليزية في فارس وأضفت عليها الكثير من الاحترام في منطقة الخليج العربي.

(١) Events In Persia pp.20-31 (The English Factories In India Vol.X. 1655-1660 By William Foster. Oxford 1921) p. 24; The Persia Agency And Basra, 1660. (The English Factories Vol.X) pp. 348-351; Surat 1680 (The English Factories In India, New Series. Vol. III. 1678-1684 By Sir Charles Fawcett. Oxford 1954) p. 264; Stevens, John. The History Of Persia (London?) p.416; Danvers. F.C. Op.Cit. pp.25-26.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٣. وانظر عبد الأمير محمد أمين: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٣) Danvers. F.C. Op.Cit. p.28; Hall, Lesley A. Op.Cit. p.3.

التجارة الانكليزية في البحر الأحمر

بدأ اهتمام شركة الهند الشرقية الانكليزية بالتجارة في البحر الأحمر منذ العقد الأول من القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٠٨ كلفت الشركة الانكليزية أحد وكلائها بالتوجه إلى عدن لتأسيس وكالة تجارية فيها ولكن الوكيل الانكليزي تخلى عن مهمته بعد وصوله إلى جزيرة سوقطرة. وفي العام التالي - ١٦٠٩ - ظهرت سفينة انكليزية محملة بالحديد والرصاص والأقمشة في ميناء عدن، ولكن عندما وجدت الشركة الانكليزية أن الحركة التجارية غير نشيطة فيها بالإضافة إلى مضايقة الحاكم العثماني أرسلت اثنين من ضباطها إلى ميناء مخا في اليمن للاطلاع على حالتها التجارية. وعلى الرغم من أن الوضع التجاري في مخا لم يكن مشجعاً فقد استمرت الشركة الانكليزية في محاولاتها للتجارة مع موانئ البحر الأحمر[1].

ولكن الشركة الانكليزية نصحت سفنها في عام ١٦١١ بالابتعاد عن البحر الأحمر بعد خسارة الانكليز ٨ من القتلى و١٤ من الجرحى و٥١ من الأسرى لاتهامهم بالاقتراب من مكة المكرمة وصودرت بضائعهم. وفي حادث آخر هاجم العثمانيون سفينة انكليزية أخرى وقتلوا ثلاثة من بحارتها ونقلوا ركابها إلى صنعاء[2]، ثم جاءت بعثة انكليزية أخرى إلى مخا في عام ١٦١٢ ولكن لم يسمح لها الحاكم العثماني بالتجارة فيها.

---

(١) سلطان ناجي: الخلفية التاريخية للاحتلال البريطاني لعدن (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد الثاني - أبريل ١٩٧٥. ص ٢٩ - ٤٢(ص ٢٩ - ٣٠)

(٢) Letter Of Advice To All English Ships To Shun The Red Sea. Mocha. May 1611. (Colonial Papers. Vol.I) p. 224.

ولكن الشركة الانكليزية لم تفقد الأمل بسبب فشل محاولاتها السابقة في البحر الأحمر. وعلى الرغم من عدم رغبة وكلائها في سورات في استئناف التجارة مع موانئ الجزيرة العربية فقد وصل القبطان الانكليزي أندرو شيلنج إلى مخا في عام ١٦١٨ ومعه إحدى سفن الشركة الانكليزية لتأسيس التجارة الانكليزية في البحر الأحمر، ونجح في الحصول على موافقة الحاكم العثماني المحلي بالتجارة مع ميناء مخا في مقابل دفع رسم قدره ٣٪ على الصادرات والواردات ومساواة الانكليز بالهولنديين في المعاملات التجارية وبذلك بدأت التجارة الانكليزية في البحر الأحمر[١].

وفي العام التالي - ١٦١٩ - أرسلت الشركة الانكليزية بعثة أخرى إلى مخا تمكنت من بيع بضائعها بربح قدره ١٠٠٪، ولكن الهولنديين تدخلوا في عام ١٦٢١ ضد التجارة الانكليزية فاستولوا على عدد من القوارب التي تنقل بضائع الشركة الانكليزية من موانئ البحر الأحمر. كما لم تتوفر للانكليز خبرة بحرية كافية في بحر العرب ولذلك أخطأوا في الوصول إلى سوقطرة وظفار في نيسان ١٦٢١[٢].

ولكن ذلك لم يمنع الشركة الانكليزية من إرسال ثلاث سفن تجارية إلى ميناء مخا حيث حققت أرباحاً جيدة؛ وما لبثت حركة التبادل التجاري أن أصيبت بنكسة في عام ١٦٢٤ عندما قام أحد البحارة الانكليز بالاستيلاء على سفينة صغيرة تابعة لعدن وأخذ معه عدداً من الأسرى، مما أثر لبعض الوقت على التجارة السلمية، وأدى إلى تعذر وصول السفن الانكليزية وغيرها إلى موانئ البحر الأحمر إلا بأمر من الباب العالي[٣].

وبعد انقطاع دام أربع سنوات (١٦٢٤ - ١٦٢٨) استأنفت الشركة الانكليزية اتصالها مع ميناء عدن في عام ١٦٢٨ بناء على خطة أعدتها وكالتها

(١) Wilbur, Marguerite Eyer. Op.Cit. pp. 202-203.

(٢) Richard Swan's Account O His Voyage In The Hart To The Coast Of Arabia. April 6, 1621. (The English Factories In India Vol. I. 1618-1621 By William Foster. Oxford 1906) pp. 284-286.

(٣) Thomas Kerridge To The East India Company. Nov. 15, 1624 (Colonial Papers. Vol.III) pp. 441-442.

في سورات للتبادل التجاري مع مخا ولكنها وجدت للمرة الثانية أن أسواقها تخلو من الفوائد التجارية، كما أدى تعرض إحدى السفن الانكليزية للنهب في البحر الأحمر في عام ١٦٣٢ إلى خسارة الانكليز للتجارة فيه والتي كانت في صالحهم لبعض الوقت[١].

ثم أصيبت الحركة التجارية بين الهند ومخا بالركود في عام ١٦٤٠ بسبب انتشار القرصنة في جهات البحر الأحمر، ولذلك قررت الشركة الانكليزية وقف نشاطها التجاري في مخا والبحث عن البن في أماكن أخرى غير اليمن. وبعد أن زادت هجمات القراصنة الهولنديين على الوكالة الانكليزية في مخا قام الوكيل الانكليزي بإغلاقها[٢]. وفي منتصف القرن السابع عشر صدر قرار الشركة الانكليزية بإلغاء وكالتيها في سواكن ومخا وتقرر استبدالها برحلات للسفن التجارية عندما تكون هناك بوادر وامكانيات لتحقيق الأرباح[٣] في موانئ البحر الأحمر. ففي عام ١٦٦٠ وصلت إلى ميناء جمبرون سفينة انكليزية قادمة من مخا وأفرغت حمولتها من البن حيث تم بيعها بسهولة.

---

(١) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan. Coct. 22, 1628 (Colonial Papers. Vol.IV) p 562; John Skibbowe And John Banggam To The East India Company. May 8, 1632. (Colonial Papers. Vol.V). p.262.

(٢) سلطان ناجي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) A Court of Committees For The Fourth Joint Stock. Feb. 25, 1650. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury Oxford 1913). pp.23-24; The Persia Agency And Basra 1660. (The English Factories In India Vol. X. 1655-1660, By William Foster. Oxford 1921) pp.348-351.

دور الأرمن في التجارة الفارسية

أمر الشاه عباس الأول بنقل قسم كبير من سكان أرمينيا إلى فارس، وقد حدثت الهجرة الأرمنية الكبرى إلى فارس في عام ١٦٠٤ واستمرت لعدة سنوات تالية. وقد جاء أمر الشاه عباس بترحيلهم لإبعادهم عن الطريق الذي اعتاد الجيش العثماني سلوكه أثناء زحفه على المدن الفارسية. وقدر عدد الأرمن الذين هجَّرهم الشاه عباس بعشرين ألف نسمة أسكنهم في ضاحية بجوار أصفهان عرفت باسم جلفار الجديدة. وعندما طلبت الشركة الانكليزية من الشاه عباس منحها احتكار انتاج فارس من الحرير استاء التجار الأرمن ووقفوا ضدها في أصفهان لأن مثل هذا الاحتكار سيحرم الأرمن من المشاركة في أرباح تجارة الحرير الفارسي المزدهرة آنذاك[١].

وهكذا قام الأرمن بدور مهم في شؤون التجارة الفارسية في القرن السابع عشر، فقد كان لهم دور رئيسي في تجارة الشركة التركية «الليفانت»، كما سيطروا على تصدير الحرير الفارسي إلى أوربا عبر الأراضي العثمانية وعلى استيراد الأقمشة الأوربية إلى فارس، كما حصلوا على نصيب في أعمال الشركة الانكليزية التجارية في أصفهان[٢]. ومع نهاية عهد الشاه عباس الأول في

---

(١) Carswell, John. The Armenians And East-West Trade Through Persia In The XVIIIth Century. (Sociétés Et Compagnies De Commerce En Orient Et L'ocean Indien. Paris 1970. pp.481-486.) p.p. 481-482

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٥، ص ٤١٤ - ٤١٥.

(٢) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With A Summary of Events 1600-1800. pp. IV-V.

عام ١٦٢٩ احتكر الأرمن معظم التجارة الفارسية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ونشط الأرمن في شراء الحرير من المزارعين الفرس وكان الشاه عباس يبيع جزءاً من حريره للتجار الأرمن بعد أن يربح منهم عشرة تومانات في كل حمل، ثم يقوم الأرمن بنقله إلى حلب ليبيعوا قسماً منه ويحتفظوا بالباقي في مستودعاتهم فيها على أمل بيعه في المستقبل عندما تقل كمية الحرير في الأسواق الفارسية. ولذلك واجهت الشركة الانكليزية والشركة الهولندية منافسة أرمنية عنيفة للغاية[١].

وقد أحرز التجار الأرمن ثروات طائلة بتصديرهم الحرير الفارسي والبضائع الأخرى عبر الأراضي العثمانية إلى حلب وبذلوا كل جهودهم لإلحاق الأذى بالتجارة الانكليزية، وعرضوا على الشاه عباس في عام ١٦١٩ مبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني أو ١٢ بنساً عن كل رطل (١٢ أونصة) من الحرير الذي يشترونه ليسمح لهم بنقله إلى حلب[٢].

وقد رحب التجار الأجانب بالتعامل مع الأرمن لمهارتهم في التحدث بلغات مختلفة مثل الفارسية والتركية والأرمنية بالإضافة إلى عدة لغات أجنبية ولذلك قررت الشركة الانكليزية إرسال مجموعة من مستخدميها الشباب إلى أصفهان لدراسة لغة الأرمن وأساليبهم التجارية والتدرب على شئون التجارة الفارسية[٣]،كما دخل التجار الأرمن في علاقات تجارية مع الشركة الانكليزية. ففي عام ١٦٣٠ قاموا بنقل بضائعهم إلى الهند في سفنها وحققوا فوائد تجارية كثيرة من تجارتهم مع الهند؛ كذلك قام بعض التجار الأرمن ببيع البضائع الفارسية في جمبرون أو في أصفهان وبذلك قاموا بدور الوسيط التجاري بين

---

(١) Ferrier, R.W. Op.Cit. pp. 38-40.

(٢) Thos. Barker, Edward Monox, Wm. Bell. To The East India Company. Ispahan. Oct 16, 1619. (Colonial Papers. Vol.II) pp.303-304.

(٣) Carswell, John Op.Cit. . 482.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٥

الفرس والأجانب وحققوا أرباحاً جيدة[1]. ولجأ الأرمن إلى شراء الحرير من جيلان على أمل تصديره إلى حلب، وإذا ما أخفقوا في الحصول على موافقة الشاه في السماح لهم بتصديره فإنهم يحتفظون به ليتمكنوا من بيعه إلى الشركة الانكليزية بعد أن يحققوا بعض الفائدة.

كما استخدم الأرمن سلاح الرشوة ضد الشركة الانكليزية وأنفقوا أكثر من ٥٠٠ تومان سنوياً لتسهيل مصالحهم والمحافظة على تجارتهم لدى السلطات الفارسية[2]. ولذلك لم تكن علاقة الشركة الانكليزية بالأرمن حسنة في منتصف القرن السابع عشر رغم رغبتها في الاستفادة من خدماتهم التجارية والاستعانة بهم لشراء الحرير الفارسي لحسابها، وتوسطهم في المعاملات التجارية في حالات البيع والشراء.

ولكن الوكلاء الانكليز في فارس لم يثقوا بهم بل اتهموا معظم التجار الأرمن بالغش وقد وافقت الشركة الشركة الانكليزية في عام ١٦٦٣ على نقل التجار الأرمن وبضائعهم في سفنها بعد دفع الرسوم الجمركية في ميناء جمبرون «بندر عباس» لتضمن الحصول على حصتها من العائدات الجمركية على نحو أفضل[3]. كذلك قامت سفن الشركة الانكليزية بنقل بضائع الأرمن إلى أوربا وإلى الهند ولكن المعاملات التجارية بين الأرمن والانكليز كانت تصطدم بأزمة الثقة بين الجانبين وعدم الالتزام بتنفيذ العقود التي يتم الاتفاق عليها.

ولما كانت الشركة الانكليزية معجبة بنجاح الأرمن ومهارتهم التجارية في الهند وفارس، فقد حاولت كسب ثقتهم من أجل ضمان تعاونهم معها في

---

(١) President Rastell And Messrs. Hopkinson, Bickford, And Suffield At Surat To The Company. Dec. 31, 1630 (The English Factories In india Vol.IV. 1630-1633. By William Foster Oxford 1910) p.120, 125.

(٢) Edward Heynes And Wm. Gibson To The East India Company. Ispahan, Cot. 10, 1631. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 211-212, 201.

(٣) Messrs. Spiller And Young At Ispahan To The Company. Sept.8, 1654 (The English Factories In India Vo.IX. 1651-1654 By William Foster. Oxford 1915) p.288; Selections From State Papers, Bombay Op.Cit. p.23.

المستقبل لسيطرتهم على التجارة بين حلب وفارس والخليج والهند. وبذلت جهودها لاقناعهم بنقل الحرير من جيلان إلى أصفهان ومقايضته بالأقمشة الانكليزية العائدة لها بدلاً من نقله إلى حلب ومقايضته بالأقمشة الصوفية العائدة للشركة التركية «الليفانت». ولكن مصلحة الأرمن في تصدير الحرير عبر الأراضي العثمانية كانت أكثر إغراء من عروض الشركة الانكليزية التي استهدفت تحويل تجارة الحرير الفارسي من حلب إلى أصفهان ومقايضته بالأقمشة الصوفية الانكليزية، ثم نقله إلى جمبرون «بندر عباس» لشحنه في سفنها إلى انكلترا.

وفي العقد الأخير من القرن السابع عشر توترت العلاقات بين الأرمن والشركة الانكليزية نتيجة عدم إخلاص بعض الوسطاء الأرمن المتعاونين معها، ولعرقلة التجار الأرمن مقايضة الأقمشة الصوفية الانكليزية بالحرير الفارسي بزعم أن التجارة المنافسة والتي تتم عبر الأراضي العثمانية لا تزال قوية. ولما كانت مصلحة الأرمن في استمرار التجارة المنافسة فقد وقفوا ضد المصالح الانكليزية في فارس ونجحوا في وقف أمر الشاه حسين الذي فوض الشركة الانكليزية بيع الكميات الكبيرة من الأقمشة الصوفية التي جاءت بها إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» الى التجار الفرس بالتقسيط، مما اضطر الشركة الانكليزية إلى المضاربة على البضائع العثمانية في عام ١٦٩٧[١].

وفي نهاية القرن السابع عشر منح الشاه حسين الأرمن احتكار الحرير الفارسي وفوض الوكيل الانكليزي أن يأخذ منهم ثلث كمية الحرير لحساب الشركة الانكليزية على أن يوافق الأرمن على شحن الباقي في سفن الشركة الانكليزية إلى الأسواق الأوربية[٢]، ولكن الأرمن لم يتحمسوا لمشروع التعاون مع الانكليز.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٤ ـ ١٢٥، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ وانظر: Selections From State Papers, Bombay Op.Cit. p.34; Danvers. F.C. Op.Cit. pp.27-28.

(٢) Danvers. F.C. Op.Cit p.28.

سياسة شركة الهند الشرقية الانكليزية

قامت سياسة شركة الهند الشرقية الانكليزية ولعدة عقود بعد تأسيسها في عام ١٦٠٠ على أسس تجارية، فمنذ البداية تجنبت الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي الالتزامات السياسية وكرست جهودها الرئيسية للتجارة. وركزت فعالياتها في مجالات البحث عن الثروة في الشرق. ووفقاً للسياسة التي وضع خطوطها الرئيسية السير توماس رو ـ سفير انكلترا لدى بلاط المغول ـ والتي تحبذ التفاهم الودي مع القوى الأوربية والأقطار الشرقية وتأسيس التجارة الانكليزية المنتظمة مع الشرق[1] على قواعد راسخة، اهتمت الشركة الانكليزية بالتجارة السلمية وعملت على توسيعها وقمع الاعتداءات البحرية واقصاء المنافسة التجارية وعدم التورط في النزاعات المحلية[2]. ولذلك امتنعت عن مشاريع التوسع ودخلت في علاقات صداقة مع الحكام المحليين على اختلاف أجناسهم وأقطارهم.

وقد استهدفت سياسة الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي، الحصول على الاحتكارات التجارية، فأقامت وكالة تجارية لها في جاسك أولاً ثم في جمبرون «بندر عباس»، وحاولت منع البرتغاليين والاسبان من الحصول على فرمانات من الشاه الفارسي من شأنها الحاق الضرر بالمصالح التجارية الانكليزية. ولتحقيق هذه السياسة أرسلت الشركة الانكليزية إدوارد كونوك

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠.

(٢) Standish, J.F. British Maritime Policy In The Persian Gulf. pp. 324-325

في تشرين الثاني ١٦١٦ إلى فارس للحصول على فرمان من الشاه لمنح الانكليز حرية التجارة في بلاده[١]. وقد اهتم كونوك بمقابلة الشاه عباس الأول لتقديم الهدايا إليه والتفاوض معه للحصول على الامتيازات التجارية قبل أن يتمكن السفير الاسباني من مقابلته وتقديم الهدايا الكثيرة التي أحضرها معه للقضاء على التجارة الانكليزية في فارس في بدايتها.

واستجاب الشاه عباس الأول لرغبة الشركة الانكليزية ووعد وكيلها «كونوك» منح الانكليز الحرية والاحترام في بلاده بحضور السفير الاسباني الذي لم يخصه الشاه بكلمة طيبة بينما كان لطيفاً في معاملة كونوك[٢] الذي لم يكن في نيته عرض رغبة الانكليز في التبادل التجاري مع فارس إلا إذا قبل الشاه مبادلة المنتجات الفارسية بالأقمشة الصوفية والبضائع الانكليزية[٣]، وقد أكد الفرمان الذي منحه الشاه عباس إلى كونوك في آب ١٦١٧ على ما يلي:

أ ـ إقامة السفير الانكليزي بصفة دائمة لدى البلاط الفارسي وإرسال سفير فارسي إلى البلاط الانكليزي في وقت لاحق وعندما تسمح الظروف بذلك.

---

(١) A Commission Or Instruction For Edward Connock, Chief, Tho. Barker, George Pley, Edward Pettus, Wm. Tracy, And Mathew Pepwell. Nov. 1616. (Letters Received By The East India Company. Vol. IV. 1616 Edited by William Foster. London 1900) pp. 220-221; Surat 1680. (The English Factories In India, New Series. Vol. III. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1954). pp. 264-265; Hawley. Donald. Op.Cit. p.74.

(٢) Ed. Connock, William Tracy And William Robbins To The East India Company. Aug. 4, 1617. (Letters Received by The East India Company From Its servants In The East. Vol. VI, 1617 Edited by William Foster. London 1902) p.34; Edward Connock To George Pley At Shiraz. Ispahan. April 10, 1617. (Letters Received. Vol. V. 1617. London 1901) pp. 196-217, 278-280; Bradly — Birt, F.B. Persia, Through Persia From The Gulf To The Caspian. Vol XX. (U.S.A. 1910) pp. 13-15.

(٣) Sir Thomas Roe To William Robbins At Ispahan Mando. Aug. 2, 1617. (Letters Received By The East India Company. From Its Servants In The East. Vol. VI, 1617. Edited by William Foster. London 1902). p.76.

ب ـ حرية الرعايا الانكليز في معاملات البيع والشراء في جميع أنحاء فارس.
جـ ـ حرية الرعايا الانكليز في ممارسة شعائرهم الدينية وفي حيازة الأسلحة واستعمالها في حالة الدفاع عن النفس.
د ـ للسفير الانكليزي الحق في تعيين الوكلاء والمفوضين الانكليز. وتتعهد السلطات الفارسية بتقديم العون والاحترام لهم.
هـ ـ للسفير الانكليزي معاقبة الرعايا الانكليز إذا ما ارتكب أحدهم مخالفة ما.
و ـ إذا ما نشب نزاع مالي بين الرعايا الانكليز والرعايا الفرس وكان المبلغ المتنازع عليه يتجاوز عشرين توماناً يكون من حق السفير الانكليزي الفصل في النزاع بالاشتراك مع القضاة الفرس. أما المنازعات المالية الصغيرة التي تقل عن عشرين توماناً فتفصل السلطات الفارسية فيها[1].

وقرر الشاه عباس الأول في عام ١٦١٨ منع تصدير الحرير الفارسي إلى أوربا عبر الأراضي العثمانية أو بواسطة السفن الاسبانية والبرتغالية وحصره في الشركة الانكليزية وأمر بإرساله إلى ميناء جاسك أو بعض المدن الفارسية القريبة منه في كل موسم؛ وقد وجد الانكليز أن شراء الحرير من جاسك أسهل وأرخص بالنسبة لهم من حلب[2]. ولما كان الشاه عباس قد أعطى كونوك الحرية في نقل البضائع الانكليزية إلى أي ميناء آخر يمكن للانكليز الدفاع عنه ضد لصوص البحر والبرتغاليين، فقد أبدت الشركة الانكليزية رغبتها في استخدام ميناء جمبرون وأن يكون لها وكالة في أصفهان وتخفيض سعر الحرير

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧

(٢) Sir Thomas Roe To William Robbins At Ispahan. Jan, 17, 1617. (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) pp. 50-51.

وانظر محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثالث كانون الثاني ١٩٦١. ص ٢٦١ ـ ٢٧٨) ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

الفارسي[١]. كما طلبت من الشاه الحصول على حق تصدير الكبريت والخيول ولكنها عدلت عن تصدير الخيول الفارسية لعدم صلاحيتها للنقل بالسفن.

وبعث ملك انكلترا جيمس الأول برسالة إلى الشاه عباس الأول في آذار ١٦٢٠ يشكره فيها على ما تفضل به على التجارة الانكليزية من امتيازات ويرجوه السماح للشركة الانكليزية بتأسيس وكالة للحرير في ميناء جاسك؛ وقد وافق الشاه على طلبه مما وثق العلاقات بين الانكليز والفرس في صراعهما المشترك ضد البرتغاليين[٢]، وعندما وصل أسطول الشركة الانكليزية الذي ضم خمس سفن إلى ميناء جاسك عَمَّ الذعر والهلع في هرمز والتي أصبحت تجارتها مهددة نتيجة للتقارب الانكليزي - الفارسي.

ثم عززت الشركة الانكليزية موقفها في الخليج العربي بزيادة عدد سفنها في مياهه. ففي تشرين الثاني ١٦٢١ غادر سورات أسطول انكليزي ضم تسع قطع حربية متوجهاً نحو منطقة الخليج العربي حيث أقام مركزاً قوياً للانكليز في جمبرون بعد نقل بضائعهم من جاسك. وكان هدف الشركة الانكليزية من إنشاء مراكزها التجارية في منطقة الخليج العربي توزيع البضائع التي تنقلها السفن الانكليزية وضمان وجود مراكز - فيما بعد - لتوزيع بريد الشركة الانكليزية بين انكلترا والوكالات الانكليزية في الشرق. ثم تطورت العلاقات الانكليزية - الفارسية إلى تحالف مشترك ضد البرتغاليين في عام ١٦٢٢، وقدم الانكليز مساعدتهم للفرس في الهجوم على قلعة قشم مقر قيادة القبطان البرتغالي راي فرايري مما أرغم البرتغاليين على الاستسلام في هرمز في نيسان ١٦٢٢.

وقد قوي مركز الشركة الانكليزية في عام ١٦٦١، عندما أصدر شارل الثاني مرسوماً فوض الشركة بموجبه إعلان الحرب وعقد الصلح مع حكام الشرق غير المسيحيين باسم التاج الانكليزي. كما منحها الحق في سن القوانين

(١) A Commission Of Instruction For Edward Connock. Op.Cit. p.221; Minutes Of Consultations Held At Jask, Moghistan, Lar, Shiraz. And Ispahan. Ispahan. June 4, 1619. (Colonial Papers. Vol.II) p.308.

(٢) زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي. (القاهرة، ١٩٦٦) ص ١٧.

وتجهيز الجيوش وإقامة القلاع وتأسيس المستعمرات؛ وفي مرسوم لاحق في عام ١٦٦٧ حصلت الشركة على حق صك العملة في المناطق البعيدة عن انكلترا[١]، وفي ٢٧ آذار ١٦٦٨ حصلت الشركة على حق الولاية الكاملة على جزيرة بومباي التي انتقلت ملكيتها إلى التاج الانكليزي في عام ١٦٦١ كجزء من مهر ابنة ملك البرتغال لزواجها من شارل الثاني[٢]. ولذلك نقلت الشركة الانكليزية مركزها من سورات إلى بومباي في عام ١٦٨٧ وأشرفت مديرية بومباي على شؤون الشركة ومصالحها في المناطق الواقعة إلى الغرب من الهند والتي شملت منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر. ومن بومباي ومدراس وكلكتا استطاعت الشركة الانكليزية أن تنفذ إلى داخل الهند بعد أن شكلت فيها جيوشاً واعتمدت أسلوب القوة في مواجهة الحكام الهنود[٣]. وقد أدت هذه الأحداث مجتمعة بالإضافة إلى إدراك الشركة الانكليزية أن تحقيق أهدافها في التجارة السلمية وغيرها لا يمكن أن يتم بغير استخدام القوة المسلحة بسبب وجود عدد من المنافسين التجاريين لها إلى زيادة تبنِّي الشركة الانكليزية للمواقف السياسية والمسؤوليات العسكرية على حساب طابعها التجاري.

وبعد انتهاء الحروب الانكليزية ـ الهولندية في عام ١٦٧٤ اهتمت الشركة الانكليزية بتوطيد مركزها في منطقة الخليج العربي، فطلب شارل الثاني من الشاه سليمان إصدار فرمان جديد يؤكد فيه الامتيازات الانكليزية السابقة. وتمشياً مع سياسة القوة البحرية وحرية التجارة، قررت الشركة الانكليزية في عام ١٦٧٥ تسليح سفنها التجارية، ونفذت قرارها في العام التالي بإرسال سفينتين مسلحتين محملتين بالبضائع إلى الخليج العربي.

وهكذا شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر تغيراً تدريجياً بطيئاً في أهداف الشركة الانكليزية وربما يعود ذلك إلى طبيعة الأحداث التي

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٦٣.

(٢) Hawley, Donald, Op.Cit. p.77.

(٣) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦١ ـ ٦٢ وانظر عبد الأمير محمد أمين ومصطفى عبد القادر النجار: دور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية أقطار الخليج العربي، والجزيرة العربية. (بغداد، ١٩٧٨) ص ١١ ـ ١٢.

واجهتها الشركة الانكليزية، وإلى الخبرة التي اكتسبتها بعد عقود من تأسيسها، ونتيجة لخطط التغيير التي اقترحها مجلس مديري الشركة في لندن بدلاً من الاستمرار في نهجها السابق الذي حتم عليها التقيد بالشؤون التجارية[1]. ويعود ذلك إلى اقتناع المسؤولين عن الشركة الانكليزية بأهمية زيادة الفوائد والمنافع الاقتصادية التي يمكن الحصول عليها من الهند، وإلى إدراكهم أن شيئاً ولو قليلاً من الالتزامات السياسية ربما كان مهماً لتسهيل شؤون التجارة الانكليزية. ثم أخذ المسؤولون عن الشركة الانكليزية يتدخلون تدريجياً في الشؤون السياسية للأقطار الشرقية فأعلنوا الحرب وعقدوا المعاهدات وقاموا بالمفاوضات[2] ومثل هذه الأمور أصبحت جزءاً مهماً من واجبات الشركة الانكليزية. ومن بين الأسباب التي أدت لمثل هذا التحول التدريجي في سياسة الشركة الانكليزية النجاح الذي حققته في الشرق وفوزها باعتراف انكليزي واضح بمركزها المتفوق في انكلترا، وبالتالي حصولها على دعم أكثر قوة وتصميماً في صراعها مع القوى المنافسة لها في الشرق[3] وبذلك اتبعت الشركة الانكليزية أسلوب السياسة مع التجارة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر لا سيما بعد أن قرر البرلمان الانكليزي في عام ١٧٨٤ قيام هيئة مراقبة للعمل بتوجيه عدد من المسؤولين الانكليز عن الشؤون السياسية والمالية والعسكرية لإدارة مناطقها وممتلكاتها وتعيين حاكم عام يمثل التاج الانكليزي في الهند واضعة بذلك الأساس القوي للسياسة الاستعمارية في الشرق[4] ولكن السيطرة الانكليزية الكاملة وفرض الوصاية على الخليج العربي لم تتحقق إلا في منتصف القرن التاسع عشر.

---

(١) Standish, J.F. Op.Cit. pp. 324-325.
وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٩٩. وينكر بانيكار حصول الشركة الانكليزية في نهاية القرن السابع عشر على أي نفوذ سياسي في الشرق. انظر، آسيا والسيطرة الغربية، ص ٦٢.

(٢) Surat 1680 (The English Factories In India. New Series. Vol.III. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford. 1954) pp. 264-265; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.23.

(٣) Hamilton, C.J. Op.Cit. p.36.

(٤) Standish, J.F. Op.Cit. p.325.

الصعوبات التي اعترضت نشاط الشركة الانكليزية

واجهت الشركة الانكليزية صعوبات كثيرة في تجارتها مع الشرق بعامة ومنطقة الخليج العربي بخاصة؛ ولكنها تمكنت في نهاية القرن السابع عشر من التغلب عليها وبذلك أحكمت سيطرتها التجارية في القرن الثامن عشر وسيطرتها السياسية في القرن التاسع عشر. وفيما يلي أهم الصعوبات التي اعترضت الشركة الانكليزية في القرن السابع عشر.

١ ـ تصدير العملة الذهبية والفضية:

كان الاقتصاديون الانكليز يكرهون تصدير العملة الذهبية والفضية خارج انكلترا. ولما لم يكن لدى الانكليز من شيء يبيعونه بدلاً مما يشترونه كان على وكلاء الشركة الانكليزية في الشرق إيجاد حل مناسب لهذه المشكلة.

وكانت تقارير الوكلاء الانكليز قد أفادت بازدياد الطلب على المنسوجات الهندية في جزر الهند الشرقية، وقدرت الشركة أنه إذا أمكن لها بيع المنسوجات الهندية في بانتام ومالقا وغيرها فسوف تتمكن عندئذ من تمويل تجارة التوابل من الأرباح التي تحصل عليها من تجارة المنسوجات، ولذلك وقع اختيارها على سورات في عام ١٦١٢ لتكون مركزاً تجارياً لشراء المنسوجات[١].

ولكن بعد طرد الانكليز من جزر الهند الشرقية من قبل الهولنديين واجهت الشركة الانكليزية صعوبة دفع ثمن البضائع الهندية مرة أخرى، لأن

---

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦٠ ـ ٦١.

تصدير العملة الذهبية والفضية من انكلترا لم يكن مسموحاً به، ولذلك كانت التجارة مع منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر منقذاً لها، فقد حلت الأقمشة الصوفية الانكليزية محل المنسوجات الهندية - لبعض الوقت - في التعامل التجاري مع فارس وعندئذ أمكن لها مقايضة الأقمشة الصوفية الانكليزية بالحرير الفارسي الخام والاستفادة من الأرباح في تمويل تجارة التوابل والبضائع الشرقية.

٢ - ضعف إمكانيات الشركة الانكليزية:

أصبح وضع الشركة الانكليزية صعباً في منطقة الخليج العربي في عام ١٦٦١؛ فقد وجدت سفنها صعوبة في الحصول على التجهيزات والمياه العذبة من موانئ الخليج العربي، وكانت بحاجة أيضاً إلى اللحوم المملحة وإلى الرجال العاملين. كما عانت الشركة من ارتفاع نسبة الوفيات في أوساط البحارة والملاحين والموظفين والوكلاء[1]، لأن مناخ الخليج العربي لم يكن ملائماً للأوربيين بسبب الحرارة الشديدة والرطوبة الزائدة فيه. ولذلك كان الأوربيون لا سيما السفراء منهم يسرعون بمغادرة موانئه نحو الداخل بحثاً عن مناخ أكثر اعتدالاً.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر لم يكن في وسع أسطول الشركة الانكليزية إغلاق موانئ الخليج العربي في وجه التجارة المنافسة للانكليز، كما أن ذلك ليس في مصلحة الفرس الذين لا يرغبون في إلحاق الأذى بميناء جمبرون «بندر عباس» وكانت الشركة الانكليزية في حاجة ماسة إلى ميناء في الخليج العربي لتوفير الأمن والحماية لسفنها التي تضطر لقضاء الشتاء فيه.

ولما كان مركز الشركة التجاري قد أصبح ضعيفاً في منطقة الخليج

---

(١) Selections From State Papers, Bombay. Op.Cit. Consultation In Surat. Oct. 25, 1661. Requirements Of The Shipping In The Persian Gulf. p.18.

العربي خلال الفترة (١٦٧٧ ـ ١٦٨٠)، حيث اقتصر على نقل بعض المشروبات الروحية وصوف كرمان والماعز والخيل والتمر، فقد صدرت التعليمات إلى الوكيل الانكليزي في جمبرون «بندر عباس» ببيع كل ما لديه من بضائع وشراء ما أمكنه من أصواف كرمان والاستعداد لتصفية تجارة الوكالة الانكليزية إذا لم تتحسن أوضاع التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي[١].

٣ ـ علاقات الشركة بالحكومة الانكليزية في عهد كرمويل:

واجهت الشركة الانكليزية صعوبات في انكلترا نفسها لأن علاقاتها مع حكومة كرمويل لم تكن حسنة لاتهامها بالميل للحكومة السابقة. فلم تمنحها الامتيازات الفعالة مما منعها من تطوير تجارتها وفرض قيوداً عليها، باستثناء بعض وكالاتها التي تمكنت من متابعة نشاطها التجاري ولذلك حاولت استمالة حكومة كرمويل والرأي العام الانكليزي بزيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية[٢] وما لبثت تجارة الشركة أن ازدهرت مرة أخرى في الشرق بعد وفاة كرمويل وعودة الملكية إلى انكلترا في عام ١٦٦٠.

٤ ـ فساد بعض وكلاء الشركة الانكليزية:

كانت مهمة وكلاء الشركة الانكليزية في فارس العمل على توسيع حجم التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي؛ ولكن بعضهم فرط في حقوقها مثل وكيلها في جمبرون «بندر عباس» الذي حقق أرباحاً طائلة نتيجة فرض حمايته التجارية على البضائع غير الانكليزية، والتي امتدت لتشمل بضائع التجار

---

(١) Thos. Barker And Wm. Bell To Edw. Connock. Agent At Ispahan. Shiraz. May 8, 1617. (Colonial Papers. Vol.II). p.27.
وانظر أيضاً: لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954) p.168.
وانظر، عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الهند. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.
وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦١ ـ ٦٢.

الفرس، كما نجحت الشركة الهولندية في رشوة بعض الموظفين الانكليز، ولم يتردد الوكيل الانكليزي في أصفهان في تقديم القروض إلى التجار الهولنديين لتمكينهم من شراء الحرير الفارسي وإلحاق الأذى بالتجارة الانكليزية[١].

٥ ـ بريد الشركة الانكليزية:

اعترضت الشركة الانكليزية بعض الصعوبات لنقل بريدها من انكلترا إلى الهند وبالعكس عبر الخليج العربي أو عبر رأس الرجاء الصالح. وقد استخدمت الطريق الصحراوي الذي يربط البصرة بحلب عبر أراضي العراق وبلاد الشام لأنه أسرع في مجال الاتصال البريدي بين الهند وانكلترا من الطرق الأخرى[٢]، مثل طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البحر الأحمر وطريق بحر قزوين. ولذلك تنبهت الشركة الانكليزية لأهمية الطريق الصحراوي وأصدرت تعليماتها في ٣٠ كانون الأول ١٦٨٦ إلى وكيلها في فارس لإرسال البريد بانتظام إلى انكلترا عن طريق حلب مرة كل ستة أسابيع لأهمية البريد للمصالح الانكليزية في الشرق[٣]. وقد تعرض البريد الانكليزي عبر الطريق الصحراوي للخطر لوجود القبائل المحلية على طول الطريق الصحراوي، ولذلك كان على الشركة الانكليزية كسب صداقة تلك القبائل بتقديم الهدايا والبضائع اليها.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٩، ١٢٢.

(٢) The Surat Presidency, 1674. (The English Factories In India. Vol. I. New Series. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936) p 237.

وانظر أيضاً، أحمد أبو حاكمة: تاريخ شرق الجزيرة العربية (١٧٥٠ ـ ١٨٠٠) ـ نشأة وتطور الكويت ترجمة محمد أمين عبدالله (بيروت، ؟) ص ٤٩ ـ ٥٣.

(٣) Danvers, F.C. Op.Cit. p.27.

كانت الرسائل البريدية تنقل في سفن الشركة المسلحة إلى البصرة ومنها بواسطة السعاة عبر الصحراء إلى حلب حيث تستغرق الرحلة الصحراوية أسبوعين تقريباً، أما النسخ الأصلية من الرسائل فكانت الشركة الانكليزية ترسلها عبر رأس الرجاء الصالح. أنظر، صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ (بغداد، ١٩٧٩) ص ٥٠ ـ ٥٢.

٦ ـ منافسة الشركات الانكليزية الأخرى:

منح الملك شارل الأول مرسوماً لمجموعة أخرى من التجار الانكليز المنافسين لشركة الهند الشرقية الانكليزية، سمح لهم بموجبه بالتجارة مع الهند، فأصبحت الشركة الانكليزية في حالة تنافس مع الشركات الانكليزية التجارية الأخرى دون أن تتلقى مساعدة مالية من الحكومة الانكليزية[١].

وقد أسس هؤلاء التجار فيما بعد الشركات التجارية المنافسة للشركة الانكليزية؛ وكانت أولها شركة التجار المغامرين وتأسست في عام ١٦٥٥ وحصلت على تفويض من كرمويل بالتجارة مع الهند وقام التجار المغامرون بترويج الشائعات عن تصفية أعمال الشركة الانكليزية مما أثر على مركزها في الخليج العربي.

وقد تمكنت الشركة الانكليزية من الصمود في وجه هذه المنافسة الشديدة وازدهرت أعمالها في منتصف القرن السابع عشر؛ فكان لها ٢٣ وكالة تجارية في الشرق ضمت ٩٠ موظفاً[٢]. ولكنها تضررت مرة أخرى في عام ١٦٧٤ عندما سمحت الحكومة الانكليزية لجميع رعاياها بالتجارة بكل أنواع البضائع باستثناء بعضها باعتبارها سلعاً مهربة يحظر الاتجار بها والسفر بكل حرية إلى كل الجهات. ثم اضطربت تجارة الشركة الانكليزية خلال عامي ١٦٨٣ و١٦٨٤ بسبب منافسة التجار المغامرين الانكليز لها، ولتمرد جنودها في بومباي على وكلائها، ولعدم وجود بضائع صالحة للبيع لديها، مما عرّضها لخسارة كبيرة في البضائع الفارسية التي صدرتها إلى انكلترا وأضعف مركزها في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر[٣].

---

(١) Al-Musawi, Mustafa Murtada. Persian Trade Under The Safavids. 1514-1722. pp.99-102. (Sumer, A Journal Of Archaeology & History In Iraq. Vol. XXV. No. I & II. 1969). p. 100.

(٢) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي، ١٧٤٧ ـ ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم (بغداد، ١٩٧٧) ص ٢١ وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦١.

(٣) Abstract Of The Articles Of The Treaty Marine Concluded Between His Majesty's Commissioners And Those Of The State General, Dec. 11, 1674; A =

وزاد مركز الشركة الانكليزية ضعفاً في عام ١٦٩٣، عندما أصدر مجلس العموم الانكليزي قراراً أكد فيه حق كل الشركات الانكليزية بالتجارة مع الشرق وفي أي مكان آخر إلا إذا منع مجلس العموم ذلك، مما أدى إلى صراع عنيف ومرير بين الشركة الانكليزية من جهة والشركات الانكليزية المنافسة لها من جهة أخرى تسبب في إلحاق خسائر فادحة بالجانبين إلى أن تم الاتفاق في عام ١٧٠٢ ثم الاندماج لكل الشركات الانكليزية المتاجرة مع الشرق في عام ١٧٠٨، باسم «شركة تجار انكلترا المتحدين للتجارة مع الهند والأقطار المجاورة لها» وعندئذ حصل الانكليز على مركز قوي لهم في التجارة الشرقية.

وقد تبنت الشركة الانكليزية بعد اندماجها في الشركات التجارية المنافسة لها موقفاً سياسياً أخذ يطغى تدريجياً على طابعها التجاري. وقد قوي مركز الشركة الجديدة في فارس في العقد الثاني من القرن الثامن عشر؛ ولكن الغزو الأفغاني لفارس (١٧٢٢ - ١٧٢٩)، وما رافقه من اضطراب شامل أثر كثيراً على التجارة الفارسية وبالتالي على ازدهار التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي.

٧ - منافسة الشركة التركية «الليفانت»:

تمكنت الشركة التركية «الليفانت» التي تأسست في عام ١٥٨١ من ربط التجارة الشرقية بها بادعاءات تجارية في عام ١٥٩٢. ولذلك زادت المنافسة بين الشركتين الليفانت والانكليزية في القرن السابع عشر واحتكرت كل منهما طريقاً تجارياً خاصاً بها فاعتمدت شركة الليفانت على الطريق البري للتجارة الداخلية عبر الأراضي العثمانية، ووجدت في ميناء حلب كميات من الحرير الفارسي في بعض الأحيان لخضوع تجارة الحرير لسياسة الحكومة الفارسية وعلاقاتها مع الدولة العثمانية.

= Court Of Committees March 10, 1676. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1674-1676 By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1935) p. 123, 285; Amin, Abdul Amir. Op. Cit. p.7.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٤.

أما الشركة الانكليزية فقد استخدمت طريق رأس الرجاء الصالح وسعت إلى التغلب على منافسة شركة الليفانت لها بإرسال المنتجات الشرقية مباشرة إلى أوربا وبيعها بسعر أقل مما تباع به في موانئ البحر المتوسط. وقد أدت هذه المنافسة العنيفة إلى ابتعاد كثير من التجار الأجانب عن شراء البضائع الشرقية من موانئ البحر المتوسط مما أثر على حركة النقل التجاري فيه[1]. كما نجحت الشركة الانكليزية في توطيد مركزها التجاري في مينائي جمبرون والبصرة. وقد حلت البصرة محل حلب كمركز رئيسي لمبادلة الأقمشة الصوفية وغيرها بالحرير الفارسي على الرغم من احتجاجات شركة الليفانت التي اتهمتها بالتجاوز على منطقة امتيازها.

٨ ـ تقديم المساعدات العسكرية:

أدى رفض الشركة الانكليزية لإلحاح السلطات الفارسية بالمساعدة العسكرية ضد البرتغاليين ثم ضد العرب في مسقط وضد العثمانيين في البصرة إلى استياء الفرس منها، ويعود رفض الشركة الانكليزية إلى توزع مصالحها ومراكزها التجارية على الأراضي العثمانية والفارسية، ولذلك بذلت جهدها لتتجنب الاشتراك في أي حرب ضد أي من الجانبين العثماني والصفوي، وغالباً ما وجدت الشركة نفسها في وضع مساومة مع السلطات الفارسية التي كانت تفرض شروطها عليها[2]، كما اعترضت التجارة الانكليزية في فارس صعوبة أخرى نتيجة عدم حصول الشركة الانكليزية على عقود وفرمانات جديدة في عام ١٦٣٠ لانشغال الشاه صفي في حرب مع الدولة العثمانية مما أثر على مشاريعها في فارس كما أدى تجاهل الفرس الدائم لحقوق الشركة الانكليزية وامتيازاتها إلى تدهور التجارة الانكليزية.

(١) Wood, Alfred. A History Of The Levant Company (London 1964) p.21; Selections From State Papers, Bombay, Op.Cit. p.v; Hall, Lesley A. Op.Cit. pp.3-4.

وانظر أحمد عزت عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) Edward Connock, George Pley, Edward Pettus, And William Tracy To The Factors At Surat. Ispahan, June 8, 1617. (Letters Received By The East India Company Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) p. 302.

٩ ـ تجديد الامتيازات التجارية:

كان الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) أفضل أصدقاء الشركة الانكليزية في فارس. وبعد وفاته في عام ١٦٢٩ لم تستطع في عهد خلفه الشاه صفي تجديد الامتيازات التي حصلت عليها إلا بعد أن تعهدت بشراء ما قيمته ٢٠,٠٠٠ تومان (ما يعادل ٦٠,٠٠٠ جنيه استرليني) من الحرير الفارسي سنوياً على أن تدفع ثلث القيمة نقداً والباقي مقايضة بالبضائع الانكليزية والشرقية. كما كان عليها تقديم هدايا شخصية للشاه وللمسؤولين الفرس في مختلف المناسبات وبمعدل ١٥٠٠ جنيه استرليني في كل عام. وإذا ما توقفت عن شراء الحرير الفارسي وفق الكمية التي حددها فرمان الشاه صفي في عام ١٦٢٩ كانت السلطات الفارسية ترفض عروضها لشراء الحرير[١]. واضطرت في عام ١٦٤٢ إلى العودة إلى أصفهان مرة أخرى للمحافظة على مصالحها التجارية بعد أن رفضت السلطات الفارسية دفع حصتها من العائدات الجمركية في جمبرون، ولتقديم الهدايا إلى الشاه لكسب عطفه على مصالحها.

كذلك كان على الشركة الانكليزية أن تدفع رشوة للموظفين المحليين في جمبرون «بندر عباس» على الرغم من نصيبها الضئيل من العائدات الجمركية[٢]. كما فرضت السلطات الفارسية قيوداً على التجارة الانكليزية في بعض الأحيان لمعارضة التجار الفرس بسبب المنافسة التجارية وعرقلة الموظفين الفرس بهدف الحصول على الأموال والهدايا.

---

(١) (Postscript) Oct. 26, 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 53-54.
وانظر أيضاً، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) President Fremlen, Francis Breton, And John Wylde At Swally Marine To The Company. Jan. 27, 1642 (The English Factories In India. Vol.VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) pp. 2-4, 27; Hall, Lasley A. Op.Cit. p.3.

١٠ ـ عدم ملاءمة ميناء جاسك:

لم يكن ميناء جاسك على الساحل الفارسي الجنوبي والذي يبعد حوالي ألف ميل عن العاصمة أصفهان مناسباً للتجارة الانكليزية، لأن نقل البضائع الى العاصمة سيكون على حساب الأرباح، كما أن الطريق على الساحل الفارسي من جاسك إلى لار ومنها إلى أصفهان محفوفة بالمخاطر، مما يعرض البضائع الانكليزية إلى غارات اللصوص في بلوخستان، ويستدعي توفير حراسة جيدة لها وإرضاء الحكام المحليين في المناطق التي تمر التجارة الانكليزية فيها[١]، وكذلك كان على الشركة الانكليزية إبقاء أسطولها في مدخل الخليج العربي للدفاع عن تجارتها مما يكبدها نفقات إضافية بينما الفائدة التي تحصل عليها من التجارة الفارسية ضئيلة ـ في البداية ـ.

١١ ـ عدم ثبات طريق التجارة الفارسية:

ظلت الشركة الانكليزية تخشى من أن تؤدي عودة السلام بين الصفويين والعثمانيين إلى تحول التجارة الفارسية عن موانئ الخليج العربي وعودتها إلى استخدام الطريق البري عبر الأراضي العثمانية إلى ميناء حلب على البحر المتوسط، لا سيما وأن المناطق الشمالية من فارس مثل جورجيا وجيلان والتي يمكن تسويق الأقمشة الصوفية الانكليزية فيها وهي المناطق التي تنتج الحرير قريبة من الحدود العثمانية.

وكانت الشركة التركية «الليفانت» تأتي بالأقمشة الصوفية الانكليزية إلى حلب ومنها يعاد تصديرها إلى شمال فارس بسعر أرخص من السعر الذي يمكن للشركة الانكليزية أن تبيع به الأقمشة الصوفية التي تأتي بها إلى ميناء جاسك أو جمبرون[٢]، كما أن الرحلة البحرية من انكلترا إلى حلب، والبرية من حلب إلى شمال فارس أقصر من الرحلة البحرية من انكلترا إلى جاسك والبرية من جاسك إلى أصفهان ومنها إلى شمال فارس.

(١) Sir Thomas Roe To Sir Thomas Smythe Nov. 27, 1616 (Letters Received By The East India Company Vol. IV 1616. Edited By William Foster. London 1900). pp. 220-221.

(٢) Ibid. pp. 246-247.

١٢ ـ عدم تعاون باشا البصرة العثماني:

أثار باشا البصرة العثماني عدة صعوبات في وجه الشركة الانكليزية قبل أن يقفل وكالتها في البصرة في عام ١٦٥٧ بسبب الشائعات التي روجها خصومها عن إفلاسها وعجزها عن سداد ديونها وإعلان تصفيتها(١)، وبسبب التفوق الهولندي في الخليج العربي، وقد خضعت الوكالة الانكليزية في البصرة لإشراف الوكيل الانكليزي في جمبرون «بندر عباس» وظلت قائمة حتى عام ١٧٢٣/١٧٢٤. وفي عام ١٧٢٧ قدم باشا البصرة العثماني طلبات متشددة إلى المقيم الانكليزي في البصرة.

١٣ ـ منافسة الشركة الهولندية:

حصلت الشركة الانكليزية من الشاه عباس الأول على امتيازات مهمة في مقابل مساعدتها له في الاستيلاء على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢، ومن بين تلك الامتيازات التي حصلت عليها تأسيس وكالة تجارية لها في ميناء جمبرون «بندر عباس» والذي أصبح الميناء الرئيسي لتجارتها في منطقة الخليج العربي، ولكن الآمال التي توقعتها من التبادل التجاري مع فارس لم تتحقق على النحو الذي أرادته، فقد لحقت بها الشركة الهولندية وأقامت وكالة تجارية لها في جمبرون أكبر من وكالتها. واضطرت الشركة الانكليزية أمام عنف المنافسة الهولندية في فارس إلى البحث عن مكان آخر آمن للتجارة في الخليج العربي، فأرسلت في عام ١٦٣٥ سفينة صغيرة إلى البصرة وكانت النتيجة مشجعة. وفي عام ١٦٤٥ قررت نقل مركزها من جمبرون إلى البصرة للابتعاد عن النزاع الهولندي الفارسي وعن منافسة الشركة الهولندية لها لا سيما بعد أن أغرقت الأسواق الفارسية ببضائعها الهولندية(٢) مثل التوابل وسبائك الذهب والفضة، حيث كان متوسط عدد السفن الهولندية التي ترد إلى بندر عباس

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley, Op.Cit. p.108.

(٢) President Fremlen, Francis Breton. (The English Factories. Vol. VII) Jan. 27, 1642. p.27; Thos. Barker, John Purifie, And Robt. Loftus To The East India Company. May 19, 1626 Colonial Papers. Vol.IV) pp. 201-202.

عشر سفن في العام. كذلك كانت السفن الهولندية أكبر حجماً وأكثر اتساعاً وأفضل من السفن الانكليزية[1]. وبينما كانت تجارة الشركة الانكليزية تضعف باستمرار في الخليج كانت الشركة الهولندية تعزز موقفها في فارس.

وعلى الرغم من المساعدة التي قدمها كرمويل للشركة الانكليزية لتمكينها من الاستمرار في عملياتها التجارية في الشرق فإن مركزها في الشرق قد تعرض للخطر بسبب الفوضى وعدم التنظيم، حتى فكرت في بيع امتيازاتها وممتلكاتها في الهند في عام ١٦٥٧. ولكنها استردت بعض قوتها في الشرق قبيل وفاة كرمويل[2] في عام ١٦٥٨. وكذلك ألحقت الشركة الهولندية هزائم كثيرة بها خلال الحروب الانكليزية والتي تسببت في إضعاف مركزها في منطقة الخليج العربي مما أثر على هيبتها واحترامها، حتى تمكنت في عام ١٦٨٦ وبعد محاولات متعددة من الحصول على فرمان من الشاه بحماية تجارتها وتأكيد امتيازاتها في ميناء جمبرون «بندر عباس».

١٤ ـ خطر القرصنة:

حرصت الشركة الانكليزية على تحصين مراكزها التجارية ووضعها تحت الحراسة المسلحة في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي، وألحت باستمرار على تزويدها بالسفن الحربية لاستخدامها في الدفاع عن مصالحها التجارية ضد خطر القرصنة التي نشطت في الربع الأخير من القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٨٦ قام اثنان من قادة القراصنة الأوربيين بنهب السفن التجارية في البحر الأحمر، كما قام القراصنة الانكليز بنهب المستوطنة البرتغالية في كونغ[3]، وتبع القراصنة الانكليز في الخليج العربي قراصنة آخرون من الأجانب والمحليين مما أثر على ازدهار الحركة التجارية فيه.

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley, Op.Cit. p.107.

(٢) Miles, S.B. Op.Cit. p.212.

(٣) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus. To The East India Company. Ispahan, Oct.22, 1628, (Colonial Papers. Vol.IV) pp. 562-564; Danvers, F.C. Op.Cit. p.28; Miles, S.B. Op.Cit. p.227.

ثم نشط القراصنة الانكليز مرة أخرى في المحيط الهندي والخليج العربي، فاستولوا على سفينة حربية كبيرة عائدة إلى أحد التجار الهنود واعتدوا على سفن الحجاج المسلمين[1] على الرغم من الاجراءات التي اتخذها الامبراطور أورنجزيب (١٦٥٨ - ١٧٠٧) لتأمين سلامة قوافل الحج البحرية من الهند إلى مكة المكرمة[2]. وازداد عدد القراصنة الأوربيين وسرقوا بضائع التجار على اختلاف جنسياتهم وبدون تمييز، كما هرب بعض البحارة من الشركات الهولندية والفرنسية والانكليزية بسفنهم الحربية واحترفوا القرصنة التي عمت الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي، مما أثر على ازدهار التجارة الشرقية فيها. ولذلك اتفقت القوى الأوربية في الشرق في عام ١٦٩٨ على التعاون فيما بينها ضد القرصنة، وعهد إلى الأسطول الانكليزي بحراسة المياه الجنوبية وإلى الأسطول الهولندي بحراسة البحر الأحمر وإلى الأسطول الفرنسي بحراسة مياه الخليج العربي[3].

ثم أخذت الشركة الانكليزية تتدخل ضد القرصنة في الخليج العربي في القرن التاسع عشر من أجل تأمين تجارتها، فشرعت في عمليات الرقابة والإشراف الدائم وباستخدام القوة البحرية أو التلويح باستخدامها في شتى المناسبات[4].

ومهما يكن من أمر فقد شهدت الشركة الانكليزية فترات ازدهار في القرن السابع عشر وتمكنت من الاحتفاظ بنشاطها التجاري في منطقة الخليج العربي بواسطة وكالاتها التجارية في أصفهان وبندر عباس وشيراز وكرمان والبصرة.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit p.229, 233.

(٢) Abbasi, Muhammad Yusuf. Arabia In The Accounts Of The South Asian Travellers. pp. 49-63. (Islamic Studies Quarterly. Journal Of The Islamic Research Institute, Islamabad. Vol. XVIII Spring 1979) p.50.

(٣) Hawley, Donald. Op.Cit. p.76.

(٤) Warden, Francis. (Prepared by) Brief Notes Relative To The province Of Oman. (Bombay. New Series 24. Aug. 1819) p.62.

الفصل الرابع

الهولنديون

مقدمة

بدأ التمرد الهولندي على التاج الاسباني منذ عام ١٥٦٦ بسبب الاضطهاد الديني ونشاط محاكم التفتيش ونتيجة للمعاملة السيئة التي لقيتها السفن الهولندية في الموانئ الاسبانية. وأعلن الهولنديون استقلالهم عن اسبانيا في عام ١٥٨١، ورد الملك الاسباني فيليب الثاني (١٥٥٦ - ١٥٩٨) على ذلك بإغلاق أسواق لشبونة وموانئ شبه الجزيرة الايبرية في وجه السفن الهولندية وحرم عليها نقل البضائع الشرقية من لشبونة، والتي كانت في القرن السادس عشر المخزن الرئيسي للتجارة الشرقية حيث كان الموزعون الهولنديون يأخذون منه ما تحتاج إليه أسواقهم من البضائع الشرقية المفضلة عند الأوربيين الذين تنافسوا فيما بينهم على احتكار تجارة التوابل والبهارات والأفاويه ذات الأرباح العالية، والتي كانت أفضل ما يمكن أن تنقله سفنهم من جزر الهند الشرقية[١].

ونتيجة لقرار فيليب الثاني، ولما كانت الحرب الاسبانية - الهولندية قد منحت بعض الازدهار للمضانع الهولندية ووسعت نطاق التبادل التجاري بين هولندا والدول الأخرى[٢]، ولعدم رغبة التجار الهولنديين الاستمرار في دفع الأسعار التي يفرضها الاحتكار البرتغالي عليهم، قرر الهولنديون التوجه نحو

(١) Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954) p. 159.
(٢) Barker, J. Ellis. The Rise And Decline Of The Netherlands. (London 1906) pp. 125-129.

البحار الشرقية للحصول على السلع والمنتجات الشرقية من مصادرها مباشرة ولتوجيه ضربة قوية للاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية لا سيما بعد أن تبين لهم إمكانية تحدي القوة البرتغالية في الشرق، وخاصة بعد أن أصبحت البرتغال جزءاً من الامبراطورية الاسبانية في عام ١٥٨٠.

ولتنفيذ هذه السياسة التجارية الجديدة عقد التجار الهولنديون اجتماعاً في امستردام في عام ١٥٩٢ قرروا فيه إنشاء شركة هولندية للتجارة مع الهند؛ ورغبة منهم في جمع المعلومات الضرورية للرحلة البحرية الأولى إلى الشرق أرسلوا كورنيلوس دي هوتمان إلى لشبونة وحصلت الشركة على المعلومات التي جمعها جان هيوجن لنشوتن ـ أمين سر كبير أساقفة جاوه، والذي أتاح له منصبه فرصة نادرة للاطلاع عن كثب على عناصر القوة والضعف في مركز البرتغاليين في الشرق. وكان لنشوتن أول هولندي يقدم معلومات قيمة عن التجارة الهندية في نهاية القرن السادس عشر بعد أن ذهب إلى الشرق في عام ١٥٨٣ مع رئيس أساقفة جاوه البرتغالي(١) حيث بقي في جاوه عدة سنوات تمكن خلالها من جمع معلومات مهمة ومفصلة عن المنتجات الهندية وطرق المواصلات إلى الشرق وقام بطبعها في عام ١٥٩٢ ووضعها تحت تصرف الشركة الهولندية.

وبعد ثلاث سنوات من تأسيس الشركة الهولندية الجديدة خرج أول أسطول هولندي من أربع سفن تقل ٢٥٩ رجلاً بقيادة هوتمان للتجارة مع الشرق في عام ١٥٩٥، فبلغ الجزر الأندونيسية مصدر التوابل والبهارات ومركز تجارة الأفاويه مثل الفلفل والقرفة واللبّان الجاوي وغيرها. وعاد هوتمان إلى هولندا في عام ١٥٩٧ بعد سنتين ونصف بثلاث سفن بعد أن فقد واحدة من سفنه ولم يعد من الملاحين سوى ٨٩ رجلاً وقد حققت الرحلة الأولى أرباحاً بلغت ٨٠,٠٠٠ فلورين.

ولعل أهم نتيجة لرحلة هوتمان ظهور مؤسسات تجارية جديدة توحدت في عام ١٥٩٧ باسم «جمعية التجارة مع البلاد البعيدة» واستمرت الرحلات

---

(١) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.127.

البحرية الهولندية إلى الشرق حتى بلغ عددها (١٥٩٨ - ١٦٠١) حوالي خمس عشرة رحلة[١]. ثم اندمجت ست شركات هولندية صغيرة مما أدى إلى تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية التي تم تنظيمها بإيحاء من أولدن بارنفلت وفق مرسوم صدر في ٢٠ آذار ١٦٠٢ عندما منح مجلس الأمة الهولندي الشركة الجديدة احتكار التجارة الشرقية لمدة عشرين سنة، وخوّلها سلطات السيادة الواسعة لعقد المعاهدات والمحالفات مع الدول الآسيوية، وفوّضها القيام باحتلال الأراضي وبناء الحصون والقلاع وتجهيز الجيوش وحق إعلان الحرب لتتمكن من منافسة الشركات الأوربية الأخرى في الشرق، وبذلك أصبحت شركة قومية[٢]. ويعتبر بعض المؤرخين الشركة الهولندية التي تأسست بدمج عدة شركات صغيرة أول عمل تعاوني جماعي من نوعه في العصر الحديث وهكذا تشكلت الشركة الهولندية من ائتلاف قوي لمصالح الجماعات التجارية الهولندية المهتمة بالتجارة مع الشرق وتمتعت بمصادر وامكانيات وقوات أكثر من تلك التي تمتعت بها منافستها الشركة الانكليزية[٣].

وكانت أول معاهدة للشركة الهولندية في الشرق مع الزامورين - حاكم المالبار - في عام ١٦٠٤ لطرد البرتغاليين من ساحل المالبار وسائر أنحاء الهند،

---

(١) أصدر ملك البرتغال الدوم مانويل مرسوماً في عام ١٥٠٤ حظر بموجبه وضع الإشارات على الخرائط والتي من شأنها أن ترشد على الطريق البحري بعد منطقة الكونغو. وأحاطت الحكومة البرتغالية دائرة رسم الخرائط الرسمية بسرية تامة. ولذلك كان على الهولنديين الاعتماد على تقارير لنشوتن وهوتمان.

أنظر. بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٥٥ - ٥٦.

وانظر أيضاً، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ - ١٧٦٠. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثالث - كانون الثاني ١٩٦١. ص ٢٦١ - ٢٧٨)، ص ٢٦٣.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp. 157-159.

(٣) Saleh, Zaki, Mesopotamia (Iraq) 1600-1914. (Baghdad 1957) pp. 39-40; Nyrop, Richard F. Area Handbook For The Persian Gulf States. (?1977) p.23; Al-Musawi, Mustafa Murtada. Persian Trade Under The Safavids 1514-1722. (Sumer, A Journal Of Archaeology & History In Iraq. Vol.XXV. Nos. I & II. 1969. pp. 99-102) pp. 100-101.

وهكذا دخل الهولنديون في صراع مرير مع البرتغاليين بُعَيد وصولهم إلى الشرق[1] على الرغم من حرصهم في البداية على تجنب المواجهة مع السفن البرتغالية بإقامة تجارتهم في المناطق النائية والبعيدة عن النفوذ البرتغالي[2]؛ ولكن البرتغاليين وقفوا منذ البداية أيضاً ضد النشاط الهولندي في الشرق، ورفعوا في وجه الهولنديين وغيرهم سياستهم الدائمة المتمثلة بالبحار المغلقة، وبدأوا هجماتهم على السفن الهولندية منذ عام ١٦٠٣ بشكل عنيف ومركّز ولمدة ست سنوات. ولذلك شرع الهولنديون في احتلال المستوطنات البرتغالية غير المحصنة في آسيا وأفريقية الشرقية والتي لم تستطع الدفاع عن نفسها[3]. فحاصروا جاوه المركز الرئيسي للبرتغال في المحيط الهندي بدون جدوى خلال الفترة (١٦٠٤ - ١٦٠٨) قبل أن تتمكن هولندا واسبانيا من الاتفاق على عقد هدنة بينهما لمدة اثنتي عشرة سنة في عام ١٦٠٩ والتي بموجبها سمحت اسبانيا للهولنديين بحرية التجارة في المحيط الهندي مما منحهم بعض الوقت والامكانيات لبناء امبراطوريتهم التجارية في آسيا[4]. ولكن البرتغاليين في الشرق رفضوا تنفيذ الاتفاق وكانت سياسة هولندا تقوم على التجارة أولاً ثم الاعتماد على القوة الحربية لحماية تجارتها.

ومهما يكن من أمر فقد تمكن الهولنديون خلال الربع الأول من القرن السابع عشر من تأسيس مركز متفوق لهم في الشرق على حساب الممتلكات البرتغالية. ففي عام ١٦٠٥ استولت هولندا على أمبوينا من البرتغال ومارست ضدها سياسة اقتصادية عدوانية ولكن مركز الشركة الهولندية لم يتوطد تماماً في جزر الهند الشرقية إلا بعد استيلائها على باتافيا (جاكرتا) في ٣٠ أيار ١٦١٩،

---

(١) Saleh, Zakı, Op.Cit. pp. 39-40.
وانظر أيضاً: بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٦.

(٢) De Oliveira Marques, A.H. History Of Portugal Vol.I (New York 1972) p. 336.

(٣) De Somogyi, Joseph, A Short History Of Oriental Trade. (Germany 1968) pp. 113-114, 119.

(٤) De Oliveira Marques, A.H. Op.Cit. p.337.
وانظر أيضاً السيد رجب حراز: افريقية الشرقية والاستعمار الأوربي. (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٢٦ - ٢٧.

وبذلك حصل الهولنديون تدريجياً على المراكز الاستراتيجية المهمة التي كانت للبرتغاليين في البحار الشرقية.

وسبق الهولنديون بذلك الانكليز في الوصول إلى الأماكن الاستراتيجية في البحار الجنوبية، ومن ثم أرغموا البرتغاليين على تسليم مراكزهم في الهند. وقامت الشركة الهولندية خلال هذه الفترة بنقل التوابل والبهارات الشرقية واستثمرتها على نطاق واسع وحققت أرباحاً عالية بلغت نسبتها في عام ١٦١٠ م ١٣٢,٥٪[١]. وكان الهولنديون قد بدأوا نشاطهم التجاري في الهند بتأسيس وكالة لهم في سورات ثم مدوا منها تجارتهم إلى موانئ البحر الأحمر في عام ١٦١٧ بهدف التبادل التجاري معها وما لبثت الشركة الهولندية أن حصلت في عام ١٦١٨ على ترخيص من السلطات العثمانية بالتجارة مع موانئ اليمن. وفي تموز ١٦١٨ سمح باشا اليمن للهولنديين بإقامة قنصلية لهم في مخا وأخرى في عدن، وأمر بحسن معاملة الرعايا الهولنديين[٢]. كما أخذت الشركة الهولندية توطد مركزها بقوة وثبات في جزر الهند الشرقية وتبحث عن التجارة في كل مكان وتحشد عدداً هائلاً من السفن الحربية والتجارية في المياه الشرقية كما تمكنت من تدمير عدد من السفن البرتغالية.

وفي الربع الثاني من القرن السابع عشر تبنت الشركة الهولندية اجراءات عنيفة وقاسية للاستمرار في المحافظة على احتكارها التجاري، وانتهجت سياسة عدوانية ضد المصالح البرتغالية في الشرق. ففي عام ١٦٤١ انتزعت من البرتغاليين مالقا، وكانت من أهم المراكز البرتغالية في الشرق ومزقت بذلك نظام الدفاع البرتغالي في الشرق الأقصى الذي وضع أساسه الفونسو دي

---

(١) Williamson, James A.A Short History of British Expansion. (London 1955) pp. 218-219; Sykes, P.M. A History of Persia Vol. II. (London 1915) p.280; Birdwood, Sir George. Report On The Old Records Of India Office. (London 1891) p.183.

وانظر أيضاً بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٧، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) Hamilton, C.J. The Trade Relations Between England And India. 1600-1896. (Delhi 1975) p.13; Davis, D.W. A Primer of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade. (?1961) p.94.

البوكيرك كما استسلمت البرتغال رسمياً في عام ١٦٤١ أمام الادعاءات الهولندية بشأن تجارة التوابل والأفاويه بتوقيعها معاهدة مع هولندا سمحت لها بالاحتفاظ بفتوحاتها في الشرق؛ كما أعطت المعاهدة الجانبين البرتغالي والهولندي حرية الملاحة والتجارة في المياه الشرقية(١).

ولكن على الرغم من المعاهدة استمر الهولنديون في تهديد التجارة البرتغالية في الشرق انطلاقاً من مالقا حيث عادوا فحاصروا جاوه مرة أخرى في عام ١٦٤٣ بعد فشلهم في حصارها في عام ١٦٠٣، واستولوا في عام ١٦٥٢ على موطئ قدم لهم في منطقة رأس الرجاء الصالح وأقاموا فيها محطة لإصلاح سفنهم وتموينها(٢)، ونجحوا في طرد البرتغاليين من سيلان بعد استيلائهم على كولمبو في عام ١٦٥٤ بعد حصار طويل لها، واحتلوا كوتشين أول مركز برتغالي في الشرق في عام ١٦٦٠. ثم سقطت المراكز التجارية البرتغالية الصغيرة في قبضة الهولنديين واحدة تلو الأخرى كما استقر الهولنديون في فرموزا وأقاموا حصناً فيها واتخذوها مركزاً لتطوير تجارتهم مع اليابان(٣).

ومن كولمبو أخذ الهولنديون ينظمون الحملات البحرية للقضاء على التجارة البرتغالية التي لم يبق من مراكزها في المحيط الهندي في النصف الثاني من القرن السابع عشر سوى جاوه وذامان وديو بعد تنازل ملك البرتغال للملك انكلترا عن بومباي في عام ١٦٦٥. وبذلك كانت هولندا أكثر القوى الأوربية إسهاماً في تصفية الوجود البرتغالي .ووراثته في البحار الشرقية على الرغم من

---

(١) Hamilton, C.J. Op.Cit. p.13; Colonial Papers. Vol.II. 1617-1621. March 7, 1617. pp. 20-21.

وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سق ذكره، ص ٥٧.

(٢) Havers, G. The Travels Of Pitro Della Valle In India. From The Old English Translation of 1664 — (U.S.A. 1892) p.XII.

وانظر أيضاً، السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) Mukherjee, Ramkrishna. The Rise And Fall Of The East India Company. (Berlın 1958) pp.106-107; Strandes, Justus. The Portuguese Period In East Africa — Translated From The German by Jean F. Wallwork — (Nairobi 1968). p.196.

وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٧٤ ـ ٧٥.

المحاولات التي بذلتها السلطات البرتغالية لتسوية خلافاتها مع هولندا منذ عام ١٦٤٠ بهدف تشكيل حلف ضد العدو الاسباني المشترك؛ فقد استمرت هولندا في انتهاج سياستها العدائية ضد المصالح البرتغالية في المياه الشرقية. وهكذا سيطر الهولنديون في النصف الثاني من القرن السابع عشر على القسم الساحلي من سيلان، مع احتفاظهم بمؤسساتهم التجارية في الهند واحتلوا مالقا. وأصبحت تجارة الملايو في قبضتهم، وأشادوا في جزر الهند الشرقية امبراطورية تجارية مزدهرة مارسوا فيها التجارة مع الصين واليابان.

الهولنديون في الخليج العربي

انهمك الهولنديون في إضعاف البرتغاليين في المياه الافريقية والهندية في الوقت الذي كانت فيه البرتغال تعاني من الضعف في منطقة الخليج العربي نتيجة للعمليات الحربية الفارسية والانكليزية ضدها. وكانت مصلحة الانكليز والهولنديين قد قضت بمقاومة البرتغاليين واضعاف نفوذهم في الشرق؛ ولذلك اتفقت الشركتان الانكليزية والهولندية في تموز ١٦١٩ وتعهدت كل منهما بمساعدة الأخرى وبتقديم عشر سفن حربية لحماية التجارة في البحار الشرقية؛ ولكن ذلك الاتفاق لم يمنع الهولنديين من الاعتداء على المصالح الانكليزية في الشرق[١]، وعلى الرغم من ذلك توقع الانكليز في عام ١٦٢١ مساعدة الهولنديين لهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي؛ ولكن المساعدة الهولندية تأخرت بضعة أعوام لأن اتصال الهولنديين بالانكليز في الخليج العربي لم يبدأ إلا بعد سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ في يد القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة.

وبعد التفاهم بين الهولنديين والانكليز والترحيب الفارسي بالهولنديين باعتبارهم حليفاً مشتركاً ضد البرتغاليين وقع الاشتباك الأول بين الانكليز والهولنديين من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى في عام ١٦٢٥ لمنع البرتغاليين من استعادة هرمز، ومن ثم استخدم الهولنديون ميناء جمبرون

(١) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p.208.

كمركز تجاري بوصفهم حلفاء للانكليز وخلال فترة قصيرة أصبحت التجارة الهولندية أكثر ازدهاراً من التجارة الانكليزية وحصل الهولنديون على أرباح وفوائد أكثر من الانكليز. وهكذا بدأ التنافس العنيف بين الانكليز والهولنديين في الخليج العربي.

ثم أخذ النفوذ الهولندي يتغلغل في فارس بعد أن منح الشاه عباس الأول الشركة الهولندية فرماناً بإقامة وكالة تجارية لها في جمبرون. ومن جمبرون أخذ الهولنديون في تحدي المركز التجاري للانكليز في فارس وسعوا بكل الوسائل لإلحاق الأذى بالانكليز(١) ولاحتكار تجارة التوابل بين جزر الهند الشرقية وفارس. ونادراً ما أبدوا تسامحاً مع الانكليز في الخليج العربي والمحيط الهندي. ثم قامت البعثات الهولندية بزيارات كثيرة لأصفهان حيث منحها الشاه عباس الأول حق شراء الحرير الفارسي من أي مكان في فارس حرصاً منه على إيجاد منافسة بين الراغبين في شراء الحرير الفارسي ليحقق أرباحاً أكثر(٢). وبذلك أصبحت الشركة الهولندية منافسة تجارية قوية للشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي وفارس. وقد حقق الهولنديون منذ بداية اتصالهم بالخليج العربي فوائد تجارية مهمة بسبب الكميات الكبيرة من القرنفل وجوز الطيب، والتي تم بيعها في عام ١٦٢٣ بأرباح عالية. كذلك أحضر الهولنديون معهم الذهب وهو العملة المفضلة لدى الفرس في التعامل التجاري لشراء البضائع الفارسية. أما الانكليز فقد استفادوا من نقل بضائع التجار

(١) Law, H.D.G. The Romance Of The Persian Gulf In The 17 th And 18th Centuries. (The Edinburg Review Of Critical Journal. Vol. 246. Oct. 1927 No. 502) p.213; Nyrop, Richard F. Op.Cit. p.23; Saleh, Zaki. Op.Cit. pp.39-41; Captain John Weddell To The President At Surat. Oct.23, 1621 (The English Factories In India. Vol.I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) p.310; Captain John Weddell To East India Company April 27, 1625. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-1629) pp.60-61.

(٢) Roelofsz, Meilink. The Earliest Relations Between Persia And Netherlands. (Persica No. VI. 1972-1974. pp. 1-50) p.44.

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، (القاهرة، ١٩٧٦؟) ج ١ ص ٤١٨.

الفرس والأرمن والهنود في سفنهم(١).

وقد أثار النجاح الهولندي التجاري في فارس ارتباك الانكليز وحيرتهم في عام ١٦٢٤ خوفاً من تفوق النفوذ الهولندي في بلاط الشاه عباس لا سيما إذا ما رفضت الشركة الانكليزية تقديم المساعدة العسكرية لتنفيذ خطط الشاه الحربية ضد البرتغاليين في مسقط، مما يؤثر على سمعة الانكليز وعلى الفائدة التي يحصلون عليها من التجارة الفارسية في الوقت الذي يعرض فيه الهولنديون مساعدتهم العسكرية على الشاه، ويبدون استعدادهم للمشاركة بأسطولهم والتعاون مع الفرس والانكليز ضد البرتغاليين ولا سيما بعد محاولات البرتغاليين عرقلة التجارة الهولندية في الخليج العربي.

ولكن عندما تجدد القتال بين الانكليز والبرتغاليين في عام ١٦٢٦ في مياه الخليج العربي تملص الهولنديون من الاشتراك في المعركة حفاظاً على مصالحهم التجارية بينما لحقت بالانكليز خسائر جسيمة(٢). وكثيراً ما تردد الهولنديون في التحالف مع الانكليز ضد البرتغاليين كما حدث في عام ١٦٢٨. وكانوا يبررون موقفهم بضرورة استشارة مركزهم في باتافيا (جاكرتا) قبل القيام

---

(١) Birdwood, Sir George. Op.Cit. p.185; Savory, Roger M. "A.D. 600-1800" (The Persian Gulf States, A General Survey. Alvinj. Cottrell — General Editor — London 1980. pp 14-40). p.31; Joseph Hopkinson At Surat To President Rastall. Nov 8, 1623 (The English Factories In India Vol.II. 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908) p.305, 338; Thos. Barker, John Purifie, And Robt. Loftus To The East India Company. Ispahan, May 19, 1626. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-1629) pp 201-202.

(٢) Boxer, C.R. Anglo-Portuguese Rivalry In The Persian Gulf. 1615-1635. (Chapters In Anglo Portuguese Relations. Edited By Edgar Prestage U.S.A. 1971) pp. 123-124; Thomas Kerridge At Swally To The Company. Nov. 15, 1624, An Account Of The Fights In The Gulf Of Persia. Feb. 4, 1625 (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629 By William Foster. Oxford 1909) p.35, 46; Minutes of A Court To Consider of The Persian Trade. Nov. 24, 1624. Henry Hawley, Pesident, Rich. Bix And Geo. Muschampe To Harris (At Jambi) Batavia. Jun. 10, 1626, (Colonial Papers. Vol.III. p.450, and Vol. IV. p.207, 209).

بأي اجراء عسكري[1]. ولذلك كان الانكليز في شك من رغبة الهولنديين واستعدادهم للدفاع عن السفن الانكليزية في الخليج العربي.

ولما كان الشاه عباس الأول يأمل في مساعدة الهولنديين له ليتمكن من طرد البرتغاليين من مسقط فقد كان على استعداد في عام ١٦٢٤ لعقد اتفاق مع الشركة الهولندية ينص على السماح للهولنديين بإقامة الكنائس، ويكفل لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية. كما أرسل الشاه عباس وفداً فارسياً إلى هولندا لحثها على قطع علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية وللحصول على مساعدتها في طرد القوات البرتغالية من مسقط؛ ولكن لم يتحقق شيء من أهداف الشاه عباس[2]. وعلى الرغم من ذلك حرص الهولنديون على توثيق علاقاتهم مع الشاه فقدموا له هدية بلغت قيمتها حوالى ٥٠ توماناً بينما لم يبعث الانكليز هدية للشاه بعد الاستيلاء على هرمز والتي استفاد الهولنديون منها حيث كانت سفنهم تبحر بسلام بحماية قلعة هرمز التي عمل الفرس على تقويتها إلى جانب تحصينهم قلعة قشم وتوسيعها وإقامة قلعة قوية لهم في جمبرون. وأقاموا فيها جميعها حاميات فارسية قوية.

وقد بدأ الاحتكاك المباشر بين الانكليز والهولنديين عندما رفض الأخيرون دفع الجمارك في بندر عباس على الرغم من احتجاج الشركة الانكليزية، حيث تقاضى الانكليز نصف عائدات الرسوم الجمركية بموجب الاتفاق الذي عقدوه مع الشاه عباس الأول قبيل الاستيلاء على هرمز في عام ١٦٢٢. وكان لدى الانكليز بعض الشكوك في وجود مؤامرة هولندية ـ فارسية لتحصل الشركة الهولندية على جزيرة هرمز[3] بعد أن حاول الهولنديون في

---

(١) William Burt, Robert Wodder, And Robert Loftus At Ispahan To The Company. Oct 22, 1628 (The English Factories In India Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) pp. 288-289.

(٢) William Bell, Thomas Barker, John Purefey, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. Oct. 15, 1623, Jan. 9. 1624. (Colonial Papers. Vol III 1624-1629) pp. 161-164.

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤١٨.

(٣) لوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الدوحة ١٩٧٦، ج ١ ص ٥٤.

نيسان ١٦٢٥ إقناع الشاه عباس بإعطائهم هرمز ليتخذوا منها قاعدة للدفاع عن الخليج العربي في وجه القوى المعادية لفارس.

وعندما توفي الشاه عباس في عام ١٦٢٩ جدّد خلفه الشاه صفي الامتيازات للشركة الانكليزية؛ ولكن الهولنديين حصلوا أيضاً على امتيازات مماثلة حيث منحهم الشاه صفي الحرية في الحصول على كل ما يريدونه من السلع الفارسية[1]. وبذلك احتل الهولنديون المركز الأول في التجارة الفارسية. وكان نفوذ الانكليز التجاري في الخليج العربي آخذاً في الضعف منذ عام ١٦٢٧ وبدأ النفوذ الهولندي يحل مكانه تدريجياً في الموانئ الفارسية. ولذلك لم تحصل الشركة الانكليزية على الرغم من كل الجهود التي بذلتها في عام ١٦٣٠ على أكثر من ٢٠٪ مما حصلت عليه الشركة الهولندية من التجارة الفارسية[2]. فقد عززت الشركة الهولندية مركزها لدى السلطات الفارسية بتقديمها المساعدة العسكرية لها لتشتيت الأسطول البرتغالي الذي قام بمحاولة يائسة لاسترداد هرمز.

ومنذ عام ١٦٣٠ تعرض الخليج العربي إلى زيادة التغلغل الهولندي بواسطة الوكالات التجارية الهولندية في جمبرون «بندر عباس» وقشم وأصفهان. وتعاون الهولنديون مع الانكليز لبعض الوقت ضد الشاه صفي الذي هدد بإنهاء امتيازات تجارة الحرير الفارسي الممنوحة للانكليز والهولنديين. ولكن الشركة الهولندية عادت فوثقت علاقتها مع خان شيراز الذي جهز حملة للاستيلاء على مسقط في عام ١٦٣٢ بعد أن وعدته بتقديم مساعدة عسكرية هولندية مماثلة لتلك التي قدمتها الشركة الانكليزية[3] للشاه عباس الأول للاستيلاء على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢. وقد استفادت الشركة الهولندية

---

(١) William Burt, Robert Wodder, William Gibson, Robert Loftus, And John Berriman At Gombroon To The President And Council At Surat. Feb. 20, 1629 (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) p.319, 322.

(٢) William Burt To Messrs. Heynes And Gibson. (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.39, 41.

(٣) Boxer, C.R Op.Cit. p.117.

من وعدها فقامت في عام ١٦٣٣ بنقل كميات كبيرة من البضائع من فارس وإليها كما حصلت على حقها في الإعفاء الجمركي وقدرت قيمة البضائع السنوية التي نقلتها منذ عام ١٦٢٥ وحتى عام ١٦٣٣ بمبلغ يتراوح بين ٣٠,٠٠٠ - ٤٠,٠٠٠ تومان سنوياً[١].

ولذلك حمّل الوكلاء الانكليز في جمبرون «بندر عباس» الشركة الانكليزية مسئولية إهمالها للفوائد التجارية التي يمكنها الحصول عليها من التجارة الفارسية حيث تركتها للشركة الهولندية التي بلغت نسبة أرباحها من تلك التجارة ٣٠٠٪ - ٤٠٠٪. وكلما ازدادت المصالح الهولندية في فارس ازداد حرص الشركة الهولندية على إقامة علاقة وثيقة مع السلطات الفارسية. فإذا لم يتمكن وكلاء الشركة من زيارة بلاط الشاه في أصفهان لتقديم الهدايا إليه كانت الشركة تكلف ترجمانها تقديم مبالغ نقدية إلى الشاه وكبار رجال حاشيته. وكانت كمية البضائع الفارسية[٢] التي تحصل الشركة الهولندية عليها تعتمد على قيمة المبالغ والهدايا التي تقدمها للسلطات الفارسية.

وخلال العقد الرابع من القرن السابع عشر أحكمت الشركة الهولندية قبضتها على تجارة التوابل والبهارات في فارس ومنطقة الخليج العربي، كما احتكرت تصدير البضائع الفارسية، وأصبحت بذلك تجارة الخليج العربي تحت السيطرة الهولندية، فقد كانت أكثرية السفن والبضائع في جمبرون بندر عباس للشركة الهولندية مما أدى إلى تفوق الهولنديين على منافسيهم الانكليز وإرغامهم على التوجه إلى البصرة في عام ١٦٤٣ لإقامة أول وكالة تجارية لهم فيها على

---

(١) Wm. Gibson, John Sherland, Rich. Cooper, And Wm. Fall To The East India Company. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. 385-386.

(٢) بلغت قيمة الرشوة التي قدمها ترجمان الشركة الهولندية في عام ١٦٣٤ خمسمائة تومان منها ١٣٥ للشاه و١٠٠ لاعتماد الدولة والباقي لكبار موظفي الشاه. ويبدو أن المبلغ كان قليلاً. لذلك لم يسلم الشاه الهولنديين أكثر من أربعين حملاً من الحرير الفارسي.
أنظر: Agent Wm. Gibson, Wm. Fall, And The Philip Dickson To The East India Company. Ispahan. Oct. 15, 1634. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.574-578.

الرغم من مماطلة وكلاء الشركة الانكليزية في فارس في تنفيذ التعليمات التي صدرت من رئاسة الشركة الانكليزية بإغلاق وكالتها في أصفهان وبنقل ممتلكاتها من ميناء جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة ضماناً لسلامتها في حزيران ١٦٤٥.

كما شهد منتصف القرن السابع عشر انتقال السيادة في المياه الشرقية من البرتغال إلى هولندا التي تمت السيطرة، لها على الأسواق التجارية في فارس والخليج، ولم يبق للتجارة الانكليزية تأثير فعال في تلك الأسواق. وربما يعزى ذلك إلى الاعتقاد الذي ساد أوساط التجار بحل الشركة الانكليزية[1]. وبذلك بلغ النفوذ الهولندي أوجه، وحصل الهولنديون على امتيازات أخرى من السلطات الفارسية في عام ١٦٤٩ والتي أصبحت ترهب قوتهم، واستغلوا ذلك لإرغامهم على الخضوع لمطالبهم ولا سيما بعد أن تعزز موقفهم في الخليج العربي بعد نجاح العرب في عمان في طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠ حيث خلا الخليج من القوى الأوربية المنافسة للهولنديين فوصل أسطول هولندي من عشر سفن إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» وأفرغ فيها كمية كبيرة من البضائع[2] الشرقية. فقد بلغت كمية الفلفل التي باعتها الشركة الهولندية إلى التجار الفرس في جمبرون ١,٥ مليون رطل انكليزي دفعت من ثمنها ما سدد ثمن كل كميات الحرير الفارسي التي ابتاعتها من فارس.

كما وصلت ميناء جمبرون «بندر عباس» في عام ١٦٥١ إحدى عشرة

---

(١) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.163; Miles, S.B. Op.Cit. pp.212-213.
أنظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٩ - ٧٠، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٤، زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني (القاهرة، ١٩٦٦) ص ١٩.

(٢) Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safavi Dynasty And The Afghan Occupation of Persia. (Cambridge 1958) p.365; Wilson, Sir Arnold T Op.Cit. pp.164-165.
وانظر أيضاً، عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي، ١٧٤٧ - ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاطع لازم، (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٨ - ١٩.

سفينة هولندية وبلغت قيمة البضائع التي أفرغتها في الميناء مئة ألف جنيه ألحقت بالتجارة الانكليزية في الخليج العربي ضرراً بالغاً[1]؛ كذلك تمتع الهولنديون بامتيازات لتوريد بضائعهم إلى أصفهان سنوياً مع إعفائها من الجمارك. وبلغت قيمة البضائع الهولندية المعفاة ٢٠,٠٠٠ تومان بينما بلغت قيمة البضائع الانكليزية المعفاة ٥,٠٠٠ تومان[2] مما يدل على أن حجم التجارة الهولندية في فارس كان يفوق أربعة أمثال التجارة الانكليزية.

ومهما يكن من أمر فقد حققت الشركة الهولندية نجاحاً أكثر من الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي. وبلغت المنافسة الهولندية ـ الانكليزية ذروتها في النصف الثاني من القرن السابع عشر؛ وكانت أكثر عنفاً وقسوة من المنافسة الانكليزية ـ البرتغالية في الربع الأول من القرن السابع عشر، وأدرك الانكليز أن المنافسة الهولندية أشد خطراً على المصالح الانكليزية من المنافسة البرتغالية[3]. وبذلك أصبح الهولنديون المنافس الأكثر رعباً للانكليز في الخليج العربي. وظلت المنافسة السياسية والتجارية قائمة بين الجانبين حتى منتصف القرن الثامن عشر عندما تضاءل النفوذ الهولندي فترك الخليج للانكليز.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٧١.

(٢) Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967) p.11.

(٣) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. p.110, 114; The Historical Section of The Foreign Office, Persian Gulf. (London 1920). pp.64-65; The Prospects of British Trade In Mesopotamia And The Persian Gulf. — Confidential — (Delhi 1917) p.1; Hay, Sir Rupert. The Persian Gulf States (The Middle East Institute. Washington 1959),. p.11.

العلاقات الهولندية ـ الفارسية

أدرك الشاه عباس الأول أهمية المساعدة الهولندية في صراعه ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي منذ ظهر الأسطول الهولندي لأول مرة خارج مضيق هرمز في عام ١٦٠٧. ولذلك أرسل الشاه عباس سفيره زين الدين خان شاملو إلى هولندا للتفاوض مع حكومتها، ولكن تلك السفارة الفارسية لم تسفر عن نتيجة إيجابية(١). ورغم ذلك فقد كان الشاه عباس يفضل المساعدة الانكليزية على غيرها في صراعه مع البرتغاليين. فقد ذكر روبرت شيرلي للوكيل الانكليزي ـ كيردج ـ في أجمير في عام ١٦١٤ بأنه إذا لم يقبل الانكليز التجارة مع فارس فسوف يحضر (روبرت شيرلي) الهولنديين الذين يرغبون فيها كثيراً(٢).

وقد اقترن ظهور الهولنديين في الخليج العربي بالمساعدة التي قدمتها سفن الشركة الهولندية بالاشتراك مع سفن الشركة الانكليزية للشاه عباس لإلحاق الهزيمة بالأسطول البرتغالي في عدد من العمليات البحرية الصغيرة خارج ميناء جمبرون «بندر عباس»(٣)، ولمنع البرتغاليين من استعادة هرمز بعد استيلاء القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة عليها في عام ١٦٢٢. وكان الشاه عباس قد مارس ضغطاً على الهولنديين فيما يتعلق بالامتيازات التجارية والاعفاءات الجمركية لحملهم على الاشتراك مع الانكليز في الحرب ضد البرتغاليين. وتمشياً مع سياسة الشاه عباس تعرضت الشركة الهولندية لمضايقة

---

(١) Lockhart, Laurence. Op.Cit.p.362, 364.

(٢) Surat, Aug. 19, 1614. (Colonial Papers. Vol.I. 1513-1616.) pp.316-317. (٣)

(٣) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.160.

السلطات الفارسية في عام ١٦٢٦ لإرغامها على تسديد ثمن ٣٠٠ حمل من الحرير الجيلاني وتذرع المسؤولون الفرس بأن الفرمان الذي حصل عليه الهولنديون لم يكن نافذاً وأرغموا وكلاء الشركة في فارس على التقدم بالتماس جديد إلى الشاه لمد مفعول الفرمان السابق.

ولكن الهولنديين تمكنوا من الحصول على أصدقاء كثيرين في بلاط الشاه بفضل الهدايا التي بالغوا في تقديمها إلى الشاه والمسؤولين الفرس «كأنما لا قيمة للنقود والبضائع عندهم»[1] ولم يتمكن الانكليز من التفوق عليهم في هذا المجال، ولذلك حصل الهولنديون في عام ١٦٢٧ على منحة من الشاه عباس الأول بتصدير الحرير بشروط أفضل من التي حصل عليها الانكليز في عام ١٦١٧. وبسبب الحرب الفارسية - العثمانية في عام ١٦٢٨ كان الشاه عباس بحاجة إلى قرض بقيمة ثلاثين ألف تومان لتغطية بعض النفقات الطارئة فرضي أن يبيع للهولنديين خمسة آلاف بالة من الحرير سنوياً. وانتهز الهولنديون الفرصة فأغرقوا الأسواق الفارسية بالتوابل والبهارات الشرقية. ولكن الشاه عباس أرغمهم على تقديم هدايا وأموال نقدية في مقابل الاستمرار بالتجارة على نطاق واسع مع فارس. كما أدى الإسراف في استيراد الفلفل إلى بيع ثلث الكمية المستوردة فقط[2].

وهكذا وثق الهولنديون علاقتهم بالشاه عباس وتمكنوا من تدعيم مراكزهم التجارية خلال السنوات الأخيرة من حكمه (١٦٢٥ - ١٦٢٩) فأقاموا ثلاث وكالات تجارية لهم في أصفهان وجمبرون ولار. وكانت وكالتهم في أصفهان المركز الرئيسي للشركة الهولندية في فارس. كما أشرفت وكالتهم في

---

(١) William Burt To Messrs. Heynes And Gibson. (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol.V. 1630-1634) p.39.

(٢) Thos. Barker, John Purefey, And Geo. Smith To The East Indian Company. Ispahan. Aug. 1, 1626, June 14, 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.213, 228; William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan, Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vo.IV) pp.562-563.

بندر عباس على تفريغ البضائع الشرقية والأوربية مثل الأصواف والأواني الخزفية والعطور والعقاقير الطبية من السفن الهولندية وإعادة شحنها بالبضائع الفارسية مثل الحرير والسجاد والمخمل. وكانت الوكالة الهولندية في لار محطة لاستراحة القوافل التي تحمل البضائع الهولندية من جمبرون «بندر عباس» إلى أصفهان[1].

وقد وجدت الشركة الهولندية في الشاه عباس حاكماً متنوراً يبحث عن الوسيلة المناسبة لبيع الحرير الفارسي إلى أوربا عن طريق آخر غير الطريق البري الذي يمر بأراضي الدولة العثمانية إلى موانئ البحر المتوسط. وحصلت الشركة الهولندية في عام ١٦٣٠ على فرمان من الشاه صفي منحها أربعمئة حمل من حرير شيروان؛ وقد استمر الهولنديون في تقديم الرشوة إلى المسؤولين الفرس[2] كما وجد الهولنديون في وفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩ فرصة للمشاركة في تجارة الحرير فقد بقيت الامتيازات التي منحها الشاه عباس للانكليز دون تجديد أو تأكيد لبعض الوقت.

وأبدى الهولنديون مهارة في التجارة مع فارس وأصبح زمام التجارة الفارسية في أيديهم، فاشتروا في عام ١٦٣١ مئتي بالة من الحريرة بسعر ٤٤ توماناً للحمل الواحد على أن يدفعوا قيمتها نقداً في أصفهان في غضون شهرين من تاريخ شرائها؛ وكان قد سبق لهم شراء الحرير الفارسي بسعر ٤٥ توماناً على أن يدفعوا نصف القيمة نقداً ونصفها الآخر بضائع وبسعر ٤٦ توماناً بمقايضته مع القصدير. وبذل الهولنديون جهودهم لإغراء التجار الفرس لإحضار الحرير سنوياً إلى ميناء جمبرون؛ وقد قامت الشركة الهولندية بهذا الإجراء بعد أن فشلت محاولاتها لحمل الشاه صفي على المتاجرة معها على الرغم من

---

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٢) William Burt To The East India Company. Ispahan. Feb. 27. 1630: (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.6; William Burt To Messrs. Heynes And Gibson. (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers Vol.V) p.39.

إسرافها في تقديم الرشاوى للحصول على عطفه على مصالحها[١]. وقد فاجأ الشاه الهولنديين والانكليز عندما أعلن في عام ١٦٣٢ عن الاختلاف في سعر الحرير الجيلاني والحرير الشيرواني. فقد كانت رغبة التجار في حرير جيلان أكثر من حرير شيروان؛ وكان معدل حمل الحرير ٣٧ توماناً ولكن السلطات الفارسية حددت السعر النقدي لحرير جيلان ٤٥ توماناً للحمل الواحد ولحرير شيروان ٤٨ توماناً للحمل الواحد واشترطت دفع نصف القيمة نقداً ومقايضة النصف الآخر ببضائع من الهند[٢]. ولما كان الشاه صفي يطالب الشركة الهولندية بمبلغ ١٢,٠٠٠ تومان عن عام ١٦٣١ فقد رفض تسليمها أي بالة من الحرير ما لم تسدد حسابها السابق.

ونشطت تجارة الشركة الهولندية مع فارس؛ ففي عام ١٦٣٢ أحضرت معها من البضائع والنقود ما تعادل قيمته ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني نصفها نقداً. وكانت خطط الشركة تقوم على احتكار تجارة الحرير والاستمرار في إغراق الأسواق الفارسية بالبضائع والأموال بمعدل ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً. ولكن الشاه ظل يرفض بيع الحرير على الحساب ويطالب بنوعية أفضل من البضائع الأوربية[٣]. ومهما يكن من أمر فقد استمر تدفق التجارة الهولندية على الموانئ الفارسية حيث وصلت ثماني سفن هولندية تجارية ترافقها خمس سفن حربية. وكان الهولنديون قد عرضوا على الفرس مساعدتهم العسكرية لطرد البرتغاليين من مسقط، ولكن الانكليز رفضوا الاشتراك في الحملة المقترحة حتى يحصلوا على رد حاسم من الفرس فيما يتعلق بنصيبهم

---

(١) Savory, Roger. Iran Under The Safavids. (Gt. Brit. 1980) p.119; Gombroon, March. 17, 1631 (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p. 130, 135.

(٢) William Gibson, John Sherland, Richard Cooper, And Wm. Halle To The East India Company. Gombroon, Mar. 22, 1632 (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.257.

(٣) William Pitt And Philip Wylde At Gombroon To The Company. May 16, 1645 (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645. By William Foster Oxford 1913) pp. 265-266, 272; Edward Heynes, William Gibson, And Richard Cooper At Gombroon to the President And Council At Surat. Feb. 26, 1632. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633) p. 210.

من الرسوم الجمركية في جمبرون ولذلك فشل مشروع الحملة الفارسية ـ الهولندية ـ الانكليزية المشتركة على مسقط لا سيما بعد أن تسبب الوباء في وفاة عدد كبير من الجنود الهولنديين[1]. ولكن الشركة الانكليزية عادت فوافقت على الاشتراك مع الهولنديين بعد أن تجددت المحاولات الفارسية ـ الهولندية للاستيلاء على مسقط وطلبت من وكلائها في منطقة الخليج العربي الاشتراك في تلك المفاوضات بما يتفق مع المصالح الانكليزية، وفوضتهم الموافقة على الخطة إذا كان الفرس مستعدين للهجوم على مسقط.

ولكن اهتمام الهولنديين بمسقط تضاءل في عام ١٦٣٣ وتخلوا عن أخذ مسقط بسبب صعوبة الاستيلاء عليها بدون وجود قوة برية مساندة للهجوم البحري عليها. وكان الفرس قد أبدوا اهتمامهم بالاستيلاء على مسقط فور استيلائهم على هرمز ١٦٢٢؛ وكان خان شيراز متحمساً للمشروع ولكن وفاته وضعت حداً للخطة التي وضعها. كذلك هدأت تحركات القائد البرتغالي راي فرايري في الخليج العربي[2]. ورغم ذلك استأنف الهولنديون محاولاتهم للاستيلاء على مسقط وعرضوا مساعدتهم على خان إقليم فارس لتحقيق هدفهم.

ولذلك ظل زمام المبادرة في يد الشركة الهولندية التي كانت أكثر استعداداً لتقديم خدماتها. ففي عام ١٦٣٣ عرض وكيل الشركة الهولندية على الشاه صفي خدمات بلاده في كل المجالات التي يمكن أن تطلبها فارس؛ وبعد أن أكد على قوة الشركة البحرية، التمس من الشاه أن يسمح للسفن الحربية الهولندية بالرسو في جمبرون بعد أن انتشرت الأنباء عن رغبة البرتغاليين في مهاجمة البحرين، وأوضح للشاه أن في وسع السفن الهولندية بعد تزويدها

---

(١) Edward Heynes, William Gibson, And Richard Cooper In Persia To The Company. Feb. 15, 1632. (The English Factories. Vol. IV) pp. 207-208.

(٢) Commission From The President And Council Of India, Persia, Etc.; To Captain Weddell For His Voyage To Persia, Jan. 24, 1633. (The English Factories Vol. IV) p. 271; Cap. John Weddell To The East India Company. Gombroon, Mar. 24, 1633. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p. 387, 389.

بالذخائر والمعدات الحربية نقل القوات الفارسية إلى البحرين وعندئذ لن يجرؤ البرتغاليون على التصدي لها أو مهاجمة البحرين أو إزعاج أي من رعايا الشاه. وقد اشترط الهولنديون الحصول على نصف الغنائم التي يمكنهم الحصول عليها مقابل ذلك وقد وافق الشاه صفي على العرض الهولندي[1] مما زاد في قوة مركز الهولنديين في فارس.

ولكن العلاقات الهولندية ـ الفارسية واجهت بعض الصعوبات في عام ١٦٤٠ بعد فشل الجانبين الهولندي والفارسي في التوصل إلى اتفاق بشأن الحرير الفارسي؛ فقد عرض الهولنديون على الشاه التعاقد معه لشراء ٤٠٠ حمل من الحرير إذا ما قبل بسعر أقل من خمسين توماناً للحمل الواحد[2]. ثم تجدد الخلاف في العام التالي بسبب حرص الهولنديين على التهرب من دفع الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس» ومطالبتهم بمعاملة مماثلة للانكليز[3]. ولتحقيق ذلك لجأت الشركة الهولندية إلى استخدام القوة ضد فارس فأرسلت في عام ١٦٤٥ أسطولها بقيادة بلوك والذي ضم عشر سفن أقلت خمسة عشر ألف جندي لتنفيذ خطتها بالهجوم علي هرمز ولإشاعة الخوف والذعر في فارس. وجاء الأسطول الهولندي معه بفرقاطات بحرية جاهزة وأحضر معه الأدوات والمواد اللازمة لتحصين قشم، لإرغام الشاه على الدخول مع الشركة الهولندية في مفاوضات للحصول على فرمانات أخرى مما سيؤثر على حصة الانكليز في عائدات جمارك جمبرون، ولذلك أصدرت الشركة الانكليزية تعليماتها إلى وكلائها بالاحتجاج ضد الاجراءات الهولندية التي ستلحق الضرر بالمصالح

---

(١) William Gibson, Richard Cooper, And William Fall At Ispahan To The Company, Sep. 28, 1633. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633 By William Foster. Oxford 1910) pp. 318-319; Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634. Dec. 2, 1632. p.340.

(٢) Francis Breton, William Fremlen, Thomas Merry, Thomas Alder, William Thruston, And Richard Fitch At Swally Marine To The Company. Jan. 27, 1644. (The English Factories In India Vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) pp. 135-136.

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p.211.

الانكليزية في فارس والخليج العربي[1].

وعندما وصل الأسطول الهولندي جمبرون طلب بلوك من السلطات الفارسية إعادة مبلغ ٤٩٠٠ تومان كان الوكيل الهولندية، في جمبرون «بندر عباس» قد دفعها للسلطات الفارسية كعوائد جمركية متذرعاً أن لا حق لها فيها وفقاً للامتياز الذي منحه الشاه للشركة الهولندية والذي يعفيها من دفع الضرائب عن بضائعها[2]. ويبدو من هذه الحادثة أن الشركة الهولندية لم تنجح تماماً في الحصول على إعفائها من دفع الرسوم الجمركية في جمبرون.

وبعد فشل المفاوضات هاجم الأسطول الهولندي قشم، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها بعد أن فقد عدداً كبيراً من رجاله، وقد استهدفت الشركة الهولندية من استخدام القوة الحصول على مركز قوي في فارس لا يمكن للمنافسين الآخرين الإغارة عليه أو مهاجمته؛ ولذلك جاءت بأعداد كبيرة من السفن وفرضت الحصار على قلعة الحاكم الفارسي في قشم[3] مما اضطر الشركة الانكليزية إلى نقل بضائعها من ميناء جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة. ولكن هذا الاجراء الهولندي المتشدد نبّه السلطات الفارسية إلى الخطر المحدق بها؛ ولذلك اضطر الشاه عباس الثاني الذي كان على استعداد لمصالحة الهولنديين إلى الاستجابة لمطالب الشركة الهولندية، فتوجه قائد الأسطول الهولندي - بلوك - إلى أصفهان وانتزع من الشاه فرماناً بمنح الشركة الهولندية حرية شراء الحرير من أي مكان في فارس وتصديره بدون دفع رسوم جمركية عليه مما أدى فيما بعد إلى ادعائها احتكار تصدير الحرير الفارسي[4]. وهكذا

---

(١) President Breton And Council At Swally Marine To William Pitt, Etc., At Gombroon, Mar. 31, 1645. (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913) p. 357.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٠.

(٣) Loockhart, Laurence, Op.Cit. p.365; Savory. Roger M. "A.D. 600-1800" (The Persian Gulf States. A General Survey. Alvin J. Cottrell — General Editor — London 1980) p.32.

(٤) Sykes, P.M. Op.Cit. pp. 280-281; William Pitt, Philip Wylde, And Thomas Codrington At Ispahan To The President And Council at Surat. Sept. 7, 1645. (The English Factories In India Vol. VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913). p.276, pp. 278-279.

نجحت الشركة الهولندية في كسر الاحتكار الملكي لتجارة الحرير الذي أسسه الشاه عباس الأول، ولكنها في مقابل ذلك حصلت على عداء الفرس وكراهيتهم لها. وفي العام التالي (١٦٤٦) كان سعر الحرير في أصفهان ٣٦ توماناً للحمل الواحد ولكن الهولنديين رفضوا ابتياعه حتى يقوم الشاه بإرساله إلى جمبرون في محاولة منهم لإرغام الشاه على إرسال البضاعة الجيدة[١]، وقد بلغت قيمة التجارة الهولندية مع فارس حوالي مئة ألف جنيه استرليني سنوياً. ووصلت فارس في ربيع ١٦٤٦ سفينتان هولنديتان من الهند لشحن البضائع الفارسية من جمبرون. وكانت السفن الهندية قد انقطعت عن الحضور إلى الموانئ الفارسية خوفاً من دفع الجمارك إلى وكالة الشركة الهولندية في لار[٢].

ومع منتصف القرن السابع عشر كان النفوذ الهولندي قد بلغ أوجه في الخليج العربي، واستغلت الشركة الهولندية خوف الشاه عباس الثاني منها، فتقدمت بطلبات جديدة لا تنقطع مما تسبب في توتر العلاقات الهولندية - الفارسية مرة أخرى في عام ١٦٥٣ عندما تسلم حاكم جمبرون أمراً من الشاه بإرغام الشركة الهولندية على دفع مبلغ ٣٥٠ توماناً كرسوم جمركية عن العام السابق، ولكن وكيل الشركة الهولندية قدم هدية للحاكم ريثما تتمكن الشركة من الحصول على إعفاء من الشاه[٣].

وبصفة عامة كانت العلاقات التجارية وثيقة بين هولندا وفارس في الربع الثالث من القرن السابع عشر؛ وفي عام ١٦٦٦ قامت بعثة هولندية بزيارة أصفهان. ومع حلول عام ١٦٨٠ كانت الشركة الهولندية قد وطدت مركزها التجاري في بندر عباس والبصرة وعادت إلى ممارسة ضغطها على

---

(١) President Breton And Messrs. Marry And Fitch At Swally Marine To The Company. Mar. 30, 1646. (The English Factories In India. Vol. VIII. 1646-1650. By William Foster. Oxford 1914) p.33,35.

(٢) The Factors At Basra To The Company April 13, 1646. (The English Factories. Op.Cit.) p.40.

(٣) Messrs. Spiller, Young, Park, And Joccelyn At Gombroon To The President And Council At Surat. Feb. 8, 1653. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.156, 158.

السلطات الفارسية فحاصرت في عام ١٦٨٤ جمبرون وأرغمت الشاه على الاستجابة لطلباتها[١].

وكانت المنازعات قد تجددت في عام ١٦٨٤ بين الوكالة الهولندية والسلطات الفارسية بسبب تحريض الوكلاء الانكليز لدى الشاه بعد نجاحهم في توسيع تجارتهم مع فارس واستيراد السكر والحرير والسجاد والذهب والفضة والنحاس مما أدى إلى قيام الأسطول الهولندي بمحاصرة بندر عباس. وفي المقابل حاولت الوكالة الهولندية في أصفهان في عام ١٦٨٦ إحداث خلاف بين الشاه الفارسي والوكالة الانكليزية ولكنها فشلت بسبب الدور الذي قام به مترجم الشركة الانكليزية الأرمني في التجسس على الوكالة الهولندية لحساب الانكليز.

كذلك لم ينجح السفير الهولندي ـ الذي زار أصفهان في عام ١٦٩٠ ـ في الحصول على فرمان من الشاه باحتكار تجارة صوف كرمان ولكنه تمكن من استمالة الشاهبندر الفارسي في بندر عباس في عام ١٦٩١ مما تسبب في حدوث كساد شديد للتجارة الانكليزية[٢]، حتى تعذر على الوكالة الانكليزية في بندر عباس استيراد بضائع جديدة في ذلك العام.

ثم زادت المشكلات حدة بين الفرس والعرب في الخليج وتكرر هجوم العرب على السفن الفارسية في الخليج العربي، وخشي الانكليز أن يقوم الهولنديون بنجدة الشاه وما يترتب على ذلك من حصولهم على حقوق الدولة المفضلة في التجارة مع فارس ولكن مخاوف الانكليز لم تتحقق. ويبدو أن الخلاف بين الهولنديين والفرس فيما يتعلق بتسديد مدفوعاتهم من الجمارك قد استمر، ولكن الهولنديين نجحوا في استمالة الشاهبندر الفارسي مرة أخرى فدفع

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١١ ـ ١١٢، وانظر أيضاً، عائشة علي السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية (بيروت، ١٩٧٥) ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٣. وانظر أيضاً: محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي. مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٠.

لهم مبلغ ١٣٠٠ تومان من حصة الانكليز في الجمارك. كما احتج الهولنديون في عام ١٦٩٩ لقيام الفرس بدفع جزء من نصيب الانكليز في جمارك جمبرون حريراً لاحتكار الهولنديين تصدير الحرير الفارسي عن طريق البحر(١).

ثم توترت العلاقات الهولندية ـ الفارسية مرة أخرى في نهاية القرن السابع عشر عندما رفض الشاه حسين زيارة الوكالة الهولندية في أصفهان أسوة بزيارته للوكالة الانكليزية فيها. ومهما يكن من أمر فإن الهولنديين لم يثقوا بالفرس، وظل هدفهم يتمثل في الاستيلاء على إحدى الجزر واتخاذها مركزاً مستقلاً لهم في الخليج العربي. وفي سبيل الحصول على ذلك عرض الهولنديون تقديم مساعداتهم للشاه الفارسي في عام ١٧٠٥ عندما زادت غارات الأسطول العربي على السفن الفارسية، ولكن الشاه رفض العرض الهولندي وفضل التعاون مع الانكليز(٢)، وعلى الرغم من الأحداث السابقة فقد احتفظ الهولنديون بمركزهم في بندر عباس حتى عام ١٧٥٩ عندما أرغمهم الانكليز على الانسحاب بسبب تقديمهم المساعدة للحملات الفارسية ضد البحرين والساحل العماني. وكان الهولنديون قد وقفوا في عام ١٧٤٤ إلى جانب الحكومة المركزية في أصفهان ضد حاكم بندر عباس بينما وقف الانكليز إلى جانب الحاكم(٣).

أما العلاقات الهولندية مع العرب في الخليج فكانت ودية بسبب العداء المشترك للوجود البرتغالي، كما استقبل الهولنديون استعادة العرب مسقط في عام ١٦٥٠ بسرور لأن التجارة الهولندية تخلصت من المضايقات التي كانت تتعرض لها من السفن البرتغالية في الخليج العربي. ولذلك استمرت سياسة التفاهم بين الهولنديين ودولة اليعاربة في عمان في عهد الإمام سلطان بن سيف الذي قدم في ١٦٥١ عرضاً للوكالة الهولندية في جمبرون بشأن استخدام الطريق

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٣. وانظر: محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٢.
(٢) محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٢.
(٣) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

البري لنقل البضائع الهولندية براً بواسطة الجمال عبر الأراضي العمانية إلى القطيف والبصرة[1] بدلاً من جمبرون. وكان هدف الإمام سلطان بن سيف كسب الشركة الهولندية إلى جانبه في صراعه مع البرتغاليين وإلحاق الأذى بالمصالح الاقتصادية البرتغالية في كونغ، كما أن مصلحة الهولنديين كانت تقضي بترويع الشاه الفارسي فيما يتعلق بتجارة الحرير لحمله على تخفيف الضرائب التي فرضها على الشركة الهولندية في مقابل نقل بضائعها براً من جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة عبر الأراضي الفارسية[2].

ولكن مضت عشرون سنة على طرد البرتغاليين من مسقط قبل أن تقوم الشركة الهولندية باستئجار مكتب لها في مسقط لتسهيل شئون بريدها في منطقة الخليج العربي. وفي عام ١٦٧٢ وصل الحاكم الهولندي العام لباتافيا (جاكرتا) في مهمة تجارية إلى مسقط[3]. ولكن العلاقات الودية الهولندية - العربية تحولت إلى علاقات عدائية في عام ١٦٩٥ عندما أخذت السفن العربية في مهاجمة السفن الهولندية في الخليج العربي والمحيط الهندي. وعندما اشتد الصراع بين العرب والفرس استنجد الأخيرون بالهولنديين بعد أن فشلوا في الحصول على مساعدة الانكليز، ولكن دون جدوى.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.211.

(٢) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة (لندن ؟) ص ٣٤.

الصراع الهولندي ـ الانكليزي

لم يستمر التعاون الهولندي ـ الانكليزي طويلاً بسبب الخلافات بينهما على الاحتكار التجاري في منطقة الخليج العربي. وكانت الشركة الهولندية قد أصبحت قوة منافسة للانكليز في البحار الشرقية وواجه الانكليز وضعاً صعباً للغاية عندما بدأ الهولنديون يشترون الفلفل بسعر لا يستطيع الانكليز منافستهم فيه[١] وكان ممثل الشركة الهولندية هربرت فينيش قد حصل في عام ١٦٢٣ على فرمان من الشاه عباس الأول بتأسيس وكالة هولندية في جمبرون (بندر عباس)، مما ألحق الضرر بالمصالح الانكليزية لا سيما بعد أن رفض الهولنديون بحزم دفع الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس» والتي للشركة الانكليزية الحق في نصفها. وبرهنوا بذلك على رغبتهم في استمرار عدائهم للانكليز. وكانت الشركة الانكليزية قد تمكنت من تأسيس وكالتها في جمبرون في عام ١٦٢٣ ولكنها سرعان ما اكتشفت أن الشركة الهولندية تسير في أعقابها. ولذلك ما لبثت الشركة الانكليزية أن أصيبت بخيبة أمل في تجارتها مع فارس[٢]، ولا سيما بعد أن نجحت الشركة الهولندية في إقامة مركز تجاري لها في بندر عباس في عام ١٦٢٥ بعد الاجراء المشترك الذي قام به الهولنديون والانكليز ضد البرتغاليين؛ وسعت الشركة الهولندية إلى احتكار تجارة التوابل والأفاويه وغيرها من السلع الشرقية الثمينة.

وفي بداية الصراع سجل الهولنديون تفوقاً واضحاً على الانكليز وكان

---

(١) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 103-104.

(٢) Lockhart, Laurence. Op.Cit. p.362, 365; Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629. April 20, 1627. p.341.

مركزهم في جمبرون «بندر عباس» أكثر نشاطاً ونجاحاً. ولم يقتصر التفوق الهولندي على منطقة الخليج بل شمل معظم المناطق الأخرى وعندئذ لم يكن تحدِّي الهولنديين مهمة سهلة بالنسبة للانكليز الذين أخذوا يتذمرون من عنف أساليب الهولنديين الذين أظهروا استبدادهم وطغيانهم في البحار الشرقية مما أثر سلبياً على التجارة الانكليزية وبخاصة بعد أن سعى الهولنديون إلى مساواة أنفسهم بالانكليز في الخليج العربي فيما يتعلق بالامتيازات والاعفاءات الجمركية، مما أثار مخاوف وكلاء الشركة الانكليزية في فارس فتوقعوا سقوط التجارة الانكليزية في قبضة الهولنديين واضطرار الشركة إلى ترك منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي والعودة إلى بلادها[١].

ولكن السلطات الفارسية قررت في عام ١٦٢٤ إرغام الشركة الهولندية على دفع الرسوم الجمركية عن الكميات الكبيرة من البضائع التي أحضرتها إلى ميناء جمبرون فصدر أمر الشاه وخان شيراز باحتجازها حتى تدفع الجمارك ورسم الطريق «خرجراه» عن سنتين وإذا ما رفضت الشركة الهولندية دفعها فعلى حاكم الميناء كسر صناديق أموالها. ليأخذ منها مبلغ ٥,٢٥٠ ريالاً المستحقة عليها، وحتى توافق الشركة الهولندية على استلام كمية الحرير المخصصة لها مما تسبب في غيظ المسؤولين الهولنديين وفي المقابل تسلم الانكليز رسالة مودة وصداقة من حاكم إقليم فارس[٢]، ثم ازداد الخلاف عندما اتهم الانكليز الهولنديين بالتطفل وفرض أنفسهم عنوة على الشاه عباس وتخويفه من سوء نية الانكليز نحوه. ولكن الهولنديين عادوا فرفضوا مرة أخرى دفع الرسوم الجمركية[٣] عن بضائعهم في عام ١٦٢٥. ولما كان الشاه عباس بحاجة إلى

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp. 7-8; Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624. Year 1624. p.302.

(٢) Jno. Purefey And Jno. Hayward To The East India Company. Ispahan. April 18, 1624; Thos. Barker, John Purefey. John Benthall, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. May 30, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624). p.268, 286.

(٣) Consultations Held While Captain Weddell's Fleet At Gombroon. Jan. 1 — Feb. 10, 1625. (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909). p.22, 42; Consultations Held At Gombroon, Present. Thos. Kerridge, Thos. Barker And John Benthall. Factors of Long resi- =

مساعدتهم بسبب خلافه مع البرتغاليين فقد كان في وسعهم السيطرة على التجارة في فارس.

كما نافست الشركة الهولندية الانكليز بإرسالها كمية كبيرة من الأقمشة الصوفية إلى الأسواق الفارسية وبتقديمها هدايا ثمينة وكثيرة إلى الشاه الفارسي. ولكن العلاقات الفارسية ـ الهولندية ساءت في عام ١٦٣٠ عندما رفض الهولنديون استلام حصتهم من الحرير وفق الشروط الفارسية(١). ولما كانت العادة في فارس قد جرت بإلغاء كل العقود والفرمانات التي سبق للشاه السابق منحها فقد كان على الانكليز والهولنديين إعادة تأكيدها أو تجديدها من الشاه الجديد. وبينما كان وكلاء الشركة الانكليزية يحاولون تجديد امتيازاتهم اصطدمت محاولاتهم بالدسائس والمكائد التي دبرها الهولنديون لهم في بلاط الشاه، ولذلك قاست التجارة الانكليزية كثيراً من المنافسة الهولندية الشديدة وخاصة بعد أن تمكن الهولنديون من تأسيس أنفسهم في فارس وإقامة وكالة لهم في بندر عباس، وبذلك وقعت تجارة التوابل في قبضتهم؛ كما حصلوا على الإعفاء من دفع رسوم الاستيراد على البضائع إلى فارس.

ولما كان الهولنديون خصماً قوياً فقد هددوا مركز الانكليز في الخليج العربي وجردوهم من تجارتهم الفارسية، فلم يبق للانكليز مجال في الأسواق الفارسية، لذلك بدأوا بالتجارة مع البصرة في عام ١٦٣٥ في محاولة مضادة للنفوذ الهولندي في الخليج العربي حيث حققت التجارة الانكليزية ربحاً في البصرة ولكن دخلت البصرة بضائع برتغالية في عام ١٦٤٠ قادمة من مسقط وألحقت ضرراً بالبضائع الانكليزية ولكن المنافسة البرتغالية لم تستمر وأصبحت البصرة من أهم مراكز التبادل التجاري للشركة الانكليزية(٢) التي حاولت تجنب

---

dence in These Parts. Jan. 1 — Feb. 10, 1625, (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.2.

(١) Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629. Year 1625. p.29; Court Minutes Of East India Company. Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vol. IV.) p.561 Edward Heynes, And William Gibson To The East India Company. Ispahan. Sep. 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp.51-53.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp. 162-163; Serjeant, R.B. The Portuguese In The Gulf. (Qatar Archaeological Report, Excavations 1973. Oxford 1978) pp. =

عداوة الهولنديين والفرس، فرأى وكيلها في فارس ضرورة شحن ممتلكاتها في بندر عباس وإرسالها إلى البصرة بوصفها أكثر أمناً فوصلت السفينة الانكليزية التي تقل بضائع الشركة بأمان إلى ميناء البصرة في حزيران ١٦٤٥. ولكن الهولنديين أرسلوا أسطولهم التجاري الذي ضم ثماني سفن إلى البصرة فغزا أسواقها مما أضعف التجارة الانكليزية الحديثة العهد فيها بعد أن ألحق خسائر فادحة بالوكالة الانكليزية في البصرة.

وهكذا كان الهولنديون على وشك القضاء على التجارة الانكليزية في الخليج العربي ضمن نطاق المنافسة الانكليزية ـ الهولندية على التجارة الدولية؛ فبذلوا ما في وسعهم لترويع خصومهم الانكليز بعد أن تحولوا من حلفاء لهم في منطقة الخليج العربي إلى خصوم خطيرين للتجارة الانكليزية[١] وبذلك بلغت قوة الهولنديين في الخليج أوجها.

ولكن الهولنديين لم يتمكنوا من المحافظة على استقلال بلادهم بدون الاستمرار في السيطرة على التجارة الشرقية؛ ولذلك فإن أي خسارة قد تلحق بمركزهم التجاري المتفوق في الشرق سوف تلحق الضرر بمركز بلادهم السياسي والتجاري في أوربا[٢]. وسيبدو ذلك بوضوح في حروب هولندا مع الانكليز وفرنسا خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر.

= 159-160; Bennet, Thomas Jewell. The Past and Present Connection England With The Persian Gulf. (Journal Of The Society Of Arts. Vol.L. June 13, 1902. pp. 634-652) pp. 639-640.

(١) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp.163-164; Lockhart, Laurence, Persian Cities. (London 1960) p.175; Savory, Roger, Iran Under The Safavids. (Gt. Brit. 1980) pp. 119-120.

(٢) Birdwood, Sir George. Op.Cit. p.191, 213.

الحروب الانكليزية ـ الهولندية

تعود أسباب الحروب الانكليزية ـ الهولندية إلى الحملات العدائية التي شنها الأسطول الهولندي في البحار الشرقية على التجارة الانكليزية في الشرق، وإلى الأضرار المباشرة التي ألحقها الهولنديون بمصالح الشركة الانكليزية في الخليج العربي؛ ولذلك اشتبكت هولندا مع انكلترا في عهد كرمويل في حروب طويلة لحقت خلالها عدة هزائم بالبحرية الانكليزية في منطقة الخليج العربي وخارجها. وكان هدف الهولنديين استئصال الانكليز من جذورهم تماماً من الهند وفارس وعدم الاكتفاء بالتغلب على سفنهم ومصادرة بضائعهم كما كان يحدث من قبل ليحتكروا التجارة الشرقية لأنفسهم ويتحكموا في البحار الشرقية ويمارسوا الضغط على الشاه الفارسي لمنعه من التعاطف مع الانكليز[1]. وعندئذ يَدعَون نصف جمارك جمبرون «بندر عباس»، وقد توقع الانكليز أن يتخذ الشاه الفارسي موقفاً حاسماً من الهولنديين ليؤكد لهم أنه على الرغم من منحهم حرية التجارة في بلاده فإنه لا يسمح لهم بالاستيلاء على

---

(١) قام الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر بنقل ثلثي التجارة الدولية. فقد كان لديهم حوالى عشرة آلاف سفينة شراعية وحوالى ١٦٨,٠٠٠ بحار كما بلغت قوة الشركة الهولندية في الشرق ذروتها في الربع الثالث من القرن السابع عشر حيث كان لها حوالى ١٥٠ سفينة تجارية و٤٠ سفينة حربية وعشرة آلاف جندي، وحقق المساهمون فيها أرباحاً بلغت ٤٠٪ وسبب هذا الازدهار سيطرة الشركة على تجارة التوابل في أرخبيل الملايو. انظر: De Somogyi, Joseph. A Short History Of Oriental Trade (Germany 1968) pp. 127-129; President Blackman And Messrs. Pearce And Gary At Surat To The Factors At Gombroon, May 7, 1653, (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.183.

السفن الانكليزية بدون الإعلان عن حالة الحرب، ولمنعهم من بيع البضائع الانكليزية المسروقة في الأسواق الفارسية بدون تصريح منه. وكان الهولنديون قد استولوا في عام ١٦٤٩ على إحدى سفن الشركة الانكليزية في الخليج وأخذوا حمولتها من الفلفل[١]. ثم تطور الأمر بين هولندا وانكلترا إلى عداء صريح عندما أصدر البرلمان الانكليزي في عام ١٦٥١ لائحة الملاحة التي نصت صراحة على تحطيم الأسطول الهولندي التجاري، وأعلن كرمويل الحرب على هولندا في عام ١٦٥٢، ولذلك ازداد التوتر في العلاقات الهولندية - الانكليزية في الشرق بسبب المنافسة التجارية الحادة بينهما واستمرت الاعتداءات الهولندية على سفن الشركة الانكليزية[٢]. وأرسل الهولنديون في عام (١٦٥٢ - ١٦٥٣) خمس عشرة سفينة إلى جمبرون قدرت حمولتها من البضائع بمئة وعشرين ألف جنيه انكليزي مما زاد في ضعف التجارة الانكليزية في الخليج العربي، ولكن الشاه الفارسي ظل يرفض مساواة الهولنديين بالانكليز فيما يتعلق بالامتيازات التجارية الفارسية لأن الانكليز قدموا خدمات أكثر لفارس في حروبها ضد البرتغاليين.

ووقف البرتغاليون على الحياد ورفضوا الاستجابة إلى العروض التي قدمها الانكليز والهولنديون لهم للانحياز إلى جانب كل منهما. وتصدى الهولنديون للسفن الانكليزية في الخليج العربي وتمكنوا من أسر سفينتين بالقرب من ميناء جاسك على الساحل الفارسي، كما أسروا سفينة ثالثة ودمروا رابعة[٣]. وفي أوائل عام ١٦٥٤ قامت خمس سفن هولندية بمهاجمة إحدى

---

(١) President Blackman And Messrs. Pearce And Gary At Surat To The Factors In Persia. June 11, 1653. (The English Fatories Vol. IX) pp. 187-188; A Remonstrance Of The English East India Company Against divers wrong, losses, and damages sustained from The Netherlands. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury Oxford 1913) pp. 143-144.

(٢) (75)Wilson, Arnold T. Op.Cit. pp.164-165.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٧٠، ١١٠، وانظر أيضاً، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، ص ٢٦٩.

السفن الانكليزية وأحرقتها بالقرب من ميناء جمبرون «بندر عباس» وأسرت سفينة أخرى، ولكي يمنع الانكليز أية خسائر أخرى قد تلحق بسفنهم استخدموا قوارب خفيفة لتنطلق من جاسك لتحذير السفن الانكليزية في الخليج العربي من خطر وجود سفن هولندية قد تعتدي عليها(١).

وقد عانى الانكليز أثناء حربهم الأولى مع هولندا (١٦٥٢ - ١٦٥٤) من سلسلة الهزائم التي لحقت بهم في الخليج العربي وأصبح مركزهم حرجاً بسببها. ولذلك طلبت الشركة الانكليزية من وكيلها في البصرة الانتقال إلى مكان أكثر أمناً واقترحت إرسال الحرير الفارسي عن طريق أصفهان لأن منطقة الخليج العربي قد أصبحت في قبضة الهولنديين(٢). ولكن تجارتهم على الرغم من ذلك ظلت قائمة في جمبرون «بندر عباس».

وقد أدى توتر العلاقات الهولندية - الانكليزية في عام ١٦٥٣ إلى احتجاز بضائع التجار الآخرين في الموانئ الفارسية خوفاً من أن يعقب مغادرة الهولنديين لمياه الخليج العربي اضطراب عام قد يؤدي إلى ارتفاع الأسعار. كذلك كانت الأسواق الفارسية كاسدة بسبب غياب الشاه عن أصفهان وعدم قدوم بضائع انكليزية أكثر من الكميات العادية، كما أن الهولنديين لم يرغبوا في إحضار بضائع أكثر، مما زاد في توقعات التجار زيادة أسعار البضائع المستوردة(٣).

ولكن معاهدة الصلح بين الانكليز والهولنديين في عام ١٦٥٤ أعادت بعض الاعتبار والاستقرار للمصالح الانكليزية في منطقة الخليج العربي؛ كما قررت اللجنة الهولندية - الانكليزية المشتركة التي تشكلت بعد الحرب الأولى

(١) John Spiller And Other Factors At Gombroon To The Commanders Of All English Ships. Feb. 18, 1653. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.161.

(٢) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp.7-8.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٠.

(٣) Messrs. Spiller, Young, And Park At Ispahan To The Company. Sept. 10, 1655. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.195.

(١٦٥٢ ـ ١٦٥٤) أن تدفع الشركة الهولندية تعويضاً قدره ٨٥,٠٠٠ جنيه انكليزي للشركة الانكليزية بالإضافة إلى تعويضات أخرى. وكانت الشركة الانكليزية قد قدمت كشفاً بالخسائر التي تكبدتها على يد الشركة الهولندية خلال الفترة (١٦٢٢ ـ١٦٥٤)[١].

ومهما يكن من أمر فقد أدى التفوق التجاري الهولندي في منطقة الخليج العربي إلى زيادة قلق الشركة الانكليزية، فاقترحت إقامة مركز تجاري لها في مسقط في عام ١٦٥٩ للوقوف في وجه السيطرة الهولندية على التجارة الفارسية لا سيما بعد أن زاد الهولنديون من استعدادهم للتصدي للانكليز بزيادة عدد السفن الهولندية في الخليج العربي خلال الفترة ١٦٥٩ ـ ١٦٦٠. ولذلك لم تتمكن الشركة الانكليزية من إبعاد الخطر عن ممتلكاتها في فارس بعد أن أصبح مركزها في الخليج العربي مهدداً. فقد تمتع الهولنديون في عام ١٦٦٣ بأهمية كبرى واحترام عظيم في الخليج العربي استمدوها من وجود أربع سفن كبيرة محملة بكل أنواع البضائع الثمينة من التوابل والنحاس والقصدير والتي جاء بها الهولنديون من باتافيا واليابان[٢]. ولذلك عمل الهولنديون على ابعاد الانكليز من الخليج العربي وعلى وقف التجارة الانكليزية في الشرق. ولكن الانكليز كانوا على استعداد للحرب مع الهولنديين إذا ما تأثرت التجارة الانكليزية في الشرق على نحو يهدد بالقضاء عليها.

وهكذا سيطر الهولنديون على التجارة في جمبرون «بندر عباس» حتى عام ١٦٦٤ وعلى تجارة التوابل في الخليج العربي حتى عام ١٦٦٧. فقد أحرق

---

(١) An Account Of The Particular Losses Sustained By The English In The East Indies Through The Proceedings Of The Netherlands Company Since The Treaty Of 1622. May, 1654. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1913) p.316.

وانظر: محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧.

(٢) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf. p.19, 23, 24.

الهولنديون حمولة أربع سفن من البضائع للمحافظة على أسعارها، ولإرغام التجار الفرس على قبول الأسعار التي يفرضونها عليهم، وكذلك قامت الشركة الهولندية بدور الناقل الرئيسي للتجارة الشرقية في الأقطار الآسيوية، وهو الدور الذي قام به عرب الخليج والجزيرة العربية قبل قدوم البرتغاليين في القرن السادس عشر. وشملت تجارة الشركة الهولندية عدة أنواع من البضائع والسلع الشرقية مثل السكر والنحاس والمخمل والحرير الخام والمطبوع والسجاد الفارسي الفاخر وسبائك الذهب والفضة.

أما الحرب الهولندية ـ الانكليزية الثانية فقد وقعت خلال الفترة (١٦٦٥ ـ ١٦٦٧). ولكن تأثيرها في شئون الخليج العربي كان محدوداً، ولم تترك آثاراً دائمة. وسببها أن قوة هولندا أخذت تهدد المصالح الانكليزية في الشرق ولذلك أصدر البرلمان الانكليزي لائحة ملاحة جديدة، وبدأت بذلك الحرب بين الدولتين، وقد انتصرت انكلترا في هذه الحرب وأرغم الهولنديون على التقهقر إلى موانئهم. ولكن رد الفعل الهولندي في الخليج العربي كان أقل منه في الحرب السابقة[١].

وبعد ثلاث سنوات من الحرب حدث تطور مفاجئ في العلاقات الهولندية ـ الانكليزية بسبب الغزو الفرنسي للأراضي الهولندية في عام ١٦٦٧ فانقلب العداء إلى صداقة لبعض الوقت. ولكن النشاط التجاري الهولندي والانكليزي استمر في عام ١٦٦٩ حيث دخلت مياه الخليج أربع سفن انكليزية وثلاث سفن هولندية ومثلها فرنسية وأفرغت بعض حمولتها من البضائع في جمبرون «بندر عباس» ونقلت الباقي إلى ميناء كونغ والبصرة[٢]،

---

(١) Wilson, Arnold T. Op.Cit. p.165. (٣)
وانظر: لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١١، ومحمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) Pahlow, Edwin W. Anglo-Dutch Relations 1671-1672. (Annual Report Of The American Historical Association For The Year 1911. Vol.I pp. 123-127. Washington 1913) p.123; The Surat Presidency, 1670. (The English Factories In India. Vol. I. New Series. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936). p.203.

بينما خلت مياه الخليج العربي من أي نشاط بحري للعرب والبرتغاليين على حد سواء. ولكن حدث خلاف بين الهولنديين وخان إقليم فارس في جمبرون وتقدم كل من الجانبين بشكوى إلى الشاه الفارسي ولكن وفاة الخان حالت دون قطع العلاقات بين الجانبين[١].

أما الحرب الهولندية ـ الانكليزية الثالثة فقد اندلعت في عام ١٦٧٢ بإعلان فرنسا وانكلترا معاً الحرب ضد هولندا. وكان لهذه الحرب تأثير كبير وعلى نطاق واسع في أوربا وخارجها. فقد رغب شارل الثاني ملك انكلترا في دعم وتأييد قريبه لويس الرابع عشر ملك فرنسا من ناحية وإلى إرضاء التجار والصناعيين الانكليز الذين رغبوا في إضعاف النشاط الهولندي في الشرق[٢] من ناحية أخرى. وكان لويس الرابع عشر قد هاجم هولندا مرة أخرى في عام ١٦٧٢ فاشتعلت بذلك العداوة بين فرنسا وهولندا. وخلال الفترة (١٦٧٢ ـ ١٦٧٤) تمكن الهولنديون من عرقلة مواصلات الشركة الانكليزية بين سورات وبومباي.

وقد وقف شارل الثاني في بداية الحرب إلى جانب فرنسا ضد هولندا، ولكن الرأي العام الانكليزي كان معادياً لفرنسا، فتم عقد الصلح في عام ١٦٧٤ للمرة الثالثة بين انكلترا وهولندا وانضمت انكلترا مع دول أوربية أخرى إلى جانب هولندا التي اعترف باستقلالها رسمياً بموجب صلح نيمون في عام ١٦٧٨. ثم تحالفت انكلترا وهولندا في عام ١٦٨٨ لمعارضة السياسة الفرنسية في أوربا. ولكن هذا التحالف كان على حساب المصالح الهولندية في الشرق[٣]، والتي دفعت الثمن وأصبحت في خدمة المصالح الانكليزية؛ وقد أثر هذا التحالف على مركز هولندا في الخليج العربي، ونتج عن ذلك أن بدأ

---

(١) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India Vol. XII. 1668-1669. By Sir William Foster. Oxford 1927). p.210.

(٢) Hyma, Albert, A History Of The Dutch In The Far East. (U.S.A. 1953) p.43, 45.

(٣) Saleh, Zaki, Op.Cit. pp.40-41; Mukharjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 106-107.

الهولنديون يفقدون تفوقهم في فارس تدريجياً على الرغم من استمرار منافستهم للانكليز في استيراد المصنوعات الهندية. ولكن الانكليز منعوهم من احتكار الصوف في كرمان.

وعلى الرغم من ذلك استمر الهولنديون في المحافظة على وكالتهم التجارية في جمبرون «بندر عباس» وظلت تجارتهم مع فارس مزدهرة وتمتع الهولنديون بحق تصدير ما قيمته ٢٠ ألف تومان من البضائع إلى أصفهان معفاة من الضرائب في كل عام في مقابل تمتع الانكليز بتصدير ما قيمته خمسة آلاف تومان فقط[١]. ولكن الهولنديين بدأوا يشعرون بنقص مواردهم الاقتصادية بسبب حروبهم مع الانكليز خلال الفترة (١٦٥٢ - ١٦٧٤) ومشاكلهم الصعبة مع فرنسا وقد استفاد الانكليز من هذه التطورات ليمارسوا نفوذهم في الهند مما أثر بالتالي على مركز هولندا في الخليج العربي وفارس.

وحتى عام ١٦٨٠ كان للهولنديين وجودهم القوي في البصرة وجمبرون «بندر عباس» مما جعل من الخليج العربي بحيرة هولندية. وقد جاء دور الانكليز بعد ضعف القوة الهولندية في أوربا مما ترك أثره على مركز ونفوذ هولندا في الشرق، وعلى الرغم من ذلك كانت التجارة الهولندية في الخليج العربي في عام ١٦٨٢ متفوقة على التجارة الانكليزية من حيث كمية البضائع ونوعها، ومن حيث عدد السفن التجارية أيضاً. كما ازداد الدس والتآمر بين الشركتين الانكليزية والهولندية في فارس وأخذت كل منهما تحرض السلطات الفارسية على الأخرى خلال الفترة (١٦٨٤ - ١٦٨٦).

ولكن السياسة العدائية التي مارسها لويس الرابع عشر في أوربا والتي هددت انكلترا وهولندا قد أرغمتهما على تناسي خلافاتهما وضم جهودهما لمواجهة عدوهما المشترك، كما أن الثورة الجليلة في انكلترا في عام ١٦٨٨ والتي نتج عنها طرد ملك انجلترا جيمس الثاني وتولي ابنته ماري وزوجها الهولندي

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.11.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١١ - ١١٣.

وليم أورانج الحكم في انكلترا وهولندا قد خفّفا من العداء القديم بين الدولتين[1]. ولكن التقارب الانكليزي الهولندي للوقوف أمام الأطماع الفرنسية لم يمنع من استمرار التنافس التجاري بينهما في منطقة الخليج العربي حيث احتفظ الهولنديون بمراكزهم التجارية فيها حتى نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر.

ولكن القوة البحرية الانكليزية أرغمت الهولنديين على الانسحاب من جمبرون «بندر عباس» في عام ١٧٥٩ لتقديمهم المساعدة للحملات الفارسية ضد البحرين والساحل العماني، ولانضمامهم إلى الحملة التي أرسلها الشاه الفارسي للقضاء على حاكم بندرعباس؛ بينما وقف الانكليز إلى جانب الحاكم ضد السلطة المركزية في أصفهان[2]، مما زاد في حدة الخلافات بين الجانبين في منطقة الخليج العربي في منتصف القرن الثامن عشر.

---

(١) Nyrop, Richard F. Op.Cit. p.23; Al-Musawı, Mustafa Murtada. Op.Cit. pp. 100-101. Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safavi Dynasty. Op.Cit. p.367.

(٢) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨ - ١٧٩.

انهيار النفوذ الهولندي في الخليج العربي

ترك التعاون الانكليزي ـ الهولندي خلال الفترة (١٦٧٤ ـ ١٦٧٧) لمواجهة العدو الفرنسي المشترك آثاره على المصالح الهولندية في الغرب والشرق على حد سواء، فمنذ عام ١٦٨٨ أخذ النفوذ الهولندي في الخليج العربي في الضعف، وبدأت هولندا تفقد مراكزها التجارية لصالح انكلترا التي اتبعت سياسة تجارية تمثلت في تجريد الجهات التي تصل إليها من ثرواتها والسيطرة على أسواقها واحتكار منتجاتها. وأدرك الشاه الفارسي أن الأمور أصبحت في صالح الانكليز فوقف إلى جانبهم واشتد الصراع بين التجار الانكليز والهولنديين لاحتكار المنتجات الصناعية الهندية. ولكن الانكليز تمكنوا من التغلب على منافسيهم وحصلوا على احتكار تجارة صوف كرمان من فارس. وعلى الرغم من هذه المنافسة الشديدة فقد وقف الانكليز والهولنديون ضد فرنسا التي ألحقت الهزيمة بأسطولهم المشترك[1] في عام ١٦٩٠؛ ولكنهم سرعان ما ألحقوا هزيمة مماثلة بالأسطول الفرنسي في عام ١٦٩٢.

ومع نهاية القرن السابع عشر تحسن مركز الانكليز في الخليج العربي عن ذي قبل في عدة مجالات ثم أخذ النفوذ الانكليزي يشتد ويقوى على الرغم مما لحق بالدولة الصفوية من ضعف في آخر عهدها نتيجة حروبها مع الدولة العثمانية والعرب في الخليج[2]. ويعود السبب في ذلك إلى أن حماسة

---

(١) محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ - ٢٧١.

(٢) Bennett, Thomas Jewell. Op.Cit. p.640.

الهولنديين وطاقتهم قد نفدت وبسبب ضعف قوة هولندا في القارة الأوربية. وقد ترك ذلك أثره في مركز الشركة الهولندية في الخليج العربي بخاصة، وبذلك تبدل الوضع السياسي والاقتصادي في منطقة الخليج لمصلحة الانكليز.

وأخذت محاولات الهولنديين للاستمرار في توطيد نفوذهم في فارس تُمْنَى بالفشل. ففي العام ١٦٩٠ زار سفير هولندي أصفهان بهدف الحصول على فرمان من الشاه يمنح التجار الهولنديين احتكار تجارة صوف كرمان ولكن مهمته فشلت، كذلك فشلت محاولة هولندية أخرى في ١٨ حزيران ١٦٩٧ عندما حصل الانكليز على تجديد امتيازاتهم السابقة من الشاه حسين على الرغم من معارضة الهولنديين الذين بذلوا مبلغاً كبيراً من المال لمنع المصادقة على تجديد الامتيازات الانكليزية[١]. كما جرت محاولة هولندية أخرى في عام ١٦٩٩ لاستمالة الشاه الفارسي لزيارة وكالتهم في أصفهان. ولذلك يمكن اعتبار الزيارة التي قام بها الشاه حسين في تموز ١٦٩٩ إلى الوكالة الانكليزية في أصفهان ورفضه زيارة الوكالة الهولندية ضربة حاسمة موجهة للنفوذ الهولندي في فارس والخليج العربي لأنها أدت إلى تغيير فوري في موقف الشاهبندر الفارسي الذي أصدر أمره بوقف العمل في القلعة الهولندية في بندر عباس[٢].

وعلى الرغم من تمتع الانكليز والهولنديين بمركز متفوق في الخليج العربي في نهاية القرن السابع عشر حيث كان لهم مصالح تجارية مهمة، فإنهم لم يكن لهم نفس الدرجة من التفوق التي تمتع بها البرتغاليون في القرن السادس عشر أو الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر. كما أن نهاية القرن السابع عشر شهدت تطورات جديدة تمثلت في ظهور علامات الضعف على الأسرة الصفوية من ناحية وازدياد شأن وأهمية عرب عمان في مياه الخليج من ناحية أخرى.

ثم سمحت انكلترا لهولندا بنقل تجارتها بأمان في حماية الأسطول

---

(١) Serjeant, R.B. Op.Cit. pp. 159-160; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.11.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٤.

الانكليزي. وما لبث الانكليز أن سيطروا في النصف الأول من القرن الثامن عشر بسهولة على امبراطورية هولندا التجارية[1] بعد أن تبدلت الظروف الدولية في الخليج العربي والمحيط الهندي لصالح الانكليز منذ الربع الأخير من القرن السابع عشر. فقد ضمت الشركة الانكليزية بمباي إلى ممتلكاتها في عام ١٦٨٧، وقامت بالإشراف على توجيه أعمال الشركة في القسم الغربي من المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر. وفي عام ١٧٠٧ دمجت جميع الهيئات التجارية الانكليزية في شركة الهند الشرقية الانكليزية، كما أن حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢ - ١٧١٣) والتي انتهت بصلح أوترخت ١٧١٣ وخروج فرنسا معها مجهدة وحالتها المالية سيئة وفوز انكلترا فيما وراء البحار، بينما احتفظت هولندا بحدودها الأوربية.

وقد بلغ التدهور الهولندي أوجه في نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر، حيث اضطرت الشركة الهولندية إلى الانسحاب من البصرة في عام ١٧٥٣، ثم تركت بندر عباس في عام ١٧٥٩. وقضى العرب على آخر موانئهم الحصينة في جزيرة خرج في عام ١٧٦٦ حيث تولى الأمير مهنا حاكم بندر ريق تصفية النفوذ الهولندي نهائياً.

---

(١) Adamiyat, Fereydoun. Bahrein Islands. (U.S.A. 1955) pp.25-26; Hyma, Albert. Op.Cit. p.43, 45, 167; The Historical Section Of The Foreign Office. Op.Cit. pp. 64-65.

سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية

اشتعلت معظم الحروب الهولندية لأسباب تجارية وانتهت بمعاهدات تجارية؛ وقد استهدف الهولنديون منها الحصول على امتيازات تجارية قيمة كلما كان ذلك ممكناً. ولذلك قامت سياسة الشركة الهولندية في الشرق على الاحتكار التجاري مع المحافظة على النفوذ السياسي للشركة، واتبعت في جزر الهند الشرقية سياسة دفع الأموال مقدماً ثمناً لمحصولات المزارعين مما مكّنها من نزع أملاكهم في جزائر باندا وامبوينا ومالقا. ومع منتصف القرن السابع عشر أصبح مركز الشركة الهولندية في تلك الجزر وطيداً على الرغم من صغر مساحة ممتلكاتها في الشرق، ثم أخذ النفوذ الهولندي يتعاظم حتى بلغ أوجه في عام ١٦٨٠. وعندئذ أصبحت الشركة الهولندية في مركز تجاري احتكاري قوي لا ينازعها فيه أحد في ثروة الجزر الأندونيسية، ولكنها على الرغم من ذلك ظلت تبحث عن الأرباح وتبتعد عن التوسع في الاحتلال في البداية. ولكن لحق بهذه السياسة تغير أساسي عندما وجدت أن الاستغلال والاستثمار الاقتصادي أكثر فائدة لها من التجارة[١].

وقد استفادت الشركة الهولندية في الخليج العربي من الانجازات التي حققتها ضد البرتغاليين في المحيط الهندي في النصف الأول من القرن السابع عشر حيث أصبحت لها اليد الطولى في المحيط الهندي بعد أن ألحقت بمالقا كارثة كبيرة روعت البرتغاليين في الخليج العربي[٢]، ونتيجة لذلك كان على

(١) Barker, J. Ellis. Op.Cit. p.125, 129.
وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) Hugh Lee To Sec. Winwood. Lisbon. Mar. 22 — April 1, 1617. (Colonial Papers. Vol. II, 1617-1621) p.22.

الشركة الانكليزية أيضاً أن تأخذ بعين الاعتبار إمكانية حصول الهولنديين على حقوق مماثلة للحقوق التي حصلت عليها من السلطات الفارسية.

وهكذا شكلت السنوات الأولى من بدء اتصال الشركة الهولندية بالتجارة الفارسية فصلاً مثيراً في علاقاتها الفارسية والانكليزية، ولما كان الحرير الفارسي احتكاراً للشاه فقد كان على الشركة التعامل مع كبار المسؤولين الفرس، وحققت الشركة الهولندية خلال الفترة (١٦٢٣ - ١٦٣٦) ربحاً من الحرير الفارسي بلغ معدله ٣٠٪ - ٤٠٪ ولكنه انخفض في بعض السنوات إلى ٢٥٪. فيما بلغ الربح في عام ١٦٨٢ م ٢١١٪ ثم انخفض في العام التالي إلى ١٥٣٪. كما حققت الشركة الهولندية من تجارة الحرير الفارسي خلال الفترة (١٦٨٣ - ١٧٤٠) أرباحاً بلغت حوالي ٩٠,٥ مليون جيلدر[١].

وقد نجحت الشركة الهولندية في الخليج العربي والمحيط الهندي في القرن السابع عشر بسبب حرج مركز البرتغاليين والشركة الانكليزية التي لم تستطع الدفاع عن مراكزها التجارية في وجه قوة الشركة الهولندية المدعمة بتمويل قوي وبأساطيل تجارية وحربية لانسجام مصالح الشركة الهولندية واتفاقها مع الحكومة الهولندية[٢]، والتي كانت أكثر استعداداً لتقديم المساعدات المختلفة لفرض الامتيازات بالقوة على حكومات الشرق. كذلك تمتعت الشركة الهولندية باحتكار تجاري تام في الشرق بينما كانت الشركة الانكليزية تتعرض لكثير من النقد وتسمح الحكومة الانكليزية من وقت لآخر لجماعات ولتجار مغامرين بممارسة التجارة مع الشرق.

كما لم يتردد الهولنديون بالتضحية بالآخرين من أجل الحصول على الثروة وانتزاع تجارة التوابل بالقوة من منافسيهم الآخرين وبوسائل غير أخلاقية من وجهة نظر أعدائهم. فمارسوا العنف والخداع والاحتيال والتآمر ونصب المكائد

---

(١) Davies, D.W. A Primer Of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade (?1961) pp. 98-100; Colonial Papers Vol. II. 1617-1621. Aug. 4, 1617.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.168; Hall, Lesley A. Factory Records. Persia And Persian Gulf. p.3.

من أجل الاستحواذ على التجارة الشرقية وإلحاق الأذى بتجارة أعدائهم لاسيما الانكليز منهم[1]، على الرغم من دفاعهم عن حرية التجارة البحرية. ولكن مفهوم التجارة الحرة عند الهولنديين كان وسيلة لا غاية؛ ففي البداية حارب الهولنديون من أجل حرية التجارة، ولكنهم لم يقصدوا إطلاقها بدون قيود[2]، بل احتفظوا لأنفسهم بامتيازات تجارية كلما كان ذلك ممكناً.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.208.

(٢) Barker, J. Ellis. Op.Cit. p.125.

أساليب الشركة الهولندية

أبدى الهولنديون مهارة تجارية في التعامل مع حكومات الشرق. وكانت أساليبهم أقل عنفاً من الأساليب البرتغالية ؛ وقد نجحوا في القرن السابع عشر في احتكار الأسواق الفارسية وفي إبعاد أي تهديد أوربي لمركزهم التجاري في الخليج العربي بكافة الوسائل مثل استخدام سلاح الرشوة مع الفرس والانكليز وغيرهم، والدعاية المضادة والمضاربات التجارية القاسية وإغراق الأسواق بالبضائع[1]. ففي عام ١٦٥٠ بلغ عدد السفن الهولندية التي أفرغت حمولتها في ميناء جمبرون «بندر عباس» عشر سفن كما اشترى الهولنديون كميات من الحرير الفارسي في مقابل الفلفل الذي جاءوا به إلى فارس. وفي العام التالي أفرغت السفن الهولندية في ميناء بندر عباس بضائع قدرت قيمتها بمئة ألف جنيه استرليني.

كما استغل الهولنديون كل مناسبة لإلحاق الأذى بمنافسيهم التجاريين من الانكليز وغيرهم باستخدام الأساليب السابقة، وبدفع أسعار أعلى للمنتجات الفارسية ونجحوا في إبعادهم بعد إضعاف مركزهم وعجزهم عن تحقيق أي ربح تجاري في منطقة الخليج العربي. ففي عام ١٦٣٣ حصل الهولنديون بالرشوة على جزء من الحرير الفارسي المخصص للانكليز كما عرضوا الرشوة على المسؤولين الفرس للسماح لهم بالاحتفاظ بالحرير في الموانئ الفارسية واتفقوا مع الشاه على إضعاف نفوذ الانكليز في بلاده ومنطقة الخليج العربي[2].

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley. Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) p.107.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp. 162-163; Captain Weddel At Gombroon To =

وقد تسبب ذلك في إثارة حنق الانكليز على السلطات الفارسية، ولم تجرؤ الشركة الانكليزية على عقد اتفاق جديد لشراء الحرير من الشاه خوفاً من أن يدفع الهولنديون سعراً أعلى. وقد ألحقت المضاربة الهولندية الأذى بالمصالح الانكليزية والهولندية على السواء؛ فقد. اضطر الهولنديون إلى الاستدانة من التجار الأرض في فارس وبعد أن عجزوا عن الوفاء بديونهم حجز التجار الأرض على صادراتهم من الحرير.

وهكذا حصل الهولنديون على مركزهم المتفوق في الخليج العربي من خلال ممارسات تجارية لا تعرف الشفقة أو الرحمة[1]. واستخدموا مختلف الأساليب للابقاء على قوتهم التجارية وتطويرها وللقضاء على التجارة البرتغالية والانكليزية المنافسة لهم في فارس ومنطقة الخليج العربي، وسعوا فور وصولهم إلى الشرق لاحتكار تجارة التوابل الثمينة وأخذوا يبيعون البضائع بأسعار أقل من الكلفة في السوق الفارسية[2] رغبة منهم في مقاومة الاحتكارات الانكليزية في فارس. كذلك استخدم الهولنديون القوة من أجل الحصول على مزيد من الامتيازات من الشاه الفارسي وأرغموه على منحهم الحق بالتجارة في جميع أنحاء بلاده والسماح لهم بشراء الحرير وتصديره إلى أي ميناء فارسي بدون رسوم جمركية، كما حدث عندما هاجموا جزيرة قشم في عام ١٦٤٥ مما ولّد حقداً لدى الفرس ضدهم. واستعمل الهولنديون الدس والوقيعة بين وكلاء الشركة الانكليزية والسلطات الفارسية في عام ١٦٨٦. ولكن مترجم الشركة الانكليزية الأرمني تمكن من إحباط المحاولة الهولندية لإفساد العلاقات الانكليزية ـ الفارسية.

= The Company. March 24, 1633. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633. By William Foster. Oxford 1910) pp. 293-294.

(١) Hall, Lesley A. Op.Cit. p.3.

(٢) وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٩، ص ١١١ ـ ١١٢.
Hall, Lesley A. Op.Cit. p.3.

الفصل الخامس

الفرنسيون

وصلت أول سفينة فرنسية إلى المحيط الهندي عبر رأس الرجاء الصالح في عام ١٥٢٩ ثم انشغلت فرنسا عن مغامراتها البحرية في المحيطات لبعض الوقت، بينما استمر الانكليز والهولنديون في مجالات الكشف والريادة ثم الهجوم على المركز البرتغالي المتفوق في المياه الشرقية. وعلى الرغم من قيام الانكليز والهولنديين بنقل كميات كبيرة من التوابل والبهارات بواسطة رأس الرجاء الصالح إلى موانئ البحر المتوسط في القرن السابع عشر فإن فرنسا تمكنت من المحافظة على تفوقها التجاري في منطقة شرقي البحر المتوسط[1] بفضل الامتيازات التجارية التي حصلت عليها من الدولة العثمانية في عام ١٥٣٥؛ ولذلك سبقت فرنسا الدول الأوروبية الأخرى إلى توطيد علاقاتها السياسية والتجارية مع الدولة العثمانية، وأقامت قنصلية لها في حلب في عام ١٥٦٠ حيث ازدهرت التجارة الفرنسية فيها لبعض الوقت قبل أن تمتد إليها المنافسة التجارية الانكليزية.

وأدرك الملك هنري الرابع (١٥٨٩ـ ١٦١٠) أهمية المساواة في التجارة الشرقية مع الدول الأوروبية الأخرى فحاول تأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند في عام ١٦٠١. وقام في عهده بعض المغامرين الفرنسيين بالتوجه نحو الشرق عبر رأس الرجاء الصالح. ولكن سفينتهم ارتطمت بالقرب من جزر

(١) Lybyer. A.H. The Ottoman Turks And The Routes Of Oriental Trade. (The English Historical Review. pp. 577-588. No.CXX. Vol. XXX. Oct. 1915) p.586.

المالاديف[1] ثم انشغلت فرنسا مرة أخرى عن الشرق بالتطورات التي جدت في القارة الأوربية.

وقد بدأت الاتصالات الفرنسية بالحكومة الفارسية في العقد الثالث من القرن السابع عشر. فقد كان الوزير الفرنسي ريشيليو مهتماً بالتجارة الشرقية؛ فأرسل بعثة فرنسية إلى الشاه عباس الأول لعقد معاهدة تجارية مع فارس، ولكن البعثة لم تتمكن من متابعة سفرها بعد توقفها في استانبول نتيجة للخلاف الذي نشب بين رئيس البعثة دي شيس والسفير الفرنسي في الآستانة.

ثم وفد على بلاط الشاه عباس الأول راهبان فرنسيان من طائفة الفرنسيسكان ولكن زيارتهما لم تسفر عن نتيجة[2] رغم ترحيب الشاه بهما. وكانت المفاوضات قد جرت بين الجانبين الفارسي والفرنسي بهدف التوصل إلى عقد معاهدة تجارية. وكان الشاه عباس يتوقع زيادة الطلب الأوروبي على الحرير الفارسي الذي توسع في إنتاجه. ولذلك اهتم في عام ١٦٢٨ بالتبادل التجاري مع فرنسا لتسويق الحرير الفارسي في أسواقها والاستفادة من سفنها في نقل البضائع بين الهند وفارس[3]. كما كان للفرنسيين أيضاً تجارة محدودة في المنسوجات مع البصرة في عام ١٦٢٨.

وكان الوزير الفرنسي كولبير (١٦٦١ - ١٦٨٢) تواقاً إلى بناء أسطول بحري قوي جدير بفرنسا، ومهتماً بتأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند، ولذلك تأسست في عهده شركة الهند الشرقية الفرنسية من أجل تطوير التجارة مع الهند وبلاد الشرق في عام ١٦٦٤، وكان نظامها على غرار نظام الشركة الانكليزية. وبعد تكوين الشركة مباشرة غادرت فرنسا بعثة فرنسية من خمسة

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وامارات الساحل العماني (بغداد، ١٩٧٨) ص ٦٠ - ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١ - ٦٢.

(٣) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan, Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) pp. 562-564.

أعضاء إلى فارس للتفاوض مع الشاه عباس الثاني (١٦٤١ - ١٦٦٦) ووصلت إلى أصفهان في تشرين الثاني ١٦٦٥ واستقبلت البعثة استقبالاً ودياً وحملت معها رسالة من لويس الرابع عشر إلى الشاه عباس الثاني وحصلت الشركة على إعفاء من كل الضرائب والرسوم الجمركية لمدة ثلاثة أعوام[١] بالإضافة إلى الامتيازات المماثلة لتلك التي حصل عليها الهولنديون والانكليز. كما منح الشاه الفرنسيين حق تأسيس وكالة لهم في بندر عباس وأخرى في أصفهان[٢]. ووعد البعثة بموافقته على عقد معاهدة رسمية للتجارة مع فرنسا إذا ما وصلته الهدايا المناسبة. وقد تم تأسيس الوكالة الفرنسية بالقرب من الوكالة الانكليزية في بندر عباس في عام ١٦٦٧ وبدأت التجارة الفرنسية مع فارس ولكن على نطاق محدود لتأخر فرنسا في إرسال الهدايا التي وعدت الشاه بها مما أضعف مركز وكالتها التجارية. ولذلك بادرت الشركة الفرنسية إلى إرسال الهدايا الثمينة فسمح الشاه لها بمواصلة تجارتها الفارسية، ولكن بدون امتيازات خاصة.

وقد حاولت فرنسا في عهد كولبير فرض سيطرتها على جزيرة سيلان فأرسلت أسطولاً كبيراً بقيادة جاكوب دي لاهاي في عام ١٦٧٠، ولكن يقظة الهولنديين حالت دون استقرار الفرنسيين في جزيرة سيلان؛ وبذلك لم تحقق الحملة الفرنسية هدفها ولكن فرانسوا مارتن نجح في تأسيس المستوطنة الفرنسية في بوند شيري في الهند، وكذلك استقر عدد من الفرنسيين في سورات[٣].

وكان كولبير قد عقد العزم على شن حرب ضد هولندا وانتزاع السيطرة

---

(١) Savory, Roger. Op.Cit. p.120.
وانظر أيضاً: أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة. (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣٢.

(٢) Sykes, P.M. Op.Cit. p.281.

(٣) صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي. ١٧٩٨ - ١٨١٠. (بغداد، ١٩٧٩) ص ٢٥، ٣٥ - ٣٧. وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

البحرية منها؛ وقد ألحقت المنافسة الفرنسية ضرراً بالمصالح والمخططات الهولندية في الشرق وحاقت الهزيمة بالهولنديين في معاركهم البحرية مع فرنسا مما اضطرهم للبحث عن حلفاء لهم فتحالفوا مع الانكليز في عام ١٦٨٨ لمواجهة الخطر الفرنسي بعد تسوية الخلافات الهولندية ـ الانكليزية لتوحيد الجهود ضد العدو الفرنسي المشترك.

وقد ألحق التحالف الانكليزي ـ الهولندي ضرراً بالغاً بالمصالح الهولندية في الخليج العربي والمحيط الهندي. وإذا كانت المنافسة الهولندية قاسية بالنسبة للانكليز فإن المنافسة الفرنسية كانت أشد قسوة لاستغراقها وقتاً أطول ولأنها بالمقارنة مع المنافسة الانكليزية ـ البرتغالية في النصف الأول من القرن السابع عشر كانت أكثر خطراً على المصالح الانكليزية[1]. ولذلك لحقت بالشركة الانكليزية خسائر فادحة في صراعها مع فرنسا بمقارنتها بالخسائر التي لحقت بها خلال صراعها مع هولندا. وكان الفرس على قدر كاف من الدهاء للاستفادة من المنافسات الأوربية للحصول على المساعدة العسكرية ولبيع منتجاتهم التجارية بأسعار عالية.

ولكن القوة الفرنسية بدت منهارة في عام ١٦٩٧ وانتهت الحروب الفرنسية ـ الانكليزية في أوربا بتوقيع معاهدة رايزفيك Ryswiek في ٢١ أيلول ١٦٩٧ التي منحت فرنسا فترة من الاستقرار مكنتها من الالتفات إلى تجارتها الشرقية ومن استعادة بوند شيري التي استولى الهولنديون عليها في ١٦ أيلول ١٦٩٣، مما قوى مركز فرنسا في الهند. وفي عام ١٦٩٨ اتفقت انكلترا وهولندا وفرنسا فيما بينها على حماية المياه الهندية والعربية من هجمات القراصنة التي هددت السفن التجارية والأوروبية والمحلية؛ فكان على فرنسا حماية السفن التجارية في منطقة الخليج العربي وعلى هولندا حماية السفن التجارية في البحر الأحمر بينما عهد لانكلترا بحماية البحار الجنوبية من خطر القرصنة[2]. ولكن

---

(١) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 109-110.

(٢) Cotton, Sir Evan. East Indiamen. (London ?) p.151; Adamiyat, Fereydoun. Op.Cit. p.25; Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.195.

الاجراءات التي تم الاتفاق عليها لم تكن كافية لمنع استمرار القرصنة في المياه الشرقية، كما لم يمنع هذا الاتفاق نشوب صراع عنيف بين فرنسا وانكلترا في المحيط الهندي بعد ضعف النفوذ البرتغالي والهولندي فيه. وكانت السفن الفرنسية قد هاجمت ميناء بندر عباس وضربت الوكالة الانكليزية بالمدافع[١] خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) والتي انتهت بتنازل فرنسا عن مستعمراتها في شبه الجزيرة الهندية.

وكان للشركة الفرنسية اتصال تجاري محدود مع البصرة بدأ في عام ١٦٧٩ عندما أمرت الحكومة الفرنسية بتعيين رئيس الآباء الكرمليين والايطالي الجنسية قنصلاً لها فيها.[٢] وفي البداية لعب الفرنسيون دوراً محدوداً جداً في مجال السياسة والتجارة في الخليج ولم يقم القنصل الفرنسي في البصرة بدور مهم بسبب حجم التجارة الفرنسية المحدودة. ومنذ عام ١٦٧٩ وحتى عام ١٧٣٩ بقيت الإدارة القنصلية الفرنسية بأيدي رجال الدين على الرغم من أن القناصل الفرنسيين قد أصبحوا في عهد الوزير الفرنسي كولبير موظفين مدنيين يعينهم الملك الفرنسي بعد أخذ رأي غرفة التجارة الفرنسية في مرسيليا ومدير إقليم بروفانس بعد أن كانوا تابعين لغرفة تجارة مرسيليا. وحرم كولبير على القناصل الفرنسيين الاشتغال بالتجارة أو جباية الرسوم من التجار لمنفعتهم وقرر لهم مرتبات ثابتة[٣]. وقد تم تعيين أول قنصل مدني فرنسي في البصرة في عام ١٧٤٠. ولكن التجارة الفرنسية لم تزدهر فيها وظلت المصالح الفرنسية حتى العقد الخامس من القرن الثامن عشر تحت رحمة الحاكم المحلي لمدينة البصرة. ولكن مركز الفرنسيين التجاري تعزز وأصبح لهم وكالة دائمة في البصرة في عام ١٧٥٥.

---

(١) محمود علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد لعام ١٩٦٠، ص ١ - ٣٠) ص ١٨.

(٢) Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970). p.202; Saleh, Zaki. Op. Cit. p.50.

(٣) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp. 13-14.
وانظر أيضاً، أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة (القاهرة، ؟) ص ٢٠٣.

وحظيت مسقط بأهمية في مجال الاستراتيجية الفرنسية في الخليج العربي بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في عام ١٦٦٤، ووجهت فرنسا اهتماماً خاصاً بها فقدَّم أحد المبعوثين الفرنسيين إلى فارس واسمه دي لالين Delalain اقتراحاً في عام ١٦٦٧ بضرورة الاستيلاء على مسقط واتخاذها قاعدة بحرية فرنسية. وكان المبعوثون الفرنسيون إلى فارس (١٦٩٩ - ١٧١٩) يدرسون الخرائط ويضعون المخططات لإقامة قوات فرنسية في قلعتي جلالي وميراني في مسقط. كما كتب فرنسيون آخرون مذكرات ومشروعات معاهدات لعقد تحالفات مع فارس للاستيلاء على مسقط، وقد حددت تلك المشروعات حصة فرنسا والفوائد التي يمكنها أن تحصل عليها من امتلاك مسقط والاستيلاء على قلعتيها؛ غير أن تلك المشروعات لم تتحقق(١) ولم يتم الاتصال المباشر بين فرنسا ومسقط إلا في عام ١٧٤٩ عندما هاجم الجنود الفرنسيون سفناً بريطانية كانت موجودة في ميناء مسقط.

وفي العقد الأول من القرن الثامن عشر حاولت فرنسا استئناف تجارتها مع منطقة الخليج العربي على الرغم من استمرار المنافسة الانكليزية والهولندية لها. فغادرت فرنسا بعثة إلى أصفهان في عام ١٧٠٥ وتوصلت إلى عقد معاهدة مع الشاه حسين في أيلول ١٧٠٨ حصلت فرنسا بموجبها على تسهيلات تجارية واعفاءات ضريبية لمدة خمس سنوات تفرض بعدها ضرائب على الصادرات والواردات الفرنسية بنسبة ٣٪. ولكن المعاهدة فشلت في مساواة الفرنسيين بالانكليز والهولنديين في فارس، والذين كانوا قد حصلوا على إعفاء تجارتهم من كل الضرائب. ولذلك لم تصادق فرنسا على المعاهدة حتى عام ١٧١١ بسبب عدم وجود اغراءات تجارية مهمة في فارس من ناحية ولانشغالها في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢ - ١٧١٣) من ناحية أخرى. ولذلك اكتفت بتعيين الأسقف بيدرو دو سان أولون قنصلاً لها في أصفهان.

---

(١) صالح محمد العابد: مرجع سبق ذكره، ص ٥٦، ٦٤ - ٦٥. وانظر أيضاً: .Saleh, Zaki
Op.Cit. p.50.

واستفادت فرنسا من ضعف فارس وعدم قدرتها على مواجهة النشاط العربي المتزايد في الخليج في العقد الثاني من القرن الثامن عشر. ولحاجة الشاه الفارسي إلى المساعدة الفرنسية بعد فشله في الحصول على مساعدة الانكليز أو الهولنديين البحرية أرسل مبعوثاً إلى باريس للحصول على الدعم الفرنسي. وتمكن مبعوث الشاه من عقد معاهدة جديدة في ١٣ آب ١٧١٥ تضمنت إعفاء الفرنسيين من دفع رسوم الاستيراد والتصدير مع عدم تحديد حجم البضائع الفرنسية. وتعهدت فارس بمنح الفرنسيين الامتيازات التي قد تمنح في المستقبل لغيرهم من الأوربيين.

ولكن الحكومة الفارسية رفضت المصادقة على المعاهدة لعدم الإشارة إلى تحالف الجانبين ضد العرب في عمان. وتمسك الفرس بموقفهم بانتظار وصول السفن الفرنسية إلى الخليج العربي. ولما وصلت السفن في صيف ١٧٢١ صدقت الحكومة الفارسية على المعاهدة في أيار ١٧٢٢ وبعد بضعة شهور هدّد الغزو الأفغاني بالقضاء على الدولة الصفوية. وفي ٢٣ تشرين الأول ١٧٢٢ دخلت القوات الأفغانية أصفهان[١].

ومهما يكن من أمر فإن الشركة الفرنسية لم تحظ في منطقة الخليج العربي بأكثر من ممارسة تجارة محدودة نتيجة لوقوف انكلترا وهولندا ضدها، وللحروب التي كانت فرنسا طرفاً فيها في أوربا وخارجها في القرن السابع عشر.

---

(١) دونالد هولي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥. وانظر، صالح محمد العابد: مرجع سبق ذكره، ص ٣٨ - ٤٠.

الفهارس العامة

لكتاب

دراسات في تاريخ الخليج العربي

الجزء الأول

١ ـ فهرس الاعلام
٢ ـ فهرس الأماكن
٣ ـ فهرس الموضوعات

١ ـ فهرس الأعلام

حرف الهمزة ـ الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

٣ - فهرس الموضوعات

دراسات في
تاريخ الخليج العربي الحديث

الجزء الثاني

مكتبة الرائد العلمية
عمان - الأردن

دار الجيل
بيروت

الإهداء

إلى ذكرى والدتي زينب جابر

«انتقلت إلى رحمته تعالى يوم الأحد
٢٢ ذي القعدة ١٣٨٨هـ الموافق ٩ شباط/فبراير ١٩٦٩م»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

نعمت منطقة الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي في العقد الأول من القرن السادس عشر بالرخاء الاقتصادي، فازدهرت موانئ البصرة وسيراف والبحرين والقطيف ومسقط وقلهات وقيس وهرمز في حقب زمنية متفاوتة وقامت بدور نشط مهم وفعّال في النشاط التجاري والتبادل الثقافي والتفاعل الحضاري مع موانئ المحيط الهندي، طالما بقيت الملاحة العربية آمنة في المياه الشرقية. فقد كانت هرمز عاصمة لمملكة واسعة ضمت في النصف الأول من القرن الرابع عشر معظم السواحل الشرقية والغربية للخليج العربي، وسيطرت على التجارة بين موانئ الساحل الغربي للهند وموانئ الخليج العربي والبحر الأحمر والساحل الشرقي لافريقية.

ولكن مع وصول البرتغاليين إلى موانئ صور وقريات وخورفكان ومسقط وصحار وهرمز في العقد الأول من القرن السادس عشر، فقد العرب مصدر ثروتهم ورخائهم الذي نعموا به من قبل لاشرافهم على التجارة الشرقية مع أوربا عبر الخليج العربي والبحر الأحمر، بعد أن احتكر البرتغاليون تجارة التوابل واحتلوا مناطق انتاجها في جزر الهند الشرقية وسيطروا على موانئ التجارة الرئيسية في الشرق وقاموا بتحويل طرق التجارة التقليدية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وجردوا العرب من دور الناقل الرئيسي والوسيط التجاري بين الشرق والغرب، واستنزفوا مواردهم الاقتصادية واستخدموا ضدهم مختلف الأساليب الوحشية واستهدفوا استئصالهم من الموانئ الشرقية

للقضاء على نشاطهم الاقتصادي فيها. وقد أدى ذلك كله إلى تدهور التجارة العربية وزال الرخاء الاقتصادي الذي نعمت به موانئ الخليج العربي لقرون خلت.

وعلى الرغم من الضربة القوية التي الحقها البرتغاليون بالاقتصاد العربي فقد أخفقوا في حصر العرب في بحارهم الداخلية وفي قفل منافذها تماماً لوقف نشاطهم التجاري في المحيط الهندي. كما فشل البرتغاليون في احتلال عدن وفي إقامة قواعد بحرية دائمة في البحر الأحمر، وعجزوا عن مد نفوذهم إلى المناطق العربية الداخلية على الرغم من قوتهم البحرية المتفوقة التي مكّنتهم من احتلال هرمز ومالقا وفرض سيطرتهم على سوقطرة وجزر الهند الشرقية وموانئ الساحل العربي للهند والساحل الشرقي لافريقية، حيث ظلت السفن العربية الخفيفة تشق طريقها بصعوبة الى الموانئ الهندية، مما أدى الى استمرار التجارة الشرقية في أسواق البصرة وبغداد وحلب وغيرها من المدن العربية ولا سيما بعد قيام الدولة العثمانية بجهود مضنية في منتصف القرن السادس عشر لتأمين تدفق البضائع الشرقية عبر الخليج العربي في وقت لم يكن فيه الحكم الصفوي المباشر قد امتد بعد الى منطقة الخليج العربي على نحو مؤثر لانشغال الصفويين في حروب مريرة ضد الدولة العثمانية رافقت دولتهم منذ تأسيسها واستمرت حتى انهيارها أمام الغزو الأفغاني (١٧٢٢ - ١٧٢٩ م) باستثناء بعض الفترات التي تخللتها معاهدات الصلح بين الجانبين.

واهتم الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩ م) بمنطقة الخليج العربي في مطلع القرن السابع عشر فطرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٠٢ م واستعان بالانكليز لطردهم من هرمز؛ ونجحت القوات الصفوية - الانكليزية المشتركة في الاستيلاء على هرمز في عام ١٦٢٢ م، ورغبة من الشاه عباس الأول في حرمان الدولة العثمانية من الرسوم التي كانت تتقاضاها لقاء مرور الحرير الفارسي عبر أراضيها، أمر بتحويل تجارة الحرير الى ميناء جمبرون - بندر عباس - على ساحل الخليج العربي لتنقله السفن الأوروبية الى مصانع الحرير في بلادها. ولكن الشاه عباس لم يحقق سوى نجاح جزئي لأن تجارة

الحرير الفارسي ظلت تجد طريقها الى الموانئ العثمانية على البحر المتوسط، كذلك فشل مشروع نادر شاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧) لبناء اسطول فارسي في الخليج العربي.

وقامت دولة اليعاربة في عمان (١٦٢٤ ـ ١٧٥٣) بدور مهم ورئيسي في القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، وأخذت زمام المبادرة لتحرير الساحل العربي للخليج والساحل الشرقي لافريقية من الاحتلال البرتغالي، وتصدت بنجاح لمحاولات القوى الأوربية الأخرى للسيطرة على موانئ الخليج العربي ورفضت تمكينها من اقامة قواعد عسكرية لها خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر بعد التجربة المريرة للسيطرة البرتغالية عليها. وبعد أن أصبحت عمان ـ في عهد اليعاربة ـ دولة بحرية قوية ذات حكومة مركزية تمكنت من فرض نفوذها على معظم سواحل الخليج العربي والساحل الشرقي لافريقية، واتخذت من مسقط مركزاً تجارياً وقاعدة حربية انطلقت منها الأساطيل التجارية والحربية التي ساهمت في نقل البضائع العربية والهندية والافريقية، وفي الدفاع عن السواحل العربية ضد السيطرة الأوربية.

وشهد الخليج العربي بعد تحرير الساحل العماني من الاحتلال البرتغالي تنقلات واسعة للقبائل العربية في منطقة شرقي الجزيرة العربية كآل صباح والجلاهمة وآل خليفة والقواسم وبنى ياس ودخلت القبائل العربية في تحالفات فيما بينها ووطدت نفوذها حول الموانئ التي استقرت فيها واستأنفت نشاطها التجاري على نطاق واسع مع الموانئ الهندية كما عاودت نشاطها السابق في الغوص والملاحة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

ولا بد من الإشارة الى أن هذه الدراسة تضم جميع القوى المحلية في الخليج العربي ـ العثمانيون والصفويون واليعاربة وآل افراسياب ومملكة هرمز ـ لأن القوى الأوربية التي هددت اقتصاد ورخاء المنطقة وأمنها واستقرارها في الماضي لم تستهدف قوة محلية دون أخرى بل كان غرضها فرض السيطرة عليها جميعاً وخنقها اقتصادياً بالتحكم في مضائقها وممراتها البحرية.

وتعتمد هذه الدراسة أساساً على وثائق سجلات الهند ومكتب

السجلات العامة في لندن وعلى عدد كبير من الدراسات المتخصصة المنشورة في الدوريات العلمية. ويسر الباحث أن يتوجه بالشكر للاساتذة المتخصصين في دراسات الخليج العربي وللعاملين في جامعات ومكتبات ودور الوثائق في لندن وواشنطن وميشغان ولوس انجلوس وشيكاغو وتوسان ـ أريزونا للمساعدات العلمية والتسهيلات المكتبية التي وفرت بعض الجهد والوقت. والله ولي التوفيق.»

عبد العزيز عوض

الفصل الأول

العثمانيون

وصل العثمانيون في القرن السادس عشر الى ميادين الصراع العربي ـ البرتغالي في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي. والى ميادين الصراع العربي ـ الاسباني في البحر الأبيض المتوسط، وتمكنت القوة البحرية العثمانية من الدفاع عن المشرق والمغرب العربي ضد القوى البرتغالية والاسبانية التي نقلت الحرب الاقتصادية والدينية من الأندلس الى البلاد العربية، وبذلك ظهرت الدولة العثمانية كمنقذ لها من الاسبان والبرتغاليين ونجحت نسبياً في تخفيف الضغط البرتغالي عن التجارة العربية في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، وأفشلت المحاولات البرتغالية لتكوين جبهة برتغالية ـ حبشية ضد القوى العربية والاسلامية في البحر الأحمر وشرق أفريقية.

وهكذا ظهرت في النصف الأول من القرن السادس عشر قوتان بحريتان في الخليج العربي: القوة البحرية البرتغالية التي وصلت الى الساحل الغربي من الهند ووطدت نفوذها في أماكن استراتيجية مختلفة في المحيط الهندي للسيطرة على التجارة الشرقية واحتكارها[1]، والقوة البحرية العثمانية التي امتدت الى البحر الأحمر ثم الى الخليج العربي بعد استيلاء الدولة العثمانية على مصر في عام ١٥١٧ وسيطرتها على بغداد في عام ١٥٣٤ وعلى البصرة في عام

(١) صالح اوزبران: الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ ـ ١٥٨١. ترجمة عبد الجبار ناجي.
(بغداد،؟) . ص ٤٢، ٥٥

١٥٤٦. وبذلك أصبحت الدولة العثمانية على اتصال مباشر بالخليج العربي ووقفت ضد التوسع البرتغالي في جهات الخليج العربي.

وكان السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) قد أنشأ ترسانة بحرية في السويس وجعلها قاعدة للعمليات الحربية العثمانية ضد البرتغاليين لحماية البحر الأحمر والخليج العربي من النشاط البرتغالي وعهد بتنظيمها الى الصدر الأعظم ابراهيم باشا. وعندما ولى السلطان سليمان القانوني الحكم في عام ١٥٢٠ أرسل قطعاً بحرية لبسط النفوذ العثماني على اليمن في عام ١٥٢٥ بقيادة سليمان رئيس[١] القبطان المملوكي الذي دخل في خدمة العثمانيين وقد أكد سليمان رئيس في تقرير رفعه الى الصدر الأعظم ابراهيم باشا أهمية التجارة الشرقية في المحيط الهندي، وعندما علم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) بأمر الحملات البرتغالية على البحر الأحمر والخليج العربي وباستيلاء البرتغاليين على بعض جهات الهند وعجز أهلها عن صدهم والدفاع عن أنفسهم وبعد استغاثة السلطان محمود صاحب كجرات به، أمر السلطان سليمان القانوني بتجهيز أسطول كبير في السويس بقيادة سليمان باشا الخادم[٢] ومنحه صلاحيات واسعة للثأر من البرتغاليين ووضع حد لتجاوزاتهم في الهند واصلاح الموانئ العربية ورفع الحصار البرتغالي عن البحر الأحمر وقفل مضيق المندب في وجه السفن البرتغالية.

ونفّذ سليمان باشا الخادم تعليمات السلطان سليمان القانوني، فبنى في

---

(١) الشاطر بصيلي عبد الجليل: الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق افريقية والبحر الأحمر (المجلة التاريخية المصرية. المجلد الثاني عشر. ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥. ص ١٢٩ ـ ١٤٠) ص ١٣٤

(٢) وصف قطب الدين النهروالي سليمان باشا الخادم بأنه اشتهر بفتكه وحبه لسفك الدماء وبضعف عقله وخوفه. انظر قطب الدين بن أحمد النهروالي المكي (٩١٧هـ ـ ٩٩٠هـ): البرق اليماني في الفتح العثماني. (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في اخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين) أشرف على طبعه حمد الجاسر. (الرياض، ١٩٦٧) ص ٧٠ ـ ٧١.

السويس مئة سفينة متنوعة الحجم[1]ثم شحنها بالسلاح والرجال واستعد لقتال البرتغاليين فتوجه من السويس قاصداً جدة في أيار ١٥٣٨ ثم الى عدن فبلغها في تموز ١٥٣٨ حيث فتك بحاكمها عامر بن داود بقية بني طاهر غدراً بصلبه على صاري سفينة القيادة بعد اعتقاله بالحيلة[2] وبذلك قضى سليمان باشا على الأسرة الطاهرية الشافعية في اليمن وعين اياس باشا والياً عثمانياً على اليمن وكلفه باخضاع الامام الزيدي في صنعاء.

واتخذ سليمان باشا من عدن وموانئ اليمن قواعد بحرية لمهاجمة المحطات والمراكز البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي ولكن أخبار غدره وسوء فعله وتعدياته وقسوته في سواحل اليمن وعدن[3] قد سبقته الى موانئ الهند، مما نفر منه حكامها فامتنعوا عن تقديم المساعدة له ضد البرتغاليين في حصن ديو الذي بدأ الهنود بحصاره قبل شهر من وصول الأسطول العثماني. ولعل تبدل موقف صاحب كجرات بعد طلبه المساعدة من السلطان العثماني يعود الى خوفه من سوء فعل سليمان باشا الخادم وغدره وخوفه من السيطرة العثمانية على بلاده. وبعد أن تخلى الهنود عن مساعدة سليمان باشا نجح البرتغاليون في مقاومة الحصار الذي فرضه العثمانيون على ديو رغم أن قوتهم لم تتجاوز ٨٠٠ جندي، و٦ سفن حربية. واضطر سليمان باشا الخادم الى رفع الحصار والعودة الى اليمن ومعه ثمانين أسيراً برتغالياً وأبقى في عدن قوة عثمانية من خمسمئة جندي وخمس سفن حربية[4] ثم عاد الى القاهرة ومنها الى استانبول لتقديم تقريره الى السلطان سليمان القانوني. وعلى الرغم من فشل المحاولة العثمانية

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٨ - ٨٤ وانظر أيضاً عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين. العهد العثماني الأول ١٥٣٤ - ١٦٣٨. (بغداد، ١٩٤٩). ج ٤، ص ٦٥، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ - ١٩١٨. الجزء الأول (دمشق، ١٩٦٠) ص ٣٢ - ٣٣.

(٣) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٨٩.

(٤) قطب الدين النهروالي: مرجع سبق ذكره، ص ٨٢ - ٨٤.
وانظر عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٢ - ٣٣.

الأولى ضد البرتغاليين في المحيط الهندي فقد كانت محاولة جريئة وطموحة لتحدي السيطرة البرتغالية.

ولكن بعد انسحاب الأسطول العثماني من عدن تعاون سكانها مع البرتغاليين وسلموا المدينة اليهم لسوء فعل سليمان باشا الخادم بهم وبحاكمهم عامر بن داود. وقام البرتغاليون بهجوم معاكس فاكتسحوا بأسطولهم البحر الأحمر وأحرقوا سواكن وحاولوا احراق جدة ولكن شريف مكة محمد أبانمي الثاني (١٥٢٤-١٥٨٤) صدهم عنها فمنحه السلطان سليمان القانوني نصف عائدات جمارك جدة مكافأة له[1]. كما اندحر الأسطول البرتغالي في معركة مصوع في عام ١٥٤٠. وكذلك تم بناء أسطول عثماني آخر في ميناء السويس في عام ١٥٤١ وكان بحارته من رعايا البندقية. ورد البرتغاليون على هزيمة مصوع بحملة بحرية جريئة ضد ميناء السويس في عام ١٥٤١ واتصلوا بالحبشة وقدموا لها مساعدات عسكرية في حربها ضد الإمام أحمد قرين الذي قدمت له الدولة العثمانية قوة عسكرية[2] ولكن القوات البرتغالية والحبشية انتصرت عليه في عام ١٥٤٨.

أما السياسة العثمانية في البحر الأحمر فقد تمثلت بعدم السماح للسفن الأوربية التجارية بالابحار فيه الى الشمال من ميناء جدة، وبذلك منعت الدولة العثمانية ولاة مصر من استقبال السفن الأوربية في السويس أو السماح لركابها بالمرور عبر الأراضي المصرية في طريقهم الى الاسكندرية خوفاً منها على الأماكن المقدسة في الحجاز لا سيما بعد المحاولات البرتغالية المتكررة[3] في النصف الأول من القرن السادس عشر للوصول الى السويس وموانئ الحبشة ولكنها حققت نجاحاً ضئيلاً؛ فقد ظل العثمانيون سادة البحر الأحمر ولا سيما

---

(١) عباس العراوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٨٦ - ٨٧

(٢) الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٤.

(٣) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East Indian Company's Connection With The Persian Gulf With A summary of Events. 1600 - 1800. p. 7,9

بعد ازدياد سيطرتهم على عدن لادراكهم أهميتها في السيطرة على مدخل البحر الأحمر وفي ارسال الحملات البحرية العثمانية الى موانئ الخليج العربي.

وبأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني أنشأ أزدمير باشا في ٦ تموز ١٥٥٥ ولاية جديدة في الحبشة شملت مصوع وسواكن لتوطيد النفوذ العثماني في البحر الأحمر ضد النشاط البحري البرتغالي[١]. ونجحت الدولة العثمانية في القرن السادس عشر في اغلاق البحر الأحمر الى الشمال من ميناء مخا في اليمن في وجه السفن الأوربية، ولكنها لم تنجح في المحيط الهندي كما نجحت في البحر الأحمر مما أضعف النفوذ العثماني في الخليج العربي، وكذلك كان ضعف القوة البحرية العثمانية في البحر الأحمر منذ أواخر القرن السادس عشر مسؤولاً عن انهيار السيطرة العثمانية على اليمن في عام ١٦٣٥ واستقلال الأئمة الزيدية بتصريف شؤونها ولم يبق للحكم العثماني سوى الحجاز وكان الحكم فيه للأشراف في مكة المكرمة، وفي أواخر القرن السابع عشر قدر شريف مكة أهمية الرسوم الجمركية كمورد مهم له إذا ما أصبحت جدة مركزاً للسفن الأوربية فحصل على موافقة السلطان العثماني الذي حرّم على السفن الأوربية تجاوز ميناء جدة نحو الشمال وسمح بنقل البضائع الأوربية بواسطة السفن العثمانية من جدة الى السويس حرصاً على سلامة الأراضي العثمانية من العدوان الأوربي.

وبعد أن تمكن العثمانيون من فرض الحكم المباشر على البصرة في عام ١٥٤٦ وطرد حاكمها من آل مغامس الذي استعان بالبرتغاليين ووعدهم بمنح أحد حصون البصرة لهم فأرسلوا له عدة سفن هاجمت القطيف ثم توجهت الى البصرة. ولكن الحملة البرتغالية فشلت بفضل الاجراءات التي اتخذها باشا البصرة العثماني. وبعد الاستيلاء العثماني على البصرة أقام العثمانيون قاعدة بحرية فيها للدفاع عن منطقة الخليج العربي ضد السيطرة البرتغالية التي سبقت الحكم العثماني وتمكنت من توطيد مركزها في هرمز والتي كانت المركز

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٣، ٥٠ - ٥١

الرئيسي لحركة التجارة من الهند واليها[1] والمحور الرئيسي للتجارة البحرية في الخليج العربي.

ويبدو أن العثمانيين حاولوا في بادئ الأمر التفاهم مع السلطات البرتغالية في هرمز لانعاش التجارة في البصرة واعادة تدفق السلع التجارية بين حلب والخليج العربي فأرسل والي البصرة محمد باشا في عام ١٥٤٧ أحد التجار العرب (الحاج فياض) الى الحاكم البرتغالي في هرمز ليعرض عليه رغبة السلطات العثمانية في البصرة في اقامة علاقات تجارية سلمية مع البرتغاليين[2]. وردت السلطات البرتغالية في جاوه بارسال أحد موظفيها لرعاية مصالحها التجارية في البصرة.

وعلى الرغم من ذلك رأى البرتغاليون في استيلاء العثمانيين على البصرة وتأسيس دار لصناعة السفن فيها تهديداً قوياً لهم، ولذلك كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهة التحركات العثمانية البحرية والبرية في الخليج العربي[3]، وعلى الرغم من رغبة العثمانيين في تحقيق فوائد عسكرية في الخليج العربي بارسال مساعدات بحرية الى البصرة كلما دعت الحاجة اليها من موانئ البحر الأحمر فانهم لم يتمكنوا من ذلك وفشلوا في انشاء قاعدة بحرية قوية لهم في ميناء البصرة لعدة أسباب، منها مقاومة الفرس لهم واستمرار الحروب بين العثمانيين والصفويين ومقاومة العصبيات المحلية بالاضافة الى مقاومة السلطات البرتغالية في الخليج العربي للتوسع العثماني الذي شمل القطيف وأجزاء أخرى من الاحساء والتي أعلن شيوخها الولاء للسلطان العثماني سليمان القانوني في عام ١٥٣٤.

ورد البرتغاليون في عام ١٥٥٠ على استيلاء العثمانيين على البصرة

---

(١) Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf, 1534 - 1581. (Journal Of Asian History. pp. 45 - 87. Vol. 6.N°. 1, 1972.) p70.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

(٣) Stripling, George William Frederic. The Ottoman Turks And The Arabs: 1511 - 1574.(Illinois Studies In The Social Sciences. Vol. XXVI. N°. 4. U.S.A. 1942) p.93; Ozbaran. Salih. Op. Cit. p.58.

بحملة قام بها الاسطول البرتغالي وضمت سبع سفن كبيرة ١٢٠٠ برتغالي بقيادة انطاو دي نورونها يساعدهم ٣٠٠٠ من اتباع ملك هرمز بقيادة الرئيس شرف الدين مستشار ملك هرمز ومعهم حوالي ثلاث عشرة سفينة للاستيلاء على القطيف لتنازل سكانها عن حصتها للعثمانيين. وكان سكان القطيف قد تمردوا على حكم ملك هرمز بمساعدة شيخ الحسا وطردوا الحاكم الهرمزي وطلبوا المساعدة من السلطات العثمانية في البصرة[1] فاحتل العثمانيون ميناء القطيف في عام ١٥٥٠ ووضعوا حامية في حصنها، مما أثار فزع السلطات البرتغالية في هرمز فاستجابت لطلب ملك هرمز باستعادة القطيف من العثمانيين[2]. كما حاولت السلطات البرتغالية الاستفادة من طلب المساعدة الذي تقدمت به قبائل البصرة اليها ضد الحكم العثماني كما هو شأنها من قبل، وتمكن الاسطول البرتغالي والهرمزي من تدمير حصن القطيف بعد استسلام الحامية العثمانية فيه وعددها حوالي ٤٠٠ رجل. ومن القطيف قرر انطاو دي نورونها الزحف على البصرة ولكنه لم يحقق هدفه لتظاهر باشا البصرة باتفاق السكان العرب والدولة العثمانية ضد البرتغاليين ولم يكتشف انطاو دي نورونها الخدعة الا بعد عودته الى هرمز.

وردت الدولة العثمانية على سقوط حصن القطيف في قبضة البرتغاليين وعلى مساعدة الاسطول البرتغالي للمتمردين في منطقة البصرة بارسال حملة بحرية بقيادة بيري رئيس للانتقام منهم، وكان بيري رئيس قد تمكن من استرداد عدن مرة أخرى في عام ١٥٥٠ بعد استيلاء البرتغاليين عليها[3].

(١) Belgrave, C.D. The Protuguese In The Bahrain Islands, 1521 - 1602. (Journal Of The Royal Asian Society. Vol. XXII. Part IV. Oct. 1935. pp. 617 - 630) p.626.

(٢) محمود علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٦٥٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثاني شباط ١٩٦٠، ص ٢٣٢ ـ ٢٥٦) ص ٢٣٧.

(٣) استولى العثمانيون على عدن في عام ١٥٣٨ للمرة الأولى ثم استعادها بيري رئيس مرة أخرى في عام ١٥٥٠ الى أن استردها امام اليمن من العثمانين في عام ١٦٢٧. وكان السلطان سليمان القانوني قد عين بيري رئيس قائداً للأسطول العثماني في البحر الأحمر والمحيط الهندي في عام ١٥٤٧، انظر، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤، ص ٦٧ ـ ٧٠ وانظر أيضاً.

=

فرضي السلطان سليمان القانوني عنه وجعل له زعامة البحر الأحمر «قبطان بحر القلزم».

وبعد أن تمّ بناء الاسطول العثماني الذي أمر السلطان سليمان القانوني باعداده وتجهيزه في ميناء السويس وضم ثلاثين سفينة أبحر الاسطول في نيسان ١٥٥٢ بقيادة بيري رئيس.

وكانت تعليمات السلطان سليمان القانوني تقضي بأن يقوم بيري رئيس بالطواف حول ساحل الجزيرة العربية لتنظيم ادارة موانئها واستعادة الأماكن التي استولى البرتغاليون عليها[1]. وفي تشرين الثاني ١٥٥٢ أرسل السلطان سليمان القانوني تعليمات أخرى الى باشا البصرة لابلاغها الى بيري رئيس تقضي باحتلال هرمز والاستيلاء على البحرين. وبعد أن وصل الاسطول العثماني ميناء جدة توجّه الى باب المندب ومر في طريقه الى البصرة بموانئ عدن وشحر وظفار[2] وتمكن محمد بك ابن بيري رئيس من الوصول الى مسقط ومعه خمس سفن كبيرة ثم لحق به والده بيري رئيس حيث تمكن من احتلال قلعة مسقط وأسر حاميتها التي ضمت ستين برتغالياً بعد مقاومة استمرت ثمانية عشر يوماً.

وبعد أن قام بيري رئيس بنهب مسقط ورفع العلم العثماني على قلعتها شحن غنائمه والمدافع البرتغالية التي استولى عليها على ظهر سفنه[3] وأبحر نحو جزيرة هرمز فوصلها في ١٩ أيلول ١٥٥٢. ولكن البرتغاليين كانوا على علم بنشاط الاسطول العثماني في البحر الأحمر وخططه للاستيلاء على قلعة هرمز التي تتحكم في الملاحة من الهند واليها، وإذا ما خسر البرتغاليون هرمز

= Pitcher, Donald Edgar. An Historical Geography Of The Ottoman Empire. (Leiden 1972) p.142; Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p.168.

(١) Phillips, Wendell. Oman, A History. (?1967) p.40.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٣ - ٤٤، ٥٣.
وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٦٧ - ٨٨.

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p.169.

فان مركزهم العسكري في الخليج العربي والمحيط الهندي يصبح في خطر ولذلك اتخذوا الاحتياطات اللازمة لمقاوة الهجوم العثماني المرتقب على هرمز. وتمكنت حامية هرمز البرتغالية التي ضمت سبعمائة رجل من الدفاع عن القلعة ولكنها لم تغامر بالخروج منها ومهاجمة الاسطول العثماني الذي فرض حصاره عليها عشرين يوماً بعد أن استولى على مدينة هرمز. واضطر بيري رئيس الى رفع الحصار والتوجه الى جزيرة قشم بعد أن علم برفاهية وغنى تجار هرمز الذين هربوا بأموالهم اليها بالاضافة الى ثراء سكانها[1]، حيث تمكن من الحصول على أموال كثيرة منها، وبعد أن جمع ثروة طائلة أبحر الى البصرة في نهاية تشرين الثاني ١٥٥٢ محملاً بالغنائم الوفيرة من عملياته البحرية في

---

(١) Calendar of State Papers. Queen Mary, 1553 - 1558. Edited By William, B. Turnbull. (London 1861.) p.13.

وانظر أيضاً، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٥.

أطلعني الدكتور خليل ساحلي أوغلو أستاذ التاريخ الاقتصادي في جامعة استانبول على صورة فرمان محفوظ في متحف طوبقبو سراي ـ مكتبة قوغوشلر ـ مهمه دفتري رقم ٨٨٨ ورقه ٤٨٧ل بتاريخ يوم الأحد ذي القعدة ٩٥٩ هـ. ووردت فيه معلومات عن مهمة بيري رئيس في الخليج العربي ومما جاء فيه «أن الأسطول العثماني قد غادر بندر السويس في ٢١ شوال ٩٥٩ هـ ـ قاصداً جدة وعدن ثم رأس الحد حتى بلغ قلعة مسقط التي كانت قاعدة للكفار ففرض عليها الحصار وفتحها في اليوم السابع وقتل عدداً من الكفار وأسر ١٢٠ من حاميتها ووضعهم في الكورك (تجديف السفن) ثم سار حتى بلغ هرمز فدخلها ومعه ٢٤ قادين و٤ بوارج و٨٥٠ جندياً وبحاراً، فدخل الكفار القلعة واحتموا بها. ثم أعطى القبودان (بيري رئيس) الجند رواتبهم حتى نهاية شهر ذي الحجة ٩٥٩ هـ ـ ونفذ ما لديه من نقد.

واقترح قباد باشا (بيكلربك الجزائر) على السلطان أن يقوم بيري رئيس بمهاجمة جميع الأماكن التابعة لمملكة هرمز وفرض الضرائب عليها والمكان الذي يرفض اهله دفعها يعاقب بالهدم وذلك من أجل الحصول على المال الكافي لدفع رواتب الجند ولأن الأسطول العثماني يجب أن يبقى في مياه الخليج لدرء خطر الكفار عنه. ويرى قباد باشا أيضاً ضرورة وضع حامية من الجند العثماني في مصر للمحافظة عليها. وأكد على ضرورة بقاء الأسطول والجند العثماني في مياه الخليج لضبط البنادر والتي في ناتجها من الايرادات ما يكفي لدفع رواتب الجند وارسال الفائض منها للخزينة في استانبول. وحذر قباد باشا من انسحاب الأسطول العثماني من مياه الخليج لأنه يعني عودة الكفار الى البصرة وسيكون سبباً للاضطراب فيها، وينصح بابلاغ القبودان (بيري رئيس) بالبقاء في مياه الخليج والاستمرار في فتح القلاع على الساحل العربي لأن في ذلك حفظ البصرة ودفع تحركات القزلباش » . هـ

الخليج العربي خوفاً من أن يقطع الاسطول البرتغالي الطريق عليه.

وكان نائب ملك البرتغال في الهند الفونسو دي نورونها قد قرر التوجه الى هرمز على رأس أسطول ضم أكثر من ثمانين سفينة بعد أن علم بالخطر العثماني الذي يتهددها. وبينما كان في طريقه الى ديو علم بمغادرة الاسطول العثماني الى البصرة فغيّر رأيه وعاد الى جاوه[1] وبعث بدلاً منه ابن عمه انطاو دي نورونها على رأس أسطول ضمَّ أربعين سفينة فوصل هرمز في نهاية تشرين الثاني ١٥٥٢ بعد أن زال الخطر العثماني عنها حيث ابتعد الاسطول العثماني قاصداً البصرة. وعندما وصل بيري رئيس الى البصرة بعث واليها تقريراً الى السلطان سليمان القانوني عن نشاط الاسطول العثماني في منطقة الخليج العربي، وعندما علم بيري رئيس أن التقرير في غير صالحه ترك معظم أسطوله في البصرة وأبحر الى السويس ومعه الغنائم التي استولى عليها والأسرى البرتغاليون في ثلاث سفن كبيرة[2].

وفي طريق العودة الى السويس غرقت إحدى سفنه بعد أن تحطمت على صخور البحرين المرجانية. وبعد وصوله الى السويس استدعاه السلطان سليمان القانوني الى الآستانة للرد على التهم المتعلقة بعدم كفايته وبخاصة في عملياته الحربية ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي، وصدر أمر السلطان باعدامه في عام ١٥٥٣ ومصادرة أمواله الطائلة بتهمة الخيانة.

وبعد فشل بيري رئيس في الاستيلاء على هرمز اهتمت الدولة العثمانية بتأكيد سيطرتها على الساحل الشرقي للجزيرة العربية وبخاصة البحرين وتأمين مرور أسطولها في مضيق هرمز، ولكن تحقيق هذا الهدف يعتمد أساساً على القوات العثمانية في البصرة والحسا، وعلى امكانيات دار صناعة السفن العثمانية في البصرة والتي ظلت تخشى من قيام السلطات البرتغالية في هرمز باجراءات انتقامية ضدها.

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٣.
(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٦ ـ ٤٧.

وبعد عودة بيري رئيس الى السويس عهدت الدولة العثمانية بقيادة أسطولها في البصرة الى مراد بك حاكم القطيف السابق الذي طرده أهلها بعد ثورتهم عليه، وصدرت التعليمات في عام ١٥٥٣ الى مراد رئيس لاعادة الاسطول العثماني الى السويس مع ابقاء قسم منه في البصرة للدفاع عنها(١)، فوصل البصرة براً قادماً من مصر ليقود بقايا الاسطول العثماني الذي ضمّ خمس عشرة سفينة الى السويس. ولّما كان مراد رئيس حريصاً على إعادة الاعتبار لنفسه وانقاذ سمعته بعد فشله السابق في القطيف فقد أبحر بجرأة الى مضيق هرمز حيث وجد الاسطول البرتغالي بانتظاره، وكان على علم بتحركات الاسطول العثماني فاشتبك الأسطولان في آب ١٥٥٣ وفقد مراد رئيس اثنين من القادة - رجب رئيس وسليمان رئيس(٢) - وبعد أن تابع سيره بالقرب من موانئ مسقط وصور وقلهات التقى ثانية بالأسطول البرتغالي فاضطرّ الى العودة بالأسطول العثماني الى البصرة مرة أخرى بعد أن خسر عدداً من سفنه الى الشمال من مسقط(٣)، ومن البصرة توجه مراد رئيس الى الآستانة. وهكذا فشلت الجهود العثمانية ضد البرتغاليين الذي نجحوا في اغلاق مضيق هرمز في وجه الاسطول العثماني مما عزّز هيبتهم وقوى مركزهم في منطقة الخليج العربي.

وبعد فشل مراد رئيس عهد السلطان سليمان القانوني بقيادة الاسطول

---

(١) Belgrave, J.H.D. History Of The Bahrain Islands. (Journal Of The Royal Central Asian Society. Vol. XXXIX. Part 1. January 1952. pp.57 - 68) pp.62 - 63; Stripling, George William Frederic. Op. Cit. P. 94.
Phillips, Wendell. Op. Cit. P.40.
وانظر أيضاً: لوريمر ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي (الدوحة، ١٩٧٦) ج ١ ص ١٧، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٨.

(٢) Dames, M. Longworth. The Protuguese And Turks In The Indian Ocean In The Sixteenth Century. (Journal Of The Royal Asiatic Society Part 1. January 1921. pp.1 - 28) p.21.
وانظر، محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر (القاهرة، ١٩٧٩) ص ١٦٦.

(٣) Phillips, Wendell. Op. Cit. P.40.
وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٧٠.

العثماني في البصرة الى سيدي علي رئيس[١] أفضل القادة العثمانيين شهرة في عصره لإعادة الاسطول العثماني من البصرة الى البحر الأحمر.

وبناء على تعليمات السلطان توجه سيدي علي رئيس الى البصرة فوصلها براً في شباط ١٥٥٤ وبدأ على الفور في اعداد الاسطول العثماني للحرب. وبعد أن أمضى خمسة أشهر فيها أقلع بأسطوله الذي ضمّ خمس عشرة سفينة من البصرة في ٢ تموز ١٥٥٤ قاصداً موانئ الساحل الفارسي عبادان وديزفول وشستر ثم الى جزيرة خرج ومنها الى بوشهر وبعد ذلك توجه الى القطيف ثم قصد البحرين حيث رحب به حاكمها ولكنه لم يستطع أن يقدّم له شيئاً من المعلومات النافعة عن تحركات الاسطول البرتغالي[٢]. ويبدو أن سيدي علي رئيس قد علم أثناء وجوده في البحرين بخلو مياه الخليج العربي من البرتغاليين باستثناء أربع سفن برتغالية في مسقط.

ولذلك توجّه الى جزيرة قيس «هرمز القديمة» لعلّه يتمكن من الحصول على أخبار عن تحركات الاسطول البرتغالي ثم قصد جلفار «رأس الخيمة». وبعد أن وثق سيدي علي رئيس من طلائعه بخلو الخليج من السفن البرتغالية أبحر باتجاه هرمز، ولكنه عندما بلغ خورفكان على الساحل العماني وبعد أربعين يوماً من مغادرته البصرة التقى فجأة بالأسطول البرتغالي الذي ضمّ خمساً وعشرين قطعة بحرية. وعندما تقدم الاسطول البرتغالي نحوه أمر باعداد المدافع وقرر خوض القتال ضد البرتغاليين ووقعت معركة عنيفة بين الأسطولين البرتغالي والعثماني في ٩ آب ١٥٥٤ ودام القتال طول النهار ثم انسحب الاسطول البرتغالي في الليل نحو هرمز واعتبر سيدي علي رئيس هذه المعركة

---

(١) تدرب سيدي علي رئيس على يد القبطان العثماني خير الدين بربروسا واشترك معه في فتح جزيرة رودس، وكان حاكماً لدار صناعة السفن في استانبول وذا دراية بعلوم البحار. انظر
Miles, S.B. Op. Cit. pp.171 -172

(٢) Dames, M. Longworth Op. Cit. p. 21; Sidi Ali Reis. The Travels And Adventures Of The Turkish Admiral, 1553 - 1556. Translated From The Turkish, With Notes By A. Vambery. (London 1899) pp.9 -10

وانظر أيضاً، جيمس بلجريف: البحرين (بيروت، ١٩٧١؟) ص ١٣٨

في صالحه[١]. ولذلك تابع الاسطول العثماني سيره نحو مسقط وقلهات. وأثناء تجواله في مياه الخليج العربي فوجئ مرة أخرى بالأسطول البرتغالي في ٢٥ آب ١٥٥٤. واشتبك سيدي علي رئيس مع البرتغاليين في معركة أخرى واجه فيها الاسطول البرتغالي بعد إعادة تجهيزه وزيادة عدد سفنه التي بلغت اثنتين وثلاثين سفينة بقيادة فرناندو دي نورونها الذي علم بتحركات الاسطول العثماني فاستعد لها وجاء بأسطول برتغالي من الهند كما نقل مجموعة من السفن الحربية الى مسقط وترك مجموعة أخرى لمراقبة الاسطول العثماني في مياه الخليج العربي.. وعندما وصل سيدي علي رئيس الى صحار انطلق الاسطول البرتغالي من مسقط وبالقرب من ساحل عمان الصخري وعلى بعد أميال من مسقط[٢] استسلمت ست سفن عثمانية للأسطول البرتغالي ولذلك اضطر سيدي علي رئيس للفرار ببقية سفن الاسطول بعد أن لحقت به خسائر جسيمة، ووصف المعركة بأنها من أعنف المعارك التي حاربها في حياته وكان في نيته التوجه الى اليمن، ولكن بينما كان الاسطول العثماني يقترب من مضيق هرمز هبت رياح قوية أرغمته على الابتعاد عن الساحل وجرفت سفنه الى عرض الخليج فوصل الى ميناء بندر شاهبور الفارسي على ساحل مكران[٣]. وبعد أن تزود بالماء العذب قصد سواحل اليمن ولكن الرياح قذفت به مرة أخرى الى ساحل الهند فوصل ميناء ديو البرتغالي، ولكنه بادر الى تغيير اتجاه سفنه فوصل كجرات ومكث فيها بعض الوقت أنجز خلاله تأليف كتابه «المحيط» وهو دليل للملاحة في البحار الشرقية[٤].

وأثناء اقامته في كجرات تفرّق عنه رجاله في خدمة أمراء الهند وعاد أكثرهم الى بلادهم براً؛ ثم باع سيدي علي رئيس سفنه الست الباقية ومدافعه وذخائره الى حاكم سورات الهندي وعاد براً الى الآستانة عن طريق بغداد

---

(١) Sidi Ali Reis. Op. Cit. p. 10

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٧.

(٣) Sidi Ali Reis. Op. Cit. pp. 14 -15; Miles, S.B. Op. Cit. p. 175.

(٤) Serjeant, R.B. The Portuguese Off The South Arabian Coast (Oxford 1963) p. 20.

فوصلها في آيار ١٥٥٧ بعد ثلاث سنوات من بداية حملته البحرية في الخليج العربي. وفي الآستانة ألف كتاب «مرآة الممالك» ذكر فيه ما جرى له من أهوال وتفرق رجاله واضطراره الى بيع سفنه وارسال ثمنها الى السلطان سليمان القانوني[١].

وكان السلطان سليمان القانوني قد أرسل صفر رئيس ومعه ثلاث سفن للبحث عن الاسطول العثماني الذي يقوده سيدي علي رئيس، ولكنه لم يتمكن من العثور على أي أثر له فاكتفى بأسر بعض السفن البرتغالية التي كانت في طريقها بين ديو وهرمز[٢].

وهكذا كانت هزيمة الاسطول العثماني بقيادة سيدي علي رئيس ضربة قوية ومؤثرة على القوة البحرية العثمانية في الخليج العربي ولم يستطع العثمانيون مقاومة الاسطول البرتغالي بعد خسارتهم لاسطولهم، على الرغم من توطيد نفوذهم اكثر من ذي قبل في منطقة الاحساء.

وبقي البرتغاليون سادة الخليج العربي ونجحوا في قفل مضيق هرمز في وجه الملاحة العثمانية، وعملوا على مساعدة زعماء قبائل البصرة ضد الحكم العثماني، ففي عام ١٥٥٦ وصل الأسطول البرتغالي الى البصرة وعندما اقترب من شط العرب هبت عليه عاصفة أرغمته على العودة إلى قاعدته في هرمز دون أن يتمكن من تحقيق هدفه[٣] بمساعدة قبائل البصرة ضد الحكم العثماني. وفي المقابل قدّم العثمانيون مساعداتهم الى اتباع ملك هرمز للثورة على الحكم البرتغالي.

ولم يقم العثمانيون بعد فشل حملة سيدي علي رئيس بمحاولات بحرية

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. p. 177.
وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٨١.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٣) Bent, j. Theodore. The Bahrain Islands. In The Persian Gulf. (Proceeding Of The Royal Geographical Society And Monthly Records Of Geogaraphy. Vol XII, N°. 1. January 1890. pp. 1 -19. London) p. 11, Miles, S.B. Op. Cit. p.178.
وانظر، لوريمر. ج ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٨

مهمة باستثناء المحاولة الفاشلة التي قام بها بيكلر بك الحسا مصطفى باشا الذي أخذ على مسؤوليته القيام بحملة ضد جزيرة البحرين في عام ١٥٥٩ دون موافقة السلطان سليمان القانوني، فسار باسطوله وبرفقته ١٢٠٠ جندي من بينهم عدد من انكشارية بغداد. وفي ٢ تموز ١٥٥٩ بدأ بحصار حصن المنامة، وعندما وصلت أخبار الغارة العثمانية على البحرين الى هرمز أرسل البرتغاليون أسطولاً ضم ٢٢ سفينة بقيادة جوا دي نورونها ابن عم حاكم هرمز البرتغالي لانقاذ جزيرة البحرين، وتمكن الاسطول البرتغالي من الحاق بعض الخسائر بالاسطول العثماني. وبسبب النقص في المؤن والتجهيزات ووفاة مصطفى باشا قرر العثمانيون انهاء الصراع. وكذلك رغب البرتغاليون في الاتفاق مع العثمانيين بعد الوفيات الكثيرة بسبب تفشي الحمى بين جنودهم. ولذلك توصل الجانبان العثماني والبرتغالي الى اتفاق تضمن أن يسلم العثمانيون اسلحتهم الى البرتغاليين وأن يدفعوا لهم غرامة حربية قدرها ١٢,٠٠٠ كروسادو، وفي مقابل ذلك يقوم الاسطول البرتغالي بنقل الجنود العثمانيين الى ساحل الاحساء[1].

وبعد فشل الأسطول العثماني في السيطرة على البحرين في عام ١٥٥٩ قدّر علي باشا والي البصرة العثماني أن استمرار الصراع مع البرتغاليين ليس في صالح العثمانيين ورغبة منه في الفوائد الاقتصادية التي يمكن تحقيقها من تشجيع التجارة بين الدولة العثمانية والهند أرسل في عام ١٥٦٢ مبعوثاً من قبله الى الحاكم البرتغالي في هرمز، ورد نائب ملك البرتغال في الهند بارسال انطونيو تكسيرا في صيف ١٥٦٣ الى استانبول لمقابلة السلطان العثماني واعلامه برغبة باشا البصرة في إعادة العلاقات التجارية بين البرتغاليين والعثمانيين في منطقة الخليج العربي. وعندما اجتمع المبعوث البرتغالي بالسلطان العثماني، أجابه السلطان «أنه لا يطلب السلام من أي جهة أخرى، فاذا كان ملك

(١) Saldanha, J.A The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914) p. 39.

وانظر أيضاً، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥١ - ٥٥. وجيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٨.

البرتغال يرغب في السلام فعليه أن يبعث مسؤولاً كبيراً من حاشيته أو بلاطه الى استانبول»[1]. ويبدو أن محاولات التفاهم والاتفاق بين العثمانيين والبرتغاليين لم تحقق تقدماً ملموساً.

واستمرت العلاقات العدائية بين الجانبين في منطقة الخليج العربي حيث عادت الدولة العثمانية في عام ١٥٧٥ الى انتهاج سياسة أكثر عداء للبرتغاليين. كما زادت من اهتمامها بالبحرين، فكلفت حاكمي بغداد والحسا باعداد حملة بحرية ضد البرتغاليين ولكن الامكانيات البحرية العثمانية لم تكن كافية للقيام بحملة بحرية كبيرة فاكتفت الدولة العثمانية بمراقبة سواحل الحسا في عام ١٥٧٧ لمنع أي نشاط معاد لها[2].

ومهما يكن من أمر فقد فشلت المحاولات العثمانية في الربع الثالث من القرن السادس عشر لطرد البرتغاليين من الخليج العربي. وظل الادعاء العثماني بحكم الحسا في القرن السادس عشر اسمياً، كما أن السيادة العثمانية في الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية كانت أضعف من السيادة البرتغالية على الرغم من ولاء بعض الشيوخ العرب للعثمانيين، ومن الزيارات الدورية التي قامت بها الأساطيل العثمانية للساحل الجنوبي للجزيرة العربية[3]، وفشل العثمانيون في السيطرة على مضيق هرمز وفي المقابل فشل البرتغاليون في توطيد نفوذهم على ساحل البصرة والقطيف وظلت البحرين جزيرة حاجزة بين النفوذين العثماني والبرتغالي.

أما عجز الأسطول العثماني عن تحقيق نصر حاسم على الأسطول البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي فيعود لعدة أسباب نذكر منها.

أ - كانت قواعد الأسطول العثماني الرئيسية في البحر الأبيض المتوسط حيث توجد إمكانيات بناء السفن. ولم يكن في وسع الأسطول العثماني الوصول الى المحيط الهندي عبر رأس الرجاء الصالح.

---

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥٥ - ٥٦.
(٢) المرجع السابق. ص ٥٧ - ٥٨.
(٣) Pitcher, Donald Edgar. Op. Cit. p. 142.

ب ـ واجهت الدولة العثمانية صعوبات أثناء بناء سفنها الحربية في السويس والبصرة. وإذا تمكنت الدولة العثمانية من نقل الأخشاب الى السويس فقد وجدت صعوبة في نقلها الى البصرة حيث كان الخشب المستعمل في بناء السفن يؤتى به من جبال مرعش ومنها الى البصرة عبر بيره جك على نهر الفرات[1].

ج ـ لم يستطع العثمانيون إنشاء قاعدة بحرية قوية في ميناء البصرة بعد استيلائهم عليها في عام ١٥٤٦. فالبصرة بمستنقعاتها وخلجانها على شط العرب غير صالحة لهذا الغرض، كما واجه العثمانيون فيها مقاومة من جانب القبائل البدوية والسلطات الفارسية على حد سواء ولذلك كانت البصرة مركزاً تجارياً بارزاً أكثر منها قاعدة بحرية مؤثرة[2] على الرغم من وجود دار لصناعة السفن فيها.

د ـ اعتماد الدولة العثمانية على أسطولها في البحر الأحمر لحماية مصالحها في الخليج العربي، ولكن السفن المصنوعة في السويس لا تصلح لارسالها في حملات بحرية متتالية الى الخليج العربي والمحيط الهندي لبعد المسافة بين السويس والبصرة[3] من ناحية ولضعف السفن العثمانية بمقارنتها بالسفن البرتغالية الأقوى والأفضل تسليحاً من ناحية أخرى. كما حالت سيطرة البرتغاليين على مضيق هرمز دون اتصال الأسطولين العثمانيين وأضعفت فاعليتهما، كما اعتمد العثمانيون في معظم نشاطهم البحري في الخليج العربي على بعض قادة الأسطول العثماني في البحر المتوسط مثل بيري رئيس ومراد رئيس وسيدي علي رئيس ممن اشتهروا بالمغامرة والجرأة والشجاعة.

---

(١) Ozbaran, Salih. Op. Cit. p. 68 - 70.
وانظر، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley, Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) p. 106

(٣) Stripling, George William Frederic. Op. Cit. p 93
وانظر، عبد الأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر. (بغداد، ١٩٦٦ ص ١١ ـ ١٢.

وكذلك فشلت محاولات العثمانيين البحرية ضد هرمز والبحرين بسبب تفوق القوة البحرية البرتغالية ورجالها على منافستها العثمانية من ناحية ولخضوع البصرة والحسا للحكم العثماني المباشر لفترات متقطعة من ناحية أخرى على الرغم من التعاطف الديني الذي حظي به العثمانيون من السكان المحليين الذين قاوموا البرتغاليين بوصفهم كفاراً[١]. كذلك أدى ضعف الأسطول العثماني الى فشل باشوات بغداد في بسط نفوذهم على الملاحة في الخليج العربي وشط العرب وعجزوا عن توفير الحماية البحرية للبصرة ضد هجمات الفرس وتحديات بعض القبائل العربية في المناطق المجاورة لها.

ومهما يكن من أمر فقد تحكم العثمانيون بطرق التجارة البرية بين البصرة وحلب وشجعوا على تدفق البضائع الشرقية عبر الخليج العربي والبحر الأحمر مما أدى الى انتعاش التجارة في مصر وبلاد الشام في أواخر القرن السادس عشر، وعملوا بكل قوة لمنع عرقلة البرتغاليين لطرق الحج والتجارة الشرقية وسعوا الى إحياء الطريق التجاري البري بين أواسط آسيا واستراخان والقرم[٢]. ولكن السفن البرتغالية ظلت نشيطة في ملاحقة السفن العثمانية التي تغامر بمغادرة البحر الأحمر بدون تصريح كما ظل البرتغاليون يرسلون عدداً من سفنهم الى موانئ الحبشة للتجارة معها وللحصول منها على البحارة[٣] لاستخدامهم في الأسطول البرتغالي مما يدل على استمرار التعاون البرتغالي - الحبشي ضد العثمانيين.

ولكن مركز البرتغال في الخليج العربي بدأ يضعف في الربع الأخير من القرن السادس عشر وبخاصة بعد خضوع البرتغال في عام ١٥٨٠ لحكم اسباني جشع ومتعصب بالاضافة الى قسوة وفساد أساليب الحكم البرتغالي

---

(١) Belgrave, C.D. Op. Cit. p. 626.

(٢) Ozbaran, Salih. Op. Cit, p 70.

وانظر أيضاً، احمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني (بيروت، ١٩٨٢) ص ١٣٣، ١٤٤.

(٣) Colonial Papers East Indies Vol. I. 1513-1616. London March 10, 1600. p. 104.

ونقص الامدادات الى الحاميات البرتغالية في الخليج العربي(١). ولذلك استأنفت الدولة العثمانية نشاطها البحري ضد الوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي. ففي عام ١٥٨١ خرجت من مخا حملة بحرية عثمانية ضمت أربع سفن بقيادة علي بك(٢) لتحقيق هدف محدود ضد مسقط. وتمكنت الحملة من مفاجئة الحامية البرتغالية فيها براً وبحراً وبعد أن أرغمتها على الانسحاب نحو الداخل قامت بنهب المدينة.

ولعلّ احراز ذلك النصر السهل يعود الى جرأة علي بك من ناحية والى عدم قدرة البرتغاليين في الدفاع عن الساحل العماني من ناحية أخرى، وقد اشتهرت هذه الحملة لأن علي بك تمكن من مهاجمة مسقط بأربع سفن قديمة وضعيفة وبثمانين رجلاً على الرغم من علم السلطات البرتغالية في هرمز باعداد حملة بحرية عثمانية في البحر الأحمر لمهاجمة مسقط ونهبها، ولكن حاكم هرمز البرتغالي لم يأخذ الحيطة والحذر والاستعداد للمقاومة(٣). ويبدو أن حامية مسقط البرتغالية لم تكن مستعدة لصد أي هجوم عليها من البحر ما لم تتخذ السلطات البرتغالية الوسائل الكفيلة بالدفاع عنها.

وأرسلت السلطات البرتغالية في هرمز حملة بحرية لتأديب علي بك الذي عاد بالغنائم الى البحر الأحمر ولما فشلت الحملة البرتغالية في ملاحقته توجهت بدلاً من ذلك الى جوادر وقيس على ساحل مكران ودمرتها(٤) وقد أدت الهزيمة التي الحقها علي بك بالبرتغاليين في مسقط الى اضعاف مركز البرتغاليين والى إصدار التعليمات بتقوية التحصينات في الموانئ البرتغالية في الخليج العربي.

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley, Op Cit. p. 101.

(٢) Reusch, Richard. History Of East Africa. (New York 1961) p. 241.

(٣) Strande, Justus. The Portuguese Period In East Africa. Translated From The German By Jean F. Wallwork. (Nairobi 1968) p. 128, 130; Sir Antony Sherley His Relations Of His Travels Into Persia. (London 1613) p. 9; Miles, S.B. Op. Cit. p. 178, pp. 181-183.

(٤) Danvers, F.C. Report On Portuguese Records (London 1892) p. 117; Ozbaran, Salih. Op. Cit. p. 69.

وتشجع علي بك بنجاحه الذي أحرزه ضد البرتغاليين في مسقط في عام ١٥٨١ فقام بحملات بحرية ضد المستوطنات البرتغالية في الساحل الشرقي لأفريقية وتمكن من الحاق خسائر جسيمة بالملاحة البرتغالية في المحيط الهندي، وقام علي بك الذي اتصف بالجرأة في الخليج العربي بحملة بحرية أخرى ضمت سفينتين وأبحر من مخا في خريف ١٥٨٥ الى شرق أفريقية وفي الطريق فقد علي بك إحدى السفينتين لأنها كانت قديمة وتالفة ووصل بالأخرى الى مقديشو وبارا وقاسمليو وفازا وبات وليوا وكيلوه وخدع السكان فيها بزعمه أن سفينته طليعة أسطول عثماني كبير وأن السلطان العثماني قد أرسله ليحررهم من الحكم البرتغالي[1]. ولما كان القسم الشمالي من الساحل الشرقي لأفريقية في ثورة شبه مستمرة ضد البرتغاليين فقد أعلن السكان فيه ولاءهم للسلطان العثماني وانتشرت الاضطرابات في كل مكان تقريباً في شرق أفريقية، ورحبت به ممباسة وطلبت منه حماية عثمانية دائمة عليها.

ولما وصلت أنباء الغارة العثمانية الأولى على الساحل الشرقي لأفريقية الى السلطات البرتغالية في جاوه بواسطة سفينة شراعية صغيرة أرسلها سلطان مالندي الموالي للبرتغاليين بعد مغادرة علي بك الساحل الشرقي لافريقية، قرر نائب ملك البرتغال في الهند إبعاد الخطر العثماني عن المستوطنات البرتغالية والانتقام من السكان الذين قدموا المساعدة الى الحملة العثمانية[2]. ولكن علي بك ظل نشيطاً في المحيط الهندي يطوف بأسطوله موانئ الساحل الشرقي وافريقية حتى عام ١٥٨٨ عندما طلبت منه المدن العربية والاسلامية الوفاء بوعده وتحريرها من السيطرة البرتغالية وعرضت عليه المساعدة بتكاليف الحملة غير آبهة بالسفن البرتغالية الموجودة في بعض موانئها، واستجاب علي بك لطلب المساعدة وأبحر في عام ١٥٨٩ من البحر الأحمر ومعه خمس سفن حيث

---

(١) Reusch, Richard. Op. Cit. p. 242; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 128; Bradly-Birt, F.B. Persia, Through Persia From The Gulf To The Caspian, Vol.XX (U.S.A. 1910) p. 9.

(٢) Freeman - Grenville, G.S.P. The Coast 1498 -1840. (History Of East Africa. Edited By Roland Oliver And Gervase Nathew. Vol. I Oxford 1963) pp. 137 - 138; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 128, 130.

استقبله السكان في كل المدن التي نزل بها أو مرّ بقربها في الساحل الشرقي لافريقية بحفاوة بالغة مرة أخرى باستثناء مالندي التي اطلقت النار على سفينته. عندما حاولت الاقتراب منها[1] لولائها الدائم للبرتغاليين، ولذلك هاجمها علي بك لاخضاعها ولكن دون جدوى. وكان حاكمها البرتغالي قد بعث رسالة الى قائد الأسطول البرتغالي يحثه فيها على القدوم على جناح السرعة لنجدته بعد أن تأكد من وصول علي بك الى لامو للتزوُّد بالماء العذب[2].

وفي ٥ آذار ١٥٨٩ اشتبك علي بك مع الأسطول البرتغالي الذي ضم عشرين سفينة بقيادة توماس دي سوزا كويتنهو- أخ نائب ملك البرتغال في الهند - في الوقت الذي كانت فيه قبائل الزيمبا تهاجمه من الداخل، فوقع في أسر البرتغاليين الذين أرسلوه الى لشبونة حيث اعتنق المسيحية[3] ومات فيها..

وهكذا فشلت المحاولات التي بذلها العثمانيون خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر لطرد البرتغاليين بمساعدة عرب الخليج، ولم يتمكنوا من القيام بعمل حاسم في الخليج العربي والمحيط الهندي كما فعلوا في البحر الأحمر. وعلى الرغم من استمرار دار صناعة السفن العثمانية في السويس في بناء السفن الحربية التي طافت بالسواحل البعيدة عن البحر الأحمر من مالندي وغيرها من المدن العربية والاسلامية المنتشرة على طول الساحل الشرقي لافريقيه، فقد بقي النفوذ البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي قوياً حتى العقد الثاني من القرن السابع عشر عندما ظهر المنافسون الاوروبيون الذين جعلوا مركز البرتغاليين حرجاً للغاية ويصعب الدفاع عنه.

---

(١) Coupland, R. East African And Its Invaders (Oxford 1938) p. 59.

(٢) Strandes, Justus. Op. Cit. p. 134.

(٣) Stigand, C.H. The Land Of Zinj. (London 1913) p. 17; Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (Holland 1967) p. 102.

الفصل الثاني
ولاية البصرة

كانت البصرة[1] بحكم موقعها على الخليج العربي وشط العرب من أكثر الموانئ العربية اتصالاً بالصراع الدائر على النفوذ بين القوى الأجنبية والمحلية. فقد خضعت منذ عام ١٥٠٨ للنفوذ الصفوي الاسمي بعد احتلال الشاه اسماعيل الأول بغداد حتى عام ١٥٣٤ عندما أعلن حاكمها راشد بن مغامس خضوعه الاسمي للعثمانيين بعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد. وقد تمتع راشد بن مغامس بصلاحيات واسعة وكان صاحب خطبة وسكة[2] ولكنه دفع الاتاوة السنوية لحاكم بغداد في العهدين الصفوي والعثماني.

وقد تدخل البرتغاليون لأول مرة في شؤون البصرة في عام ١٥٢٩ عندما طلب شيخ منطقة الجزاير المجاورة للبصرة الجزية من راشد بن مغامس الذي رفض دفعها والتمس المساعدة من السلطات البرتغالية في هرمز التي استجابت لطلبه وارسلت حملة بحرية لمساعدته، وبعد أن حقق راشد بن مغامس هدفه

---

(١) وصف الرحالة البصرة في مطلع القرن السادس عشر بأنها مدينة مأهولة بالمسلمين وفيها قلعة ونهر ماؤه عذب يدعى الفرات وتخضع لحكم الشاه اسماعيل. انظر

Barbosa, Durate. A. Description Of The Coasts Of East Africa And Malabar In The Beginning Of The Sixteenth Century. (Translated By Henry E.J. Stanley. U.S.A. 1970) pp. 40- 41.

(٢) يذكر عباس العزاوي أن راشد بن مغامس كان أميراً مستقلاً من أمراء المنتفق ووصل إلى حكم البصرة بقوة العشائر. انظر، تاريخ العراق بين احتلالين، (بغداد، ١٩٤٩) ج ٤ ص ٤٦ - ٤٧.

رفض التنازل للبرتغاليين عن بعض حصون البصرة، فانتقم قائد الحملة البرتغالية منه باحراق بعض الأماكن المجاورة للبصرة[1] في طريق عودته الى هرمز. وقد أدى وصول البرتغاليين الى مياه الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر الى عرقلة تجارة البصرة لا سيما وأن هدف البرتغاليين قد تمثل في تدمير مراكز التجارة العربية والقضاء على دور العرب في نقل التجارة الشرقية.

ولم تخضع البصرة للحكم العثماني المباشر إلا في كانون الأول ١٥٤٦ بعد أن استبد حاكمها بأمورها ولم يذكر اسم السلطان في الخطبة ولم يظهره على النقود حتى عام ١٥٣٨. كما رفض إعادة بعض الهاربين من والي بغداد اليه، فانتهزت الدولة العثمانية فرصة تأييد حاكم البصرة لثورة أحد شيوخ منطقة الجزاير فاعتبرته عاصياً وأرسلت اليه جيشاً بقيادة والي بغداد اياس باشا الذي دخل البصرة دون حرب بعد فشل البرتغاليين في إنجاد حاكمها الذي هرب الى الحسا[2]. ونظم اياس باشا شؤون البصرة وضم اليها واسط والجزاير، وكان السلطان سليمان القانوني قد ترك البصرة والمناطق المجاورة لها

(١) Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf, 1534- 1581. (Journal Of Asian History. Vol. 6 N°. 1 1972 pp. 45- 87). p. 48.

وانظر أيضاً: لوريمر، ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - (الدوحة، ١٩٧٦) ج ١ ص ١٦

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley. Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) pp. 25- 26.

وكان مانع قد تولى الحكم في البصرة بعد أبيه راشد ولكنه بسبب ضغط أعيان البصرة عليه اضطر للتنازل إلى الشيخ يحيى الذي دخل في حلف مع سيد عامر المشعشعي أحد أعيان البصرة. وفي عام ١٥٤٥ وقع خلاف بين الشيخ يحيى وسيد عامر من جهة وبين حريم بك الذي كلفه والى بغداد العثماني ببناء حصن في منطقة زكية من أعمال البصرة - من جهة أخرى. وكان السلطان سليمان القانوني قد عهد بمنطقة زكية إلى سيد عامر. وبعد اخضاع سيد عامر أصبحت منطقة زكية تحت الحكم العثماني وأصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات العثمانية التي احتلت البصرة في كانون الأول ١٥٤٦ بعد أن رفض حاكمها المحلي تنفيذ أمر السلطان سليمان القانوني باعادة بعض الهاربين اليها من والي بغداد. انظر، صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ١٥٣٤ - ١٥٨١. ترجمة عبد الجبار ناجي (بغداد، ؟) ص ٣٠ - ٣٢.

لشيوخ القبائل العربية بعد استيلائه على بغداد في عام ١٥٣٤، بعد أن أرسل حاكم البصرة راشد بن مغامس ولده مانع الى بغداد ومعه مفاتيح البصرة ليعرض الطاعة والولاء. ولذلك أقر السلطان سليمان القانوني والده على حكم البصرة بشروط منها أن تكون الخطبة والنقود باسم السلطان، وأن يكون تابعاً لولاة بغداد في المسائل المهمة. كما قدم شيوخ الجزاير والحويزة ولاءهم للسلطان العثماني، وقدمت بغداد في كانون الأول ١٥٣٤ وفود من شيوخ القطيف والبحرين للترحيب بالسلطان العثماني[1]، لحاجتهم الى حمايته ضد الخطر البرتغالي مما يدل أيضاً على استياء القوى المحلية من التحالف البرتغالي الفارسي في الخليج العربي.

وكانت البصرة في عهد آل مغامس عامرة بسكانها مزدهرة بتجارتها التي امتدت الى الهند وهرمز والبحرين وفارس وبغداد ودمشق وحلب وقصدتها السفن من كل الجهات حاملة اليها البضائع الشرقية كالتوابل والبهارات والعقاقير الطبية ومختلف أنواع الأقمشة وعادت منها محملة بالتمر وغيره من المنتجات العربية.

ويبدو أن للدولة العثمانية أسبابها في إخضاع البصرة لحكمها المباشر لرغبتها في الوصول الى الخليج العربي وإقامة قاعدة بحرية فيها للاتصال بأسطولها في البحر الأحمر[2]، مما أدى الى دخولها في صراع مع البرتغاليين الذين سبقوا العثمانيين الى الخليج العربي وتمكنوا من تأكيد سيطرتهم عليه في

---

(١) Ozbaran, Salih. Op. Cit. pp. 50-51.
وانظر أيضاً، علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق. (بغداد، ١٩٢٧). ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
وعلي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة (بغداد، ١٩٢٧) ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٤٩. وانظر عماد أحمد الجواهري: الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠ (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثالث عشر، كانون الثاني ١٩٧٨، ص ٨٣ ـ ٩٦) ص ٨٦. وعبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠ (دمشق، ١٩٦٠ ج ١ ص ٩٧.

عام ١٥٢١ بعد اخضاع حكام الحسا والبحرين والقطيف وارغامهم على دفع الجزية الى ملك هرمز وملك البرتغال.

وبعد اخضاع البصرة للحكم العثماني المباشر عينت الدولة العثمانية بلال محمد باشا برتبة بيكلر بك عليها، ومنحته راتباً سنوياً (ساليانه) قدره ٢٠٠،٠٠٠ أقجه، وفي عام ١٥٤٧ كان في البصرة ٢٢٠٠ جندي عثماني من بينهم ألف جندي في الحصن الرئيسي للبصرة وسبعمئة جندي في المدينة بالاضافة الى ألف فارس من الاتراك وعدد لا بأس به من المتطوعين. وفي عام ١٥٧٤/١٥٧٥ أصدرت الدولة العثمانية قانون نامه ولاية البصرة وتم تقسيمها الى عشرين لواء وكانت أراضيها من التزام الوالي العثماني ولم يكن فيها اقطاعات من نوع زعامت أوتيمار[1]. ثم عملت الدولة العثمانية على بسط سيطرتها على المناطق المجاورة للبصرة مثل الحويزة والجزاير والحسا والقطيف والبحرين ولذلك دخلت في صراع عنيف مع السلطات البرتغالية في هرمز. وفشل الحكم العثماني في مد نفوذه على بعض المناطق المجاورة للبصرة بسبب معارضة السكان وتعاون بعض الحكام مع البرتغاليين. ولكن البصرة ظلت تحت الحكم العثماني المباشر حيناً وغير المباشر أحياناً وأبقى العثمانيون فيها قوة عسكرية ضعيفة، لذلك اضطرت السلطات المحلية فيها الى الاعتماد على مساعدة ولاة بغداد للدفاع عنها أو لاخماد ثورة داخلية فيها. كما كانت حدود البصرة الادارية في تغير مستمر؛ ففي بعض الأحيان لا تتجاوز ضواحي المدينة وفي أحيان أخرى تتسع لتشمل المنتفق والعمارة والقطيف والحسا حسب قوة حاكمها وعلاقته بولاة بغداد، والدولة العثمانية.

---

(1) Stripling, George William Frederic. The Ottaman Turks And The Arabs: 1511- 1574. (Illinois Studies In The Social Sciences. Vol. XXVI. N°. 4. U.S.A. 1942) p. 93.

وانظر أيضاً، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٣٤ - ٣٦.

عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٢٧٤.، احمد نور الانصاري: النصرة في أخبار البصرة. تحقيق يوسف عز الدين (بغداد، ١٩٦٩) ص ٥.

آل آفراسياب في البصرة

عندما عجز والي البصرة درويش باشا عن دفع ارزاق جنده في عام ١٥٩٦ بسبب كثرة الفتن وازدياد نفقات الادارة وقلة ايرادات الولاية ومقاطعة سكان البصرة له، ضعف أمره وعجز عن تدبير شؤون الولاية وباع منصبه الى كاتب جند البصرة آفراسياب الديري السلجوقي بثمانية أكياس من الذهب[1]. واشترط عليه استمرار الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني محمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣) وتولى آفراسياب ـ الذي لا يعرف شيء عن أصله ونسبه غير أنه ينتسب الى نهر الدير شمال البصرة حيث يقيم أخواله في تلك الجهات ـ ادارة ولاية البصرة وحسنت سيرته وتوسعت تجارة البصرة في عهده فأحبه الناس. وعندما قوي أمره استولى على أكثر منطقة الجزاير المجاورة للبصرة. وبمساعدة والي بغداد حسن باشا قضى على فتنة مبارك بن عبد المطلب أمير الحويزة[2] ومنعه من أخذ الاتاوة من البصرة ومن جهات شط العرب، ونشر العدل والعلم في البصرة.

وبعد وفاته في عام ١٦٠٣ خلفه في حكم ولاية البصرة ابنه علي باشا وظل فيها حتى وفاته في عام ١٦٤٧. وكان حازماً كأبيه وشجع العلم ونشر الأمن ووسع حدود ولاية البصرة[3]. وفي عهده وقعت بعض الأحداث

---

(١) كان الكيس يساوي ثلاثة آلاف محمدية، انظر، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً. (صيدا، ١٩٤٨). ص ١٥١.
وانظر ايضاً، علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٣) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص ١٢٩.

المهمة في الخليج العربي. فقد قوي أمر الشاه عباس الأول في فارس وتمكن من الحاق الهزيمة بالدولة العثمانية وطرد قواتها من تبريز وبغداد والموصل كما ألحق الهزيمة بالبرتغاليين وطردهم من البحرين وقشم وهرمز، ولكن علي باشا آفراسياب حافظ على ولائه للدولة العثمانية على الرغم من سقوط أكثر العراق في قبضة الشاه عباس الأول وصمد أمام الحملة الفارسية ضد البصرة بقيادة خان شيراز إمام قولي خان في ١٦٢٤/١٦٢٥، فقد تمكن علي باشا من صدها بمساعدة الأسطول البرتغالي ثم حاصر الفرس البصرة مرة أخرى في عام ١٦٢٦ ولكن وفاة الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٩ اضطرتهم الى رَفْع الحصار عنها.

وهكذا فشلت جميع المحاولات الفارسية لاحتلال البصرة في عهد علي باشا آفراسياب على الرغم من الحصار الشديد لها، فقد بذل سكانها أقصى جهودهم للدفاع عنها. ولكن ولاء علي باشا للدولة العثمانية كان اسمياً فلم يشترك في محاولاتها لاستعادة بغداد من الفرس. وعلى الرغم من ذلك فقد أبقاه السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) في ولاية البصرة بسبب المساعدات التي قدمها لجيوشه اثناء حصار بغداد. ولما عادت بغداد الى الحكم العثماني مرة أخرى في عام ١٦٣٨ فان علاقة علي باشا آفراسياب لم تكن ودية مع ولاة بغداد لمحاولاته المتكررة احتلال مناطق تابعة لنفوذهم[1] مما أدى الى زيادة تدهور العلاقات بين الجانبين.

وبعد وفاة علي باشا في عام ١٦٤٧ خلفه في حكم البصرة ولده حسين باشا (١٦٤٧ - ١٦٦٧) الذي خالف سيرة جده وأبيه فاستبد بالسلطة وأساء السيرة والتدبير، فقد أساء الى أقاربه والى تجار وأعيان البصرة والى السلطات العثمانية التي أرسلت عليه ثلاث حملات لتأديبه وتمكنت في الثالثة من طرده

---

(١) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الثاني.
١٦٣٩ - ١٧٥٠ (بغداد، ١٩٥٣) ج ٥ ص ٤٤.
وانظر ايضاً.

Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 108- 109.

واستعادة البصرة لحكمها المباشر[1] مرة أخرى.

وكان قد حدث خلاف بين حسين باشا وبين عميه أحمد آغا وفتحي بك ولدي آفراسياب اللذين فرا الى الأحساء ثم الى بغداد فاستانبول حيث قدما شكوى الى السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) الذي أمر والي بغداد مرتضى باشا بطرده، فقصد والي البصرة في عام ١٦٥٣ وحاصرها ثلاثة أشهر وانتهى الحصار بهرب حسين باشا وأهله الى فارس في عام ١٦٥٤ حيث ترددت الشائعات بأنه قد وضع نفسه تحت حماية الشاه الفارسي[2].

ولكن مرتضى باشا أساء التصرف في البصرة بعد هرب حسين باشا منها؛ فقتل أحمد آغا وفتحي بك أفراسياب وصادر أموال الأعيان والوجهاء المؤيدين لآل آفراسياب فثار عليه أهل الجزاير والمنتفق والخزاعل وبنو كعب وبنو لام وحاصر الثائرون البصرة فاضطر مرتضى باشا الى ترك البصرة بعد فترة قصيرة من احتلالها. واستدعى أهل البصرة حسين باشا آفراسياب فدخلها في عام ١٦٥٤ وبادر الى إرسال الهدايا للسلطان العثماني الذي قبل بالأمر الواقع وأمر بتوجيه البصرة اليه مع لقب وزير. ولكنه طمع في عام ١٦٦٢ بولاية الاحساء المجاورة للبصرة وكان حاكمها قد حرض عليه عميه احمد آغا وفتحي بك بعد لجوئهما اليه في عام ١٦٥٣، فاستولى عليها عنوة وطرد حاكمها محمد باشا[3]. فتوجه الى استانبول واستغاث بالسلطان العثماني الذي أمر والي بغداد ابراهيم باشا بقيادة حملة ضمت جيوش الولايات المجاورة وزادت عن خمسين الفاً من الجنود وزحفت على البصرة في خريف ١٦٦٥ لتأديب حسين باشا آفراسياب وإعادة محمد باشا الى ولاية الاحساء، وحاصرت الحملة القرنة حيث تحصن فيها حسين باشا تاركاً البصرة تحت رحمة الجيش العثماني، وعندما

---

(١) عبد الرزاق الحسني: مرجع سبق ذكره، ص ١٥١.

(٢) Messrs, Spiller And Daniel At Ispahan To The Company. Nov. 11, 1654. (The English Factories In India. Vol. IX 1651- 1654. By William Foster. Oxford 1915.) pp. 296- 297.

(٣) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، (بغداد، ١٩٢٧)، ص ١٣١ - ١٣٣.

أدرك حسين باشا حرج موقفه العسكري، وعدم قدرته على المقاومة قدم الرشوةالى قادة الجيش العثماني[1] واعتذر الى قائد الحملة ابراهيم باشا عن ضم الاحساء اليه وتم الاتفاق بينهما على الشروط التالية:

أ ـ يتنازل حسين باشا آفراسياب عن الحكم لابنه.

ب ـ يدفع حسين باشا نفقات الحرب (٦٠٠ كيس) الى خزينة الدولة.

ج ـ يعود محمد باشا حاكم الأحساء الى منصبه.

د ـ يسعى ابراهيم باشا لدى السلطاي العثماني للعفو عن حسين باشا.

رفض السلطان العثماني الموافقة على الصلح وأصدر أمره بطرد حسين باشا نهائياً من البصرة وتوجيه الولاية مع لقب الوزارة الى يحيى آغا كتخدا وصهر حسين باشا آفراسياب[2].

واستعد حسين باشا لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية وصادر أموال التجار وهرّب أمواله وأرسل أهله الى فارس واستعد للمقاومة في القرنة، ولكن الجيش العثماني هزمه واستولى على القرنة ودخل البصرة في كانون الأول ١٦٦٧. وهرب حسين باشا مع حاشيته الى شيراز ولحق بأهله وأمواله فيها. وبذلك انتهى استقلال آل آفراسياب في البصرة. ولم يرغب الشاه الفارسي في الاساءة الى علاقته بالسطان العثماني إذا سمح لحسين باشا بالاقامة في بلاده فطلب منه مغادرة شيراز فتوجه الى بندر ريق في ايلول ١٦٦٩ في طريقه الى الهند حاملاً معه أهله وخزائن أمواله وحاشيته[3]، وفي الهند تولى حكم بعض المدن وقتل في الحروب التي جرت مع الحكام الآخرين.

بعد هرب حسين باشا آفراسياب عيّن السلطان العثماني يحيى باشا والياً على البصرة في عام ١٦٦٧ ولكنه وجد نفسه مقيداً بموظفين عثمانيين مستقلين عنه مثل الدفتردار والقاضي وآغا الانكشارية، ولذلك أخذ يجمع من حوله

---

(١) The Surat Presidency, 1666. (The English Factories In India 1665- 1667. By Sir William Foster. Oxford 1925) pp. 158- 159.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٧٨ ـ ٨٩، ص ٩٠ ـ ٩٥.

(٣) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India. 1668- 1669. By William Foster. Oxford 1927) p. 210.

الأعوان ولما قوي أمره طرد الدفترادار وآغا الانكشارية وطلب من السلطان الانفراد في حكم البصرة في مقابل خراج سنوي قدره ٢٠٠ كيس. وتمكن من القضاء على الفتنة التي قامت بها القوات الانكشارية في البصرة، بسبب التأخر في دفع مرتباتها[1]، بمساعدة القبائل العربية المجاورة للبصرة، ولم ينج من الانكشارية الا من تمكن من الهرب.

ولذلك صدر أمر السلطان العثماني في عام ١٦٦٩ بعزل يحيى باشا وتوجيه ولاية البصرة الى قبوجي مصطفى باشا. وبدأ والي بغداد سلحدار قره مصطفى باشا الزحف على البصرة في تموز ١٦٦٩ فدخلها دون قتال بعد هرب يحيى باشا الى الهند[2]. وتولى حكم البصرة في الربع الأخير من القرن السابع عشر عدد من الباشوات العثمانيين، أساء بعضهم السيرة ولذلك قامت الدولة بعزلهم، نذكر منهم قبوجي مصطفى باشا (١٦٦٩ - ١٩٧٢) وحسن باشا (١٦٧٢ - ١٦٧٤) وسلحدار حسين باشا (١٦٧٤ - ١٦٧٧) ثم حسن باشا مرة ثانية (١٦٧٧ - ١٦٨١) وسلحدار حسين باشا مرة ثانية (١٦٨١ - ١٦٨٢) وعبد الرحمن باشا (١٦٨٢ - ١٦٨٦) وكان الوالي الأخير عالماً فاضلاً مجدداً لبناء المساجد والمدارس[3].

وقد تعرضت البصرة في الربع الأخير من القرن السابع عشر الى غارات القبائل البدوية المجاورة لها فقد بقيت عشائر المنتفق والجزاير وغيرها مصدر ازعاج مستمر لولاة البصرة، وتمكنت القبائل البدوية الثائرة من استغلال الخلاف الذي حدث بين السكان في البصرة والوالي احمد باشا بشأن الرسوم والضرائب مما أدى الى نشوب القتال بين السكان والوالي، وعندئذ اتفقت عشائر الجزاير مع قبائل المنتفق فهاجموا أحمد باشا وقتلوه بعد أن تفرق عنه معظم اتباعه كما قتلوا كتخداه. ونهب الثائرون معسكرات الجيش العثماني في

(١) The Surat Presidency, 1668 (The English Factories In India 1668- 1669. By William Foster. Oxford 1927) p. 42.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٩٦ - ١٠٠، وانظر ايضاً
Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 118- 119.

(٣) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص ١٣٦ - ١٣٧.

عام ١٦٩٢ فاضطرت السلطات العثمانية في بغداد الى ارضاء الشيخ مانع زعيم المنتفق ليسمح لوالي البصرة الجديد خليل باشا باستلام منصبه، ولكن الشيخ مانع استجاب لنداء أهل البصرة الذين اختلفوا مع خليل باشا. ودخل الشيخ مانع البصرة وحكمها ثلاث سنوات (١٦٩٤ ـ ١٦٩٧)(١). ولكنه عجز عن ضبطها وحسن ادارتها فاتفق أعيان البصرة على ابعاده واختاروا أحدهم «حسن الجمال» ليقوم بالمتسلمية بانتظار وصول الوالي العثماني الجديد.

واستعدت الدولة العثمانية لاستخلاص البصرة وانقاذها من المنتفق وعهدت بقيادة الحملة الى والي بغداد؛ ولكن وفاة حسين باشا والي ديار بكر في بغداد وقلة الأرزاق أدت الى تأجيل الحملة. وحتى عام ١٦٩٧ لم تتمكن السلطات العثمانية في بغداد من ضبط العشائر المجاورة لها وعجزت عن اخضاع عشائر المنتفق لنفوذها. ولذلك سمح والي بغداد لأمير الحويزة المولى فرج الله المشعشعي التابع للشاه الفارسي بالاستيلاء على البصرة باسم الدولة العثمانية. وأرسل المولى فرج الله مفاتيح البصرة الى الشاه الذي حرص على استمرار العلاقات الودية مع السلطان العثماني فأرسل اليه مفاتيح البصرة مع بعض الهدايا وعين داود خان والياً من قبله عليها حتى تتسلمها الدولة العثمانية منه(٢).

ولكن البصرة ظلت تحت الحكم الفارسي حتى عام ١٧٠٠. وعندما قررت الدولة استعادة سلطتها على البصرة والقرنة عهدت الى علي باشا والي بغداد السابق بقيادة قوات الولايات المجاورة للبصرة وفوضته ببناء أسطول نهري في الفرات ضم ١٢٠سفينة متنوعة. وعندما سمع سكان البصرة بوصول القوات العثمانية أبدوا الطاعة والولاء، ودخل علي باشا البصرة بعد انسحاب حاكمها الفارسي داود خان في عام ١٧٠٠، وبذلك عادت البصرة الى حوزة الدولة العثمانية(٣). ولكن مغامس بن مانع شيخ المنتفق انتزعها ثانية من

(١) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 119- 120.

(٢) Ibid. 120.

وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ص ١٣٨ ـ ١٥٠.

(٣) عباس العزاوي: المرجع السابق، ج ٥ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

واليها العثماني في عام ١٧٠٥ حتى أخرجه منها والي بغداد حسن باشا في كانون الأول ١٧٠٨ وضم البصرة الى ولاية بغداد وأرسل متسلماً لحكمها نيابة عنه.

ومن بين أسباب خراب البصرة في نهاية القرن السابع عشر ظلم الحكام الذين ابتزوا الأموال الكثيرة من السكان، والطاعون الذي أصابها في عام ١٦٩٠ والحق بها أضراراً بالغة، وأصاب الحامية العثمانية فيها وقضى على عدة آلاف من السكان. وفي عام ١٦٩١ كان الطاعون عنيفاً وقدر عدد ضحايا الطاعون بثمانين ألف نسمة ماتوا أو هربوا من البصرة؛ وكان معدل الضحايا اليومي خمسمئة نسمة، وبقيت البصرة مهجورة من معظم سكانها لمدة ثلاث سنوات[١].

ومهما يكن من أمر فقد تراخت القبضة العثمانية على ولاية البصرة في العقد الأخير من القرن السابع عشر لانشغال الدولة العثمانية في حروب طاحنة وعنيفة في الميدان الاوربي ولقيام سلسلة من الثورات المحلية في منطقة البصرة.

---

(١) Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safavi Dynasty And The Afghan Occupation Of Persia. (Cambridge 1958) p.52; Hamilton, Alexander. A New Account Of Th East Indies (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. by John Pinkerton Vol. VIII. London 1811) p. 293.

وانظر أيضاً: ابراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، (بغداد، ١٩٦٢) ص ١٦٠.

القبائل العربية في جوار البصرة

كانت القبائل العربية المجاورة للبصرة مصدر ازعاج دائم للحكم العثماني فيها وسنذكر أهمها:

أ - المشعشعون

استولى السيد محمد بن السيد فلاح المشعشعي على القسم الشمالي من عربستان وأسس أمارة له في الحويزة في عام ١٤٤١ م امتدت الى جنوب العراق واستولى على البصرة وتوفي في عام ١٥٠٨[١]. وبعد قيام الدولة الصفوية في فارس في مطلع القرن السادس عشر وتوسعها في جهات العراق ضعف نفوذ الامارة المشعشعية بعد حكم دام نحو خمسمئة عام. وبعد ضعفها طمع فيها شيوخ القبائل في عربستان وحرص شيخ كل قبيلة أن يكون صاحب الأمر في قبيلته مما شجع الدولة الصفوية على دعم نفوذها في عربستان[٢].

وبعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ أسرع الشيخ مانع أمير الحويزة بتقديم الولاء للسلطان العثماني فأقره في منصبه. وفشلت المحاولات العثمانية في عامي ١٥٥٤، ١٥٨٤ لاحتلال الحويزة. وقد استفاد أمراء الحويزة من وقوع امارتهم في منطقة الحدود الصفوية العثمانية لتوزيع ولائهم بين السلطان العثماني والشاه الصفوي، وسيطروا على الملاحة في شط العرب وأرغموا السفن النهرية على دفع ضريبة لوكيلهم في القبان.

---

(١) عماد أحمد الجواهري: مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (بيروت، ١٩٦٢) ج ٣ ص ٩٠ - ٩١.

وتمكن السيد مبارك في عام ١٥٩٧ من نهب جهات البصرة وسواحل الأحساء وعاث فيها فساداً مستعيناً باعداد كبيرة من العرب والفرس. واستغاث السكان بالسلطان العثماني الذي طلب من الشاه الصفوي وقف حركات السيد مبارك وولده السيد بدر حاكم الدورق[١]. وهكذا خضعت المنطقة الواقعة شرق شط العرب لحكم السيد مبارك وكانت الحويزة ومجذوم (مقطع) والدورق (الفلاحية) من أهم المناطق التي سيطر عليها.

ولكن والي البصرة آفراسياب تمكن من القضاء على نفوذ السيد بدر حاكم الدورق وعلى نفوذ والده السيد مبارك حاكم الحويزة ومنعهما من أخذ الرسوم من جهات البصرة وشط العرب[٢] وانتزع منه القبان. وقد وقف أمير الحويزة السيد منصور على الحياد أثناء محاولات الشاه عباس الأول لانتزاع بغداد من السلطان العثماني والبصرة من آل آفراسياب (١٦٢٣ - ١٦٢٩) وكان الشاه عباس الأول قد عين السيد منصور حاكماً على الحويزة بعد وفاة أخيه السيد مبارك. وقبل احتلال الشاه عباس بغداد في عام ١٦٢٣ طلب من السيد منصور الانضمام الى الحملة الفارسية، ولكنه لم يستجب لرغبته، كذلك رفض التوجه الى اصفهان لمقابلته فطلب الشاه عباس من حاكم شيراز إمام قولي خان أسره أو قتله وتولية السيد محمد بن مبارك بدلاً منه وخاف السيد منصور على نفسه فلجأ مع خمسمئة من أتباعه الى باشا البصرة - علي باشا آفراسياب - الذي منحه مكاناً قريباً من الحويزة ليستقر فيه حتى وفاته في عام ١٦٤٣. وقبل أهل الحويزة بحكم السيد محمد بن مبارك على أن يقيم حامية فارسية في الحويزة[٣].

وفي آخر القرن السابع عشر ضعف نفوذ الحويزة وازداد ضغط القبائل العربية عليها وغزاها بنو لام وانتزع بنو كعب القبان منها. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن أمير الحويزة المولى فرج الله من الاستيلاء على البصرة في عام

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ١٤٠ - ١٤١ ج ٥ ص ١٤١، ١٥٠.

(٣) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٢٣٩٥ - ٢٣٩٧.

١٦٩٧ واستمر حكم المشعشعين لها ثلاث سنوات حتى عام ١٧٠٠ وكان الشاه الصفوي قد أرسل رستم خان سفيراً له ليقدم مفاتيح البصرة والهدايا الى السلطان العثماني.

ب ـ المنتفق

كانت عشائر المنتفق أكبر مجموعة قبلية وأقواها وأكثرها ازعاجاً للسلطات العثمانية في جهات البصرة في الربع الأخير من القرن السابع عشر. وبعد أن قتل الثائرون والي البصرة أحمد باشا ابن عثمان باشا في عام ١٦٨٨ عهدت الدولة العثمانية بالولاية الى كتخداه حسن آغا الذي هزمه مانع بن شبيب شيخ المنتفق في جزاير البصرة في عام ١٦٩٠ لتقاعس والي بغداد عن نجدته واستولى مانع على حصان وبدره ومندلي، وأرغم خليل باشا والي البصرة الجديد على العودة الى بغداد. فاضطرت الدولة العثمانية الى ارضاء الشيخ مانع بزيادة اقطاعه ليسمح لخليل باشا بالتوجه الى البصرة(١).

ولما استبد أعوان خليل باشا نقم أهل البصرة عليه واتفقوا فيما بينهم في عام ١٦٩٤ على تسليم المدينة الى الشيخ مانع. وفشلت محاولة علي باشا والي بغداد في عام ١٦٩٥ لانقاذ البصرة بمساعدة قوات ولاة ديار بكر وكركوك والموصل والرها؛ ولكنه لم يستطع بسبب وفاة حسين باشا والي ديار بكر في بغداد وعودة أكثر جنوده الى بلادهم لقلة الأرزاق، وبقي الشيخ مانع في البصرة حتى أخرجه منها حاكم الحويزة المولى فرج الله في عام ١٦٩٧ وعين الشاه داود خان حاكماً على البصرة حتى تتمكن الدولة العثمانية من استلامها. وقد تم لها ذلك بعد ثلاث سنوات(٢). فعادت الى الحكم العثماني في عام ١٧٠٠.

ولكن الشيخ مغامس بن مانع تمكن من الاستيلاء على البصرة في عام ١٧٠٥ وعندما طلب الهولنديون منه حماية وكالتهم التجارية في البصرة، والآباء

---

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٣٥ ـ ١٤١.
(٢) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص ١٣٧ ـ ١٤٠.

الكرمليون حماية كنيستهم ودارهم، استجاب لهم وحصل الهولنديون في عهده على امتيازات خاصة فازدهرت تجارتهم في أسواق البصرة[1].

ج - بنو لام

نزح بنو لام من نجد الى منطقة البصرة وامتد نفوذهم من القرنة الى نهر ديالي وسيطروا على الطريق التجاري بين بغداد والبصرة وساعدهم موقعهم الجغرافي على الاستفادة من الصراع العثماني - الصفوي. وكلما ازداد ضغط السلطات العثمانية في بغداد والبصرة عليهم استعانوا بالسلطات الفارسية[2]، أو لجأوا الى أراضيها.

وكان السيد براك بن مفرج بن سلطان الذي ينتسب الى عشيرة أوس من قبيلة طيّئ أول من قصد العراق من شيوخ بني لام، بعد أن قتل عمه في عام ١٥٤٦ وهرب الى البصرة ثم تركها وتوجه الى الحويزة عاصمة المشعشعين. فقرَّبه المولى سجاد زعيم المشعشعين وجعله من مستشاريه وأدخل ولده حافظ مدرسة الأمراء في الحويزة قبل أن يعهد اليه بادارة بعض النواحي (الطيب والدويرج). وأخذ حافظ يستميل القبائل اليه وتمكن من كسبها الى جانبه واستعان بها في غزواته ضد القبائل المناوئة له، وبعد وفاة والده السيد براك في عام ١٥٨٩ اختار حافظ الاستمرار في تقديم الولاء والطاعة للمشعشعين خوفاً من تمرد القبائل الموالية له ومن انتقام قبيلة ربيعة المجاورة لمنطقة نفوذه.

واستغل حافظ بن مبارك انشغال المولى مبارك بن بدران زعيم المشعشعين عن مراقبته فجمع القبائل المؤيدة له وانتصر على قبيلة ربيعة وطردها شمالاً بعيداً عن المنطقة التي يسيطر عليها وأقام حكم بني لام[3]،

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٧ - ١٤٠ وانظر حامد البازي:
البصرة في الفترة المظلمة (بغداد، ١٩٧٠) ص ١١٧ - ١١٨.
(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره ج ١ ص ١٠٩.
(٣) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (بيروت، ١٩٦٥) ج ٤ ص ٩٢ - ٩٤.

وخلفه أولاده وأحفاده من بعده. وظل بنو لام في القرنين السابع عشر والثامن عشر مصدر ازعاج لولاة بغداد.

د ـ آل عليان

سيطر آل عليان من امراء طيِّئ في النصف الثاني من القرن السادس عشر على الملاحة النهرية في شط العرب وكانت العشائر في جهات البصرة من أقربائهم وتصرفوا ببعض النواحي والقرى، وتولوا زعامة العشائر في أنحاء واسط. وعجز العثمانيون عن تثبيت نفوذهم في المنطقة الخاضعة لآل عليان على الرغم من احتلالهم المؤقت للمدينة مركز آل عليان في عام ١٥٤٩. كذلك فشل الأسطول العثماني في عام ١٥٥٤ في احتلال حصون آل عليان في منطقة الجزاير وفي عام ١٥٦٧ قاد والي بغداد اسكندر باشا ضدهم حملة برية ونهرية وساعده في حملته ولاة شهر زور والبصرة وبعض الأمراء الأكراد[١]، واضطرهم الى طلب الصلح ودفع الغرامة وتقديم الرهائن بعد قطع أشجار النخيل واتلاف المحصولات. وفي عهد آل آفراسياب تم اقرار السلام مع آل عليان.

هـ ـ الخزاعلة

ورد اسم الخزاعلة في العراق لأول مرة وهم من طيِّئ خلال الحكم الفارسي لبغداد (١٦٢٣ ـ ١٦٣٨)، وأظهر زعيمهم مهنا العصيان في أطراف السماوة على السلطان العثماني، وقطع الطريق في تلك الجهات. كذلك لم يذعن الشيخ سلمان بن عباس الخزعلي للسلطات العثمانية في عام ١٧٠٠ واستولى على النجف الأشرف وبعض جهات العراق الجنوبية ولم يتمكن ولاة بغداد من اخضاعه وجمع جيوشاً بلغت زهاء أربعين ألفاً من المشاة والفرسان من البصرة للاستيلاء على الحلة. ولكن خذله البدو في جيشه اثناء الاشتباك مع القوات العثمانية التي ضمت قوات ولاة بغداد وديار بكر وشهر زور فلحقت به

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٠٦ ـ ١٠٩.
وانظر عبد الكريم غرايبة، مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٩٩ ـ ١٠٧، ١٠٨.

الهزيمة. واضطر في عام ١٧٠٢ الى طلب الأمان من السلطات العثمانية وتعهد تقديم ابنه ووالده رهينة وبتأدية الضرائب للدولة[١]. وازدادت قوة الشيخ سلمان وصاهر القبائل العربية المجاورة له ولكن الدولة العثمانية هزمته مرة أخرى فالتجأ الى مغامس بن مانع شيخ المنتفق في عام ١٧٠٥.

و ـ بنو كعب

استقرت قبيلة بني كعب في القبان على الساحل بين بندر هشور وشط العرب في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر مكافأة لها على الخدمات التي قدمتها لحكام البصرة من آل آفراسياب. وتحت حكمهم عززت قبيلة كعب مركزها في تلك الجهات. وقد وقفت قبيلة كعب بقيادة شيخها بدر بن عثمان للدفاع عن البصرة ضد الغزو الفارسي لها خلال الفترة (١٦٢٤ ـ ١٦٢٩) وحصلت على الجزر الواقعة عند مصب شط العرب مكافأة لها على اخلاصها. وبعد عودة البصرة الى الحكم العثماني المباشر ١٦٦٩ استمر بنو كعب في المنطقة التي استقروا فيها في عهد آل آفراسياب.

ثم وصلت قبيلة كعب الى منطقة عربستان[٢] في الربع الأخير من القرن السابع عشر. وكانت القبان على رأس خور كنكه أحد فروع خور موسى من أكبر مواطنهم الأولى في عربستان. وكان بنو كعب من رعايا الدولة العثمانية على الحدود الفارسية، فقد دفعوا مبالغ من المال لخزينة الباشا العثماني في البصرة. وخلال الاضطرابات التي تلت وفاة نادر شاه أصبح لبني كعب أراضٍ في فارس. وبذلك أصبحوا رعايا للدولتين العثمانية والفارسية فكانت

---

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٢٠ ـ ٢١ ص١٥٢ ـ ١٥٤.

(٢) تشمل منطقة عربستان الأراضي الرسوبية بين الجبال والبحر إلى الجنوب الشرقي من العراق، وتضم سهل ديزفول وتستر والحويزة وتمتد من نهر الكرخة إلى المحمرة غرباً وأعلى منابع نهر الكارون شمالاً وشط العرب والخليج العربي جنوباً ونهر هنديان شرقاً.
انظر: صالح محمد العابد: إمارة كعب العربستانية (الفصل السادس في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية (بغداد، ١٩٨١) ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠.

القبان في الجانب العثماني وكانت الدورق في الجانب الفارسي[1] وأصبحت لبني كعب رئاسة القبائل العربية في الجنوب واتخذوا القبان مركزاً لهم.

(١) تعود بداية استيطان كعب في عربستان إلى عام ١٦٨٣ م انظر، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٢٣٩٧، وانظر، أيضاً، حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سبق ذكره، ج ٣ ص ٩٣.

ولاية الأحساء

كانت الأحساء خاضعة لحكم الجابري أحد زعماء قبيلة قيس العربية، ولكن بعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ أعلن شيوخ الأحساء والقطيف عن ولائهم وخضوعهم للحكم العثماني لحاجتهم الى الحماية العثمانية ضد التحالف البرتغالي الفارسي، وقد ضمت ولاية الأحساء وفقاً للتقسيمات الادارية العثمانية القطيف والمبرز وجبرين وقوبان والتهامية وعيون وغيرها[1]، والبحرين في بعض الأحيان. وكانت الأحساء تتبع ولاة بغداد ويرسل شيوخها اليهم الهدايا ويشاورونهم في المسائل المهمة، واستمر الحكم العثماني في الأحساء بمساعدة قبائل المنتفق العربية، ولم تكن لولاة الأحساء ـ فاتح باشا وعلي باشا ومحمد باشا وعمر باشا ـ صلاحيات واسعة فيها. وعندما حدثت الفتنة بين حسين باشا آفراسياب وعميه أحمد آغا وفتحي بك وقف والي الأحساء العثماني الى جانبهما وقدم لهما المساعدة ولذلك انتقم حسين باشا منه باستمالة القبائل العربية في شرق الجزيرة وفي مقدمتها قبيلة بني خالد أقوى القبائل العربية في شرق الجزيرة خلال القرن السابع عشر، وزعيمها آنذاك براك بن غرير آل حميد الخالدي، ونجح حسين باشا آفراسياب في الاستيلاء على الأحساء بمساعدة براك.

ولكن ما لبث أن نشب خلاف بين حسين باشا آفراسياب وبني خالد فأرسل حسين باشا جيشاً بقيادة صهره وكتخداه يحيى آغا، فهرب براك وطلب أعيان الأحساء الأمان من يحيى آغا وبذلك عادت الأحساء الى حكم

(١) Ozbaran, Salih. Op.Cit. p. 56.

آل آفراسياب[1]. وبعد طرد حسين باشا آفراسياب من حكم البصرة في عـام ١٦٦٧ تمكن براك من ارغـام والي الأحساء العثماني عمر بـاشا عـلى الاستسلام في عام ١٦٧٠، وبذلك انتهى الحكم العثماني فيها وظل براك يحكم الأحساء حتى وفاته في عام ١٦٨٢. وكـان براك أول من أسس حكم بني خالد في الأحساء بعد طرد العثمانيين منها[2]. وبعد وفاته خلفه أخوه محمد بن غرير في حكمها.

---

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٧٤ ـ ٧٧.

(٢) أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٤٧ ـ ٤٨ ص ٦٠ ـ ٦١.

تجارة البصرة

كانت البصرة في النصف الأول من القرن السادس عشر مركزاً تجارياً مهماً حيث تتجمع فيها البضائع من مختلف الأقطار ثم يعاد توزيعها مرة أخرى. وبذلك قامت البصرة بدور الوسيط التجاري، فقد كانت البضائع الشرقية تأتيها من الهند وتنقل منها الى فارس وموانئ بلاد الشام والجزيرة العربية والأناضول، ومن موانئ البحر المتوسط تنقل الى الموانئ الاوروبية.

وقد تأثرت تجارة البصرة نتيجة أطماع ولاة البصرة وبغداد في أموال التجار المحليين والأجانب وفقدان الأمن والاستقرار في بعض الأحيان. فقد كان في وسع القبائل البدوية المجاورة للبصرة والقاطنة على طول الطريق التجاري بين البصرة وحلب عرقلة التجارة الداخلية والدولية[1]. كما تأثرت أيضاً من سيطرة البرتغاليين على مضيق هرمز. واشتهرت البصرة بتصدير التمور واشتغلت نسبة لا بأس بها من سكان البصرة في جمعها وتجفيفها وتعبئتها.

ولم تزدهر تجارة البصرة في النصف الثاني من القرن السادس عشر لاستمرار الحروب بين الصفويين والعثمانيين مما أدى الى منع تجارة الشام من الوصول الى بغداد والبصرة لنقل البضائع الشرقية. كذلك ألحقت السياسة البرتغالية باحتكار السيطرة على التجارة الشرقية ضرراً كبيراً باقتصاد البصرة

---

(١) احمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية ١٧٥٠ - ١٨٠٠ نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة محمد أمين عبد الله. (بيروت، ١٩٦٥) ص ٥٩. وانظر أيضا، عبد الأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر. (بغداد، ١٩٦٦) ص ١٠.

الذي اعتمد على تجارة المرور(١). فقد كانت البصرة مركزاً تجارياً مهماً لتجارة التوابل التي ترد اليها من الهند والشرق الأقصى عن طريق هرمز ثم توزع في قوافل عبر بغداد الى حلب وغيرها من موانئ البحر المتوسط. ولكن الطرق التجارية المؤدية الى البصرة لم تكن آمنة دائماً بسبب تعرضها لهجمات القبائل العربية وبسبب الصراع شبه الدائم بين الصفويين والعثمانيين وعلى الرغم من ذلك فان التجارة الشرقية لم تنقطع عن البصرة الا في بعض الحالات التي ساد فيها الاضطراب الشديد الطرق التجارية المؤدية اليها.

وقد وصف الرحالة الانكليزي رالف فيتش البصرة في عام ١٥٨٣ بأنها «مدينة ذات تجارة غنية بالتوابل والعقاقير التي تأتيها من هرمز وفيها مخزن كبير للحبوب والرز والتمور التي تنمو فيها بكثرة والتي تزود بغداد وأنحاء العراق الأخرى بها»(٢).

وفي عهد آل آفراسياب غدت البصرة مركزاً تجارياً مهماً للتجارة الاوربية، فقد فتح آل آفراسياب أبواب البصرة وممراتها المائية أمام التجار البرتغاليين والانكليز والهولنديين، وأسس البرتغاليون فيها مركزاً تجارياً لهم وديراً للآباء الكرمليين فيها بعد خسارتهم هرمز في عام ١٦٢٢، وبعد أن أسرعوا بتقديم المساعدة العسكرية الى علي باشا افراسياب للدفاع عن المدينة ضد الهجمات الفارسية في عام ١٦٢٤ (٣). وبذلك أصبحت البصرة بعد طرد البرتغاليين من هرمز مركزاً رئيسياً للتجارة البرتغالية في الخليج العربي لا سيما بعد أن أقام البرتغاليون وكالة تجارية ومعهداً للتلعيم الديني وحصلوا على تصريح من باشا البصرة لبناء دير للطائفة الكرملية فيها(٤). وظل البرتغاليون

(١) (1)Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 290.
وانظر أيضا، طارق نافع الحمداني: تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر، (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٣٤، نيسان ١٩٨٣، ص ٦٣ - ٧٢)، ص ٦٦ - ٦٩.

(٢) Tweedy, Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. (England?) p. 15. (٢)

(٣) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. p. 107. (٣)

(٤) The English Factories In India. Vol. III. 1624- 1629. By William Foster (Oxford 1909) p. 22.

حتى عام ١٦٤٠ يشكلون منافساً نشيطاً للتجارة الانكليزية فيها.

وقد تذمر علي باشا في عام ١٦٢٩ من المضايقات الانكليزية والهولندية للتجارة مع البصرة، ومن عرقلة مرور السفن ومصادرة البضائع المتجهة الى البصرة والقطيف وكتب بذلك الى وكلاء الشركة الانكليزية والهولندية في سورات وأبلغ السلطان العثماني بالأذى الذي ألحقه الانكليز والهولنديون بالرعايا العثمانيين وتجارتهم. ولذلك استدعى السلطان العثماني السفير الانكليزي في الآستانة لمعرفة الأسباب الموجبة لذلك[1].

وكان ولاة بغداد يحبذون ازدهار التجارة الانكليزية في البصرة لما يحققونه من فوائد تجارية ورسوم جمركية وازدهار للطريق التجاري بين البصرة وحلب عبر بغداد، وكانت التجارة الانكليزية قد بدأت مع البصرة في عام ١٦٣٥ عندما أرسلت شركة الهند الشرقية الانكليزية قارباً شراعياً محملاً بالبضائع الهندية اليها. وبعد بضع سنوات أرسلت الشركة الانكليزية بعض مستخدميها الى البصرة لتسويق بضائعها وتأسيس تجارتها في ميناء لا يخضع للحكم الفارسي ويخلو من المكائد والدسائس الهولندية ضد الانكليز، ووصل وكلاء الشركة الانكليزية الى البصرة في ٣١ ايار ١٦٤٠ وحصلوا على تصريح من باشا البصرة العثماني بتفريغ بضائعهم وبيعها في أسواق البصرة. وإذا ما رغبت الشركة الانكليزية الاستمرار في التجارة مع البصرة فينبغي عليها إقامة وكالة انكليزية دائمة فيها[2].

---

(١) Ali Pasha Of Basra To The English And Dutch Chiefs At Surat. March 1629? (The English Factories In India. Vol. III) p. 324; Alee Bashaw, Bashaw Of Balserra To The Worshipful, The Friends Of The Chieftains Of The English And Dutch Nations Resident At Surat. April? 1629. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625- 1629) pp. 661- 662.

وانظر أيضا، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٦.
واحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة (القاهرة.؟) ص ٢٢٩.

(٢) Danvers, F.C. Report On The India Office Records Relating to Persia And The Persian Gulf. (London p. 22.

وقد تمتع وكلاء الشركة الانكليزية في البصرة في عـام ١٦٤٢ ببعض الامتيازات فقد منحهم باشا البصرة قطعة أرض بالقرب من مـركز جمـارك البصرة لتكون مقراً للوكالة الانكليـزية، ولكنـه منعهم من بناء أمـاكن لهم للاقامة أو مخازن لحفظ بضائعهم فيها(١). وكان لدى الوكلاء الانكليز بعض الآمال في التجارة باللؤلؤ والخيول العربية والتمور ولكنهم تذمروا من أساليب التجار العثمانيين معهم ومن اخفاق باشا البصرة العثماني بالوفاء بوعوده التي بذلها لهم في بداية صلاتهم التجارية مع البصرة(٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد قررت الشركة الانكليزية في عام ١٦٤٣ نقل بضائعها وممتلكاتها من جمبرون «بندر عباس» الى البصرة لضمان سلامتها وإقامة وكالة دائمة لرعاية مصالحها التجارية فيها ولا سيما بعد ازدياد الخلاف بين الشركة الهولندية والسلطات الفارسية. كما رأت الشركة الانكليزية في عـام ١٦٤٤ أن البصرة هي المكان الذي يمكن للمنتجات الانكليزية أن تحقق فيه فائدة مهمة الى أن تسمح السلطات العثمانية للشركة الهولندية بالتجارة مـع البصرة. وعندئذ سيحضر الهولنديـون على جنـاح السرعة لتخـريب التجارة الانكليزية فيهـا كما فعلوا في المـوانئ الأخرى(٣). وفي تمـوز ١٦٤٥ قامت الشركة الانكليزية بنقل وكـالتها وبضـائعها من جمـبرون «بندر عبـاس» الى البصرة بعد اضطراب العلاقات الهولندية ـ الانكليزية في فارس.

ولكن الشركة الهولندية سرعان ما لحقت بـالانكليز وأرسلت أسـطولاً تجارياً ضم ثماني سفن(٤) محملة بالبضائع الشرقية غزا أسواق البصرة وأغرقها

---

(١) President Fremlen, Francis Breton, And John Wylde At Swally Marine To The Company. Jan. 27, 1642 (The English Factories In India. Vol. VII 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) p. 2, 27.

(٢) Wilbur, Marguerite Eyer, The East India Company And The British Empire In The Far East. (New York 1965). p. 202.

(٣) President Breton, Thomas Merry, And Richard Fitch At Swally Marine To The Company. Nov. 28, 1644. (The English Factories In India. Vol. VII.) p. 199, 208; Hall, Lesley A. Factory Records, Persia And Persian Gulf. 1620-1822. p. 4.

(٤) Robert Crammer, Revett Walwyn, Thomas Cogan, And William Weale At Basra To The Company. July 31, 1645. (The English Factories In India. Vol. VII.) p. 273; Hall, Lesley A. Op. Cit. pp. 4- 5.

بالبضائع في عام ١٦٤٥، وألحق ضرراً بليغاً بالتجارة الانكليزية وقضى على سمعتها في البصرة وتسبب في توقفها مؤقتاً.

وكانت التجارة الانكليزية في البصرة في عام ١٦٤٦ متنوعة من حيث الأصناف ومختلفة من حيث الجودة. وكان هناك طلب على الفلفل ولكن السعر الذي عرضه التجار المحليون على الوكلاء الانكليز كان قليلاً ولذلك قرر الوكلاء الانكليز الامتناع مؤقتاً عن بيع كميات الفلفل التي في حوزتهم(١). وفي مطلع عام ١٦٤٧ لاحظ وكلاء الشركة الانكليزية أن تجارتهم في البصرة فقيرة جداً وعزوا ذلك إلى المنافسة الهولندية الشديدة ولكن السفن الانكليزية ظلت تقوم بشحن كميات صغيرة من البضائع إلى البصرة من مخزون الشركة الانكليزية في فارس لتسويقها. وقد تحسن وضع التجارة الانكليزية في نيسان ١٦٤٨ بعد أن وجدت تشجيعاً من التجار القادمين إلى البصرة(٢) من الولايات العثمانية الأخرى. واستمر التحسن التجاري في أسواق البصرة وتمكنت الشركة الانكليزية من بيع مخزونها من البضائع القديمة في عام ١٦٤٩ وكان الوضع التجاري في صالحها في عام ١٦٥٠ على الرغم من الخسارة التي لحقت بها والتي كانت ضئيلة بمقارنتها بالأعوام السابقة(٣).

ولكن الشركة الهولندية لم تترك الانكليز ينعمون بالتجارة مع البصرة لاسيما بعد طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠، فقد حقق الهولنديون سيطرة تامة على الخليج العربي في الربع الثالث من القرن السابع عشر، واضطرت الوكالة الانكليزية التي أقيمت في البضرة في عام ١٦٤٣ إلى التوقف

---

(١) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With A Summary Of Events. 1600- 1800. p. 11.

(٢) President Breton, Thomas Merry, And William Pitt At Swally Marine To The Company, Jan. 25, 1647;
George Tash And John Lewis At Gombroon To The Company, April, 12, 1648. (The English Factories In India Vol. VII 1646- 1650. By William Foster. Oxford 1914) p. 75, 82, pp. 207- 208.

(٣) President Merry And Messrs. Tash, Pearce, And Oxenden, At Swally Marine To The Company. Jan 25, 1650. (The English Factories In India. Vol. VIII) p. 274, 280.

في عام ١٦٥٧ بعد أن علم والي البصرة حسين باشا أفراسياب بأنها على وشك الإفلاس. وحدث تطور مفاجئ في سياسة الشركة الانكليزية في عام ١٦٦٠ عندما أصدرت تعليماتها لوكيلها في البصرة بالتخلي عن التجارة معها بشكل دائم واخلاء عقاراتها منها بعد الاهتمام السابق بها[١].

واستمرت التجارة الانكليزية مع البصرة على نحو متقطع بواسطة السفن التجارية التي ارسلت خصيصاً من سورات إلى ميناء البصرة باشراف مستخدمي الشركة الانكليزية حيث جرت العادة ارسال موظف أو أكثر من سورات أو جمبرون ومن وقت لآخر إلى البصرة للاشراف على البيع والشراء وبعد استكمال المهمة التي أوفد من أجلها يعود الموظف إلى مركزه السابق[٢]. ووردت إشارات في الوثائق الانكليزية إلى سفن البصرة في بعض المناسبات ولكن الشركة لم تذكر معلومات عن وصولها ومغادرتها وبضائعها ومبيعاتها التي حققت فائدة، ومن الأمثلة على ذلك وصول سفينة انكليزية في آذار ١٦٦١ إلى ميناء البصرة[٣].

وقد تحسن وضع التجارة الانكليزية في البصرة والدولة العثمانية في عام ١٦٦١ بعد الامتيازات التي حصل الانكليز عليها[٤] وتعديلها في عام ١٦٧٥ مما شجع سفن الشركة الانكليزية على الاستمرار في التردد على البصرة. ففي نيسان ١٦٧٦ وصلت سفينة انكليزية من سورات محملة بالبضائع الشرقية لحساب تاجر انكليزي، ويستدل من وثيقة مؤرخة في ١٤ تموز ١٦٧٧ أن الوكيل الانكليزي في بندر عباس قد أشرف على وكالات الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي[٥].

ولكن التجارة مع البصرة تدهورت نتيجة الحرب بين حسين باشا

(١) Wilbur, Marguerite Eyer. Op. Cit. p. 202.

(٢) Precis Containing Information Regard To The First Connection Of The Hon'able East India Company with Turkish Arabia. (Calcutta, 1874) pp. 11- 12.

(٣) Ibid. p.11.

(٤) لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٨

(٥) Precis Containing Information etc. Op. Cit. p. 12.

آفراسياب والي البصرة والدولة العثمانية في عام ١٦٦٩، مما أدى إلى اضطراب الحكم في البصرة وزيادة الضغط الفارسي من جهة والى اعتداءات العشائر البدوية من جهة أخرى، بالاضافة إلى جشع باشوات البصرة العثمانيين واستمرار الحروب بين الدولة والثوار[١]. وقد أدى ذلك إلى عدم الاستقرار في البصرة وبالتالي إلى انصراف عدد كبير من التجار الأجانب عنها مما أضعف حركة التجارة فيها. فقد نتج عن الحرب بين حسين باشا آفراسياب وجيوش الدولة العثمانية في عام ١٦٦٩ كساد تجاري في أسواق البصرة وهجرة سكانها وانتقلت العدوى إلى الأسواق الفارسية التي غمرتها البضائع المهربة من البصرة مما ألحق بالتجار المحليين والأجانب بعض الخسائر[٢].

ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت تجارة البصرة في عهد آل آفراسياب (١٥٩٦ ـ ١٦٦٩) فقد أسسوا فيها مراكز الجمارك والجيش النظامي، وقصدها التجار من مختلف أنحاء الدولة العثمانية، وجاءها الهولنديون والانكليز بالتوابل وزاد الطلب على تمورها وازدهرت الملاحة النهرية في شط العرب وتمتعت الطوائف الدينية المختلفة في عهدهم بالتسامح الديني كما اتصف حكمهم بتشجيع الحركة العلمية والأدبية ورحبوا بالتجار الأجانب وسمحوا لهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية. ولكن العائلات التجارية المتنفذة في البصرة وقفت ضدهم وحرضت السلطان العثماني عليهم وساهمت في تمويل الفتن والاضطرابات ضدهم؛ بينما وقفت القبائل البدوية المجاورة للبصرة إلى جانبهم[٣] لنفورها من محاولات الدولة العثمانية العرب الخاضعين لحكمها في منطقة الخليج العربي بحزم وقسوة لا سيما في حالات التمرد ضدها وأبقت على السكان في مستوى متدن من العيش. وقد اشتمل نشاط السكان في البصرة على تربية الخيول حيث كان للعرب خبرة وبراعة في تربيتها وكذلك عمل

---

(١) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India, 1668- 1669. By William Foster. Oxford 1927). p. 200, 210.

(٢) Ibid. p. 204.

(٣) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢ ـ ١٠٣

السكان في الملاحة النهرية وكان في البصرة عدد من اليهود الذين عاشوا على السمسرة والصرافة[1].

وبعد أن تمكنت الدولة العثمانية من استعادة الحكم المباشر في البصرة عينت عليها مصطفى باشا الذي لم يتمكن في عام ١٦٧٠ من دفع حصة الدولة ونفقات الادارة والجند. ولذلك طالب باعفاء البصرة من بعض الضرائب وشكل لجنة من ذوي الكفاءة لإعادة تحرير دفاتر البصرة وتحديد الأراضي ورسومها ومعادلة الايرادات والنفقات، وحصل على موافقة السلطان العثماني على التنظيم الجديد[2]. ثم حكم البصرة بعد مصطفى باشا عدد من الولاة العثمانيين لكنهم لم يوفقوا في تثبيت الحكم العثماني فيها ولم ينجحوا في نشر الأمن والاستقرار في أنحاء الولاية وبقيت العشائر البدوية في المناطق المجاورة للبصرة مصدر ازعاج مستمر للسلطات العثمانية.

وبعد سقوط حكم آل آفراسياب استمرت التجارة الأوربية مع البصرة. ففي عام ١٦٩٠ سمح باشا البصرة العثماني للبرتغاليين بالتمتع بالحرية التجارية والدينية الكاملة وبعدم دفع ضريبة أكثر من ٣٪ على بضائعهم[3]. كما اهتمت الشركة الانكليزية بالبصرة لتأمين نقل بريدها من الهند إلى الخليج العربي ثم نقله براً بواسطة الطريق الصحراوي إلى حلب أو اللاذقية ثم إلى آسية الصغرى ومنها إلى موانئ اليونان وايطاليا، ثم عبر القارة الأوربية إلى انكلترا. وقد امتاز طريق الخليج العربي على طريق البحر الأحمر بالسرعة والأمان ولا سيما بعد أن تمكنت الشركة من استرضاء القبائل التي يمر البريد الانكليزي بأراضيها[4].

وفي الفترة التي حكم فيها الفرس البصرة (١٦٩٧ - ١٦٩٩) لم تفقد

(١) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 293- 294.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣) Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII, London 1914) p. 40.

(٤) أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

البصرة مكانتها التجارية، وخلال الربع الأول من القرن الثامن عشر تحسنت الأوضاع الاقتصادية في البصرة فقامت الشركة الانكليزية بتأسيس مركز دائم لها في البصرة في عام ١٧٢٣ أداره وكيل انكليزي مقيم فيها تحت اشراف الوكيل الانكليزي في بندر عباس. واحتلت البصرة المركز الثاني مس حيث الأهمية في التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي بعد بندر عباس.

الفصل الثالث

اليعاربة

حكم ملوك بني نبهان عمان[1] منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وأقاموا فيها حكماً ملكياً وراثياً واستقروا في منطقة الجبل الأخضر[2] وفي آخر عهدهم ضعفت سلطتهم واقتسمها امراء من بني نبهان وآل عمير وآل هلال[3] اهتموا بتأكيد نفوذهم وسيطرتهم على قبائلهم في الداخل، بينما كان الساحل العماني تحت حكم ملوك هرمز منذ عام ١٢٧٠م، وأقاموا فيه وكيلاً لهم في

---

(١) يشمل الاصطلاح الجغرافي لعمان الربع الخالي وساحل الهدنة وجزر كوريا موريا. وشملت عمان في الماضي منطقة أوسع مما هي عليه الآن وامتدت حدودها في القرن الثامن الميلادي حتى عدن غرباً والبحرين شمالاً، ومما يجدر ذكره أن تاريخ عمان القديم يكتنفه بعض الغموض. واشتهرت عمان بخصب أراضيها. ووصفها ابن بطوطة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي بأنها بلاد خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس، وقاعدتها نزوى وهي في سفح جبل تحف به البساتين والأنهار. انظر، شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١) ص ٧٢. وانظر أيضاً، أرنولد ويلسون: الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف (الكويت،؟) ص ١٤٩ - ١٥١، ٢٠٧. وانظر كذلك،

The Geographical Section Of The Naval Intelligence Division, A Hand Book Of Arabia. Vol. I. p. 237; Hamilton, Alexander. A New Account Of The East Indies. (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. Digested By John Pinkerton. Vol. VIII. London 1811). p. 288.

(٢) عرف أيضاً بجبل اليحمد أو رضوى.

(٣) محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف: عمان - تاريخ يتكلم - (دمشق، ١٩٦٣) ص ١٥٣ - ١٥٤.

مدينة قلهات لتحصيل الرسوم الحمركية من الموانئ التابعة لهم[1]. وتمتع ابن جابر بسلطة واسعة في عمان الداخلية. ومد شيوخ بني جابر نفوذهم على بعض مدن الساحل العماني وهددوا الحامية الهرمزية في صحار في الربع الأول من القرن السادس عشر.

أما الغزو البرتغالي للساحل العماني فقد وقع في عهد الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل (١٥٠٠ - ١٥٣٥) عندما استولى البرتغاليون في عام ١٥٠٧ على موانئ قريات ومسقط ومطرح وصحار وخورفكان. وأقام الإمام بركات في الرستاق[2] بينما تمتعت نزوى وبهلى وغيرهما بقسط وافر من الاستقلال في عهده. فقد كانت بهلى عاصمة عمان في عهد بني نبهان ومارست نزوى نفوذاً واسعاً على المناطق المجاورة لها. واتخذها سلطان بن محسن بن سليمان أول ملوك بني نبهان المتأخرين عاصمة له[3]. وفي نهاية عهد ملوك بني نبهان المتأخرين انتشرت الفوضى والحرب الأهلية في عمان، وفشل بنو نبهان في منع الحروب بين القبائل وانتقلت السلطة الفعلية إلى عمير بن حمير ملك سمايل الذي اخضع معظم المناطق الداخلية في عمان لنفوذه وقام بدور مهم في النزاعات القبلية التي حدثت في عمان خلال الربع الأول من القرن السابع عشر، وأيدته القبائل العمانية ضد ظلم بني نبهان.

ونشب نزاع بين عمير ومحمد بن مهنا الهديفي شيخ صحار لاغارة

---

(١) يقع الساحل العماني أو الباطنة خارج منطقة الخليج العربي وأطلق عليه اسم الباطنة لأنه يمثل جوف عمان وتمييزاً له عن الظاهرة التي تمتد من البريمي شمالاً حتى جبل الكور جنوباً وتنتهي في منطقة الجبل الأخضر. أما المنطقة الشمالية من الساحل العماني. «ساحل الصلح أو الهدنة» فهي الوحيدة من مناطق عمان التي تقع ضمن منطقة الخليج العربي. انظر. جون ب. كيلي: بريطانيا والخليج ١٧٩٥- ١٨٧٠، ترجمة محمد أمين عبد الله. (القاهرة، ١٩٧٩) ج ١ ص ٩ - ١١. ومحمد متولي: حوض الخليج العربي (القاهرة، ١٩٧٤) ج ١ ص ١٥.

(٢) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p. 155.

(٣) نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (القاهرة، ١٩٦١) ج ١ ص ٣٨٨ - ٣٩٨. وانظر أيضاً، محمود علي الداود: ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي (مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد ٨ لعام ١٩٧٧) ص ١١ - ١٢.

الأخير بتحـــريض من سلطان بن حمير على مقاطعة السيب التابعة لنفوذ عمير أثناء غيابه عنها في بهلى[١]. فاستعان عمير بالبرتغاليين وبملك هرمز للاستيلاء على صحار. وفي مقابل مساعدته على الأخذ بثأره وافق على وضع صحـار تحت السيطرة البرتغالية. وانتصر عمير بن حمير وقتل خصمـه محمد بن مهنا الهـديفي في عام ١٦١٦ وعـاد إلى سمايـل بكثـير من الغنـائم. وبـاستيـلاء الـبرتغـاليـين عـلى صحـار تخلصـوا من منـافستهـا لميـنـاء مسقط الخـاضـع لاشرافهم[٢].

وقام عمير بن حمير بدور مهم في حسم النزاع بين مالك بن أبي العرب شيخ الرستاق ومن زعماء اليعاربة[٣] وبين بني لمك حيث وقف عمير إلى جانب مالك وحشد القبائل لنصرته في عام ١٦١٧. وبفضل المساعدة العسكرية التي قدمها عمير تمكنت قوات مالك من القضـاء على قـوات بني لمك، ونجـح اليعاربة في توطيد حكمهم في الـرستاق والاطـاحة بحكم ملوك بني نبهـان وطردهم من موطنهم الاصلي في حجر[٤].

وعندما اشتد ظلم الحكام للرعية، وانتشرت الفوضى في مختلف أنحاء عمان وزادت حدة الصراعات القبلية وانغمست معظم القبائل العمانية فيها[٥] اجتمع حوالي سبعين من كبار العلماء ورجال الدين في الرستاق والحوا على ناصر بن مرشد قبول البيعة بالإمامة فقبلها في عام ١٦٢٤.

---

(١) Miles, S B Op. Cit. p. 183.

(٢) نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٨٨ - ٣٩٨. وانظر أيضاً، عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية. (بيروت، ١٩٧٥) ص ٤٠ - ٤٣.

(٣) ينتسب اليعاربة إلى نصر بن زهران. وهم أحد بطون بنى نبهان التي هاجرت من اليمن، وقد تمتعت قبيلة اليعاربة كغيرها من القبائل العمانية باستقلالها وتميزت عنها بالاستقرار شأن غيرها من القبائل العربية التي أقامت في الرستاق. انظر: نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٣ - ١١. وانظر أيضاً، سالم بن حمود السيابي: اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان (؟، ١٩٦٥) ص ١١٩ - ١٢٠.

(٤) لوريمر، ج، ج: دليل الخليج - القسم التاريخي (الدوحة، ١٩٧٦) ج ٢ ص ٦٢٩ - ٦٣١.

(٥) Miles, S.B. Op. Cit p. 192.

الإمام ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩).

بدأ الإمام ناصر بن مرشد عهده بتوحيد عمان ونجح في القضاء على معارضة شيخ الرستاق مالك بن أبي العرب وعلى منافسة القبائل لبعضها[١] ودخلت نزوى وسمايل وأزكى وغيرها في طاعته ثم توجه إلى الظاهرة وصم فدك وعبرى ومقنيات، وحظي الإمام ناصر بن مرشد بتقدير واحترام الأهالي في عمان لعدله ونزاهته وقوة شخصيته وحياته البسيطة والبعيدة عن الترف[٢]. وبعد أن فرغ الإمام ناصر بن مرشد من توحيد القبائل العمانية كرس جهوده لتحرير الساحل العماني من الاحتلال البرتغالي وأعلن الجهاد ضدهم وتمكن من طردهم من معظم مراكزهم المنيعة، فاستولى على جلفار واسترد صحار في عام ١٦٤٣. ولكن الحامية البرتغالية في مسقط قاومت الحصار الذي فرضه الإمام عليها في عام ١٦٤٣، ولذلك تم الاتفاق معها على دفع الجزية للإمام بانتظام والسماح لعرب عمان بحرية التجارة، كما تعهدت الحامية البرتغالية بالامتناع عن القيام بحركات معادية وهدم التحصينات البرتغالية في سمد وقريات في مقابل احتفاظها بمسقط[٣].

ولكن البرتغاليين خالفوا شروط الاتفاق، وقدموا مساعدة إلى سيف بن محمد شيخ ليواو عدو الإمام ناصر بن مرشد[٤] وأساءوا معاملة مبعوثي الإمام ورفضوا دفع الجزية باعتبارها اذلالاً لهم. وأمرت السلطات البرتغالية في جاوه باستئناف الحرب ضد الامام ناصر بن مرشد الذي جهز حمله عسكرية في عام ١٦٤٨ أرغمت الحامية البرتغالية في مسقط على القبول بشروط إتفاقية ١٦٤٣ مرة أخرى.

---

(١) Strandes, Justus. The Portuguese Period In East Africa. (Translated From The German, By Jean F. Wallwork. Nairobi 1968) p 197

(٢) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 286.

(٣) جمال زكريا قاسم: دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٨٤١ ـ ١٨٦١ (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٢٠ ـ ٢١.

(٤) Miles, S B. Op. Cit. p. 194.

الإمام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٦٨)

بعد وفاة الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٤٩ بويع ابن عمه سلطان ابن سيف بالإمامة، وتمكن من الاستيلاء على مسقط(١) في رجب ١٠٥٩ هـ/ كانون الثاني (يناير) ١٦٥٠ وانتزع صور وقريات على الساحل العماني من البرتغاليين ثم تتبعهم إلى سواحل الهند الغربية وافريقية الشرقية(٢) وفرض الحصار على ممباسة في عام ١٦٦٠ لمدة خمس سنوات، وغنم كثيراً من أموالهم ودمر كثيراً من مراكبهم وأرسل السفن لمهاجمة مواقعهم في ديو ودامان في ساحل كجرات وحمل معه التحف الذهبية والفضية من الكنائس البرتغالية فيها(٣).

ونجح الإمام سيف بن سلطان في تقوية مركزه العسكري في الخليج العربي وتمكن من تأسيس أسطول قوي ضم بواسطته عدة جزر في الخليج مثل قشم والبحرين(٤). أما في الداخل فقد اهتم الامام باجراء اصلاحات عسكرية وعمرانية، فبنى قلعة مستديرة في نزوى وأصلح القناة التي تصل بين أزكى ونزوى واهتم بالتجارة وأرسل مبعوثيه إلى حكام الهند وفارس والبصرة، وقد أدى انشغال الإمام بالتجارة إلى نفور رجال الدين منه لأنها لا تليق بمركزه الديني من وجهة نظرهم(٥). ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت عمان في عهد الإمام سيف بن سلطان وسادها الهدوء والاستقرار وعمها الرخاء فأمنت طرقها وزادت ارباحها التجارية.

الإمام بلعرب بن سلطان (١٦٦٨ - ١٦٨٨).

بويع له بالإمامة بعد وفاة والده سلطان بن سيف ونقل عاصمته من

---

(١) استولى الامام سلطان بن سيف على مسقط بمساعدة سكبيلة الهندي الذي أخبره بالموعد المناسب للهجوم على الحامية البرتغالية فيها ولذلك رفع الامام الجزية عن سكبيلة ونروتيم وذويهما. انظر. نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٤٥ - ٦٧.

(٢) محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٣) Badger, George Percy - Translator - History Of The Imams And Seyyids Of Oman. By Salil-Ibn-Razik. From: 66 - 1856. (U.S.A. 1963) p.XXVII

(٤) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

(٥) Miles, S.B. Op. Cit. p. 213.

نزوى إلى جبرين بعد أن بنى حصناً فيها، وأكثر من بناء القلاع والحصون في عمان. وفي آخر عهده ثار عليه أخوه سيف، وعندما عجز بلعرب عن حرب أخيه اجتمع أعيان عمان وبايعوا سيفاً بالإكراه[1] بعد أن نجح في فرض سيطرته على القلاع الرئيسية في عمان وحاصر أخاه بلعرب في قلعة جبرين، وبوفاة بلعرب ـ أثناء الحصار[2] انفرد سيف بن سلطان بحكم عمان.

الإمام سيف بن سلطان (١٦٨٨ ـ ١٧١١)

بلغت عمان في عهده أوج قوتها وازدهارها؛ فقد اهتم بالزراعة لاسيما زراعة النخيل التي قدرت ثروته منها بثلث نخيل عمان[3]. فزرع في بركا ثلاثين ألف فسيلة نخل وستة آلاف شجرة من جوز الهند[4]. ويبدو أنه قد استفاد من حصته في الغنائم في بناء الحصون وامتلاك الأراضي. كذلك أصلح الافلاج القديمة وبنى أخرى جديدة في الرستاق.والحزم وغيرها حيث أجرى في عمان سبعة عشر فلجاً[5]. وازدهرت في عهده تجارة عـمان الخارجيـة بفضل أسطوله البحري الذي ضم ٢٨ سفينة و٢٤ مركباً. وكان الفلك أكبر سفن الاسطول وحمل ٨٠ مدفعاً من عيار ٢٨ بوصـة واستفاد الإمام من طموح القبائل العمانية ونزعتها الحربية فوجهها نحو الجهاد ضد البرتغاليين[6] حتى تمت له الغلبة عليهم وتعقبهم في ممتلكاتهم الهنديـة والافريقيـة فهاجم ديـو وامتـدت غزواتـه إلى ساحـل كجرات وبـارسالـور ومانجـالور بـالقرب من بومباي[7] وأخذ منهم ممباسة وكيلوه وبات وغيرها من المـوانئ الساحليـة في

---

(١) يرى بعض العلماء ورجال الدين في عمان أن بيعة سيف بن سلطان غير صحيحة لأنها تمت بالاكراه، انظر، نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٧٦ ـ ٩٦.

(٢) محمد بن عبدالله السالمي وناجي عساف: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨.

(٣) Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (London 1931) p. 119; Miles S.B. Op. Cit. p. 225.

(٤) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، (لندن،؟) ص ٣٨.

(٥) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٩٧ ـ ١٠٠. وانظر أيضاً.
Skeet, Ian. Muscat And Oman. (London 1974). p.39.

(٦) Ingrams, W.H. Op. Cit. p. 120; Miles, S.B. Op. Cit. p. 225.

(٧) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

شرق أفريقية، وغزا فارس. وبعد وفاته في الرستاق في عام ١٧١١، أخذ ازدهار عمان يخبو سريعاً.

الإمام سلطان بن سيف (١٧١١ ـ ١٧١٨)

بويع له بالإمامة بعد وفاة والده سيف بن سلطان واهتم بالعمران وأنفق أموالاً كثيرة عليه، وبنى حصن الحزم وانتقل اليه من الرستاق، واطاعته الرعية. وأخرج الفرس من جزر البحرين وقشم ولارك وهرمز، وبعد وفاته في حصن الحزم في عام ١١٣١ هـ/ ١٧١٨ م عمت الفتن عمان وانتشرت الفوضى وعادت العصبية القبلية إلى عمان من جديد[١]. فقد حدث خلاف بين العلماء والعامة. فبينما بايع العلماء مهنا بن سلطان بن ماجد رغب زعماء القبائل في مبايعة سيف بن سلطان إماما على الرغم من صغر سنه[٢]. وقد أدى هذا الخلاف إلى قيام منافسة شديدة تطورت إلى حرب أهلية خلال الفترة (١٧١٨ ـ ١٧٢٨) بين مؤيدي الجانبين.

الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد (١٧١٨ ـ ١٧٢٠)

لم يستمر مهنا بن سلطان في حكم عمان سوى فترة قصيرة، فقد خرج عليه يعرب بن بلعرب في عام ١٧٢٠ وقتله غدراً بعد أن منحه الامان.

الإمام يعرب بن بلعرب (١٧٢٠ ـ ١٧٢٢)

أقام يعرب فترة قصيرة بعد توليه الحكم في الرستاق ثم توجه إلى نزوى فدخلها في عام ١٧٢١، ولكنه أرغم على التنازل إلى سيف بن سلطان بعد أن حاصره اتباع سيف في قلعة نزوى واضطروه إلى طلب الامان والتوجه إلى جبرين حيث مات فيها في عام ١٧٢٢ وبويع سيف بن سلطان إماما وخضعت لحكمه القبائل العمانية[٣].

---

(١) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١١٠ ـ ١١٤. وانظر أيضاً، محمد بن عبدالله السالمي وناجي عساف: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٢) كان عمر سيف بن سلطان عند وفاة والده في عام ١٧١٨م اثني عشر عاماً.

(٣) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١١٥ ـ ١٢٤.

الإمام سيف بن سلطان (١٧٢٢ - ١٧٤٣)

بويع سيف بن سلطان بالإمامة في عام ١٧٢٢ بعد أربع سنوات من عدم الاستقرار في عمان (١٧١٨ - ١٧٢٢)، ولصغر سنه تولى محمد بن ناصر الغافري الحكم باسمه، وينسب إلى قبيلة بني غافر العدنانية وعرف اتباعه بالغافرية، وفي عام ١٧٢٤ انتخب محمد بن ناصر إماما على الدفاع[١] بتأييد من القبائل العدنانية. ولكن انتخابه لقي معارضة شديدة من خلف بن مبارك الهناوي الملقب بالقصير وينتسب إلى قبيلة بني هنا اليمنية وعرف اتباعه بالهناوية. وبدأت المعارك بين الغافرية والهناوية بالقرب من بركا حيث هزم محمد بن ناصر خلف بن مبارك وفرض الحصار عليه في حصن بركا، ولكنه اضطر للعودة إلى الرستاق التي حاصرها اتباع خلف بن مبارك وقتلوا حاكم قلعتها الغافري مما زاد في حدة الحرب بين الفريقين[٢].

ثم توسعت الحرب الأهلية في عمان لتشمل معظم القبائل العمانية، فقد تحالفت القبائل العدنانية في الشمال مع بنى غافر، بينما تحالفت القبائل اليمنية في الجنوب مع بني هنا. وهاجم محمد بن ناصر خلف بن مبارك بالقرب من حصن صحار وأرغمه على دخول الحصن وانتهت المعركة بمصرعيهما في عام ١٧٢٨[٣]

ومما يجدر ذكره أن انقسام أهل عمان خلال الحرب الأهلية إلى غافرية وهناوية لم يكن مبنيا تماماً على أساس التعصب القبلي بين عرب الشمال وعرب الجنوب. فقد أيدت بعض القبائل اليمنية الغافرية كما أيدت بعض القبائل العدنانية الهناوية، ويبدو أن المصالح الاقتصادية وأنظمة الأرض والزراعة - الافلاج - قد وحدت القبائل العمانية وفق أسس جغرافية[٤].

---

(١) يذكر نور الدين السالمي أن أكثر الأئمة في عمان بعد مهنا بن سلطان تمت مبايعتهم على الدفاع، أنظر، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ٢ ص ١٣٤ - ١٤٠.

(٢) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره: ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٨.

(٣) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١٣٤ - ١٤٠. وانظر أيضاً، جون ب. كيلي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٨ - ١٩.

(٤) محمد مرسي عبدالله: امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى. ١٧٩٣ - ١٨١٨ (القاهرة، ١٩٧٨) ص ٦٤ - ٦٧.

وبعد مصرع محمد بن ناصر الغافري في صحار خلفه ابنه ناصر ولكنه فشل في الاحتفاظ بالحكم وارغم على التخلي عن لقبه مع الاحتفاظ بجبرين.

وبويع سيف بن سلطان إماماً للمرة الثالثة في عام ٧٢٨، ولكنه أهمل شئون الحكم ومصالح البلاد فعزله أهل عمان فتوجه إلى نخل وأرسل خاله سيف بن ناصر إلى مسقط[١] التي ظلت على ولائها له فاعتصم بها وسيطر اتباعه على حصون الباطنة والرستاق، وطلب مساعدة الفرس فارسلوا اليه جيشاً بقيادة حاكم شيراز ميرزا تقي خان[٢].

الإمام بلعرب بن حمير (١٧٣٢ - ١٧٣٨)

انتخب أهل عمان بلعرب بن حمير إماما لهم في نزوى في عام ١٧٣٢ فسيطر على سمائل وأزكى وبهلى ونخل والشرقية وحصون الظاهرة، أما حصون الباطنة ومسقط والرستاق فقد ظلت تحت سيطرة سيف بن سلطان. وهزم الامام بلعرب القوات الفارسية التي استدعاها سيف بن سلطان لنجدته ولكن سيف استعان بالفرس مرة أخرى فنزلوا في خورفكان في عام ١٧٣٧ وتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على حصون الجو وضنك والغبى وبهلى وأرغم الفرس القبائل العربية في الظاهرة على دفع الخراج لهم.

واضطروا بلعرب بن حمير للتنازل عن الامامة إلى سيف بن سلطان لخوف أهل عمان منهم وهرب بلعرب من نزوى إلى وادي غافر. وقام الفرس بأفعال منكرة في نزوى ولم يسلم من آذاهم إلا من تمكن من الهرب. ولكن قلعة نزوى امتنعت على الفرس فتركوها إلى أزكى حيث صالحهم أهلها ومنها توجهوا إلى مسقط[٣].

(١) لما كان سيف بن سلطان قد بلغ سن الرشد في عام ١٧٢٨ فقد أقامه القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد اماما للمسلمين. انظر نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره. ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره: ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦. ويذكر محمد بن عبدالله السالمي: أن ميرزاتقي خان قد عاد إلى شيراز بعد وفاة سيف بن سلطان حيث دبر فيها ثورة فاشلة ضد نادر شاه، انظر، عمان، تاريخ يتكلم. ص ١٦٢.

(٣) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره: ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٦.

الإمام سلطان بن مرشد (١٧٣٨ - ١٧٤٣)

تمكن سيف بن سلطان من السيطرة على معظم حصون عمان واخضاع القبائل العمانية لطاعته بمساعدة الفرس، مما أدى إلى نقمة الأهالي عليه، لاستعانته بالفرس عليهم فقرروا عزله لظلمه ولسوء سيرته. واتفقوا فيما بينهم على انتخاب سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي إماما لهم في عام ١٧٣٨.

وسيطر الامام سلطان بن مرشد على حصون سمائل ونخل وازكى ونزوى - وبهلى، وسار على رأس قواته إلى الرستاق فرحب به أهلها[١]، وهزم سيف بن سلطان واضطره إلى الهرب من مسقط فتوجه مع بعض أتباعه إلى شيراز وعاد إلى عمان ومعه حوالي عشرين ألفاً من أهلها نزلوا في صحار. وجرت معركة أخرى بين الفرس والعرب بالقرب منها وتوفي الإمام سلطان بن مرشد متأثراً بجراحه في عام ١٧٤٣ بعد أن التجأ إلى أحمد بن سعيد في حصن العوابي ولحق به سيف بن سلطان بعد عدة أيام في الحزم[٢].

الإمام بلعرب بن حمير (١٧٤٣ - ١٧٥٣).

بايع أهل عمان بلعرب بن حمير إماما على الدفاع للمرة الثانية في عام ١٧٤٣، وفي آخر عهده خرج عليه أحمد بن سعيد حاكم صحار واخذ منه نزوى في عام ١٧٥٣[٣]، وتمكن أحمد بن سعيد من طرد الفرس من الساحل العماني.

وهكذا ضعفت دولة اليعاربة (١٦٢٤ - ١٧٥٣) بعد وفاة الإمام سلطان

---

(١) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٤. وقد نقم العلماء في عمان على سيف بن سلطان فحكموا في عهد بلعرب بن حصير بتفريق أمواله بعد وفاته لأنها جمعت ظلماً ولأنه جاء بالفرس إلى عمان فسفكوا الدماء وسبوا النساء ونهبوا الأموال. انظر، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦٧.

(٣) يذكر نور الدين السالمي أن بني غافر قد اخرجوا بلعرب بن حمير من ملكه واضطروه للاقامة في فلج الجبزيلي. انظر، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج٢ ص ١٦٠ - ١٦٧.

ابن سيف في عام ١٧١٨ وانهارت أجهزة الحكم والادارة فيها واشتد النزاع بين زعماء القبائل للاستيلاء على السلطة مما أدى إلى استمرار الحرب الأهلية في عمان والتي بدأت بانتخاب محمد بن ناصر الغافري إماما في عام ١٧٢٤، وغزت القوات الفارسية الأراضي العمانية.

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت دولة اليعاربة خلال الفترة - (١٦٢٤ - ١٧١٨) بحكومتها القوية الحازمة وبسيطرتها على أجهزة الحكم والادارة فيها. ولمواجهة مسئولياتها الجديدة اهتمت بالزراعة ونظمت الري فشقت الافلاج الجديدة واعتنت باصلاح القديمة منها، وتمتعت عمان في عهد اليعاربة بالرخاء والاستقرار وشهدت تقدماً في مجالات التجارة والزراعة، وأصبح لها جيش منظم وأسطول تجاري قوي لنقل المنتوجات والبضائع وتعقب البرتغاليين في السواحل العربية والهندية والافريقية.

القوة البحرية في عهد اليعاربة

اهتمت دولة اليعاربة منذ بداية حكم مؤسسها الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٢٤ وحتى نهاية عهد آخر حكامها الاقوياء الإمام سلطان بن سيف في عام ١٧١٨ بالعمل على استقرار الأمن الداخلي وتوفير الرخاء الاقتصادي وزيادة قوتها البحرية. فبدأ الإمام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٦٨) ببناء الاسطول العربي بعد طرده البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠ لشن الحملات البحرية ضدهم لطردهم من مراكزهم في الخليج العربي ومستعمراتهم في الساحل الشرقي لأفريقية، واستفاد الإمام من الهدوء والاستقرار في بلاده فنظم الحملات البحرية ضد البرتغاليين[1]. واشتبك معهم في حروب خاطفة وغير منتظمة منذ عام ١٦٦٧[2]. ووصف الدكتور فراير ـ الذي زار منطقة الخليج العربي في ذلك العام ـ العرب في مسقط بأنهم جوّابو بحر وبر وهم على الدوام ينهبون البرتغاليين وهم لا ينشدون أن يحصلوا على شيء بغير الغربات ويتلفون الاماكن الاكثر انفتاحاً على ساحل البحر وغير المحروسة[3].

وهكذا تحولت دولة اليعاربة في عهد الامام سلطان بن سيف إلى قوة بحرية مهمة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي ونمت بسرعة بعد أن

---

(١) (Miles, S.B. Op. Cit. p. 213.

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٧. ووصف فراير الذي زار منطقة الخليج في عام ١٦٦٧ العرب في عمان بأنهم «أقوياء» ومعتدون ويكسبون من القرصنة والتجارة» أنظر، لوريمر، ج. ج: دليل الخليج، ج ١ ص ١٣٢.

(٣) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره. ص ٣١٩.

توفرت لها الوسائل اللازمة لذلك. فقد كان للعرب في عمان خبرة بحرية اكتسبوها من عملهم في البحر خلال القرون السابقة للاحتلال البرتغالي للساحل العماني، فقد قامت السفن التجارية العمانية بنشر الاسلام في شرق[1] أفريقية وسواحل الهند وجزر الهند الشرقية، ومن العوامل الأخرى التي ساعدت اليعاربة في فرض نفوذهم السياسي والتجاري المنافسة الشديدة بين القوى الاوربية على الأسواق الشرقية. وأفاد اليعاربة من الصراع على السيطرة والنفوذ بين البرتغاليين والانكليز والهولنديين لتحرير بلادهم ومنطقة الخليج من السيطرة البرتغالية والدخول في علاقات عدائية مع الدولة الصفوية.

ولذلك يعتبر الإمام سلطان بن سيف واضع أساس البحرية العربية في النصف الثاني من القرن السابع عشر. ففي عهده أصبح لعمان أسطول بحري قوي حصلت عليه بالشراء والمصادرة واستفادت من خبرة الملاحين الاوربيين بعامة ومن خبرة الاسرى البرتغاليين بخاصة[2]. كما قام العرب في عمان ببناء السفن لمواجهة البرتغاليين في البحار من ناحية وللمحافظة على السواحل العربية من الاعتداءات البرتغالية من ناحية أخرى وبذلك أصبحت عمان أقوى قوة بحرية محلية في المياه الشرقية خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر[3].

وبلغت القوة البحرية العربية أوجها في عهد الإمام سيف بن سلطان (١٦٦٨ - ١٧١١) والملقب بقيد الأرض[4] حيث أصبح الأسطول العربي في عهده قوة بحرية مهمة في الخليج العربي والمحيط الهندي وتعقب البرتغاليين في سواحل الهند الغربية وأفريقية الشرقية. ففي عام ١٦٩٤ كانت موارد الإمام البحرية وفيرة للغاية مما مكنه من تجديد نشاطه البحري ضد البرتغاليين فأرسل

---

(١) Strandes, Justus. Op. Cit p. 198.

(٢) Hopwood, Derek. - Editor - The Arabian Peninsula, Society And Politics. (London 1972) p. 100.

(٣) Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967) p. 22.

(٤) لقب بقيد الأرض لضبطه البلاد وقيامه بالعدل فيها.

عدة حملات بحرية هاجمت المستوطنات البرتغالية في فارس والهند وأفريقية[١].

وفي عام ١٦٩٥ أخذ الإمام سيف بن سلطان في مهاجمة البرتغاليين في المحيط الهندي والصفويين في الخليج العربي. فقد أرسل حملة بحرية ضمت خمس سفن كبيرة عليها ألف وخمسمائة جندي ضد القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ الحقت بها أضراراً جسيمة وأسرت سفينة أرمنية كانت راسية في ميناء كونغ[٢]. وأصبحت الملاحة والتجارة في نهاية القرن السابع عشر في غاية الصعوبة في منطقة الخليج العربي[٣] وعانى الفرس أكثر من غيرهم من سطوة الأسطول العربي لعدم كفاءة الأسطول الفارسي الذي لم يتمكن من وقف الغارات البحرية العربية على السواحل الفارسية، ونتيجة للقوة البحرية العربية المتزايدة في مسقط ساد القلق والذعر القوى الاوربية والمحلية خوفاً من سيطرة العرب على منطقة الخليج وتوجهت السلطات الصفوية بطلب المساعدة من الأساطيل الانكليزية والهولندية[٤] والتي لم يكن في وسعها الوقوف في وجه القوة البحرية العربية خوفاً من تعريض مصالح بلادها الاقتصادية للخطر.

أما البرتغاليون فقد ضعف مركزهم في منطقة الخليج العربي وتداعت سيطرتهم في شرق أفريقية لعدة أسباب نذكر منها: عدم قدرة البرتغاليين على مقاومة الأمراض الاستوائية، والحروب المستمرة مع القبائل الافريقية في الداخل، واستمرار الثورات في المدن الساحلية بتأييد ودعم من اليعاربة، وظهور القوى الأوربية المنافسة لهم في المياه الشرقية، مما أدى إلى استنزاف القوة البرتغالية في الساحل الشرقي لأفريقية[٥].

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. p. 218.

(٢) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

(٣) توقع الوكيل الانكليزي في بندر عباس الكابتن برانغوين أن يصبح العرب في عمان طاعونا في الهند كما هو شأن الجزائريين في أوروبا. أنظر، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.

(٤) Amin, Abdul Amir. Op. Cit. p. 22.

(٥) Reush, Richard. History Of The East Africa (New York 1961) p. 257.

وقبل وفاة الإمام سيف بن سلطان في عام ١٧١١ وصل الأسطول العربي إلى باب المندب وبنى قلعة على ساحل مكران. وذكر الكابتن الكسندر هاملتون بأن الأسطول العربي قد ضم في آخر عهد الإمام سيف سفينة عليها ٧٤ مدفعاً وسفينتين على كل منهما ٦٠ مدفعاً وسفينة رابعة ذات ٥٠ مدفعاً بالاضافة إلى ثماني عشرة سفينة أخرى تراوح تسليحها بين ١٢ إلى ٣٢ مدفعاً إلى جانب عدد من القوارب المسلحة ذات ٤ إلى ٨ مدافع[١].

ومن الأسماء التي أطلقها الإمام سيف بن سلطان على سفن الأسطول العربي العظمة، والصالحي، والملكي، والرحماني والفلكي[٢]. وبمثل هذه القوة البحرية المهمة، تمكن اليعاربة من حماية سواحل بلادهم من القوى الاوربية وفرضوا نفوذهم السياسي والتجاري في منطقة الخليج العربي والساحل الشرقي لأفريقية، ونشروا الرعب والذعر لبعض الوقت في الأوساط الاوربية والمحلية في المياه العربية والهندية من رأس قومرون شرقاً إلى عدن غرباً، بعد أن شمل نفوذهم معظم الساحل العربي للخليج بعد استيلائهم على البحرين ووضع حامية لهم فيها[٣]، وامتداد سلطتهم على جزر كوريا موريا[٤].

ومهما يكن من أمر فقد سيطر الأسطول العربي في العقد الأخير من القرن السابع عشر على الطريق التجارية بين موانئ ساحل الهند الغربي وموانئ الخليج العربي. وطرد القوات البرتغالية من ممباسة وغيرها من الموانئ الساحلية في شرق أفريقية واستولى على الممتلكات البرتغالية فيها. ورد البرتغاليون على نشاط الأسطول العربي ضدهم بمحالاوت للتحالف مع الرؤساء المحليين في ساحل الهند وسومطرة لمنع رعاياهم من التجارة مع العرب. كما اتهموا المسئولين في الشركة الانكليزية بتزويد السفن العربية بالذخيرة والبارود[٥] مما

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 236 - 237.

(٢) سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ـ تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة، ١٩٧٩) ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p. 237.

(٤) لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٧.

(٥) Miles, S.B. Op. Cit. p. 218.

أدى إلى تدهور العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية في المياه الشرقية.

ومما يجدر ذكره أن اليعاربة لم ينقلوا عاصمتهم إلى مسقط بعد تحريرها من الاحتلال البرتغالي في عام ١٦٥٠ على الرغم من ازدياد نشاطهم البحري. فقد ظلت الرستاق أو نزوى أو غيرها من مدن عمان الداخلية عاصمة لهم. أما مسقط فاتخذوها قاعدة لاسطولهم وأصبحت في عهدهم مركزاً مهماً للتوزيع التجاري وللتزود بالماء والمؤن، وغدت من أهم الموانئ التجارية وتفوقت على غيرها من موانئ الخليج العربي ولقي التجار الأجانب معاملة حسنة في أسواقها وشكلت جماركها مورداً مالياً رئيساً لدولة اليعاربة، فحققت بذلك ازدهاراً تجارياً وتقدماً اقتصادياً ملحوظاً في الربع الأخير من القرن السابع عشر في ظل حكومة مركزية حازمة عادلة في الداخل وقوية مهابة في الخارج.

المقاومة العربية للاحتلال البرتغالي

بدأ العرب في منطقة الخليج العربي في مقاومة الاحتلال البرتغالي منذ وصول البرتغاليين إلى الساحل العماني، فقد نجح ألفونسو البوكيرك في رفع العلم البرتغالي فوق موانئ الخليج العربي منذ عام ١٥٠٧. ثم انتشرت القواعد العسكرية البرتغالية في هرمز والبحرين وقشم ومسقط بعد ذلك. واشتد الصراع بين العرب والبرتغاليين لاحتكار البرتغاليين التجارة لأنفسهم وإضعاف النشاط التجاري العربي في البحار الشرقية. ووقف المماليك ثم العثمانيون إلى جانب العرب في صراعهم ضد البرتغاليين لاعادة النشاط إلى الطرق التجارية القديمة ولكن دون جدوى، فقد استمرت السيطرة البرتغالية قوية على الساحل العماني حتى منتصف القرن السابع عشر. وقد مرت المقاومة العربية للاحتلال البرتغالي في ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: من وصول البوكيرك إلى الساحل العماني في عام ١٥٠٧ حتى استيلاء الفرس والانكليز على هرمز في عام ١٦٢٢.

المرحلة الثانية: من سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ حتى استرداد العرب مسقط في عام ١٦٥٠.

المرحلة الثالثة: من استرداد مسقط في عام ١٦٥٠ حتى مهاجمة القاعدة البرتغالية في كونغ في عام ١٦٩٥.

وسنعرض المراحل السابقة بايجاز:

المرحلة الأولى: (١٥٠٧ ـ ١٦٢٢)

وبدأت بوصول الأسطول البرتغالي بقيادة الفونسو ـ البوكيرك إلى قلهات

في عام ١٥٠٧ ثم تمكن من اقتحام قريات بعد مقاومة عنيفة من سكانها كلفتهم ثمانين رجلاً بينما خسر البرتغاليون ثلاثة من جنودهم. وبعد أن أمر البوكيرك بنهب المدينة أحرقها مع أربع عشرة سفينة عربية وجدها راسية في مينائها.

ومن قريات توجه البوكيرك إلى مسقط على بعد ثمانية فراسخ منها فوصلها بعد أربعة أيام من مغادرته قريات. وكانت مسقط محروسة جيداً بعد أن علم سكانها بالتدمير الذي حل بقريات[١] ووصفت آنذاك بأنها الميناء الرئيسي في الساحل العماني ولها ميناء حصين للغاية[٢]. وبعد تدمير مسقط أقلع الأسطول البرتغالي نحو صحار وكان فيها قلعة كبيرة تستوعب ألف مقاتل، وعلى الرغم من ذلك وافق حاكمها على دفع الجزية إلى ملك البرتغال[٣]. ومن صحار مضى الأسطول البرتغالي إلى خورفكان الحصينة والتي وصفت آنذاك بأنها مدينة واسعة يكثر فيها التجار الهنود وتصدر الخيول إلى الهند، وتزدهر فيها زراعة القمح والدخان والبرتقال والليمون والتمور والموز والتين[٤].

وقاوم السكان في خورفكان البوكيرك، فهاجم الأسطول البرتغالي المدينة وأحرقها، وصلم جنوده آذان الاسرى وجدعوا أنوفهم.

وهكذا الحق البوكيرك بالموانئ العربية أضراراً بالغة. وشهد الساحل العماني منذ البداية عنف وقسوة الاساليب البرتغالية للسيطرة العسكرية والتجارية على المياه الشرقية، ولكن على الرغم من ذلك ثار العرب في الساحل العماني ضد الاحتلال البرتغالي في عام ١٥١٩ كما ثار العرب في البحرين في عام ١٥٢١. وحرض ملك هرمز (توران شاه) حكام الساحل العماني التابعين له على الثورة في ٢١ تشرين الثاني ١٥٢١، ولكن البرتغاليين تمكنوا من القضاء عليها.

---

(١) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٦.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 145.

(٣) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٧.

(٤) Miles, S.B. Op. Cit. p. 151.

وعلى الرغم من ذلك لم تهدأ المقاومة العربية في الساحل العماني فنشبت ثورة في قلهات ومسقط في عام ١٥٢٦، قضى البرتغاليون عليها في عام ١٥٢٨ وبدأوا في بناء قلعتي الجليلي والميراني واتخذوا القلعة الأخيرة مركزاً رئيساً لحاميتهم في مسقط، ثم تغلغل البرتغاليون حتى وصلوا إلى شط العرب شمالاً وانفردوا بالسيطرة على منطقة الخليج العربي دون أن تنازعهم قوة أخرى فيه حتى ظهرت القوة البحرية العثمانية في منتصف القرن السادس عشر وتمكنت من طردهم من القطيف والبحرين ومسقط لفترة قصيرة واضطرتهم إلى الانسحاب جنوباً نحو هرمز وأصبحت البحرين حداً فاصلاً بين الجانبين.

ولكن البرتغاليين نجحوا في القضاء على القوة البحرية العثمانية وبسطوا سيطرتهم ونفوذهم على معظم سواحل الخليج العربي مرة أخرى قبل أن يطردهم الفرس والانكليز من قلعتهم الرئيسية في جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢. وساهم العرب في الساحل العماني مع الشاه الصفوي عباس الأول في الاستيلاء على جلفار نكاية بالبرتغاليين الذين أرغموا القبائل العربية على دفع الجزية لملك البرتغال بواسطة حامياتهم العسكرية المنتشرة على طول الساحل العماني من صور جنوباً حتى جلفار - رأس الخيمة - شمالاً[١].

المرحلة الثانية: (١٦٢٢ - ١٦٥٠)

انتقل البرتغاليون بعد طردهم من هرمز في عام ١٦٢٢ إلى مسقط، وتمكن القائد البرتغالي روي فرايري من استعادة صحار من الفرس وازدادت أهمية مسقط لكثرة الوافدين عليها. وحاول البرتغاليون تأمين استمرار تجارتهم في الخليج العربي[٢] بالوسائل السلمية بعد أن عجزوا عن تحقيق ذلك بالقوة العسكرية.

ولكن بعد عامين من خسارة البرتغاليين هرمز أقامت دولة اليعاربة في عمان الداخلية في عام ١٦٢٤. ولما كانت التركة التي ورثتها مثقلة بالفوضى

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، (القاهرة، ١٩٧٤) ص ٤٥.
(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p 193.

لضعف السلطة المركزية في عهد ملوك بني نبهان فقد انصرفت جهود مؤسسها الإمام ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) إلى توحيد القبائل وتوطيد الأمن وتثبيت الاستقرار في عمان الداخلية وبعد أن نجح في تحقيق ذلك أخذ في شن سلسلة من الهجمات على البرتغاليين.

ففي عام ١٦٤٠ أبلغ بعض العاملين العرب في مركز جمارك مسقط الإمام ناصر بن مرشد بنقص جنود الحامية البرتغالية فيها لارسال كثير منهم في حملة بحرية بعيدة عنها، فهاجم الإمام مسقط، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها. غير أن ذلك الهجوم كان مقدمة لهجمات أخرى أشد خطورة على الوجود العسكري البرتغالي في الساحل العماني، فقد تمكنت قوات الإمام في ٧ تشرين الثاني ١٦٤٣ من الاستيلاء على صحار وطرد الحامية البرتغالية منها[١].

أما الضربة القوية التي اطاحت بكبرياء وغطرسة البرتغاليين في منطقة الخليج العربي فقد حدثت في عام ١٦٤٨ عندما فرضت قوات الإمام ناصر ابن مرشد[٢] حصاراً محكماً على مسقط في آب ١٦٤٨ دام ثلاثة أشهر استولت خلالها القوات العربية على الدفاعات البرتغالية الخارجية. وأرغمت الحامية التي انهكها الجوع والمرض وأضعفها نفاد الذخيرة[٣] على طلب الصلح وفرض اليعاربة شروطهم التي رفضتها الحامية البرتغالية في البداية ولكنها اضطرت في ٣١ تشرين الأول ١٦٤٨ للموافقة عليها بعد سيطرة القوات العربية على المرتفعات المحيطة بالقلعة. وقد نصت شروط

---

(١) Strandes, Justus. Op. Cit p. 197.

(٢) اختلفت المصادر التاريخية في تحديد اسم القائد العسكري للحملة. ففي رواية انه القاضي خميس بن سعيد الشقصي، وفى رواية أخرى انه سعيد بن خليفة وفي رواية ثالثة انه مسعود بن رمضان.

(٣) يذكر لوريمر، أن الطاعون قد فتك بالحامية البرتغالية وبلغ عدد صحاياه في مسقط حوالي خمسين نسمة في اليوم. أنظر، دليل الخليج. ج ٢ ص ٦٣٤ ـ ٦٣٥. وانظر أيضاً.

Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914) p. 40.

الاتفاقية[1]على ما يلي:

١ - يتعهد البرتغاليون بدفع الجزية السنوية للإمام بانتظام.

٢ - يمتنع البرتغاليون عن القيام بأعمال عدائية ضد العرب، وعن بناء تحصينات جديدة لهم مع هدم جميع التحصينات البرتغالية خارج مسقط وحياد مطرح وتدمير التحصينات العربية والبرتغالية فيها.

٣ - حرية العرب في عمان في الملاحة والتجارة وأن لا يدفعوا ضرائب أو جمارك عن بضائعهم أو أنفسهم عند دخولهم مسقط وخروجهم منها.

٤ - حرية السفن العربية في الابحار إلى خارج مسقط دون تفتيشها ولكن عليها الحصول على تصريح من السلطات البرتغالية في طريق عودتها.

وهكذا تضمنت الشروط السابقة التي فرضها الامام ناصر بن مرشد على القائد البرتغالي العام في مسقط الدون جوليا دي نورونها - اضعاف السيادة البرتغالية في الخليج العربي وحرمان الحامية البرتغالية في مسقط من مواردها المالية[2]. كما بينت الاتفاقية السابقة أن السيطرة البرتغالية على مسقط تسير نحو نهايتها المحتومة وما على العرب سوى حشد قوات أكبر والقيام بهجوم شامل على الحامية البرتغالية في مسقط[3].

ولذلك رفض ملك البرتغال الشروط السابقة واعتبرها اهانة شخصية له واذلالاً لشرف بلاده، وأمر باعلان الحرب مرة أخرى ضد العرب في عمان.

استرداد مسقط (٢٣ كانون الثاني ١٦٥٠)

عقد الامام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٦٨) العزم على طرد

---

(١) انظر شروط الاتفاقية في:

Danvers, F.C. Report On Portuguese Records (London 1892) p. 122; Danvers, F.C. The Portuguese In India Vol. II (London 1894) p. 296; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 197; Foster, William. The English Factories Vol. VIII. (Oxford 1914) p 223.

(٢) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.
وانظر لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٥

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p. 210.

البرتغاليين من مسقط فقاد حملة عسكرية من الرستاق وقام بعدة هجمات على مسقط ولكن دون جدوى إلى أن تلقى رسالة من التاجر الهندي نورتيم تضمنت معلومات عن نقص الماء في الآبار والذخيرة لدى الحامية البرتغالية[١].

وفي الوقت المحدد في رسالة نورتيم أحاطت قوات اليعاربة بالحامية البرتغالية في هجوم ليلي مفاجىء وتسلقت الأسوار واندفعت باعداد كبيرة في شوارع مسقط وأسواقها وقتلت كثيراً من البرتغاليين[٢] بعد أن اخترقت دفاعات الحامية ذات الحراسة الضعيفة، وطردت الجنود البرتغاليين من بوابتي المدينة وطاردتهم بعنف في شوارعها، واضطرت قائد الحامية البرتغالية لاصدار أمره بالانسحاب إلى القلعة [٣] بعد أن فقد معظم السلاح والذخيرة بعد خسارته مركز الوكالة التجارية البرتغالية. ثم أرغمت حامية القلعة على الاستسلام [٤] في ٢٣ كانون الثاني ١٦٥٠.

وكانت أنباء حصار مسقط قد وصلت إلى الهند في ١٨ كانون الثاني ١٦٥٠ فأمر نائب ملك البرتغال في جاوه بارسال أسطول لنجدتها[٥] ولكن بعد فوات الأوان. وباسترداد مسقط خسر البرتغاليون آخر قلعة حصينة لهم في منطقة الخليج العربي وحاول نائب ملك البرتغال في جاوه استعادتها مرة أخرى فأرسل اليها أسطولاً في أوائل عام ١٦٥٢ ولكن قائده تهيب من مواجهة الأسطول العربي خوفاً من مدفعية قلعة مسقط[٦].

---

(١) Skeet, Ian. Op. Cit.p. 33.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 195 - 196.

(٣) كانت ميراني قلعة مسقط الرئيسية؛ وقام البرتغاليون في عام ١٦٣٤ بتقويتها وترميمها، وفي عام ١٦٤٩ كانت قوية للغاية. أنظر لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٣ - ٦٣٤.

(٤) بلغ عدد جنود حامية القلعة حوالي سبعين جندياً برتغالياً، لم ينج منهم إلا من اعتنق الاسلام. وتذكر بعض المصادر البرتغالية أن خسائر العرب في الهجوم بلغت حوالي أربعة الآف رجل. أنظر.

Strandes, Justus. Op. Cit. p. 198; Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 285.

(٥) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٦.

(٦) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٨.

وهكذا أسدل الستار على الغزو البرتغالي للساحل العماني الذي قام به الفونسو البوكيرك بعد احتلال دام حوالي قرن ونصف. ومن آثارهم بعض القلاع العسكرية والكنائس. واعقب تحرير الساحل العماني من الاحتلال البرتغالي هجرة القبائل العربية من الداخل نحو الساحل لاستئناف نشاطها القديم في الملاحة والتجارة والغوص[١].

المرحلة الثالثة: (١٦٥٠ ـ ١٦٩٥)

أدى طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠ إلى زيادة عداء العرب للوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي فوقعت بين الجانبين معارك برية وبحرية ولم تتمكن السلطات البرتغالية في لشبونة وجاوه من إعداد حملة بحرية ناجحة لاستعادة مسقط، ولذلك أبقى البرتغاليون على حرب متقطعة ضد العرب بارسال سفنهم الحربية بين الحين والآخر إلى مياه الخليج العربي للانتقام من الساحل العماني[٢].

ولم يكتف الامام سلطان بن سيف بطرد البرتغاليين من مسقط بل أعلن الجهاد ضدهم وطاردهم في موانئ الخليج العربي وتعقبهم حتى سواحل الهند وأفريقية الشرقية[٣]. وعمل على انهاك القوة البرتغالية في المحيط الهندي بالاغارة على مواقعهم البرية والبحرية ومضايقتهم باستمرار. واتبع ضدهم سياسة عدائية لاسيما بعد أن ألهب النصر الذي حققه اليعاربة على البرتغاليين في مسقط حماسة العرب في منطقة الخليج الذين اكتسبوا خبرة من صراعهم الطويل ضد البرتغاليين فأصبحوا قوة بحرية ذات شأن كبير هددت المصالح البرتغالية في المياه الشرقية[٤].

---

(١) محمد مرسي عبد الله: أبو ظبي بين الأمس واليوم ـ. (أبو ظبي، ١٩٦٩) ص ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p.211.

(٣) Gray, John. History Of Zanzibar From The Middle Ages To 1856. (London 1962) p. 51.

(٤) Bradly - Birt, F.B. Persia. Through Persia From The Gulf To The Caspian. Vol. XX. (U.S.A. 1910) p. 9.

وبحث البرتغاليون بعد طردهم من الساحل العماني عن قاعدة جديدة لهم على ساحل لار الفارسي أو ساحل الاحساء العربي، وكانوا قد حصلوا من الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) على امتيازات تجارية في جزيرة كونغ مماثلة للامتيازات التي حصل عليها الانكليز في ميناء جمبرون ـ بندر عباس. ولكن جزيرة كونغ كانت قليلة الأهمية بالنسبة للتجارة الهندية. كما عجز البرتغاليون بعد طردهم من مسقط عن ارغام السفن التجارية على الرسو فيها[١] ووجدوا صعوبة في تحصيل نصيبهم من العائدات المتأخرة والمستحقة لهم على الحكومة الصفوية واضطروا خلال الفترة (١٦٧٠ ـ ١٦٨٢) للقيام بعدة مناورات لاظهار قوتهم البحرية لارغام الشاهبندر الفارسي على دفع بعض المبالغ المستحقة لهم، ولكنه امتنع عن الدفع بعد عام ١٧١١.

وكان وضع القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ حرجا في عام ١٦٦٩. فقد أمّلت الحامية البرتغالية فيها وصول نجدات عسكرية اليها من جاوه لتعزيز موقفها لتتمكن من مواجهة الحملة العربية التي توجهت إلى كونغ وضمت ست سفن حربية اشتبكت مع الأسطول البرتغالي الذي ضم ست سفن حربية وتسع عشرة فرقاطة. وقتل في المعركة القائد البرتغالي مع عدد من جنوده واضطر الأسطول البرتغالي للعودة إلى جاوه حيث بدأت السلطات البرتغالية فيها في تجهيز حملة بحرية أخرى ضد مسقط[٢]. ثم توجه الأسطول العربي إلى ميناء جمبرون الفارسي. وعندما تأكد من عدم وجود سفن برتغالية في الميناء غادرها دون أن يلحق بها أذى، ولكن ظهوره المفاجئ سبب ذعراً شديداً في المدينة وخشي الشاه الصفوي من نتائج الهجوم العربي على القاعدة البرتغالية في كونغ فوضع الحاميات الفارسية في هرمز ولار وقشم في حالة تأهب للدفاع عنها[٣].

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٧ ـ ١١٥.

(٢) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India 1668 - 1669. By William Foster. Oxford 1927) p. 200.

(٣) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India. 1668 - 1669) p. 211 - 212.

وتجددت الاشتباكات البحرية بين الأسطولين العربي والبرتغالي. ففي عام ١٩٧٣ أعلنت السلطات البرتغالية في جاوه الحرب ضد اليعاربة، ولكن القوات البرتغالية لم تجرؤ على مهاجمة السفن العربية[١]. أما الأسطول العربي فقد هاجم في عام ١٦٧٤ الممتلكات البرتغالية في سواحل الهند وأنزل حوالي خمسمئة من رجاله، تمكنوا من الاغارة على المستعمرة البرتغالية بالقرب من باسين وجردوا كنيستها من التحف الذهبية والفضية. ولم تجرؤ الحامية البرتغالية فيها على الخروج من القلعة لرد المهاجمين كما لم يجرؤ البرتغاليون على الأخذ بثأرهم من هذه الغارة التي ألحقت ضرراً بالغاً بسمعتهم في المياه الشرقية واكتفوا بارسال سفينة حربية عليها حوالي ستين جندياً لتهدئة الهياج الذي سببه ظهور الأسطول العربي في ساحل الهند الغربي[٢]. وما لبثت التجارة البرتغالية في كونغ أن ضعفت بعد هجمات العرب عليها، لاسيما بعد خوف التجار الهنود على بضائعهم وامتناعهم عن التردد عليها[٣].

وخلال العقد الأخير من القرن السابع عشر وقعت عدة اشتباكات بحرية بين الجانبين فشل البرتغاليون خلالها في إلحاق هزيمة حاسمة بالعرب أو منعهم من الحاق خسائر جسيمة بمستعمراتهم[٤]، ففي كانون الثاني ١٦٩٥ قام العرب بغارة عنيفة على القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ والحقوا بها خسائر جسيمة عندما أرسلوا خمس سفن حربية كبيرة عليها ألف وخمسمئة من البحارة نهبوا الوكالة التجارية فيها وأوقعوا خسائر قدرت بحوالي مئتي ألف جنيه استرليني، ونهبوا الأشياء الثمينة منها وشحنوها على سفنهم وعلى سفن التجار الأرمن التي كانت راسية في ميناء الجزيرة[٥]، مما أدى إلى إثارة الذعر في بندر عباس خوفاً من مهاجمة العرب لها.

---

(١) Lockhart, Laurence,. The Menace Of Muscat And Its Consequences In The Late Seventeenth And Early Eightheenth Centuries. (The Asiatic Review, Vol. XLIII. N°. 152. London, Oct. 1946. pp. 363 - 369) p. 364.

(٢) Bombay, 1674. (The English Factories In India Vol. I. New Series 1670 - 1677. By Charles Fawcet. Oxford 1936). p. 84; Miles, S.B. Op. Cit. p. 216.

(٣) Hamilton, Alexander. Op. cit, p. 296.

(٤) Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 364.

(٥) Ibid. p. 364.

وعندما تورط البرتغاليون في عام ١٦٩٦ بالموافقة على مساعدة الصفويين في مشروعهم للهجوم على مسقط، رد الأسطول العربي على التعاون البرتغالي الصفوي بتدمير الوكالة البرتغالية في بارسالور ومانجلور وعاد بالغنائم الثمينة[١]. واضطرت السلطات البرتغالية في جاوه إلى حشد قواتها ووضعها في حالة تأهب. كما قام العرب بتدمير المصالح البرتغالية في شرق أفريقية مستفيدين من حالة الفوضى والاضطراب في الممتلكات البرتغالية في الهند. واستمرت المعارك البحرية بين الجانبين خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر[٢].

وقد أساء البرتغاليون معاملة الأسرى العرب، فعاملوهم بقسوة وضربوهم بالسياط واستخدموهم في الأشغال الشاقة في ظروف بالغة القسوة، بينما عامل العرب الأسرى البرتغاليين على نحو أفضل فمنحوهم الارزاق أو بدلها مرتين في الشهر اسوة بالجنود العرب وسمحوا لاصحاب الحرف منهم بممارسة الأعمال الحرة لافتداء أنفسهم[٣].

ومهما يكن من أمر فقد تدهور مركز البرتغاليين في منطقة الخليج العربي في نهاية العقد الثاني من القرن الثامن عشر ولم يبق في كنيستهم في كونغ في عام ١٧٢١ سوى راهبين عاشا على الاحسان[٤].

---

(١) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 290; Miles, S.B. Op. Cit. p. 220.

(٢) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي. ترجمة هاشم كاطع لازم (بغداد، ١٩٧٧) ص ٢٨. وانظر أيضاً، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٩.

(٣) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 289 - 290.

(٤) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٥.

الصراع العربي البرتغالي في شرق أفريقية

كانت مقديشو أول مدينة شيدها العرب على الساحل الشرقي لأفريقية، ثم تلتها براوة. واختلط المهاجرون العرب الذين قدموا من شرق الجزيرة العربية بالسكان الأصليين منذ الربع الأول من القرن العاشر الميلادي[1]. ثم وفد المهاجرون الفرس من منطقة شيراز في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي على كيلوه واستقروا فيها. واقامت الأسرة الشيرازية عدة مدن على الساحل الشرقي لأفريقية مثل سيوه وبات ولامو وسفالة[2]. أما الأسرة النبهانية العربية فقد استقرت في بات واتخذتها مركزاً لها في القرن الثالث عشر الميلادي. ورغم الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة النبهانية فقد شهدت بات والمناطق المجاورة لها تقدماً اقتصادياً ملحوظاً.

ومهما يكن من أمر، فقد ازدهرت التجارة العربية في تلك المدن الساحلية قبل وصول البرتغاليين إلى الساحل الشرقي لأفريقية في آخر القرن الخامس عشر. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية القرن السابع عشر بدأت مرحلة عنيفة من الصراع بين الامارات الاسلامية والاساطيل البرتغالية، واضطرت معظم الامارات الاسلامية خلال الربع الأول من القرن السادس عشر إلى

---

(١) ساعدت الرياح الموسمية في زيادة نشاط حركة الملاحة بين سواحل شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لافريقية. فخلال الفترة من كانون الأول حتى نهاية آذار من كل عام تتجه السفن العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقية لتعود منه خلال الفترة من نيسان حتى أيلول إلى السواحل العربية.

(٢) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقية. (حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس. المجلد العاشر لعام ١٩٦٧، القاهرة، ١٩٦٧. ص ٢٧٧ ـ ٣٤٠) ص ٢٨٧ ـ ٢٩٠.

دفع الجزية للبرتغاليين والاعتراف بسيادتهم عليها، ولم يتمكن العثمانيون بعد احتلالهم عدن في عام ١٥٣٨ من التأثير على مركز البرتغاليين المتفوق في الساحل الشرقي لأفريقية إلاّ في الربع الأخير من القرن السادس عشر ولفترة قصيرة[١].

ولكن النفوذ البرتغالي أخذ في التدهور في النصف الثاني من القرن السابع عشر. فقد أدى طرد البرتغاليين من هرمز في عام ١٦٢٢ ومن مسقط في عام ١٦٥٠ إلى انتشار الاضطرابات في الساحل الشرقي لأفريقية وأخذت ممباسة زمام المبادرة فالتمست من الامام سلطان بن سيف في عام ١٦٥٢ المساعدة في تحرير اخوانه العرب والمسلمين من الاحتلال البرتغالي. ولبّى الامام النداء وشرع في بناء القوة البحرية العربية وتوسع فيها، لتمكينها من تحدي القوة البحرية البرتغالية في المحيط الهندي[٢]. وحتى قبل أن يكتمل بناء القوة البحرية العربية قام الامام في عام ١٦٥٢ بغارة بحرية ضد ممباسة[٣] وهاجم زنجبار أيضاً وقتل عدداً من البرتغاليين.

وهكذا شجع اليعاربة على قيام عصيان عام مسلح في شرق أفريقية وتجددت الغارات العربية على المستوطنات البرتغالية في بات وزنجبار في عام ١٦٥٥[٤]. وبلغ الضعف بالبرتغاليين حداً لم يستطيعوا معه القيام بغارات ثأرية من العرب. ثم قاد الامام سلطان بن سيف أسطوله مرة أخرى في عام ١٦٦٠ وفرض الحصار على ممباسة وحقق نجاحاً ملحوظاً. ولكنه اضطر للعودة إلى عُمان لإعادة الاستقرار اليها[٥] بعد أن وصلته الأخبار عن غزو القبائل البدوية للأراضي العمانية وترك محمد بن مبارك والياً على ممباسة[٦].

---

(١) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

(٢) Ingham, Kenneth. A History Of East Africa (London 1962) p. 16; Badger, George Percy. Op. Cit. p. XXVII.

(٣) Coupland, R. East Africa And Its Invaders (Oxford 1938) pp. 65 - 66.

(٤) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٩٥.

(٥) Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (Holland 1967) pp. 119.

(٦) سعيد بن علي المغيري: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧ - ١٠٨ وأنظر أيضاً.
Reusch, Richard Op. Cit. pp. 265 - 266.

ولم يتمكن الامام من طرد البرتغاليون من قلعة يسوع في ممباسة بسبب النقص في وسائل الحصار[1] ولكن الأسطول العربي شن هجوماً شديداً على موزمبيق قبل عودته إلى مسقط[2].

وتابع الامام بلعرب بن سلطان سياسة والده في إعلان الجهاد ضد البرتغاليين فأرسل حملة بحرية في كانون الثاني ١٦٦٩ للاستيلاء على قلعة يسوع في ممباسة ضمت ٢٨ سفينة وعدداً كبيراً من الجنود[3]، ولكن البرتغاليين تمكنوا في عام ١٦٧٨ من الاستيلاء على بات وسيوه بعد حصارها أربعة أشهر[4]. وقتل البرتغاليون حكام المدن الاسلامية التي استولوا عليها. ورد الامام على ذلك بارسال حملة بحرية أخرى لاستعادة بات ونجح في ارغام البرتغاليين على الانسحاب منها إلى موزمبيق في كانون الثاني ١٦٧٩. غير أن البرتغاليين عادوا إلى بات مرة أخرى في عام ١٦٨٧ وارغموا حاكمها على طرد العرب منها والموافقة على بناء قلعتين فيها لاقامة الحامية البرتغالية[5].

واشتهر عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٨٨ - ١٧١١) بتنظيم الحملات البحرية لتدمير السفن والمستوطنات البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي. ففي عام ١٦٩٤ استولى الامام سيف بن سلطان على زنجبار وقاد حملة بحرية أخرى في عام ١٦٩٦ للاستيلاء على ممباسة؛ وقد ضمت الحملة سبع سفن حربية وعشرة قوارب وثلاثة الاف جندي. وبعد حصار دام ثلاثة وثلاثين شهراً (١٣ آذار سنة ١٦٩٦ لغاية ٢٣ كانون الأول ١٦٩٨) استولت القوات العربية على قلعة يسوع في ممباسة [6] وكان سقوطها عاملاً حاسماً أنهى الوجود البرتغالي في القسم الشمالي من الساحل الشرقي لأفريقية.

---

(١) Coupland, R. Op. Cit. p. 69.
(٢) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي. (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣٥ - ٣٦.
(٣) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٩٦ - ٩٧.
(٤) Reusch, Richard. Op. Cit. p. 266.
(٥) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٩٨.
(٦) Strandes, Justus. Op. Cit. pp. 52 - 54.

وفشلت محاولات السلطات البرتغالية في الهند لاستعادة ممباسة وقلعة يسوع رغم الحملات العسكرية التي أرسلتها لشبونة وجاوه في الأعوام ١٦٩٩، ١٧٠٣، ١٧١٠، ونسب البرتغاليون استيلاء العرب على ممباسة إلى امدادات الأسلحة والذخيرة التي قدمتها السلطات الانكليزية في بومباي للعرب وزعموا أن معظم سفن مسقط كانت بقيادة ضباط من الانكليز[١]. وبعد الاستيلاء على ممباسة نظم الامام سيف بن سلطان قواته في الساحل الشرقي لأفريقية واستولى على بمبا وكيلوه في عام ١٦٩٩. وخاف البرتغاليون بعد خسارتهم كيلوه على مركزهم في موزمبيق فحشدوا فيها قوة تمكنت من الاحتفاظ بها رغم حصار القوات العربية لها.

ولكن البرتغاليين عجزوا عن استعادة مستعمراتهم التي خسروها في عهد الامام سيف بن سلطان[٢] رغم تفوق السفن الحربية البرتغالية على السفن العربية بناء وتسليحاً لأن البرتغاليين افتقدوا القوة البحرية الكافية لالحاق الهزيمة بالعرب[٣]. ومما يجدر ذكره أن قليلاً من السفن الحربية العربية أو البرتغالية أغرقت أو تم الاستيلاء عليها خلال الصراع بينما أسرف الجانبان في الاستيلاء على السفن التجارية[٤].

ومهما يكن من أمر فقد تمت السيطرة لليعاربة على الساحل الشرقي لأفريقية من مالندي شمالاً حتى موزمبيق جنوباً وأقاموا حاميات عسكرية في المدن الساحلية وبعد أن عين الامام سيف بن سلطان ناصر بن عبدالله حاكماً على ممباسة والمناطق المجاورة لها عاد إلى عمان.

وهكذا نجح اليعاربة في نهاية القرن السابع عشر في طرد البرتغاليين من

(١) لوريمر، ج. ج مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) سعيد بن علي المغيري: مرجع سبق دكره، ص ١٠٨ وانظر أيضاً السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ٣٦.

(٣) Lockhart, Laurence. the Fall Of The Safavi Dynesty And The Afghan Occupation Of Persia (Cambridge 1958) p. 67.

(٤) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 289.

الساحل الشرقي لأفريقية، وأصبحت المناطق الساحلية مثل مقديشو وممباسة وكيلوه وبمبا وزنجبار تحت السيطرة العربية الفعلية منذ عام ١٦٩٩، فأوجد اليعاربة بذلك الأساس لحكمهم في أفريقية الشرقية[١]. ولكن النشاط الاقتصادي في عمان لم يتأثر كثيراً لأن اقتصاد الساحل الشرقي لأفريقية كان زراعياً ورعوياً، ولم يكن للصناعة دور مهم في المبادلات والمقايضات التجارية بين السكان.

وشكل العرب طبقة ارستقراطية في تلك الجهات. ومن الأسر العربية التي وفدت على الساحل الشرقي لأفريقية في القرن السابع عشر، الأسرة المزروعية والتي استقرت في ممباسة بتشجيع من اليعاربة لموازنة نفوذ الأسرة النبهانية ثم رأى اليعاربة في العقد الثالث من القرن الثامن عشر إحلال الأسرة المعمورية مكانها ونجح محمد بن سعيد المعموري في حكم الساحل الشرقي لأفريقية باسم اليعاربة حتى تمكنت الأسرة المزروعية من استعادة نفوذها وإعلان استقلالها عن حكام عمان في عام ١٧٤١. وجاء الهنود بعد العرب في المكانة الاجتماعية واهتموا بالنواحي الاقتصادية. وحصلوا على قدر من الثراء من حركة النقل والتجارة وغيرها[٢].

وظل اليعاربة في ممباسة حتى عام ١٧٢٨ عندما استولت البرتغال عليها مستغلة انشغالهم بالمنازعات الداخلية في عمان ولكن البرتغاليين فشلوا في الاستيلاء على زنجبار ولحقت بهم هزيمة منكرة[٣] في عام ١٧٢٩.

وتعود الانتصارات العسكرية التي حققها الأسطول العربي ضد البرتغاليين إلى قيادة الامام سيف بن سلطان معظم الحملات البحرية[٤].

---

(١) جون ب. كيلي: مرجع سبق ذكره، ص ١٧ ـ ١٨

(٢) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

(٣) محمود علي الداود: محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان. (القاهرة، ١٩٦٤) ص ٢٧.

(٤) Miles, S B. Op. Cit. p 225.

وإلى مشاركة العرب في منطقة الخليج العربي في المعارك واستنجاد السكان المحليين بالعرب وترحيبهم بهم وتقديم المساعدة العسكرية لهم؛ كما تعود أيضاً إلى تفوق العرب في الملاحة البحرية وضعف القوة البرتغالية في الشرق بسبب الادارة السيئة لتجارتهم ذات الاحتكار الملكي والتي لم تتمكن من الصمود في وجه المنافسة التجارية المنظمة للشركات الانكليزية والهولندية التي اعتمدت على المبادرات الفردية بدلاً من احتكار الدولة[1]. بالاضافة إلى الأساليب المستبدة والظالمة للحكم البرتغالي التي أثارت القوى المحلية ضدهم، واكتفاء البرتغاليين بانشاء القواعد البحرية لضمان سلامة مواصلاتهم بين لشبونة والهند[2] واعتمادهم على القوة العسكرية التي انهارت في النهاية لانعدام النظام والكفاءة في صفوف القادة والضباط.

(١) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٩.
(٢) جمال زكريا قاسم: دولة بو سعيد في عمان، مرجع سبق ذكره، ص٢١ - ٢٢.

العلاقات العربية ـ الصفوية

وعد البرتغاليون بتقديم مساعدتهم العسكرية للصفويين لتمكينهم من غزو البحرين والقطيف، ولكنهم استولوا على البحرين لحسابهم وأقاموا قلعة فيها وأخذوا الجزية من سكانها في عام ١٥١٥. وخلال الربع الأول من القرن السابع عشر قدم العرب مساعدتهم العسكرية للصفويين لتمكينهم من طرد الحامية البرتغالية في جلفار ـ رأس الخيمة في عام ١٦٢٠. وبعد استيلاء القوات الصفوية الانكليزية المشتركة على هرمز في عام ١٦٢٢ عقد الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) اتفاقاً مع البرتغاليين اعترف البرتغاليون بموجبه بانتقال جزيرتي هرمز وقشم إلى الصفويين في مقابل حصولهم على نصف العائدات الجمركية في ميناء كونغ الفارسي[1].

ولكن على الرغم من ذلك الاتفاق، بذلت الدولة الصفوية خلال الفترة (١٦٢٢ ـ ١٦٥٠) أقصى جهودها لمتابعة الانتصار الذي أحرزته على البرتغاليين في هرمز لطردهم من مسقط أيضاً. وبعد أن تمكن العرب في عمان من استرداد مسقط في عام ١٦٥٠ اشتبكوا مع الصفويين في صراع عنيف لوراثة النفوذ البرتغالي في منطقة الخليج العربي مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الجانبين.

وفي عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٨٨ ـ ١٧١١) ساءت العلاقات كثيراً لاسيما بعد أن علم الامام بمشروع الحملة الصفوية ضد مسقط، ولذلك حذر القوى الاوربية من تقديم المساعدة العسكرية للصفويين[2]. وترددت

(١) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p.219.

العلاقات بين الجانبين عندما جهز الامام سيف بن سلطان حملة بحرية ضد القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ في عام ١٦٩٥. وضمت الحملة خمس سفن حربية عليها ألف وخمسمئة رجل وكبدتها خسائر فادحة ونشرت الذعر والرعب في ميناء بندر عباس الصفوي قبل توجه الحملة العربية اليه، واضطرت السلطات الصفوية في الميناء إلى طلب المساعدة من الشركة الانكليزية التي وافقت على ابقاء إحدى سفنها الحربية في الميناء لمدة عشرين يوماً لحماية بندر عباس من الهجوم العربي المتوقع عليها[١].

وبعد الغارة العربية الناجحة على القاعدة البرتغالية في كونغ طلب الإمام سيف بن سلطان من الشاه حسين امتيازات مماثلة لتلك التي حصل عليها البرتغاليون في جزيرة كونغ، وهدده بالاغارة على بندر عباس ونهبها ومهاجمة الساحل الفارسي إذا لم يستجب إلى طلبه[٢]. وخاف الشاه حسين من التهديد. واضطر الحاكم الصفوي في بندر عباس لطلب المساعدة البحرية من وكيل الشركة الانكليزية. وبعد أن نوّه بأهمية التحالف الصفوي ـ الانكليزي في الخليج العربي طلب منه عدداً من السفن الحربية الانكليزية للدفاع عن بندر عباس ضد الحملات البحرية العربية المتوقعة عليها. كما طلب الشاه حسين بدوره المساعدة العسكرية من ممثل الشركة الانكليزية في أصفهان للدفاع عن السواحل الفارسية ومهاجمة مسقط وتوجه بطلب المساعدة إلى فرنسا أيضاً.

ولكن التماسات الشاه حسين لم تجده نفعاً، لاسيما بعد أن أعرب الانكليز والهولنديون عن عدم رغبتهم في تقديم المساعدة العسكرية له[٣]. ورفضوا التورط في حرب بين القوى المحلية غير مأمونة العواقب. وقد ضن الانكليز بالمساعدة العسكرية على الشاه حسين رغم خوفهم من أن يسبقهم الهولنديون في تقديم المساعدة العسكرية التي ينشدها الصفويون، مما سيؤدي

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.

(٢) Lockhart, Laurence. The Menace Of Muscat. p. 364.

(٣) Lockhart, Laurence, The Fall Of The Safavi Dynesty. p. 68.

إلى تفوق المصالح الهولندية في الممتلكات الصفوية والحاق الضرر بالمصالح الانكليزية فيها.

وخاف وكلاء الشركة الانكليزية في فارس من إمكانية قيام الهولنديين بمساعدة الصفويين، فاقترحوا على مسئولي الشركة في بومباي الاسراع في تقديم المساعدة العسكرية للصفويين حتى لا يسبقهم الهولنديون إلى ذلك، لاسيما بعد أن عرضت السلطات الصفوية على الشركة الانكليزية الحصول على امتيازات في مسقط، مماثلة لتلك الامتيازات الممنوحة لها في بندر عباس في مقابل التعاون معها في الهجوم على مسقط ولكن المسئولين الانكليز في بومباي قرروا أن القيام بأعمال عدائية ضد مسقط ليس في مصلحة الانكليز[1]، لأن السياسة العامة للشركة الأنكليزية آنذاك تمثلت في تجنب الأعباء العسكرية لاسيما البعيدة منها عن الهند مع استمرار الحرص على منع الهولنديين من تقديم المساعدة العسكرية للصفويين خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تفوق المصالح الهولندية على حساب المصالح الانكليزية في الخليج العربي. وظل القلق يساور المسئولين الانكليز حتى تخلت السلطات الصفوية عن فكرة الهجوم على مسقط.

ومهما يكن من أمر فقد تقدم البرتغاليون على نحو فظ ومتغطرس لمساعدة الصفويين للهجوم على مسقط ولكن عندما علم الامام سيف بن سلطان في عام ١٦٩٦ بأمر الاتفاق الصفوي - البرتغالي بادر إلى شن هجوم مفاجئ على المركز البرتغالي في مانجالور وقضى على القوة البرتغالية فيه. ووجه بذلك ضربة قوية للاتفاق السابق، كما ثار العرب العاملون في البحرية الصفوية في الخليج واستولوا على ثلاث سفن كبيرة وعدة مراكب شراعية وتوجهوا بها نحو الساحل العربي[2].

وهكذا برهنت المساعدة على عدم فعاليتها حين امتنع الانكليز والهولنديون عن تقديم المساعدة العسكرية للصفويين ضد العرب.

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.
(٢) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٦١، ١٧٧ - ١٧٨.

واضطر الصفويون لعدم كفاءة أسطولهم وعجزه عن مواجهة القوة البحرية العربية إلى طلب المساعدة العسكرية من فرنسا بعد فشلهم في الحصول على مساعدة عسكرية فعالة من البرتغاليين. وامتناع الانكليز والهولنديين عن تقديم المساعدة المنشودة في الوقت الذي عانوا فيه كثيراً من السيطرة العربية المتفوقة في مياه الخليج العربي[1]، فارسل الشاه حسين سفارة إلى باريس في آب ١٦٩٩ وبعد مفاوضات استغرقت فترة طويلة توصل الجانبان في عام ١٧٠٨ إلى عقد معاهدة تضمنت بعض البنود السرية مثل ارسال فرنسا أسطولها لمساعدة الشاه في الهجوم على مسقط واحتلالها.

وازدادت الغارات العربية ضد السفن والتجارة الصفوية وفرض اليعاربة الحصار على قلعة هرمز لمدة ستة أشهر بعد أن انزلوا حولها ستة آلاف رجل. ولما لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها اضطروا لرفع الحصار عنها، ولكنهم استولوا على جزيرتي قشم ولارك في عام ١٧١٧، وعندما ترددت فرنسا في طلب المساعدة العسكرية التي وعدت الصفويين بها لجأت السلطات الصفوية إلى طلب المساعدة من البرتغاليين مرة أخرى، فأرسل الشاه حسين سفارة إلى جاوه، وظنت السلطات البرتغالية في الهند أن الفرصة مواتية لاستعادة نفوذها السابق في الخليج العربي فارسلت أسطولها إلى جزيرة كونغ في شباط ١٧١٩ مما أدى إلى ظهور الأسطول العربي بالقرب من ميناء الجزيرة في آب ١٧١٩[2].

وفي العام التالي ١٧٢٠ استولى اليعاربة على البحرين بمساعدة القواسم[3] في جلفار ـ رأس الخيمة ـ ولكنهم اضطروا للانسحاب منها بعد جلاء سكانها عنها وبعد مقاومة الهولة لهم[4] ربما بسبب التنافس على

---

(١) Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 434; Amin, Abudl Amir. Op. Cit. p. 22.
(٢) Miles, S.B Op Cit. p. 199.
(٣) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 301; Ricks, Thomas Millet, Politics And Trade In Southern Iran And The Gulf. 1745 - 1765. (Indiana University 1975). p. 77.
(٤) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية، ١٧٥٠ ـ ١٨٠٠. نشأة وتطور الكويت والبحرين. ترجمة محمد أمين عبد الله. (بيروت، ١٩٦٥) ص ٥٥.

استغلال مصائد اللؤلؤ فيها والخلاف المذهبي بين الجانبين. وغضب الشاه حسين لاحتلال اليعاربة البحرين فأرسل جيشاً لاسترجاعها، ولكن الغزو الافغاني لفارس (١٧٢٢ - ١٧٢٩) أرغم القوة الصفوية على العودة إلى كرمان[١].

مما سبق يتبين لنا استمرار النزاع العربي - الصفوي لغياب القوة البحرية الصفوية الكافية للدفاع عن السواحل الفارسية ولاضمحلال النفوذ البرتغالي وضعف التهديد الانكليزي والهولندي في الربع الأخير من القرن السابع عشر. ولكن الوضع سيختلف خلال الربع الثاني من القرن الثامن عشر بعد أن أصبح لدى الفرس في عهد نادر شاه (١٧٣٦ - ١٧٤٧) القوات الكافية للتورط في عمليات عسكرية ضد اليعاربة في عمان وضد العثمانيين في البصرة.

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٤١.

العلاقات العربية ـ الانكليزية

ازدهـرت التجارة الانكليـزية في منـطقة الخليـج العربي بعـد استيلاء القوات الصفوية ـ الانكليزيـة المشتركـة على جـزيرة هـرمز في عـام ١٦٢٢ ونجحت الشركة الانكليزية في إقامة علاقات تجارية جيدة مع جزيرة سوقطرة في الربع الأول من القرن السابـع عشر مما أعـاد للجزيـرة بعض نشاطهـا التجاري الذي افتقدته خلال سنوات طويلة من الاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية في القرن السادس عشر[1].

وبعد استرداد اليعاربة مسقط وطـرد البرتغـاليين منهـا في عام ١٦٥٠ أرسلت وكالة الشركة الانكليزية في سوارت الكولونيـل راينز فـورد في عام ١٦٥٩ لعقد اتفاق مع الامام سلطان بن سيف لتأسيس وكالة انكليزية في مسقط رغبة منها في إقامة قاعدة بحرية قوية لها تضم حامية تتألف من مئة جنـدي لدعم مـركزهـا ونفوذهـا في الخليج العـربي ضد النفـوذ الهـولنـدي والمضـايقات الصفـوية للشركـة[2]. وظن المسؤولون الانكليـز أن الامـام سيدرك صعوبة الدفاع عن مسقط ضد القوى الاوربية والمحلية الطامعة فيها وسيقبل المساعدة الانكليزية المقترحة[3].

ومهما يكن من أمر فقد رفض الامام سلطان بن سيف في عام ١٦٦٠ ـ

---

(١) Geddes, Charless L. An Account Of Socotra In the Early Seventeenth Century. (University Of Colorado Studies - Series In History - N°. 3. U.S.A. 1964) p. 71.

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.

(٣) The Persia Agency, And The Muskat Project, 1659. (The English Factories In India. 1655 - 1660. By William Foster. Oxford 1921). p. 230.

المقترحات المتعلقة ببناء قلعة انكليزية في مسقط بعد تجربة العرب الطويلة والمريرة مع الاحتلال البرتغالي للساحل العماني(١) واكتفى بمنح الشركة الانكليزية حرية التجارة في موانئ بلاده اسوة بالشركات الاوربية الأخرى، وبذلك لم تسفر المفاوضات بين الامام والوكلاء الانكليز عن نتيجة إيجابية رغم أدعاء وكالة الشركة الانكليزية في فارس أن في حوزتها ـ آنذاك ـ من الوثائق ما يؤكد وعود الامام بمنحها تسهيلات تجارية خاصة بها في مسقط. ولكن الشركة الانكليزية في سورات شجبت في عام ١٦٦٠ مشروع إقامة مستوطنة انكليزية في مسقط(٢).

وساءت العلاقات العربية ـ الانكليزية عندما هاجمت سفينتان وأربعة قوارب حربية عربية قادمة من مسقط في عام ١٦٨٣ سفينة انكليزية كانت في طريقها إلى بومباي وقتلت وجرحت عدداً من رجالها، وفي العام التالي ١٦٨٤ جنحت سفينة انكليزية بالقرب من ساحل جزيرة مصيرة وعاملها البدو بمودة بعد أن وعدهم الانكليز بنصف حمولتها. ولكن الجانبين العربي والانكليزي بذلا جهودهما لتجنب المواجهة المباشرة(٣)؛ فامتنع الامام سيف ابن سلطان عن عرقلة التجارة الانكليزية وحرص على عدم التعرض للسفن والمصالح الانكليزية في الخليج العربي والمحيط الهندي ما دام الانكليز يلتزمون بالحياد التام في النزاع العربي الفارسي(٤). فضمن الامام بذلك حياد الانكليز. ومن الأمثلة على ذلك، اعتراض وكالة الشركة الانكليزية في بومباي على تقديم المساعدة العسكرية التي اقترحها الوكلاء الانكليز في فارس لتمكين السلطات الصفوية من احتلال مسقط بدعوى حرمان الهولنديين من انتهاز الفرصة وتقديم مساعدتهم العسكرية للصفويين. وكانت وجهة نظر وكالة الشركة الانكليزية في بومباي أن لا مبرر لمثل هذا الاجراء العدائي ضد مسقط

---

(١) Skeet, Ian. Op Cit. p. 38.

(٢) The English Factories In India. 1655 - 1660. p. 233.

(٣) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٤٠ - ٦٤١
وانظر، أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠.

(٤) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 218 - 219, 223.

ما دام اليعاربة لا يضعون عقبات جدية في طريق الملاحة والتجارة الانكليزية. وأن مصلحة الشركة تقضي باتباع سياسة حذرة في علاقاتها مع الصفويين واليعاربة على حد سواء.

ولكن العلاقات العربية ـ الانكليزية ازدادت سوءا. ففي عام ١٦٩١ استولت بعض السفن العربية على سفينة تجارية تخص بعض تجار مدراس[١]. وفي نيسان ١٦٩٧ استولى عرب مسقط على سفينة انكليزية تخص أحد تجار بومباي وأرغموا تجارها على الاشتراك معهم ضد البرتغاليين ورفض امام عمان إعادتها ولو أدى ذلك إلى إعلان حالة الحرب مع الانكليز. وقد برّر موقفه بأن السفينة قد تخص قراصنة البحر الأحمر وبالتالي فلا تتمتع بحماية الشركة الانكليزية. وأدرك المسئولون الانكليز في نهاية القرن السابع عشر خطورة عرب عمان على المصالح الأوربية بعد الانجازات البحرية المهمة التي حققوها، وأن خوفهم من القوة الانكليزية هو الرادع الوحيد الذي يمنعهم من الاعتداء على سفن الشركة الانكليزية في المياه الشرقية[٢]. وتنبأ الكابتن براشغوين ـ أحد الضباط الانكليز في بندر عباس ـ لعرب مسقط بأنهم سيبرهنون على أنهم وباء عظيم في الهند أشبه بوطأة الجزائريين على أوربا[٣].

ويذكر الكابتن الكسندر هاملتون أن القراصنة الأوربيين بدأوا بالقرصنة في الخليج العربي والبحر الأحمر اعتباراً من عام ١٦٩٥ عندما وجدوا إمكانية الحصول على غنائم وفيرة في مقابل مخاطرة سهلة. وفي العام التالي ظهرت خمس سفن للقراصنة الأوربيين في البحر الأحمر ونهبت السفن التجارية في الخليج العربي وكانت ترفع الاعلام الانكليزية فوقها.

واتخذ القراصنة الأوربيون من ميناء سانت ماري في جزيرة مدغشقر ومن جزيرة بريم في البحر الأحمر مأوى لسفنهم ومحطات لتخزين المؤن والبضائع فيها. وبعد أن أصبح لدى القراصنة في عام ١٦٩٨ أساطيل منظمة

---

(١) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠.
(٢) Miles, S.B. Op. Cit, pp. 220 - 223.
(٣) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

وزادت قوتهم وثروتهم من مصادرة السفن، اتفقت القوى الأوربية في المياه الشرقية على حماية طرق مواصلاتها من خطر القرصنة بتعيين مناطق مراقبة وحراسة لكل منها[1]. فكان البحر الأحمر من نصيب الهولنديين ووكل أمر الخليج العربي إلى الفرنسيين وعهد بالبحار ـ الهندية الجنوبية إلى الانكليز، غير أن هذا الاتفاق لم يسفر عن نتائج ملموسة فنشط القراصنة في المياه الشرقية.

وعندما أفادت تقارير وكلاء الشركة الانكليزية في بندر عباس بعرقلة العرب للتجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي خشيت وكالة الشركة الانكليزية في بومباي أن تتخذ السلطات الصفوية من ذلك ذريعة للامتناع عن دفع نصيب الشركة الانكليزية من الرسوم الجمركية المتأخرة والمستحقة[2]. وللحيلولة دون ذلك قرر مجلس إدارة الشركة الانكليزية في عام ١٧٠٤ القضاء على القوة البحرية العربية، وراودت الشركة الانكليزية فكرة تجهيز حملة بحرية ضد العرب في مسقط للحد من نفوذهم ونشاطهم البحري المتزايد الذي امتد ليشمل الساحل الغربي للهند في عام ١٧٠٧[3].

وثمة عدة أسباب حالت مجتمعة دون تنفيذ مشروع الحملة الانكليزية المقترحة وهي: انشغال الانكليز في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠١ ـ ١٧١٣) ـ واهتمامهم بتوطيد نفوذهم في الهند، وعدم توفر القوة الانكليزية في المياه الشرقية للقيام بالمهمة العسكرية المنشودة على نحو مؤثر وفعال. كما أن العرب في مسقط لم يتعرضوا بعد لسفن الشركة الانكليزية على نطاق واسع. ولهذه الأسباب امتنعت الشركة الانكليزية عن تلبية طلب المساعدة البحرية الذي تقدمت به اليها السلطات الصفوية للهجوم على مسقط[4].

أما بالنسبة للعلاقات العربية ـ الهولندية، فقد رفض اليعاربة الاعتراف

---

(١) أرنولد ويلسون: المرجع السابق، ص ٣٢١.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 223.

(٣) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٤٠ ـ ٦٤١.

(٤) صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠. (بغداد، ١٩٧٩) ص ٦٢.

بالنفوذ الهولندي في بلادهم[1] لاسيما بعد أن قوي أمرهم بعد القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، وبعد أن ألحق أسطولهم خسائر فادحة بالسفن البرتغالية. وتدهورت العلاقات بين الجانبين عندما أخذت السفن العربية منذ عام ١٦٩٥ تتعرض للسفن الهولندية[2] في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي وعندما ازدادت حدة النزاع العربي ـ الصفوي استنجدت السلطات الفارسية بالأسطول الهولندي، ولكن دون جدوى فقد حرص الهولنديون على عدم التورط في حرب مع القوة العربية في الخليج غير مأمونة العواقب[3]. أما بالنسبة للعلاقات العربية ـ الفرنسية فقد كان لشركة الهند الشرقية الفرنسية التي تأسست في عام ١٦٦٤ اتصال تجاري محدود مع البصرة بدأ في عام ١٦٧٩ بتعيين قنصل فرنسي فيها[4] ولكنه لم يقم بدور مهم بسبب حجم التجارة الفرنسية المحدودة. وظلت المصالح الفرنسية خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر تحت رحمة الحاكم المحلي للبصرة. ولكن مسقط حظيت باهتمام المبعوثين الفرنسيين إلى فارس الذين راودتهم في عام ١٦٦٧ فكرة الاستيلاء عليها لاتخاذها قاعدة بحرية للأسطول الفرنسي في منطقة الخليج العربي[5].

واستفادت فرنسا من ضعف الدولة الصفوية وعدم قدرتها على مواجهة النشاط البحري العربي خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر وفشلها في الحصول على المساعدة البحرية من الهولنديين والانكليز فحصلت على امتيازات تجارية من الشاه حسين. وعلى الرغم من ذلك فقد بقي النشاط التجاري الفرنسي محدوداً في منطقة الخليج العربي لوقوف الانكليز والهولنديين معاً ضد الفرنسيين في أوربا وخارجها.

---

(١) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٧.

(٢) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠.

(٣) محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد الثالث، كانون الثاني ١٩٦١. ص ٢٦١ ـ ٢٧٨.) ص ٢٧٢.

(٤) Zaki, Saleh, Mesopotamia (Iraq) 1600 - 1914. (Baghdad 1957) p. 50.

(٥) صالح محمد العابد: مرجع سبق ذكره، ص ٦٤ ـ ٦٥.

الفصل الرابع

مملكة هرمز

تقع جزيرة هرمز الصغيرة القاحلة، والتي تبعد حوالي ١٢ ميلاً عن الساحل الفارسي في مدخل الخليج العربي. وكانت هرمز قبل وصول البرتغاليين اليها في العقد الأول من القرن السادس عشر مركزاً تجارياً مهماً، استمد أهميته من موقع الجزيرة الاستراتيجي الحاكم في مدخل الخليج العربي، حيث التقت عندها طرق القوافل التجارية بين الهند وأوربا بواسطة حلب، وبسطت نفوذها على الساحل العربي من القطيف شمالاً حتى رأس الحاد جنوباً ودخلت في حوزتها البحرين وقشم(١)، ومن ممتلكات هرمز أيضاً قلهات، قريات، صحار، خورفكان، مسقط، رأس الحاد، وكانت مسقط مركزاً تجارياً نشيطاً، وصدرت عمان بواسطتها الخيول والحنطة والذرة والشعير والتمور والسمك المجفف والمملح(٢). كما ضمت مملكة هرمز بعض أجزاء

---

(١) Tweedy, Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. (England?) pp. 15 - 16; Foster, William. A View Of Ormus In 1627 (The Geographical Journal. Vol. IV. N°. 2. London. August 1894. pp. 160 - 162) p. 160.

ويذكر عباس العزاوي أن جزيرة قشم هي جزيرة قيس القديمة وتقع في مقابل ميناء جمرون ـ بندر عباس ـ. ولعلها هرمز الأصلية وتقع على بعد خمسة أميال من جزيرة هرمز الحالية وحلت في التجارة محل سيراف. أنظر، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٦ (مستدركات المجلد الرابع) ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢) Stripling, George William Frederic, The Ottaman Turks And The Arabs: 1511 - 1574. (Illinois Studies In The Social Sciences. Vol. XXVI. N°4, U.S.A. 1942). p. 25.

الساحل الفارسي. واستغلت مصائد اللؤلؤ في الخليج العربي وحصلت الرسوم الجمركية في الموانئ التابعة لها.

وكانت مملكة هرمز على جانب كبير من الثراء لازدهار تجارتها خلال القرون السابقة للاحتلال البرتغالي لها. ووصف ابن بطوطة مدينة هرمز في القرن الرابع عشر الميلادي بأنها «مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين، وفارس، والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم وأكثرها سباخ وجبال ملح... وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان[١]. أ. هـ.

وكانت هرمز قبل الاحتلال البرتغالي لها في عام ١٥١٥ تحت السيادة الاسمية للشاه اسماعيل الصفوي وازدهرت فيها تجارة اللؤلؤ. ووصفها لودفيجو دي فارتيما خلال رحلته التي قام بها إلى الشرق (١٥٠٣ ـ ١٥٠٨) بأنها «مدينة فائقة الجمال ومركز مزدهر للملاحة والتجارة ولا يوجد فيها ماء ولا ينبت فيها غذاء وكل شيء يأتيها من المناطق المجاورة لها، حيث لا يوجد في الجزيرة سوى الملح. وعلى مسافة ثلاثة أيام منها يصطاد أكبر اللآلئ في العالم»[٢]. أ. هـ. وقد ضمت هرمز في القرن السادس عشر تجاراً من مختلف الأقطار والجنسيات، وازدهرت تجارتها التي ضمت كل أنواع التوابل والعقاقير والحرير الخام ومختلف أنواع الأقمشة الحريرية والمنسوجات الفارسية المزينة بالرسوم. واحتوت هرمز أيضاً على مخازن اللؤلؤ ويأتيها من جزيرة البحرين ويتميز بنفاسته ويبّز اللآلئ الأخرى[٣].

وهكذا اشتهرت هرمز بموقعها الجغرافي وبازدهار تجارتها مع الهند،

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (بيروت، ١٩٦٨) ص ٢٦٤. وانظر أيضاً، شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١) ص ٧٣.

(٢) Barbosa, Durate. A Description Of The Coasts Of East Africa And Malabar In The Beginning Of Sixteenth Century. (Translated By Henry E.J. Stanley. U.S.A. 1970) pp. 43 - 44; Jones Winter. (Translator). The Travels of Ludovico Di Varthema, A.D. 1503 To 1508. (New York?) pp. 94 - 95.

(٣) Tweedy, Maureen. Op. Cit. p. 16.

وأسرف الرحالة الأوربيون في تمجيد غناها وازدحامها بالسفن التجارية. وتحدثوا عن توفر البضائع فيها من كل صنف، ووجود الناس فيها من كل لون، وعن جمال شوارعها وبيوتها لا سيما بيوت الأشراف فيها الرائعة والمجهزة بكل أسباب الترف(1). أما نظام الحكم في مملكة هرمز فكان ملكياً وراثياً ويقيم ملك هرمز في مدينة هرمز وله فيها بعض القصور. أما مقر اقامته فهو في قلعة المدينة حيث احتفظ فيها بخزائن أمواله(2). ويقرر مجلس كبار التجار في هرمز صلاحية الملك الجديد للحكم. ولذلك فان المجلس هو الذي يحكم ولا يتدخل الملك في شؤون الدولة وليس في يده من السلطة شيء، وإذا ما أبدى رغبة في ممارسة صلاحياته والتدخل في شؤون الحكم كالملوك الآخرين، فان المجلس يقرر دون إبطاء أو تردد سمل عينيه ووضعه في بعض البيوت مع زوجته ويعين أحد أبنائه بدلاً منه ويستمر المجلس في حكم المملكة باسم الملك الجديد ولذلك كان في هرمز نحو اثني عشر ملكاً كفيفاً عبرة للآخرين ووفر المجلس لهم ولزوجاتهم وأولادهم الطعام والمأوى(3).

أما ملك هرمز الحاكم فيتوفر على خدمته وحراسته عدد كبير من الحراس المسلحين ومن السادة والأشراف، يتقاضون رواتب جيدة ومخصصات ثابتة ويكلَّف بعضهم بالذهاب إلى حدود المملكة إذا ما اقتضت الضرورة ذلك، كما سكّت مملكة هرمز النقود الذهبية «الاشرفية» التي حملت كتابات اسلامية، والنقود الفضية ايضاً وراجت معظم نقود هرمز في الهند(4) لازدهار التبادل التجاري بينهما. واشرفت حكومة هرمز على أسواقها التجارية ووضعت نظاماً دقيقاً للمبادلات التجارية. وفرضت عقوبات رادعة لكل من يحاول التدليس والتلاعب في الوزن أو البيع بأكثر من السعر المحدَّد(5).

---

(1) Wright, Arnold. Early English adventures In The East. (London 1917) p. 254; Foster, William. Op. Cit. p. 160; Barbosa, Durate. Op. Cit. p. 41.

(2) Barbosa, Durate, Op. Cit. pp. 43 - 44.

(3) Ibid. pp. 44 - 45.

(4) Ibid. pp. 45 - 46.

(5) Ibid. p. 44.

وعندما وصل البرتغاليون إلى هرمز للمرة الأولى بقيادة الفونسو البوكيرك في عام ١٥٠٧ لم يتمكنوا من القضاء على استقلال مملكة هرمز، ولذلك عاد البوكيرك مرة أخرى إلى جزيرة هرمز في عام ١٥١٥ وأخضع ملك هرمز للتاج البرتغالي وسمح له بحكم رعاياه من المسلمين وفرض عليه قيوداً منها عدم مغادرة الجزيرة دون موافقة أو تصريح من الحاكم البرتغالي في قلعة هرمز. وبذلك أشرف البرتغاليون على إدارة الأمور المهمة والأساسية في مملكة هرمز وحصلوا على حصة مهمة من الرسوم الجمركية ولم يتركوا لملك هرمز سوى اللقب مع جزء ضئيل من الايرادات المالية[١].

ولكن جزيرة هرمز بقيت من أهم الموانئ التجارية الرئيسية في الشرق. وجذبت أسواقها المكتظة بالبضائع وشوارعها المزدحمة بالمارة الرحالة الأجانب اليها، وضمت مدينة هرمز في القرن السادس عشر نحو أربعين ألفاً من السكان من مختلف الجنسيات والأقطار[٢].

---

(١) Stevens, John. The History Of Persia (London 1715?) pp. 415 - 416.

(٢) Wright, Arnold, Op. Cit. p. 254.

الاحتلال البرتغالي

بدأ البرتغاليون في التغلغل في الخليج العربي في عام ١٥٠٧، وكانت هرمز والموانئ التابعة لها أول ما تعرض للغزو البرتغالي في منطقة الخليج العربي وكانت قلهات أول ميناء على الساحل العماني يصله البرتغاليون. وعندما وصل البوكيرك مسقط أجرى مفاوضات مع أشراف المدينة الذين تعهدوا بدفع الاتاوة التي طلبها منهم، ولكنه لم ينتظر انتهاء مدة الإنذار فقصف مسقط بمدافع الأسطول متهماً السكان بتنظيم المقاومة ضده[1] وكان ميناء خورفكان من الموانئ العربية المهمة التي أحرقها البوكيرك ومثّل بأهلها فجدع أنوفهم وصلم آذانهم، واستولى على صحار أيضاً.

وهكذا دمّر الفونسو البوكيرك موانئ قريات ومسقط وخورفكان وشهد الساحل العماني منذ البداية عنف وقسوة الأساليب البرتغالية وفرض البوكيرك الحصار على هرمز. ولكن تعليمات نائب ملك البرتغال في الهند - دا ألميدا - قضت برفع الحصار عنها. وعندما عاد البوكيرك إلى منطقة الخليج العربي في عام ١٥١٥ عمل على توطيد النفوذ البرتغالي في هرمز وأمر ببناء قلعة كبيرة في طرفها الشرقي[2] للسيطرة على المنطقة واحتكار التجارة فيها ثم أخذ النفوذ البرتغالي يمتد ويتوسع خلال النصف الأول من القرن السادس عشر حتى

---

(١) صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ ترجمة عبد الجبار ناجي (بغداد،؟) ص ١٠.

(٢) Hamilton, Alexander. A New Account Of The East Indies,. (A General collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. By John Pinkerton. Vol. VIII. London 1811) p. 296.

وصل إلى شط العرب شمالاً، وطافت السفن البرتغالية بموانئ الخليج العربي والهند حاملة معها البضائع الشرقية ومهددة النفوذ العثماني في البحر الأحمر والخليج العربي.

وقد استغل البرتغاليون منذ البداية تفوقهم العسكري في مجال استعمال الأسلحة النارية من المدافع والبنادق ضد العرب الأضعف تسليحاً منهم[١]. كما استغلوا المنازعات والخلافات المستمرة بين شيوخ القبائل العربية على السلطة لاسيما في منطقة الساحل العماني والصراع الصفوي - العثماني، وعندما ظهر العثمانيون متأخرين في منتصف القرن السادس عشر بامكانياتهم البحرية المحدودة في البحار الشرقية كان البرتغاليون قد وطدوا نفوذهم باحكام في منطقة الخليج العربي.

وعلى الرغم من ذلك، ثار العرب في الساحل العماني ضد الاحتلال البرتغالي في عام ١٥١٩، ولكن البرتغاليين تمكنوا من اخماد الثورة بعد محاصرة السفن البرتغالية الموانئ العربية كما أخضع البرتغاليون ثورة البحرين ضد ملك هرمز في عام ١٥٢١[٢]. أما شيخ الأحساء مقرن بن زامل فقد امتنع عن دفع الجزية إلى هرمز واعترض السفن التجارية بين البصرة وهرمز بعد أن بنى له بعض الفنيين الأتراك عدداً من السفن لاستخدامها ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي. ولكن البرتغاليين قضوا على مقرن وأرغموا البحرين على دفع الجزية إلى هرمز[٣].

ثم تذرع البرتغاليون بتأخر ملك هرمز في دفع الضرائب المستحقة عليه للتاج البرتغالي، فأشرفوا مباشرة على المراكز الجمركية في مملكة هرمز مما أغضب ملك هرمز «توران شاه» الذي حرض الحكام التابعين له في الساحل

---

(١) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf (?1966) p. 184.

(٢) Danvers, F.C. Report On Portuguese Records (London 1892) p. 115.

(٣) Ozbaran, Salıh. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf, 1534 - 1581. (Journal Of Asian History Vol. 6. N°. 1. 1972. pp. 45 - 87). p. 45 - 46.

العماني على إعلان الثورة ضد البرتغاليين وحدد ٢١ تشرين الثاني ١٥٢١ موعداً لبدء الثورة التي خطط لها باحكام. واحتال على قائد الأسطول البرتغالي لارسال سفينتين من ميناء هرمز إلى مسقط لتأديب القراصنة فيها. وفي الوقت المحدد قام الشاهبندر بمهاجمة السفينتين البرتغاليتين في ميناء هرمز ليلاً واستولى عليهما بالقوة بعد مفاجأة بحّارتهما ثم أشعل النار فوق إحدى السفن معلناً بذلك الثورة وقام سكان هرمز بمهاجمة البرتغاليين في مدينتهم، وقتلوا فريقاً منهم وأسروا نحو ستين برتغالياً[1]، ولاذ الباقون بالفرار بسفنهم. وقد قاومت القلعة البرتغالية في هرمز فترة طويلة امتدت شهوراً على الرغم من محاصرتها، ثم جاءت الامدادات والنجدات البرتغالية من مسقط والهند كذلك لجأ البرتغاليون إلى الحيلة فوعدوا حاكم مسقط المحلي الذي كان على خلاف مع ملك هرمز بفصل مسقط عن هرمز مما مكنهم من إرسال النجدات إلى الحامية البرتغالية المحاصرة في قلعة هرمز ومن استقبال البرتغاليين الهاربين من هرمز أيضاً. وعندئذ قضى البرتغاليون على الثورة. كذلك فشلت الثورة في الساحل العماني على الرغم من الحاقها خسائر فادحة بالبرتغاليين نتيجة مهاجمة السكان العرب السفن والمراكز البرتغالية في صحار وقريات وخورفكان وقلهات والبحرين.

وعندما وجد ملك هرمز أن الثورة قد فشلت، هرب إلى جزيرة قشم المجاورة بعد أن أحرق مدينة هرمز. ولكنه اغتيل على يد أحد اتباعه فخلفه ابنه محمود شاه وعمره ثلاث عشرة سنة وأرغمه البرتغاليون على توقيع معاهدة معهم في ١٥ تموز ١٥٢٣ سلّم بموجبها السلطة الفعلية للبرتغاليين وبذلك أصبحت مملكة هرمز تحت الحكم البرتغالي المباشر[2].

ووفقاً لبنود المعاهدة كان على ملك هرمز توفير الأمن للبرتغاليين وتسهيل

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. p. 158.

(٢) Belgrave, C.D. The Portuguese In The Bahrain Islands, 1521 - 1602. (Journal Of The Royal Central Asian Society. Vol. XXII. Part. IV. Oct. 1935, pp. 617 - 630). p. 621.

إقامة تجارهم في هرمز. وأشرف البرتغاليون على إدارة مراكز الجمارك مباشرة، كما قضى الاتفاق بزيادة الجزية السنوية إلى ٦٠و٠٠٠ أشرفي[١]. ومنعت المعاهدة المسلمين في مملكة هرمز من حمل السلاح وتسليم ما في حوزتهم من سلاح إلى السلطات البرتغالية للاحتفاظ به في قلعة هرمز، في مقابل حماية البرتغاليين هرمز من أعدائها ومنح سفنها حرية الملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي باستثناء مضائق مالقا وسواحل سفاله[٢].

وبذلك سيطرت البرتغال على الحركة التجارية في جزيرة هرمز وفقاً لمصالحها، بعد أن أخمدت الثورة في هرمز. كما نتج عن فشل الثورة هجرة بضعة آلاف من سكان هرمز إلى المناطق المجاورة لها وأدى فشل الحكم البرتغالي العسكري في إدارة الحركة التجارية فيها إلى انتهاء الازدهار التجاري الذي نعمت به مملكة هرمز لأكثر من قرنين قبل الاحتلال البرتغالي لها.

ولكن الأحوال لم تهدأ في الخليج العربي فنشبت ثورات أخرى في قلهات ومسقط في عام ١٥٢٦ بسبب ضعف الحاكم البرتغالي في هرمز، وابتزازه للتجار المحليين، ومكائد الوزير شرف الدين، ولأن سكان الساحل العماني رفضوا الخضوع إلى مملكة هرمز التي يسيطر عليها البرتغاليون، ولكن نائب ملك البرتغال في الهند قصد هرمز على رأس أسطول كبير في عام ١٥٢٨ وتمكن من إخضاعها وسوّى الخلافات بين حاكم قلعة هرمز البرتغالي ووزير هرمز الرئيس شرف الدين[٣]. وبعد فشل الثورة في مسقط بدأ البرتغاليون في بناء قلعتي الجليلي والميراني وكانت قلعة الميراني المركز الرئيسي للحامية البرتغالية في مسقط، ثم أمر ملك البرتغال في عام ١٥٢٩ بترحيل المعارضين للحكم البرتغالي من جزيرة هرمز. ونفى ملك البرتغال الرئيس شرف الدين إلى لشبونة لاتهامه بالاستبداد بالسلطة وتحريض محمود شاه ملك هرمز

---

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) Danvers, F.C. Op. Cit. pp. 113 - 116.

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. 163.

وانظر، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

الصغير السن ضد المصالح البرتغالية[1]. وكانت البحرين قد نجحت مؤقتاً في الانفصال عن مملكة هرمز وفشلت محاولات الأسطول البرتغالي لاستعادتها. ومما زاد في انتشار الثورات والاضطرابات ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي تدخلهم في الخلافات الداخلية ومساعدة بعضهم ضد الآخر لخدمة المصالح البرتغالية.

ومن مملكة هرمز حاول البرتغاليون في عام ١٥٢٩ مدَّ نفوذهم إلى البصرة، فاغتنموا طلب راشد بن مغامس حاكم البصرة المساعدة البرتغالية ضد أمير الحويزة. وبعد أن قدم البرتغاليون مساعدتهم إلى راشد بن مغامس نشب نزاع بين الجانبين لرفض راشد التنازل للبرتغاليين عن بعض حصون البصرة ومقاطعة التجارة العثمانية وتسليم بعض السفن التركية الموجودة في ميناء البصرة. وانتقم البرتغاليون بقصف بعض الأماكن التابعة له[2].

وبعد أن استقر البرتغاليون في هرمز أخذوا الاعشار من التجار والرسوم من المسافرين من ميناء لآخر في منطقة الخليج العربي، ولم يدفعوا لملك هرمز سوى نصيب قليل منها. وعين ملك البرتغال قائداً للحامية البرتغالية في هرمز مرة كل ثلاث سنوات، وسيطر البرتغاليون تماماً على الحكم في هرمز، رغم وجود الملك ومجلس الوزراء وبذلك تحولت سلطة ملوك هرمز إلى ظل للاحتلال البرتغالي. وقد اهتم البرتغاليون بجزيرة قشم القريبة من هرمز فبنوا فيها قلعة قوية لأهميتها الاستراتيجية ولأنها مصدر مياه الشرب التي تنقل بحراً إلى ميناء هرمز[3].

---

(١) Skeet. Ian. Muscat And Oman. The End Of An Era (London 1974). pp. 35 - 36.

وانظر لوريمر، ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - (الدوحة، ١٩٧٦ - ج ١ ص ١٥ ج ٢ ص ٦٣٢ - ٦٣٣.

(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ - ١٩١٨ (دمشق، ١٩٦٠) ج ١ ص ٣٢. وأنظر محمد علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ - ١٦٥٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثاني شباط ١٩٦٠ ص ٢٣٢ - ٢٥٦) ص ٢٣٧.

(٣) Monshi, Eskandar Beg. History Of Shah Abbas The Great. Vol. II Translated by Roger M. Savory (U.S A. 1978) pp. 1201 - 1204.

أما سكان هرمز فكانوا مزيجاً من العرب والفرس وغيرهم من الملونين السود وتكلموا العربية والفارسية. وكان شعب هرمز مترفاً اهتم بالحسيات وولع بالموسيقى. وكانت في هرمز جماعة من التجار الأغنياء أقامت في جزيرة قشم وملكت الكثير من السفن وتاجرت بأصناف كثيرة من البضائع التي قامت باستيرادها ثم أعادت تصديرها[1]. وقد بلغ عدد أفراد هـذه الطائفـة من التجار الأغنياء نحو ثلاثين تاجراً وقدر عدد ما يملكه كل منهم بعشرين ألف كراسادو من الذهب.

أما ايرادات مملكة هرمز من الجمارك في القرن السادس عشر، فقد تم تحصيلها بواسطة مدينة قلهات حيث أشرف حاكمها ورئيس الجمارك فيها على تحصيل الايرادات من مدن الساحل العربي الأخرى على النحو التالي:

قلهات ١١٠٠ أشرفي
مسقط ٤٠٠٠ أشرفي
صحار ١٥٠٠ أشرفي
خورفكان ١٥٠٠ أشرفي
دبي ٥٠٠ أشرفي
جلفار ٧٥٠٠ أشرفي

وبالاضافة إلى ذلك دفعت القوارب المستخدمـة في صيد اللؤلؤ والتي أرغمت على الذهاب إلى هرمز للحصول على تصاريـح المرور مبلغ ١٥٠٠ أشرفي، وقد بلغت ايرادات الساحل العماني ٢٠٠و٢٨ أشرفي بينما بلغ مجموع ايـرادات هرمـز السنـويـة مبلغ ١٩٨و٠٧٨ أشرفي أو مـا يعـادل ٤٢٣و٥٩ دولاراً[2]. بينما بلغت عائدات هرمز السنوية في نهاية الحكم البرتغالي لها حوالي ١٨٠و٠٠٠ ريال.

---

(١) Barbosa, Durate. Op. Cit. p. 41.
وانظر، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) Miles, S.b. Op. Cit. p. 155; Minutes Of A Court To Consider Of The Persian Trade. Nov. 1624 (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624) p. 450, 452.

سقوط الحكم البرتغالي في هرمز

تميز الحكم البرتغالي في مملكة هرمز بخاصة وفي منطقة الخليج العربي بعامة بالتسلط والقهر واستخدام أساليب القسوة والعنف، وبالتعصب الديني في معاملة السكان العرب والفرس[1]، مما أدى إلى نفورهم من الحكم البرتغالي وإلى زيادة كراهيتهم للبرتغاليين في كل مكان حلوا فيه وإلى الانتقام من البرتغاليين، فمنعوا السفن البرتغالية من الحصول على المواد الغذائية ومياه الشرب وقتلوا عدداً من رعاياهم.

وكذلك احتكر البرتغاليون التجارة الشرقية وسيطروا على حركة الملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي، فلم يكن في وسع أي سفينة غير برتغالية دخول الخليج دون تصريح من البرتغاليين في جزيرة هرمز، ولرغبة البرتغاليين الشديدة في احتكار التجارة ونقلها كان الحصول على التصريح أمراً صعباً للغاية.

وفي مطلع القرن السابع عشر، صمم الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) الذي تمكن من توطيد نفوذه في فارس على طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي بعد أن ألحقوا الأذى والاهانة بكرامة بلاده لسنوات عديدة. وكان هدف الشاه عباس بعد طرد البرتغاليين من البحرين (١٦٠٢) وقشم

---

(١) ثار السكان الفرس في لار ضد ملك هرمز في عام ١٥٨٢ وحاصروا قلعة شامل، ولكن ملك هرمز استعان بالقوات البرتغالية التي استردت القلعة، وأوقعت مذبحة بالسكان. أنظر، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره. ج ١ ص ١٩. وأقام البرتغاليون في منطقة الخليج العربي ديرا للراهبات الكرمليات وكنائس للتبشير بالكاثوليكية. أنظر.

Thos. Bays To Salisbury. June 10, 1609. (Colonial Papers. Vol. I 1513 - 1616) pp. 185 - 186.

وجمبرون (١٦١٥) وتدمير قلعة جمبرون البرتغالية وبناء قلعة فارسية بدلاً منها، وبعد السيطرة على مياه الشرب العذبة في جزيرة قشم والتي كانت المصدر الرئيسي لمياه الشرب في جزيرة هرمز ذات المياه المالحة طرد البرتغاليين من هرمز[١]، والتي كانت حتى العقد الثاني من القرن السابع عشر مدينة مزدهرة بتجارتها ومخزناً كبيراً للبضائع التي تأتيها من كل الجهات.

واهتم البرتغاليون بعد خسارتهم ميناء جمبرون في عام ١٦١٥ بتقوية أنفسهم في جزيرة هرمز، فحشدوا أسطولهم فيها وطلبوا نجدات حربية أخرى من جاوه لتعزيز الدفاع عن مدينة هرمز وأرسلت لشبونة حملة بحرية في ربيع ١٦١٩ ضمت خمس سفن كبيرة بقيادة راي ـ فرايري اندرادا لشجاعته وكفاءته للدفاع عن مركز البرتغاليين المهدد[٢] ولا سيما بعد أن أدرك البرتغاليون رغبة الشاه عباس في استئصال الوجود البرتغالي في الخليج العربي من جذوره، وأن وراء اعتداءات الشاه عباس على البحرين وقشم وجمبرون ومساعدته العرب في طرد البرتغاليين من رأس الخيمة في عام ١٦١٩[٣] مخططاً شاملاً للقضاء على المصالح البرتغالية.

---

(١) Wilson, Sir Arnold T. Early Spanish And Portuguese Travellers In Persia (The Asiatic Review. Vol. XXII. Oct 1926) p. 141; Lockhart, Laurence. Persian Cities. (London 1960) p. 173; Hamilton. Alexander. Op. Cit. p. 299; Wm. Biddulph To The East India Company. Surat. Feb. 28, 1615. (Colonial Papers. Vol. I. 1513 - 1616). p. 388; Edward Pettus To The East India Company. Moghistan, Nov. 30, 1618. (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621) pp. 214 - 215.

(٢) Edward Connock And Thomas Barker To The East India Company. Jasques. Jan. 19, 1617. (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited by William Foster. London 1901). pp. 56 - 57. Account Of The Voyage Of The Expedition From Surat To Jask And Back. By John Rowe. (The English Factories In India. Vol. I. 1618 - 1621. By William Foster. Oxford 1906; pp. 45 - 46; Wright, Arnold. Op. Cit. p. 246.

(٣) Wm, Biddulph To The East India Company. Surat. Feb. 28, 1615. (Colonial Papers. Vol. I. 1513 - 1616) p. 388; Thos. Kerridge To The East India Company. Ajmere. March 20, 1615. (Colonial Papers. Vol. I) p. 396 - 397.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤١.

ونجح الفرس في الاستيلاء على كونغ، ولكن نفاذ المؤن ونقص المياه العذبة وارتفاع درجة الحرارة أرغمتهم على الانسحاب منها بعد أن لحقت بقواتهم التي بلغت حوالي أربعين ألف جندي خسائر فادحة(١). وبعد أن تمكن الشاه عباس من التوصل إلى سلام مع الدولة العثمانية في عام ١٦١٨ تفرغ للعمل ضد البرتغاليين في الخليج العربي، فطالب باستعادة السيادة الصفوية على جزيرة هرمز وبرّر ذلك بأنها كانت تدفع الجزية لفارس قبل الاحتلال البرتغالي لها.

وأحكم الشاه عباس خطته الطموحة لطرد البرتغاليين من هرمز مستفيداً من قوة بلاده وازدهارها، وذلك عندما طلب منه السفير الاسباني إعادة البحرين وجمبرون لملكة هرمز وإبعاد القوى الأوربية المنافسة للاسبان والبرتغاليين عن الموانئ الفارسية(٢). عضب الشاه عباس ومزّق الرسائل التي سلمها السفير الأسباني اليه وأقسم على طرد البرتغاليين من هرمز. وأخذ الحيطة والحذر من السفن البرتغالية الحربية التي وصلت إلى مياه الخليج العربي بزعم نقل الحرير الفارسي بينما كان هدفها الحقيقي بناء بعض التحصينات في الجزر القريبة من هرمز(٣).

وأدرك الشاه عباس الأول أهمية التحالف الانكليزي ـ الصفوي فعمل على استمالة الشركة الانكليزية بمنحها امتيازات وتسهيلات تجارية ليضمن مساعدتها في العمليات البحرية المتوقعة ضد هرمز، ولذلك أصدر تعليماته إلى حاكم شيراز إمام قولي خان للتفاوض مع وكلاء الشركة الانكيزية الذين ترددوا في البداية لأن انكلترا واسبانيا في حالة سلم وبينهما علاقات طيبة، كما لا يجوز للشركة الانجليزية الاشتراك في حرب ضد المصالح الاسبانية قبل

(١) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 289.

(٢) Ramazani, Rouhollhak. The Persian Gulf. Iran's Role. (U.S.A. 1972) p. 11; Wright, Arnold. Op. Cit. p. 246.

(٣) Thos. Barker. Edward Monox, Wm, Bell, And Thos. Barker Jun., To The East India Company. Ispahan. Oct. 16, 1619. (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621). p. 303 - 305.

الحصول على موافقة مسبقة من الحكومة الانكليزية[1].

كذلك كانت الشركة الانكليزية تخشى من نتائج فشلها ضد القلعة البرتغالية المحصنة جيداً في هرمز ومن ردة الفعل لدى السلطات البرتغالية. واتبع حاكم شيراز إمام قولي خان أسلوب الترغيب والترهيب، وبالضغط والتهديد من جهة والاغراء والوعود من جهة أخرى تمكن من التغلب على موقف وكلاء الشركة الانكليزية المتردد[2]، فقد حذرهم بأن امتناعهم عن المشاركة في الحرب ضد البرتغاليين سيلحق الضرر بمصالح الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي وسيحرمها من تجارة الحرير الفارسي بل هددها بمصادرة كميات الحرير المخصصة لها والتي كانت في الطريق اليها، والغاء كل الامتيازات التجارية. أما إذا وافقوا على الاشتراك في الهجوم ضد هرمز فسوف يقصر الشاه عباس بيع الحرير الفارسي على الشركة الانكليزية.

وهكذا وجدت الشركة الانكليزية نفسها في ورطة، فهي لا ترغب في خسارة تجارتها الفارسية أو تعريضها للخطر ولا ترغب في زيادة النفقات الحربية في الوقت الذي كانت ترغب فيه شن الحرب ضد البرتغاليين الذين عرضوا مصالحها التجارية للخطر في المحيط الهندي والخليج العربي[3]. ولذلك بعد أن تردد وكلاء الشركة في البداية قرروا في النهاية التزام مصالح الشركة بدلاً من التزام سياسة الحكومة الانكليزية.

وأخيراً تم الاتفاق في ٨ كانون الثاني ١٦٢٢ بين ادوارد مونكس وكيل الشركة الانكليزية عن الجانب الانكليزي وإمام قولي خان حاكم شيراز عن الجانب الفارسي فيميناب على الشروط التالية:

أ - يدفع الفرس نصف نفقات الحرب في مقابل مساعدة السفن الانكليزية

---

(١) بديع جمعة واحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم (القاهرة، ١٩٧٦) ج ١ ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) Sykes, P.M. A History Of Persia. Vol. II. (London 1915) p. 278.

(٣) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم. (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٦.

لهم ضد البرتغاليين في قشم وهرمز. ويدفع الانكليز النصف الآخر.

ب ـ خضوع الجزيرة للاشراف الفارسي ـ الانكليزي المشترك ووضع حامية مشتركة فارسية ـ انكليزية متساوية العدد في قلعة هرمز.

ج ـ اقتسام الرسوم الجمركية مناصفة في هرمز بعد الاستيلاء عليها مع اعفاء البضائع الانكليزية من الرسوم الجمركية والضرائب وكذلك إعفاء البضائع التي ترد باسم الشاه وحاكم شيراز.

د ـ اقتسام الغنائم بالتساوي بين الفرس والانكليز.

هـ ـ تسليم الأسرى المسيحيين للانكليز باستثناء راي فرايري قائد قشم وسيموند ميلو قائد قلعة هرمز فيسلمان إلى الفرس وتسليم الأسرى المسلمين للفرس(١).

طرد البرتغاليين من جزيرة قشم

كانت خطة الشاه عباس الأول الاستيلاء على جزيرة قشم القريبة من جزيرة هرمز والتابعة لملوك هرمز والتي تكثر فيها المدن المأهولة بالسكان، والمصدر الرئيسي لمياه الشرب التي تعتمد عليها جزيرة هرمز، تمثل المرحلة الأولى في الهجوم الفارسي ـ الانكليزي على جزيرة هرمز، وبدأ الهجوم على قشم في ٢٧ كانون الثاني ١٦٢٢، وكانت قلعة قشم مقراً لقيادة القائد البرتغالي راي فرايري. وفي الأول من شباط ١٦٢٢ اضطرت الحامية البرتغالية في قشم إلى الاستسلام لعدم وصول نجدات برتغالية اليها من جزيرة هرمز المجاورة لها. وقضت شروط الاستسلام(٢) بتأمين سلامة أرواح البرتغاليين وأن تقوم السفن الانكليزية بنقلهم مع أسلحتهم وأمتعتهم إلى جزيرة هرمز وعدم الحاق الأذى بالمحاربين الفرس في صفوف البرتغاليين.

---

(١) Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 174; State Papers. East Indies. N°. 6. (P.R.O.) pp. 234 - 235.

(٢) Sir Thos. Roe., The English Ambassador, To Sec. Calvert. Constantinople, July 14, 1622. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). p. 50; Barbosa, Durate. Op. Cit. p. 37.

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

وبعد استسلام قلعة قشم استولت القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة على ١٧ مدفعاً وأسرت حوالي ألف من البرتغاليين من بينهم راي فرايري الذي رفض الانكليز تسليمه إلى الفرس حسب نصوص الاتفاق وأرسلوه مع أربعة من مساعديه إلى سورات[1]. ولكن بحارة السفينة الانكليزية «ليون» أهملوا في حراسة راي فرايري، فهرب منها.

طرد البرتغاليين من جزيرة هرمز:

بعد الاتفاق بين الفرس والانكليز للاستيلاء على هرمز نجح حاكم شيراز إمام قولي خان في اقناع العرب في منطقة جلفار «رأس الخيمة» ليطردوا البرتغاليين منها بهدف قطع الامدادات عن الحامية البرتغالية في هرمز كذلك اتفق مع عرب الشارقة على الثورة ضد البرتغاليين والامتناع عن تزويدهم بالمواد الغذائية[2].

وبدأت العمليات العسكرية ضد قلعة هرمز من البر في ٩ شباط ١٦٢٢، وكانت قوات فارس التي بلغ عددها نحو ١٥٠٠٠ رجل تعاني من نقص كبير في التجهيز والتسليح والامدادات ومن سوء الادارة[3]. ولذلك فشلت محاولاتها المتكررة لاقتحام القلعة، وعلى الرغم من ذلك فقد قام الفرس في ١٩ نيسان ١٦٢٢ بهجوم ناجح على القلعة وتمكنوا من احتلال فنائها وأرغموا البرتغاليين على التراجع نحو الداخل. وكان البرتغاليون قد هجروا مدينة هرمز إلى القلعة ونقلوا معهم معظم سكانها مع ثرواتهم وممتلكاتهم المنقولة.

أما القوات الانكليزية التي اشتركت في الهجوم على هرمز فقد ضمت

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٥. وانظر أيضاً،

Thomas Rastell, Gilles James, And James Burford To Wm. Methwold. Surat. May 11, 1622. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). p. 38.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 188.

وانظر أيضاً، بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير ١٥٨٨ ـ ١٦٢٩ (بيروت، ١٩٨٠) ص ٢٣٨ ـ ٢٤٣.

(٣) لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٦.

خمس سفن عليها حوالي أربعين مدفعاً، وأنزلت نحو ثلاثة الآف جندي على جزيرة هرمز، وتمكنت من تدمير السفن البرتغالية التي نقلها البرتغاليون إلى جوار قلعة هرمز(١)، ولما فشلت محاولات الحامية البرتغالية المحاصرة في عقد صلح منفرد مع الفرس او الانكليز، قررت الاستسلام للانكليز في ٢٣ نيسان ١٦٢٢ في مقابل المحافظة على أرواحها وترحيلها إلى مسقط والهند. ونقلت السفن الانكليزية حوالي ٢٦٠٠ برتغالي إلى مسقط وغيرها من موانئ الساحل العماني في ٢٧ نيسان مما أدى إلى زيادة عدد السكان في مسقط بعد تدفق المهاجرين عليها من هرمز(٢)، وأرسل ملك هرمز محمود شاه إلى فارس أسيراً، أما بالنسبة للمسلمين الذين وجدهم الفرس في قلعة هرمز فقد اختلفت معاملتهم، فبينما أعدم الفرس المتعاونين مع البرتغاليين، أطلقوا سراح الذين أرغمهم البرتغاليون على دخول القلعة والاشتراك في الحرب عنوة.

واستغل الشاه عباس سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ فبنى في جمبرون ميناء جديداً ومنح الشركة الانكليزية الامتيازات التي وعدها بها من قبل في هرمز. فأقامت وكالة تجارية لها فيها(٣). وقام بنقل السكان من مدينة هرمز إلى جمبرون لرغبته في تحويل التجارة اليها. وأمر حاكم شيراز إمام قولي خان ببناء قلعة جديدة في جمبرون بالقرب من القلعة البرتغالية فيها وأن يستخدم في بنائها وتحصينها انقاض مدينة هرمز(٤). وهكذا بعد أن نهب الفرس كل ما

(١) Edward Monox, Richard Blyth, And John Weddell At Ormus To The Surat Factory. April 27, 1622. (The English Factories In India. Vol. II. 1622 - 1623. By William Foster. Oxford 1908). p. 76; Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 299.

(٢) Miles, S.B Op. Cit. p. 188, 191; Letters To Ispahan From Edward Monox. Ormus, May 5, 1622. (Factory Records. Early Papers On Persia. India Office Records).

(٣) Monshi, Eskandar Beg Op. Cit. pp. 1203 - 1204; Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 174; Reasons For A Joint Stock, Tendered By John Lewis. Nov. 17, 1656. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company. 1655 - 1659. By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1916) pp. 130 - 131.

(٤) The English Factories In India. Vol. III. 1624 - 1629. By William Foster. (Oxford 1909) p. 22; Thos, Barker, John Purefey, John Benthall, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan, May 30, 1624. (The Colonial Papers. Vol. III. 1624 - 1629) pp. 286 - 287.

فيها نقلوا حجارتها لاستخدامها في تشييد المباني الجديدة في جمبرون، وبذلك تحولت هرمز إلى كومة من الخرائب والأنقاض بعد أن هجرها سكانها. ورغم وجود حامية فارسية فيها ضمت حوالي ثلاثمئة جندي فارسي ووجود بعض صيادي الأسماك الفقراء فان تجارة هرمز لم تجد تشجيعاً من السلطات الفارسية، ففقدت بذلك ازدهارها التجاري الذي نعمت به خلال القرن السادس عشر رغم الاحتكار البرتغالي لتجارتها مع الهند[1]. وسبب هجر الشاه عباس الأول لجزيرة هرمز، يعود إلى عجز القوة البحرية الفارسية في الخليج العربي عن توفير الحماية اللازمة لها.

وبعد استيلاء القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة أدرك قادة الأسطول الانكليزي في الخليج العربي خطورة تورطهم في الحرب ضد البرتغال قبل الحصول على موافقة الحكومة الانكليزية. ولذلك ناقش مجلس إدارة الشركة الأنكليزية في لندن الجدوى الاقتصادية من المساعدة العسكرية للفرس وأخذ المجلس الأمور التالية بعين الاعتبار وهي:

أ ـ حق القوات الانكليزية البحرية في الدفاع عن نفسها والهجوم على اعدائها.

ج ـ تعليمات وكلاء الشركة الانكليزية في سورات لقادة السفن الانكليزية في المحيط الهندي والخليج العربي باضعاف البرتغاليين الذين ألحقوا الضرر بالسفن الانكليزية وقتلوا رجالها.

د ـ التهديد الفارسي بالامتناع عن تقديم أي مساعدة للشركة الانكليزية فيما يتعلّق بشراء البضائع الفارسية ونقلها وشحنها، إذا امتنع الانكليز عن تقديم المساعدة العسكرية للفرس للاستيلاء على هرمز.

هـ ـ وعد السلطات الفارسية لوكلاء الشركة الانكليزية باستمرار الامتيازات

---

(١) Thomas Kerridge, At Swally To The Company Nov. 15, 1624. (The English Factories In India. Vol. III, 1624 - 1629. By William Foster. Oxford 1909) p. 35, 37; Foster, William. A View Of Ormus In 1627. Op. Cit. pp. 161 - 162; Thomas Kerridge To The East India Company. Swally, Nov. 15, 1624; Consultations Held At Gombroon. Jan. -1 - Feb 10, 1625. (Colonial Papers) Vol. III.pp. 441 - 442. Vol. IV. p. 2.

والتسهيلات التجارية التي تمتعت بها الشركة الانكليزية من قبل إذا هم وافقوا على المشاركة في الهجوم على هرمز(١).

وبناء على الأسباب السابقة وقف مجلس الشركة الانكليزية إلى جانب وكلائها في الهند والخليج العربي وأيدوا وجهة نظر قادة الأسطول الانكليزي في الخليج العربي الذين وجدوا أن مصلحة الشركة الانكليزية تقضي بانتهاز الفرصة لاضعاف أعدائها البرتغاليين الذين ألحقوا الأذى بمصالحها الاقتصادية مع الأخذ بعين الاعتبار تهديد السلطات الفارسية للمصالح الانكليزية إذا امتنعت الشركة الانكليزية عن تقديم مساعدتها العسكرية(٢). وبعد أن وجد مجلس إدارة الشركة الانكليزية أن حرية التجارة في الخليج العربي تقضي بتدمير القوة البرتغالية فيه قرر دفع عشرة الآف جنيه استرليني للملك جيمس الأول ومثلها لدوق باكنجهام القائد الأعلى للبحرية الانكليزية - لشراء سكوتها لاساءة الشركة الانكليزية للعلاقات السلمية الانكليزية - الاسبانية بالاعتداء على هرمز.

واعترافاً من الشركة الانكليزية بالمساعدات القيمة التي قدمها جيمس الأول لها والتي منحتها قوة بحرية مهمة ضد أعدائها البرتغاليين ولضمان استمرار دعم ومساعدة الحكومة الانكليزية لها في البحار الشرقية. وكان قد ثار جدل طويل بين مسئولي الشركة والحكومة الانكليزية حول الطريقة التي أخذت بها الغنائم من هرمز فاذا كانت قانونية أي للأخذ بالثأر فعندئذ يستحق الملك جيمس الأول ١٠٪ منها أما إذا حصلت عليها بالقرصنة فسيلحق العار بالانكليز(٣).

(١) Court Minutes Of The East India Company. July 25, 1623 (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). pp. 125 - 127.

(٢) Ibid. p. 127.

(٣) Boxer, C.R. - Editor - Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada (Gt. Brit. 1930). p. XLIII; Edw. Connock, Wm. Tracy, And Wm. Robins To The East India Company. Aug. 4, 1617. From Persian Court - (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621) p. 45 - 47; Sir Thos. Roe's Instruction To Connock, Barker, Pley And Bell. Oct. 6, 1617. (Colonial Papers Vol. II) p. 61.

وقد تناقضت التقارير بشأن الأرباح التي حصلت عليها الشركة الانكليزية في مقابل تقديمها المساعدة العسكرية للفرس للاستيلاء على هرمز حيث قدر نصيبها من الغنائم في البداية بمبلغ يتراوح بين عشرين وثلاثين ألف جنيه استرليني، ولكنها كانت تأمل في الحصول على أكثر من ذلك لثقتها بوعود الشاه عباس الأول لها[1]. وقدّر القائد الانكليزي ويدال حصة الشركة الانكليزية من الغنائم بحوالي خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني. وبعد عامين من الاستيلاء على هرمز تبين حصول الشركة الانكليزية على ٢٦٠٠٠ جنيه استرليني بالاضافة إلى غنائم ذهبية و١٧ قطعة مدفعية ومواد غذائية وأمتعة شخصية قدرت قيمتها بمئة ألف جنيه استرليني.

ولكن التقارير الانكليزية المتأخرة أفادت بوجود كميات كبيرة من السبائك الذهبية في قلعة هرمز[2]. وكانت الشركة الانكليزية قد تقدمت في عام ١٦٢٣ بتقرير إلى الملك جيمس الأول بشأن الاستيلاء على هرمز، فأشارت إلى أن الشاه عباس الأول لا يستطيع الاحتفاظ بجزيرة هرمز لأكثر من عام بدون مساعدة بحرية، وأنه ليس للانكليز والفرس ممتلكات في هرمز وبذلك خسر الانكليز الرسوم الجمركية فيها والتي بلغت عائدات التاج الاسباني منها حوالي ٤٠٠٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً، ولذلك اقترحت الشركة الانكليزية على الملك جيمس الأول بذل جهوده لدى الشاه عباس ليحصل الانكليز على جزيرة هرمز وفق شروط معينة لتصبح السوق الرئيسي للتجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي. وبالاضافة إلى الرسوم الجمركية وتأمين حرية التجارة سيتحكم الانكليز إذا ما حصلوا على هرمز بالتجارة الهندية وسيبقون المنطقة في رعب دائم[3]. ولذلك راودت فكرة الحصول على هرمز

---

(١) Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624. Year 1623. p. 110.

(٢) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 299 - 300; Edward Pettus To The East India Company, Ispahan. Sept. 27, 1618. (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621) pp. 198 - 199.

(٣) Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624. Year 1622. p. 64; "Propositions Concerning The profits To be Raised To His Majesty From The Isiand Of Ormuz" (Colonial Papers. Vol. III) pp. 190 - 191.

وبناء قلعة انكليزية فيها لاستخدامها ملجأ للسفن الانكليزية، الشركة الانكليزية رغم تكاليفها الكثيرة خوفاً من أن تسبقها الشركة الهولندية اليها[1]. ولكن الشاه عباس الأول رفض إقامة الانكليز في هرمز واستقبل البعثة الانكليزية برئاسة دود موركتن بفتور شديد. واضطرت الشركة الانكليزية للتعاون مع منافستها الشركة الهولندية للحصول على مساعدتها العسكرية، ولما كانت قوات الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي أقل مما ينبغي لمواجهة الخطر البرتغالي المحدق بها فقد حثت وكالة الشركة الهولندية في باتافيا (جاكارتا) على إصدار التعليمات المسبقة لوكلائها في الخليج العربي بتقديم المساعدة العاجلة للانكليز في حالة الدفاع والهجوم[2].

وبعد سقوط هرمز عام ١٦٢٢ تطلع الشاه عباس الأول إلى مهاجمة الساحل العربي للاستيلاء على مسقط وغيرها من موانئ الساحل العماني، ونجح في الاستيلاء على خورفكان وصحار لفترة وجيزة حيث استردها البرتغاليون بعد هجوم بري وبحري خاطف قاموا به لطرد الفرس منها ولعله النجاح الوحيد الذي حققه البرتغاليون بعد خسارتهم هرمز[3]، ثم انتقموا منهم بشن غارات عنيفة على امتداد الساحل الفارسي من جاسك جنوباً حتى جمبرون «بندر عباس» شمالاً، وظلت عمليات الأسطول البرتغالي ضد الساحل الفارسي مستمرة بلا هوادة خلال الفترة (١٦٢٢ - ١٦٢٥) إلى أن تمكن اسطول انكليزي - هولندي مشترك من الحاق الهزيمة بالأسطول البرتغالي في عام ١٦٢٥.

ولما كان الشاه عباس الأول متلهفاً لمتابعة نجاحه العسكري في هرمز بالاستيلاء على مسقط فقد أمر حاكم شيراز إمام قولي خان بتحصين قلعة

---

(١) John Weddell To The East India Company. Cape Comorin April 27, 1625. (Colonial Papers Vol. IV 1625 - 1629) pp. 59 - 60; Feb. 28, 1627. Vol. IV. p 326

(٢) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 299 - 300; Thomas Kerridge To The East India Company. Swally. Nov. 15, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). pp. 441 - 442.

(٣) Hopwood, Derek. - Editor - The Arabian Peninsula, Society And Politics. (London 1972) p. 96.

هـرمز[1] في عـام ١٦٢٣ والاستعداد لمهـاجمـة مسقط. ورغبت السلطات الفـارسية في الاستعـانة بـالسفن الانكليزيـة في عـام ١٦٢٤. ولكن الشركـة الانكليزية وجدت مسقط مدينة فقيرة لا تستطيع سداد النفقات التي ستتكبدها للاستيلاء عليها بالاضافة إلى زيادة القوة البرتغالية فيها[2] مما يجعلها قادرة على الدفاع عنها. ولذلك ضنت الشركة الانكليزية بالمساعدة العسكرية ولكنها ومن تجربتها في هرمز رفضت اتخاذ موقف واضح ومحدد من مسـألة تقـديم المساعدة البحرية للشاه عباس الأول حتى لا يمنح الشركة الهولندية الأفضلية عليها[3] لاسيما بعد أن أصيبت السلطات الفارسية بخيبة أمل من الكمية الصغيرة من البضائع التي أرسلتها الشركة الانكليزية إلى ميناء «جمبرون» بندر عباس».

وكـذلك وجـدت الشركة أن مصلحتهـا تقضي عليها اظهـار الاهتـمام بالمساعدة العسكرية للفرس ضد البرتغاليين في مسقط لموافقتها من حيث المبدأ على التعاون مع السلطات الفارسية كما حدث في هرمز، ولعدم جدية الفرس في الاستيلاء على مسقط في عام ١٦٢٥ لانشغالهم في حصار البصرة، ولابعاد النفوذ الهولندي عن هرمز لاسيما بعد أن التمست الشركة الهولنديـة منحها مركزاً لها في هرمز.

أما فيما يتعلق بالمساعدة الانكليزية للشاه عباس ضد البصرة في عـام ١٦٢٥ فقد رفضت الشركة الانكليزية تقديم مساعدتها ضد أي من الممتلكات العثمانية حرصا منها على المصالح الانكليزية في الدولة العثمانية.

---

(١) Henry Darrell, Thomas Barker, John Benthall, And Christopher Rosnos - In Gombroon Road - To The Surat Factory. Jan. 8, 1623. (The English Factories In India. vol. II. 1622 - 1623. By William Foster, Oxford 1908) pp. 180 - 181.
وانظر أيضاً. لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٠ ج ٢ ص ٦٣٢ - ٦٣٣.

(٢) Thomas Kerridge To The East India Company. Swally, Nov. 15, 1624. (The English Factories In India. Vol. III. 1624 - 1629. By William Foster. Oxford 1909) p. 35, 37.

(٣) Thomas Kerridge To The East India Company. Swally. Nov. 15, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). pp. 441 - 442.

وعندما ألحت السلطات الفارسية على الشركة الانكليزية بوجوب تنفيذ الاتفاقية المعقودة معها لتأمين الموانئ والممرات البحرية من الخطر البرتغالي من ناحية والحصول على مساعدة السفن الانكليزية[1] للاستيلاء على مسقط من ناحية أخرى، ادعت الشركة الانكليزية باخفاق السلطات الفارسية في تنفيذ بنود الاتفاقية وبخاصة في مسألة تقسيم الغنائم بعد الاستيلاء على هرمز. فبينما أعطى حاكم شيراز مبلغ ٦٠٠٠و٦٠ تومان إلى الشاه عباس، أعطى الانكليز حوالي ٦٠٠٠ تومان، ودفع للبحارة الانكليز مرتب ثلاثة أشهر بينما توقعوا أن يدفع لهم مرتب ثمانية أشهر، كذلك استولى الفرس على ١٦٥ مدفعاً نحاسياً ودفعوا للانكليز تعويضاً بلغ ثلث قيمتها بعد أن رفض الفرس اقتسامها مع الانكليز[2].

ومهما يكن من أمر فقد زاد سخط الفرس على البرتغاليين في عام ١٦٣١ بعد محاولتهم الاستيلاء على هرمز بالقوة ونجاحهم في إقامة مركز لهم بالقرب من جلفار «رأس الخيمة» على الساحل العربي لتسهيل عملياتهم الحربية ضد المراكز الفارسية في الخليج العربي، وبعد أن ألهب راي فرايري سواحل الخليج العربي بالسيف والنار خلال الفترة (١٦٢٥ - ١٦٣٠) وجرد حملات عسكرية ناجحة ضد القطيف والبحرين[3]. وتمكن حاكم شيراز من انتزاع وعد بالمساعدة العسكرية من الشركة الانكليزية في عام ١٦٣٢/ ١٦٣٣ لخشيتها من لجوء الفرس إلى الشركة الهولندية.

(١) Nicholas Woodcook In Surat Road To The President At Surat. Jan. 30, 1623. (The English Factories In India. Vol. II. 1622 - 1623. By William Foster. Oxford 1908). pp. 188 - 189; Consultations Held While Captain Weddll's Fleet Was At Gombroon, January 1 - February 10, 1625 (The English Factories In India. Vol. III. 1624 - 1629. By William Foster Oxford 1909) p. 42; Captain John Weddell To East India Company. Cape Comorin, April 27, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625 - 1629). p. 60.

(٢) Consultations Held At Gombroon, Present. Thos. Kerridge, Thos. Barker, And John Benthall. Jan 1 - Feb. 10, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625 - 1629). pp. 2 - 4. India Office Records, Factory Records, Early Papers On Persia. "Letters To Ispahan From Edward Monox. Ormus, May 5, 1622".

(٣) Boxer C.R. Op. Cit. p. LI.

ولكن الحملة الفارسية المقترحة لم تتم لاعدام الشاه صفي حاكم شيراز مع ثلاثة من أولاده في قزوين وكان مشروع الاستيلاء على مسقط يعتمد عليه، وبدلاً من إرسال القوات الفارسية إلى مسقط أرسلها الشاه صفي للقضاء على حركات التمرد والعصيان التي نشبت ضده في جورجيا(١). كما زاد البرتغاليون في قوة تحصينات مسقط في عام ١٦٣٤، كذلك تبدل موقف الشركة الانكليزية بعد الاتفاق على إعلان الهدنة الذي تم بين رئيس الوكالة الانكليزية في سورات ونائب ملك البرتغال في جاوه، فأصدرت الشركة الانكليزية تعليماتها لأسطولها في الخليج العربي للوقوف على الحياد إزاء الصراع الفارسي ـ البرتغالي. واقتصرت الهدنة في البداية على إعادة العلاقات بين مستعمرات الدولتين.

ثم تحولت الهدنة الانكليزية ـ البرتغالية إلى اتفاقية تم التوقيع عليها في جاوه في ٢٠ كانون الثاني ١٦٣٦ نصت على استمرار العلاقات الودية بين الجانبين(٢). لاسيما بعد استقلال البرتغال عن التاج الاسباني في عام ١٦٤٠.

ولم تتوقف السلطات الفارسية عن رسم الخطط للاستيلاء على مسقط من العرب الذين طردوا البرتغاليين منها في عام ١٦٥٠ فوعد الشاه حسين الشركة الانكليزية بامتيازات مماثلة لتلك التي تتمتع بها في جمبرون «بندرعباس» إذا ما رغبت في إرسال أسطولها وجنودها لمساعدة قواته في الاستيلاء على مسقط. ولما كانت الشركة الانكليزية غير مستعدة للقيام بمثل هذه المغامرة فقد قدمت للشاه حسين إجابة غامضة. وعندما أخفق الشاه حسين في الحصول على المساعدة الانكليزية أو الهولندية، وبعد أن أخفق البرتغاليون في تقديم مساعدة عسكرية فعالة له، توجه في صيف ١٦٩٩ بطلب المساعدة من الحكومة الفرنسية(٣).

---

(١) Wm. Gibson, John Sherland And Rich. Cooper To the President And Council At Surat. Gombroon, March 15, 1633. (Colonial Papers. Vol. V. 1630 - 1634). pp. 377 - 378.

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٣ ـ ٦٥.

(٣) Lockhart, Laurence. The Menace Of Muscat And Its Consequences In The =

وبعد رحيل البرتغاليين عن هرمز في نيسان ١٦٢٢ استقروا في مسقط واتخذوها قاعدة رئيسية لهم في منطقة الخليج العربي بدلاً من هرمز، وكان لميناء مسقط ميزة استراتيجية على غيره من موانئ الخليج العربي. وجاءوا معهم بابن أخ آخر ملوك هرمز للاستفادة منه في توطيد نفوذهم ولارغام السكان في الساحل العربي على الاعتراف به ملكاً عليهم بعد أن استرضوا شيوخ القبائل العربية في المناطق المجاورة لجزيرة هرمز بواسطة الإعانات المالية التي دفعوها لهم. كذلك اهتم البرتغاليون بتحصين مسقط وإعادة بناء أسوارها[١]، مما أرغم السلطات الفارسية على إقامة التحصينات العسكرية في هرمز وقشم وجمبرون.

وتسبب الاستيلاء على هرمز بمساعدة أسطول الشركة الانكليزية في إيجاد قدر كبير من الهياج والاضطراب في آسيا وأوروبا على حد سواء مما أثر على معنويات البرتغاليين في الشرق. كذلك حدث بعض الاضطراب في اسبانيا لاسيما بعد أن بالغ البرتغاليون بالمساعدة الانكليزية، فقدم السفير الاسباني في لندن في آب ١٦٢٣ شكوى إلى الملك جيمس الأول لاشتراك السفن الانكليزية في الهجوم على هرمز[٢]. وفي المقابل قدَّم السفير الانكليزي في مدريد توضيحاً للحكومة الاسبانية بيّن فيه أن الأسطول الانكليزي كان مرغماً على المشاركة في الحصار باكراه من السلطات الفارسية[٣].

وهكذا كان وقوع هرمز في يد القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة ضربة قوية قضت على هيبة البرتغاليين واحترامهم في منطقة الخليج العربي، والمحيط الهندي، حيث أخذت قوتهم في آسيا وأفريقيا بالضعف، وبذلك بدأ انهيار القوة البرتغالية في الشرق[٤]، رغم استمرار الوجود البرتغالي في

= Late Seventeenth And Farly Eighteenth Centuries. (The Asiatic Review. Vol. XLIII. N° 152. London. Oct. 1964. pp. 363 - 396). p. 365.

(١) Miles, S.B OP. Cit. p. 191.

(٢) Colonial Papers. Vol. III 1622- 1624. Madrid, Dec. 19, 1622. p 79; Madrid. Jan. 12, 1623. p. 96; London, Aug. 18, 1623. p. 139.

(٣) Foster, Sir William. England's Quest Of Eastern Trade. (London 1933). pp. 311 - 312.

(٤) Pearce, F.B. Zanzibar. (New York 1920) p. 101.

الساحل الغربي من الخليج والساحل الشرقي لأفريقية. كذلك أدى سقوط هرمز إلى نهاية عظمتها وازدهارها.

ولكن الاستيلاء على هرمز وضعف القوة البرتغالية في الخليج العربي لم يقض على كل الصعوبات التي اعترضت الشركة الانكليزية، كما لم يمنح الانكليز مركزاً متفوقاً في منطقة الخليج العربي لاسيما بعد وفاة الشاه عباس الأول صديقهم القوي في عام ١٦٢٩، رغم اعتباره علامة بارزة في تاريخ النفوذ الانكليزي في الشرق(١) حيث حصل الانكليز على ميناء أفضل من جاسك للاستمرار في التجارة مع فارس لاسيما بعد أن أصدر الشاه عباس تعليماته بتقديم المزيد من الحماية والتشجيع للتجار الانكليز في الأراضي الفارسية.

(١) Wright, Arnold. Op. Cit. p. 250; Amin, Abul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967). pp. 6 - 7.

البحرين[1]

أدى ظهور البرتغاليين في الخليج العربي في العقد الأول من القرن السادس عشر إلى تعقيد الوضع السياسي للبحرين، فقد أصبح ملوك هرمز تابعين للتاج البرتغالي بعد مفاوضات الشاه اسماعيل الأول الصفوي (١٤٩٩ - ١٥٢٤) مع الفونسو البوكيرك والتي انتهت بالاتفاق على التحالف العسكري الصفوي ـ البرتغالي ضد الدولة العثمانية.

وعلى الرغم من وعود البرتغاليين للشاه إسماعيل الأول لم يقدموا له أي

---

(١) وصف ابن بطوطة البحرين بأنها «كبيرة حسنة ذات بساتين واشجار وأنهار قريبة المؤونة يحفر عليها بالأيدي وبها حدائق النخل والرمان والأترج ويررع بها القطن وهي شديدة الحر كثيرة الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها، أنظر شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١)، ص ٧٥. كما وصفها الرحالة الأوروبيون في أواخر عهد ملوك هرمز بأنها «مدينة كبيرة فيها مسلمون كثيرون ولها ميناء مهم وسوق متميز وطولها نحو ٣٤ فرسخاً وتبعد عن جزيرة قشم نحو ٥٠ فرسخاً وتبعد عن الساحل الشرقي للجزيرة العربية نحو أربعة فراسخ، ويستقر فيها التجار من مختلف الأقطار وفي جوارها يكثر محار اللؤلؤ وتنتج منه الكثير ويشكل مورداً مالياً مهماً للسكان، ويحصل ملك هرمز على الضرائب والكثير من الايرادات من البحرين. أنظر.

Barbosa, Durate, Op. Cit. p. 37.

ووصفها الرحالة الأوربيون بعد طرد البرتغاليين منها في عام ١٦٠٢ بأنها بلاد جميلة تكثر فيها الفواكه والتمور وينبت فيها القليل من القمح وبعض الشعير وأكبر مدنها المنامة وتقع على الساحل، وتشتهر بنفاسة اللؤلؤ فيها والذي يتمتع بشهرة عالمية، ويبدأ موسم صيده في شهر حزيران ويستمر حتى شهر آب. وتبلغ قيمة المباع منه سنوياً حوالي نصف مليون دوكة يأخذ حاكم البحرين منها مئة ألف دوكة ويأخذ الحاكم البرتغالي لجزيرة هرمز أكثر من أربعة آلاف دوكة.

أنظر.

Stevens, John. The History Of Persia. (London 1715?) pp. 399 - 401.

مساعدة عسكرية في حروبه المستمرة ضد العثمانيين، بل استغلوا انشغال قواته في شمال فارس في الحرب ضد العثمانيين لتوطيد مركزهم في جزيرة هرمز والساحل العماني والاستيلاء على القطيف والبحرين[1] لحسابهم بعد أن وعدوا الشاه إسماعيل بمساعدته في بسط حكمه عليها.

وكان البوكيرك قد زار البحرين في عام ١٥١٥ ليؤكد على المعاهدات القائمة بين حاكمها المحلي وملك هرمز الخاضع للسيطرة البرتغالية، ونظر بحسد إلى مصائد اللؤلؤ الغنية فيها، كذلك اهتم بصناعة اللؤلؤ وتحقق من أهميتها للبرتغاليين. وأمر ببناء حصن قريب من المنامة. ثم استولى حاكم الأحساء مقرن بن زامل على البحرين والقطيف وطرد النفوذ البرتغالي والهرمزي منها واعترض سبيل السفن التجارية بين البصرة وهرمز. وتذرع ملك هرمز بخسارة البحرين فتوقف عن دفع الجزية المتفق عليها إلى البرتغاليين. ولذلك أرسل الحاكم البرتغالي في هرمز أسطولاً بقيادة أبن أخيه انطونيو كوريا لاستعادة البحرين من حاكم الأحساء وضمت القوة البرتغالية سبع سفن عليها ٤٠٠ من البحارة البرتغاليين. وصحب الأسطول البرتغالي أسطول أخر أرسله ملك هرمز بقيادة وزيره الرئيس شريف. وضمت القوة الهرمزية ٢٠٠ مركب عليها ٣٠٠٠ من السكان المحليين، وتمكن الأسطول البرتغالي ـ الهرمزي المشترك من القضاء على حركة مقرن بن زامل والاستيلاء على البحرين وفرض النفوذ البرتغالي عليها[2] في عام ١٥٢١. وعاد وزير ملك هرمز الرئيس شريف إلى البحرين وهرمز برأس مقرن بن زامل.

وفرض البرتغاليون سيطرتهم الكاملة على صناعة اللؤلؤ في البحرين. وبعد سقوط البحرين بفترة وجيزة نظم ملك هرمز في عام ١٥٢٢ ثورة في ممتلكاته ضد الاحتلال البرتغالي، واستجابت البحرين لنداء الثورة فقاد حسين ابن سعيد شيخ بني جابر ثورة الأهالي في البحرين وقتل الحاكم البرتغالي

---

(١) Faroughy, Abbas. The Bahrain Islands.1750 - 1951. (New York 1951) p. 61.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص٥٢ وانظر أيضاً. جيمس بلجريف: البحرين، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

المكروه[1] من السكان وطرد الحامية البرتغالية منها وقد ساعد حسين بن سعيد في الثورة ضد الاحتلال البرتغالي للبحرين خمسمئة من الفرسان وأربعة آلاف من المشاة تمكن بواسطتهم من السيطرة على البحرين وعلى الساحل من القطيف شمالاً حتى ظفار جنوباً[2]. ولكن بعد فترة قصيرة من استقلال حسين بن سعيد بالحكم في البحرين عاد فوافق على استشارة السلطات البرتغالية في شؤون البحرين. ثم شهد البرتغاليون في عام ١٥٢٩ تحدياً آخر لنفوذهم في البحرين لنفيهم وزير ملك هرمز الرئيس شريف بعد أن رفض قريبه بهاء الدين (حاكم البحرين) دفع ضرائب إضافية[3]، وإعلان الثورة في البحرين ضد الحكم البرتغالي في هرمز.

وأرسلت السلطات البرتغالية في الهند أسطولاً صغيراً في ٨ أيلول ١٥٢٩ بقيادة سيمون دا كونها أخ نائب ملك البرتغال في الهند ومعه خمس سفن وخمسمئة من الجنود إلى البحرين. بينما كان بلشوار دي سوسا ومعه ست سفن مزودة بالمدافع يطوف بالمياه القريبة من جزيرة البحرين لمنع حاكمها بهاء الدين من جمع المقاتلين من المناطق المجاورة ورفض حاكم البحرين ومعه ٨٠٠ من المقاتلين تسليم الحصن للبرتغاليين. وفشل الهجوم البرتغالي على البحرين بسبب نقص كمية البارود وانتشار الوباء بين جنود الحملة، وضعف

---

(١) كانت المنطقة الواقعة إلى الخلف من حورفكان ومسقط وصحار تحت حكم قبيلة بني جابر البدوية والتي حكمت في مطلع القرن السادس عشر المناطق المتاخمة لليمن، ولذلك شكل شيوخ عمان حلفاً فيما بينهم لحماية أنفسهم منها باعتبارها قوة مهمة مارست الاغارة على عمان في موسم قطف النخيل وكان على شيوخ عمان حماية ممتلكاتهم بدفع الأموال لها خوفاً من نهبها.
أنظر.
Stripling, George William Frederic. Op. Cit. p. 25; Bent, J. Theodore. The Bahrain Islands, In The Persian Gulf. (Proccedings Of The Royal Geographical Society And Monthly Records Of Geography. Vol. XII. N°. 1, London, January 1890. pp. 1 - 19) pp. 10 - 11, Miles, S.B. Op. Cit. p. 151 - 155.

(٢) Miles, S.B. Op.Cit. p. 161.

(٣) Belgrave, J.H.D. History of The Bahrain Islands. (Journal Of The Royal Central Asian Society. Vol. XXXIX. Part I. January 1952. pp. 57 - 68) p. 62.

الاستعدادات العسكرية لدى البرتغاليين، وفي طريق العودة إلى هرمز دمرت عاصفة قويه معظم سفن الحملة البرتغالية على البحرين[١].

وقد لجأت السلطات البرتغالية في هرمز إلى بث الفرقة والخلاف بين طوائف السكان للابقاء على الحكم البرتغالي في البحرين، فحرصت على أن يكون حاكم البحربن المحلي من الفرس السُّنَّة حتى لا يحظى بتأييد العرب السُّنَّة أو العرب الشيعة[٢].

وعندما استولى السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ قدمت عليه الوفود من البصرة والجزاير والحويزة والأحساء والقطيف والبحرين للترحيب به ولاعلان الولاء والطاعة للحكم العثماني الجديد. ومنح العثمانيون الرئيس مراد حاكم البحرين لقب سنجق بك. وكان حكام البحرين قد اعتادوا على نقل ولائهم من جار قوي لجار آخر أقوى وفقاً لمصالحهم السياسية والاقتصادية[٣].

ثم خضعت البحرين لحكم هرمز مرة أخرى. وفي عام ١٥٤٣ بلغت عائدات ملك هرمز من الجمارك في البحرين ٠٠٠و٣٠٠ كروسادو وعدة آلاف أخرى من الأشرفيات التي استحقت على هرمز كجزية عليها[٤]. وعندما ثار أهالي القطيف في منتصف القرن السادس عشر (١٥٥٠) على ملك هرمز وطلبوا الحماية العثمانية، حرّض البرتغاليون ملك هرمز على اخضاعهم مما أدى إلى طرد العثمانيين منها.

ولم يبذل العثمانيون جهداً جدياً لتوطيد نفوذهم في البحرين حتى عام ١٥٥٩ عندما أرسلوا قواتهم لاستعادة نفوذهم على البحرين التي عادت إلى

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٥. انظر صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥ - ٢٦، جيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٢) جيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٨.
(٣) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥٢ - ٥٣.
(٤) Danvers, F.C. Op. Cit. pp. 115 - 116.

حكم ملوك هرمز الخاضعين للتاج البرتغالي. وقد ضمت القوة العثمانية سفينتين وسبعين مركباً شراعياً و١٢٠٠ من الانكشارية ولذلك طلب الرئيس مراد النجدة من ملك هرمز، فتحرك أسطول برتغالي نحو البحرين، ولكن العثمانيين استدرجوه إلى كمين وألحقوا به خسائر كبيرة بلغت نحو سبعين رجلاً، ثم وصلت نجدات برتغالية أخرى من هرمز وساعدتها قوات فارسية مما أدى إلى ارغام القوة العثمانية على الاستسلام للبرتغاليين بشروط منها أن يدفع العثمانيون عشرة آلاف دوكة والتخلي عن السلاح والخيل للبرتغاليين واطلاق سراح الأسرى[1]. وفي مقابل ذلك قامت السفن البرتغالية بنقل أفراد القوة العثمانية إلى ساحل الأحساء.

(١) Ozbaran, Salih. Op. Cit. pp. 67; Hawley, Donald The Trucial States (London 1970) p. 73.

وانظر أيضاً، لوريمر ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٨.

استيلاء الفرس على البحرين

بعد أن وحد الشاه عباس الأول بلاده قرر إنهاء احتلال البرتغالي لهرمز والبحرين بخاصة والخليج العربي بعامة. وقد عهد الشاه عباس بمهمة طرد البرتغاليين من البحرين إلى حاكم شيراز الله وردي خان الذي ارسل جيشاً الى البحرين في عام ١٦٠٢ بقيادة معين الدين فال[1] الذي تمكن من طرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٠٢ وكان ذلك مقدمة لطردهم من قشم وجمبرون وهرمز فيما بعد.

وكان الفرس قد اغتنموا وفاة ملك هرمز فرخ شاه في عام ١٦٠١ وبعد أن تولى ولده فيروز شاه الحكم استوزر شرف الدين لطف الله الذي عين أخاه ركن الدين مسعود[2] حاكماً على البحرين. وعندما أبدى ركن الدين رغبته في الاستقلال عن هرمز لبعض الأعيان الفرس «معين الدين فال»[3] رحب حاكم شيراز الله وردي خان بالفكرة وعرض مساعدته على ركن الدين. ثم دخلت القوات الفارسية البحرين في عام ١٦٠٢ وتمت لها السيطرة على البحرين بعد أن قتلت حاكمها ركن الدين مسعود.

---

(١) Adamıyat, Fereydoun. Bahrain Islands (U.S.A. 1955) p. 23.

(٣) يذكر جيمس بلجريف أن حاكم البحرين البرتغالي قتل أحد أثرياء البحرين في عام ١٦٠٢ وصادر ثروته فثار أخوه «ركن الدين» وقتل الحاكم البرتغالي واحتل القلعة ووضع نفسه تحت حماية الفرس. أنظر، البحرين، ص ١٣٩.

(٣) هناك تناقض في الروايات حول شخصية معين الدين فال، فبعضها يذكر أنه من أقرباء ركن الدين مسعود البعيدين وأنه قاد الجيش الفارسي الذي غزا البحرين وطرد الحامية البرتغالية منها. أنظر.

Faroughy, Abbas. Op. Cit. p. 63.

وعندما علم ملك هرمز «فيروز شاه» باستيلاء الفرس على البحرين أرسل جيشاً بقيادة وزيره شرف الدين لطف الله. كذلك جهزت السلطات البرتغالية في الخليج العربي حملة بحرية ضمت عدداً من السفن. فاضطر حاكم شيراز الله وردي خان إلى فرض الحصار على القلعة البرتغالية في جمبرون لتخفيف الضغط على القوات الفارسية المحاصرة في البحرين، ونجحت خطة الله وردي خان حيث توجهت بعض السفن البرتغالية إلى جمبرون لرفع الحصار الفارسي عنها. وبذلك تمكنت فارس من توطيد نفوذها في البحرين[1]، رغم علاقاتها الودية مع اسبانيا التي احتجت على ذلك. وكان رد الشاه عباس أنه أخذ البحرين من ملك هرمز وليس من الاسبان واحتجت السلطات البرتغالية في الهند على غزو الفرس للبحرين ولكنها لم تلجأ إلى الاغارة على البحرين حتى لا تعكر صفو العلاقات الاسبانية الفارسية[2]. وعندما حاولت تنظيم حملة عسكرية لاستعادة البحرين واستغلال مصائد اللؤلؤ فيها في عام ١٦٤٥ فشلت حيث استولى العرب على سفن الحملة قبل دخولها مياه الخليج العربي.

وفي عام ١٦٢٦ وقع خلاف شديد بين شيوخ وأعيان البحرين، فأرسل حاكم شيراز إمام قولي خان قواته وألحق الهزيمة بشيوخها ونصب عليها «سوندوك سلطان» أميراً عليها من قبله، ثم تولى حكم البحرين بابا خان. وفي عام ١٦٦٦ اشتكى سكان البحرين من ظلم حاكمهم إلى الشاه الفارسي الذي عزله وعين مكانه سلطان بن قزل خان. وكان الحكم الفارسي على البحرين اسميا حيث بقيت السلطة الفعلية في يد القبائل المحلية. وبينما كانت قوة اليعاربة في الخليج العربي في ازدياد مستمر كانت قوة الصفويين في ضعف شديد. وفي نهاية القرن السابع عشر هاجم اليعاربة البحرين مما أدى إلى

(١) بديع جمعة واحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص٣٨٣ - ٣٨٥، وانظر جيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٢) Faroughy, Abbas, Op. Cit. p. 63.

هرب معظم سكانها إلى القطيف حيث استوطن فيها كثير منهم[1]. أما مهدي قولي خان فبقي حاكماً على البحرين حتى عام ١٧٠١ ثم عزله الشاه لظلمه وعين قزاغ سلطان حاكماً على البحرين بدلاً منه، وفي عهده انفصلت البحرين عن فارس بعد ثورة أحد شيوخها الجبريين[2] فانتقلت السلطة إلى العرب الذي فرضوا سيطرتهم على البحرين حتى استعادها الفرس في عهد نادر شاه في عام ١٧٣٧ بقيادة ميرزا تقي خان وعين نادر شاه عليها الشيخ ناصر آل مذكور في عام ١٧٣٩ ثم خلفه في حكمها أخوه نصر.

---

(١) جمال زكريا قاسم: الادعاءات الايرانية في الخليج العربي - أصول المشكلة وتطورها - (المجلة التاريخية المصرية المجلد العشرون، القاهرة، ١٩٧٣) ص ١٧١.

(٢) من بقايا الجبريين الذين حكموا الأحساء حتى عام ١٥٩١، وعندما حدث خلاف بين الشيخ الجبري ووزيره، قتل الشيخ الوزير فحرضت زوجته الشاه عباس الثاني على احتلال البحرين. أنظر. محمد بن خليفة بن حمد النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية (بغداد، ١٣٣٢ هـ) ص ٦٢ - ٦٩، وانظر، عبدالله الجزائري: نبذة تاريخية عن البحرين (بيروت، ١٩٥٥) ص ٨ - ٩.

الفصل الخامس

الصفويون

أسس الشاه اسماعيل الأول الصفوي (١٤٩٩ - ١٥٢٤) الدولة الصفوية، واتخذ تبريز عاصمة لها، وجعل المذهب الشيعي رسمياً فيها وفرضه على سكانها وعمل على نشره في المناطق المجاورة لها. واستولى على بغداد في عام ١٥٠٨ واضطهد سكانها من السنّة، ودمر مساجدهم ومزاراتهم وأخضع بقية أنحاء العراق بعد أن قضى على سلطة العشائر والقوى المحلية فيها، وفي عهده اشتدت المنافسة الصفوية - العثمانية، واستغل الشاه إسماعيل سخط التركمان الذين قاموا بثورة في عام ١٥١١ ضد الدولة العثمانية، فأرسل دعاته إلى الأناضول لنشر المذهب الشيعي في أوساط تركمان الأناضول مستفيداً من انشغال السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) بالنزاع الدائر بين أولاده فاستولى على معظم القسم الشرقي الجنوبي من الأناضول. ولكن السلطان بايزيد الثاني تمكن من إرسال ٨٠٠٠ من الانكشارية طردت الدعاة الصفويين واتباعهم من القزلباش وغيرهم من مؤيدي الشاه إسماعيل الصفوي، وقضت على الثورة في إنطاكية[1].

وكان السلطان بايزيد الثاني قد طلب مساعدة السلطان المملوكي في مصر وقبائل الأوزبك التركمان فيما وراء النهر لوقف الاضطهاد الصفوي

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى. في أصول التاريخ العثماني (بيروت، ١٩٨٢) ص ٧٨ - ٧٩

للسكان السنّة في المناطق المجاورة لفارس. وقد استجابت قبائل الاوزبك لطلبه وقامت بسلسلة من الهجمات على حدود فارس الشرقية، واكتفى مماليك مصر بتكليف حاكم حلب المملوكي بمقاومة النشاط الصفوي على حدودهم الشمالية.

واتفق السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) مع المماليك في مصر في عام ١٥١٣ ضد الصفويين، وبعد أن اطمأن السلطان سليم الأول على حدوده الجنوبية قام بحملة اضطهاد ضد اتباع الشاه اسماعيل الصفوي في الأناضول وحشد جيشاً ضم ١٤٠و٠٠٠ من الجنود وتوجه به نحو فارس عبر أرزنجان وأرضروم ثم إلى أعالي الفرات ولكن الشاه اسماعيل الصفوي تهرب من الدخول معه في معركة حاسمة لتفوق القوات العثمانية من ناحية ولارغامها على التقدم إلى الأراضي الشمالية الجبلية للاستفادة من طبيعتها الوعرة وإطالة خطوط تموينها من ناحية أخرى. وتبنت الدولة الصفوية استراتيجية عدم الاشتباك مع الدولة العثمانية في معارك حاسمة والانسحاب التدريجي أمام القوات العثمانية لابعادها عن بلادها وإطالة خطوط مواصلاتها مما يؤدي إلى صعوبة تموينها واحجامها عن التوغل في فارس وعندئذ تتمكن القوات الصفوية من انهاكها ونصب الكمائن لها أثناء تراجعها.

وأمام هذه الاستراتيجية قرر السلطان سليم الأول في آب ١٥١٤ الزحف على تبريز لارغام الشاه اسماعيل الأول على خوض المعركة دفاعاً عن عاصمته. وفي ٢٣ آب ١٥١٤ وقعت المعركة في سهل تشالديران في منتصف الطريق بين ارزنجان وتبزيز وانتصر العثمانيون لتفوق اسلحتهم النارية وقتلوا عدة آلاف من القزلباش أتباع الشاه اسماعيل الذي تمكن من النجاة بصعوبة بعد اصابته بجراح في المعركة. واحتل السلطان سليم الأول تبريز ونقل منها بضعة آلاف من العلماء والتجار والحرفيين إلى استانبول[١] وضم ولايتي ديار بكر وكردستان وبذلك انهت معركة تشالديران الوجود الصفوي في شمال

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

العراق كما لم يستطع الشاه اسماعيل الأول القيام بعمل جدي بعدها رغم تحالفه مع السلطات البرتغالية في هرمز ضد الدولة العثمانية. واعتنم ذو الفقار خان رئيس قبيلة الموصللو الكردية وحاكم الكلهر ولورستان والبختارية وفاة الشاه اسماعيل الأول في عام ١٥٢٤ فزحف على بغداد واحتلها بعد حصار قصير وقتل حاكمها الفارسي ابراهيم سلطان (١٥٠٨ - ١٥٢٤) وأعلن ولاءه للسلطان سليمان القانوني[1].

وعندما تولى الشاه طهماسب الحكم في فارس في عام ١٥٢٤ استمر في اتباع سياسة التحالف مع حكام اوربا التي بدأها والده الشاه اسماعيل الأول. وكانت أوربا في حاجة ماسة إلى اشغال العثمانيين في جبهات أخرى للتخفيف من ضغطهم العسكري ضدها[2]. وزحف الشاه طهماسب على رأس حملة كبيرة في عام ١٥٣٠ وتوجه بها نحو بغداد وبعد حصار طويل لها اتصل سراً بأخوي حاكمها - ذو الفقار - وأغراهما باغتيال أخيهما. ونجحت خطة الشاه طهماسب فدخل بغداد وعين محمد خان والياً عليها. وبعد أن اضطهد السكان السنَّة فيها عاد إلى تبريز.

ووصلت إلى استانبول أخبار احتلال الصفويين لبغداد واضطهاد أهل السنَّة فيها على نحو مبالغ فيه، مما أثار عواطف السكان السنة في الدولة العثمانية. وبعد أن عقد السلطان سليمان القانوني الصلح مع شارل الخامس في عام ١٥٣٣ تفرغ لقتال الصفويين الذين عادوا إلى اثارة القلاقل في أوساط التركمان في الأناضول وحاولوا فرض المذهب الشيعي فيها واستمروا في اضطهاد السكان السنَّة في جهات بغداد والبصرة وتدمير مزاراتهم مثل ضريح أبي حنيفة النعمان وعبد القادر الجيلاني، كما أدى استيلاء الصفويين على بغداد إلى عرقلة مرور التجارة الشرقية إلى اوربا عبر الأراضي العثمانية بينما فرض

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ - ١٩١٨ (دمشق، ١٩٦٠) ج ١ ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley. Four Countries of Modern Iraq. (Beirut 1968) p 21.

البرتغاليون حصاراً على التجارة العثمانية مع الشرق وسدوا عليها منافذها إلى الهند.

وللأسباب السابقة زحفت القوات العثمانية لطرد الصفويين من بغداد واستولت في طريقها على المنطقة الممتدة بين أرضروم وبحيرة وان في تشرين الأول ١٥٣٣ بهدف الاستيلاء على اذربيجان، وتجنب الشاه طهماسب مواجهتها. وأرسل السلطان سليمان القانوني الصدر الأعظم الدامار ابراهيم باشا في عام ١٥٣٣ على رأس جيش كبير قضى فصل الشتاء في حلب وفي أيار ١٥٣٤ توجه الصدر الأعظم من حلب إلى ديار بكر[١] ومنها توجه إلى تبرير فدخلها في ١٣ تموز ١٥٣٤. وقاد السلطان سليمان القانوني جيشاً آخر من استانبول في نيسان ١٥٣٤ ولحق بالصدر الأعظم إلى تبريز فوصلها في أيلول ١٥٣٤. ثم توجه السلطان سليمان القانوني ومعه الصدر الأعظم إلى بغداد ماراً بهمدان وكرمنشاه. ودخلت القوات العثمانية بغداد دون قتال بعد أن هرب منها حاكمها الفارسي محمد خان مع قواته خوفاً من الأسر، وبذلك زال الحكم الصفوي عن بغداد. وبعد أيام قليلة وصل السلطان سليمان القانوني إلى بغداد في كانون الأول ١٥٣٤ وانقذها من أعمال النهب والسلب واستقبله سكانها بحفاوة وسرور ووفد عليه أمراء وشيوخ المناطق المجاورة لتقديم الولاء والطاعة[٢] وبعد أن نظم البلاد وقسمها إلى سناجق وعمّر ما هدم الصفويون وسجّل الأملاك والعقارات وعين سليمان باشا المجري والي ديار بكر السابق والياً على بغداد[٣]، غادرها في نيسان عائداً إلى استانبول عن طريق تبريز.

ثم امتد النفوذ العثماني إلى منطقة الخليج العربي خلال العقد التالي، وفي عام ١٥٤٦ فرضت الدولة العثمانية الحكم المباشر على ولاية البصرة ثم على الأحساء في عام ١٥٥٥. وبذلك سيطر السلطان سليمان القانوني على

---

(١) Ibid. p. 22.

(٢) Ibid. p. 25.

(٣) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٧ ـ ٢٩ وانظر، علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق. (بغداد، ١٩٢٧) ص ١٠٥.

العراق وانقذ السكان السنَّة فيها من الاضطهاد الصفوي، فأكد بذلك زعامة الدولة العثمانية للعالم الإسلامي. ولكن استيلاء الدولة العثمانية على كردستان ومعظم العراق لم يلحق الهزيمة الكاملة بالدولة الصفوية التي احتفظت بأذربيجان وجنوبي القوقاز وأجزاء من شرقي العراق، رغم استمرار تعرض حدودها الشرقية لحملات قبائل الاوزبك وتردِّي أوضاعها الداخلية.

وحاول السلطان سليمان القانوني استغلال الخلافات بين أمراء الأسرة الصفوية الطامعين في الحكم للاستيلاء على أذربيجان والقوقاز لاسيما بعد أن لجأ القاصب ميرزا أخ الشاه طهماسب إلى الأراضي العثمانية في عام ١٥٤٧ ولكن الشاه طهماسب تمكن من استعادة أذربيجان[١]، مستغلاً انشغال الدولة العثمانية في حروبها الأوربية وواصلت قواته زحفها حتى وصلت أرخيروم، مما اضطر السلطان سليمان القانوني للتوجه نحو الشرق مرة أخرى في عام ١٥٥٢ بعد أن أتمت قواته استعداداتها. وكان السلطان سليمان القانوني قد حشد اسطولاً بحرياً ضم ستين سفينة شراعية وعدته فرنسا بها وشحنها بالسلاح، كما حصل على عشرين سفينة أخرى من نيابة الجزائر بالاضافة إلى ثلاثين سفينة عثمانية من موانئ شرق البحر المتوسط توجهت كلها بالسلاح والذخيرة والمواد الغذائية إلى الموانئ السورية ثم قصدت القوات العثمانية حلب لقضاء فصل الشتاء فيها والزحف في فصل الربيع على الأراضي الفارسية.

ولكن الشاه طهماسب سحب قواته كالعادة إلى داخل حدوده وبدلاً من الدخول في حرب مع العثمانيين عرض الصلح[٢] وأرسل وفداً إلى السلطان

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) Brussels, April 28, 1553. (Calendar of State Papers, Foreign Series of The Reign of Edward VI. 1547-1553. Edited By William B Turnbull, London 1861). p. 271; Venice, Oct. 7, 1553. (Calendar of State Papers. The Reign of Mary. 1553-1558. Edited By William Turnbull. London 1861) Calendar of State Papers. Jan - Jun 1583. Edited by Arthur John Butler And Sophine Crawford Lomas. London 1913. Cobham To Walsingham. Mar. 11, 1583, p. 186; April 13, 1583. p. 258, 261.

وانظر أيضاً، عبد العزيز سليمان نوار: العلاقات العراقية الإيرانية، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات - مؤتمر أرضروم ١٨٤٣ - ١٨٤٤ (القاهرة، ١٩٧٤) ص ١١ - ١٢

سليمان القانوني لعقد معاهدة بين الدولتين. وفي ٢٩ آيار ١٥٥٥ وقع الشاه الفارسي والسلطان العثماني على معاهدة أماسية، بعد أن أدرك كل منهما أهمية الصلح لمواجهة المشاكل الداخلية في بلاده ولأن الحرب العثمانية في فارس والبلقان في وقت واحد قد تسببت في إلحاق خسائر فادحة في صفوف القوات العثمانية.

وتضمنت معاهدة أماسية ما يلي:

أ - ترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية.

ب - رسم حدود منطقة شهر زور التي طالت المنازعات بين الجانبين الصفوي والعثماني بسببها، واحترام الحدود وعدم تجاوزها بعد الاتفاق عليها.

ج - تأمين سلامة الحجاج الفرس إلى العتبات المقدسة في العراق والأماكن المقدسة في الحجاز[1].

ولكن معاهدة أماسية لم تمنع تجدد الحرب بين الدولتين الصفوية والعثمانية لأن أسباب الصراع المذهبية والتوسعية ظلت قائمة لدى الجارتين المسلمتين. فجرت بينهما معركة أخرى على نهر الفرات في عام ١٥٥٩ ولحقت بالقوات العثمانية خسائر فادحة، ثم عقد الصلح بينهما في عام ١٥٦٢ وكان أحد شروطه تسليم بايزيد إلى والده السلطان سليمان القانوني[2].

وكان بايزيد بن سليمان القانوني قد لجأ إلى الشاه طهماسب في عام ١٥٥٩ فاستقبله بحفاوة، ولما طلب السلطان سليمان القانوني إعادته اليه اشترط الشاه طهماسب عليه تسليم بغداد في مقابل ذلك. ورفض السلطان سليمان القانوني هذا الشرط واستعد لحرب الشاه طهماسب، ولكنه واجه بعض الصعوبات في العام التالي (١٥٦٠) لحدوث خلاف بينه وبين زعماء

---

(١) شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران. (بغداد، ١٩٦٦) ص ١٨ - ١٩.

(٢) History of The Late Revolution of Persia. Taken from the Memoirs of Father Krusinski Procurator of the Jesuits at Ispahan. Vol. I (London 1740). p. 23.

الانكشارية في جيشه[1]. ولذلك حبّذ السلطان سليمان القانوني استمرار المفاوضات مع الشاه طهماسب الذي شغل نفسه عن لقاء السفير العثماني وقام برحلة صيد رغم الاستقبال الحافل الذي لقيه من المسؤولين الفرس.

وقد شغلت مسألة تسليم بايزيد السلطات الفارسية والعثمانية فترة من الوقت، فقد أخبر الشاه طهماسب السفير العثماني بأن الأمر يعود إلى بايزيد، فاما أن يختار البقاء في فارس أو العودة إلى والده وانه لا يستطيع تسليمه على الرغم عنه. وفشلت السفارة العثمانية إلى فارس في إقناع الشاه بتسليم بايزيد. وكان الشاه طهماسب قد أصهر إلى بايزيد[2] وزوجه ابنته واضطر السلطان سليمان القانوني إلى التهديد باستخدام القوة ضد الشاه طهماسب، فأعلن في عام ١٥٦١ أنه سيزحف على رأس جيش كبير إلى فارس وطلب السلطان العثماني من حلفائه الجورجيين والتتار الاستعداد وأخذ الحيطة والحذر من زيادة قوات الشاه طهماسب ولكن صحة السلطان العثماني لم تكن جيدة كما انتشر الطاعون في الدولة العثمانية[3]، مما اضطره إلى استقبال سفارة الشاه طهماسب التي حملت اليه المطالب التالية:

أ ـ حرية المرور للرعايا الصفويين في الأراضي العثمانية إلى مكة المكرمة.

ب ـ تقديم المساعدة العسكرية العثمانية للصفويين ضد قبائل الأوزبك والتركمان.

د ـ إعادة اولاد خان بتليس الأربعة الذين تمردوا على الشاه طهماسب ولجأوا إلى بغداد.

وأخيراً تم الأتفاق بين الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانوني في عام

(١) Cuido Ciannett to the Queen. Sept. 7, 1560. (Calendar of State Papers 1560-1561. On the Reign of Elizabeth. Edited By Joseph Stevenson. London 1863). p. 279.

(٢) Constantinople, March 21, 1561. (Calendar of State Papers. 1561-1562 (Elizabeth). Edited By Joseph Stevenson. London 1866). p. 130, 142, 168, 221; Aug. 31, 1561, p. 285, Sept. 13, 1561. p. 304; Jan. 3, 1562, p. 473-474 April 18, 1562, p. 613; "Advices From Constantinople and Rome.

(٣) Ibid. p. 304, 473 - 474, 613; Constantinople, Mar. 24, 1562.

١٥٦٢ على تسليم بايزيد إلى والده في مقابل إعادة أولاد خان بتليس الأربعة إلى الشاه، وبذلك استمر الهدوء على الحدود الصفوية ـ العثمانية فترة أخرى، واستعد السلطان سليمان القانوني لارسال جيش كبير ضد المجر[١].

واستمرت الحرب الصفوية ـ العثمانية في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥). ففي آذار ١٥٧٧ أمر السلطان مراد الثالث بالاستعداد على نطاق واسع لحرب الصفويين وأمر قواته في اليونان بالتجمع في أدرنه للتوجه نحو الحدود الفارسية رغم التحالف الأوربي ضد الدولة العثمانية الذي ضم البابا والاسبان والبنادقة والطاعون العنيف الذي أصاب الدولة العثمانية وصعوبة الحصول على المواد الغذائية[٢] فيها.

وفي هذه الاثناء مات الشاه إسماعيل الثاني بعد أن دست له أخته السم لقتله أخوته ولم ينج من الموت سوى أخيه الكفيف محمد ميرزا لأنه لا يصلح للحكم وأصبحت وصية على أخيها محمد ميرزا الشاه الصغير البالغ من العمر اثني عشر عاماً. وعمت الاضطرابات المقاطعات الفارسية[٣] وورث الشاه الجديد عن أخيه إسماعيل الثاني كره العثمانين الذين استغلوا الاضطرابات بعد مقتل الشاه اسماعيل الثاني وتدخلوا في الشؤون الفارسية[٤] وتجددت الحرب بين الصفويين والعثمانيين ولحقت بالعثمانيين هزيمة منكرة في عام ١٥٧٨ واستولى الصفويون على بعض المدن العثمانية، ولذلك توجه السلطان مراد الثالث إلى حلب ليكون قريباً من ميادين القتال وعين سنان باشا ومصطفى باشا لقيادة القوات العثمانية في الجبهة الفارسية في ربيع ١٥٧٩[٥]، وهاجم

---

(١) Ibid. Constantinople, Mar. 21, 1561. No.118(4).
وانظر، شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) Foreign Occurrents, March 4, 1577. (Calendar of State Papers. 1575-77. Edited By Allan James Crosby. London 1880. p. 540.

(٣) Occurrents From Constantinople. Jan. 12, 1587. (Calendar of State Papers. 1577-1578. Edited by Arthur John Butler. London 1901) p. 555.

(٤) Ibid. Pulet to the Secretaries. March 16, 1578. pp. 544-545.

(٥) Ibid. Venice, March 7, 1578. pp. 603-604; Occurrents - Vienna, March 7, 1578. pp. 695-696.

مصطفى باشا الأراضي الفارسية بقوات كبيرة. ولكنه حوصر مع قواته في بعض الممرات الجبلية ولم يتمكن معظم جيشه من النجاة كما لحقت بالعثمانيين هزيمة أخرى بالقرب من الفرات وخسروا عدداً كبيراً من جنودهم. وقد أدى انتصار الصفويين إلى اطالة أمد الحرب، فقد صمم السلطان مراد الثالث على الأخذ بالثأر من الصفويين ولذلك فشل الجانبان في التوصل إلى الصلح في حزيران ١٥٧٩[١].

ثم جرت محاولات أخرى في خريف ١٥٨٠ لعقد الصلح، فقد وصل سفير الشاه محمد ميرزا إلى استانبول للتفاوض مع الباب العالي وفشل السفير الفارسي في حمل السلطان العثماني على إعادة تفليس إلى فارس وتدمير قلعة قارص التي أقامها العثمانيون على الحدود مع فارس توطئة لعقد الصلح بين الجانبين. وأثناء إقامة السفير الفارسي في استانبول لحقت بالجيش العثماني هزيمة أخرى، وتوقع السفير أن يبدّل السلطان موقفه بعد هزيمة قواته ويقبل بالصلح مع الصفويين ولكن وفاة الصدر الأعظم وتعيين قائد جديد للجيش العثماني في فارس خلفاً له حال دون ذلك[٢]. ورغم انسحاب القوات العثمانية الرئيسية من الأراضي الفارسية تاركة بعض الحاميات للدفاع عن مناطق الحدود، وضعف الموارد العثمانية نتيجة الهزائم المتكررة والخسائر الفادحة التي لحقت بالدولة العثمانية واستمرار الاضطرابات والثورات وحركات التمرد والعصيان فيها[٣]، ولم يبد السلطان العثماني اهتماماً بالصلح بينما استمر الشاه في محاولاته الرامية لعقد الصلح مع العثمانيين.

واشتدت الحرب بين الجانبين الصفوي والعثماني في عام ١٥٨١ وعمل

---

(١) Rogers To Walsingham. Jan. 6, 1579. (Calendar of State Papers. Foreign Series of the Reign of Elizabeth. 1578-1579. Edited By Arthur John Butler. London 1903). pp. 377-378; Poulet to Walsingham. June 2, 1579. pp. 516-518.

(٢) Cobham to the Secretaries. Nov. 3, 1580. (Calendar of State Papers. 1579-1580. Edited By Arthur John Butler. London 1904) p. 476.

(٣) Letter From Cologne. Jan. 24, 1583 (Calendar of State Papers. Jan- June 1583. Edited By Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913) pp. 657-658.

السلطان مراد الثالث على حسم المعركة وفرض شروطه على الصفويين فأرسل في ربيع ١٥٨١ ثلاثين سفينة حربية محملة بالأسلحة والذخائر إلى طرابلس الشام وغيرها من الموانئ السورية لنقلها إلى جبهات القتال. وتوجه آغا الانكشارية وباشا اليونان على رأس قوات عثمانية كبيرة إلى جبهات القتال في فارس وأمر السلطان قائده سنان باشا بالتوجه على جناح السرعة إلى ميدان القتال(١). غير أن الوضع العسكري في المجر وفارس لم يكن في صالح العثمانيين حيث تمكن الصفويون من إلحاق الهزيمة بهم في آب ١٥٨٢. وزاد الموقف العسكري للعثمانيين حرجاً بعد المشاورات بين المانيا والبندقية والبابا لتشكيل حلف ضد العثمانيين وتشجيع الدول الأوربية الصفويين على الاستمرار في عملياتهم العسكرية، ولذلك نشطت الحرب بين الجانبين الصفوي والعثماني على الرغم من استمرار المفاوضات لعقد الصلح بينهما، وكانت الحرب الصفوية ـ العثمانية موضع ترحيب وسرور من الدول الأوربية(٢) التي كانت تخشى من توجيه القوات العثمانية ضدها إذا ما عقد الصلح بين الدولتين الصفوية والعثمانية. أما الصفويون فعقدوا حلفاً مع أمير جورجيا للاستمرار في الحرب ضد العثمانيين(٣). ورغم استعداد الشاه محمد ميرزا للقتال فقد أرسل في صيف ١٥٨٢ سفيره إلى استانبول حيث أمر السلطان مراد الثالث باعتقاله.

ولكن موقف السلطان العثماني من مسألة الصلح قد تبدل بعد أن أحرزت قواته بقيادة عثمان باشا نصراً على القوات الصفوية التي خسرت حوالي الفي قتيل وثمانمئة أسير في مطلع عام ١٥٨٣. وازدادت المعارك حدة بين الجانبين وأعلن السلطان مراد الثالث عن رغبته في التوجه لقتال

---

(١) Gilpin to Walsingham. Sept. 17, 1580 (Calendar of State Papers. 1579-1580. Edited By Arthur John Butler. London 1904) pp. 418-419; Pietro Bizarri to Walsingham. Aug. 12, 1582 (Calendar of State Papers. May - Dec. 1582) pp. 242-243.

(٢) Ibid. pp. 261-262. Cobham to Walsingham. Aug. 21, 1582.

(٣) Cobham to Walsingham. Nov. 1581. pp. 379-380. (Calendar of State Papers. 1581-1582. By Arthur John Butler. London 1907) pp. 379-380.

الصفويين[1]، ثم عدل عن رغبته وأرسل سفيراً إلى الشاه محمد ميرزا لعقد الصلح ولكن السفير فشل في مهمته واستمرت الحرب بين الجانبين.

ولحقت بالقوات العثمانية هزيمة منكرة بعد وقوعها في كمين نصبته لها القوات الصفوية أثناء عودتها من مدينة تفليس وفقدت حوالي أربعة آلاف من جنودها. كما تجددت الأعمال العسكرية بين الجانبين على حدود شيروان رغم رغبة الشاه محمد ميرزا في عقد الصلح مع العثمانيين، ولكن الخلاف الذي حدث بين الشاه محمد ميرزا وولده عباس حال دون ذلك مما أدى إلى استمرار الاستعدادات العثمانية لنقل الأسلحة والذخائر والمواد الغذائية من الموانئ السورية إلى جبهات القتال التي اشترك فيها باشوات بلاد الشام[2]. واستعانت الدولة العثمانية بالقائد عثمان باشا للاستفادة من خبراته والانتفاع بخدماته حيث سبق له هزيمة القوات الصفوية في مطلع عام ١٥٨٣ واستسلمت مدينة روان الفارسية إلى عثمان باشا في آب ١٥٨٣ بعد أن دمر الصفويون كل القلاع والمباني فيها وأحرقوا كل حقول الذرة والقمح وكل شيء يمكن أن يستفيد منه الجيش العثماني[3]. ولكن القوات الصفوية تمكنت من هزيمة عثمان باشا وأرغمته على التراجع إلى مازندران بعد أن قتلت عدداً كبيراً من جنوده ونهبت كثيراً من مدافعه.

وعيّن السلطان مراد الثالث فرهاد باشا قائداً للجيش العثماني في فارس بدلاً من عثمان باشا الذي لحقت به هزيمة مرة على الرغم من خسائر القوات الصفوية والتي بلغت نحو عشرة آلاف قتيل[4]. وخاف الصدر الأعظم من أن

---

(١) Henry Unton to Walsingham. April 13, 1583. (Calendar of State Papers. Jan-June 1583. Edited By Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913) pp. 261-263; Advertiesements from Sundry Parts. Turkey. Jan. 1583. p.650.

(٢) John Newbereir to Walsingham. May 30, 1583. (Calendar of State Papers. Jan. - June 1583. Edited By Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913). p. 371.

(٣) Harborne to Walsingham. Aug. 28, 1583. (Calendar of State Papers. July 1583 - July 1584. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1914) pp. 85-86.

(٤) Ibid. pp. 179-180. Harborne to Walsingham Oct. 24, 29, 1583.

تشجع الهزائم التي منيت بها القوات العثمانية في فارس الدول الأوربية للاعتداء على الدولة العثمانية.

واستمرت الامدادات العثمانية ترد على جبهات القتال مع فارس وزادت الدولة العثمانية من حشد طاقاتها العسكرية لكسب الحرب فأصدر السلطان مراد الثالث في آذار ١٥٨٤ أوامر باستدعاء المتقاعدين العسكريين للاشتراك في الحرب لاعداد قوات كبيرة لاستخدامها ضد القوات الصفوية. وفي صيف ١٥٨٤ أمر السلطان السباهية بالاستعداد للتوجه إلى جبهات القتال مرة أخرى بعد وقت قصير من عودتها منها[١]. وواصلت الدولة العثمانية إرسال الإمدادات إلى جيشها في عام ١٥٨٥، فأرسلت معدات وذخائر وجندت أعداداً كبيرة من السكان ضد رغباتهم واستمرت الحرب التي أرهقت الجانبين فترة أخرى.

وتمكنت القوات الصفوية من هزيمة القوات العثمانية بالقرب من تبريز رغم عددها الكبير وكان الفرس قد اتبعوا سياسة الأرض المحروقة لتدمير كل ما يمكن للعثمانيين الانتفاع به[٢]. ودخل الشاه الصفوي في حلف مع حاكم جورجيا لمفاجأة القوات العثمانية في تبريز وغيرها من المدن التي احتلتها، ولكن تبريز ظلت تحت السيطرة العثمانية لتفوق الحامية العثمانية فيها من ناحية وعجز القوات الصفوية في الاستيلاء على الأماكن المحصنة من ناحية أخرى. ولذلك لجأت القوات الصفوية إلى قطع الطرق المؤدية إلى تبريز لمنع وصول النجدات اليها ولارغام الحامية العثمانية على الاستسلام بعد تجويعها[٣] بدلاً من استخدام القوة ضدها. وأعرب الشاه محمد ميرزا في عام ١٥٨٥ عن رغبته في

(١) Harborne to Walsingham. March 1, 1584; Harborne to Walsingham. April 30, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XIX. Aug. 1584- Aug 1585. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1916). pp. 313-314, 441-442.

(٢) Harborne to Walsingham. May 31, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XIX.) pp. 512-513.

(٣) News From Diver Parts. Constantinople, April 9, 1586. (Calendar of State Papers. Vol. XX. Sept. 1585-May 1586. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1921) p. 609.

التوصل إلى الصلح مع العثمانيين مرة أخرى. ولكن السلطان مراد الثالث كان لا يزال يأمل بتحقيق النصر مع الصفويين ولذلك استمر في إرسال قوات جديدة إلى الجبهة الفارسية في عام ١٥٨٦. وفي نهاية عام ١٥٨٦ هزم الصفويون العثمانيين في جورجيا وقتلوا حوالي خمسة آلاف من جنودهم مما أضعف إمكانية عقد الصلح بين الجانبين. واستأنف العثمانيون نشاطهم العسكري في عام ١٥٨٧ فبنوا سبع قلاع على الحدود الفارسية واستولوا على قلاع أخرى في فارس، ورغبوا في الاحتفاظ بجيش كبير على الحدود الفارسية لتعزيز موقفهم العسكري في منطقة الحدود[١].

وتأثرت الدولة العثمانية من الخسائر بسبب استمرار الحرب ولم يستطع عثمان باشا مواصلة القتال ضد الصفويين في صيف ١٥٨٥ بعد أن نهب جنوده معسكره في أرضروم وتمردت عليه الانكشارية والسباهية بعد يومين من بدء رحلته من أرضروم للاغارة على القوات الصفوية في تفليس ونهبت جميع المواد الغذائية التي احتفظ بها في الوقت الذي نفذ فيه الشاه الصفوي سياسة الأرض المحروقة، مما اضطره للعودة إلى أرضروم لقضاء فصل الشتاء فيها[٢]. ووجد السكان في منطقة أرضروم صعوبة في تموين الجيش العثماني الذي بلغ عدده حوالي ٦٠٠و٠٠٠ رجل فقد تأثر الاقتصاد العثماني لحرمان الزراعة من القوة العاملة النشيطة بسبب الحاجة المستمرة للجنود، كما أنفقت الدولة العثمانية معظم ما في خزينتها من أموال[٣]، كما تسببت الحرب الصفوية العثمانية المستمرة في زيادة قلق السباهية والانكشارية لخوفها من هبوط

---

(١) News From Diver Parts. Constantinople, Nov. 18, 1586; Harborne to Walsingham. June 19, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXI Part I. June 1586. June 1588. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1927) pp. 417-418, 647-649.

(٢) Harborne To Walsingham, Sept. 7, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XX. Sept. 1585- May 1586. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1921) pp. 13-14.

(٣) Ibid. pp. 13-14. Harborne to Walsingham. July 15, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XIX. Aug. 1584 - Aug. 1585. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1916). pp. 598-599.

القوة الشرائية لرواتبها النقدية والتي سجلت انخفاضاً قدره ٥٠٪ من قيمتها قبل حروب السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) ضد الصفويين.

وحدث تطور جديد في عام ١٥٨٧ حيث تولى عباس الأول الحكم في فارس بعد تنازل والده الشاه محمد ميرزا عن الحكم بعد الخسائر الفادحة التي لحقت بالقوات الصفوية في تبريز(١)، وصرف الشاه عباس الأول السنوات الأولى من حكمه في تدعيم مركزه في القسم الشمالي من فارس.

ولذلك أبدى الشاه عباس الأول رغبته في عقد الصلح مع العثمانيين أكثر من أي وقت مضى، ولكن عدم توفر الثقة وحسن النية لدى الجانبين أدى إلى استئناف الحرب، واستعد السلطان مراد الثالث للحرب وأمر بتجهيز جيش عثماني كبير بقيادة الصدر الأعظم للتوجه إلى الحدود الفارسية(٢). وجرت استعدادات حربية في آب ١٥٨٨ في الدولة العثمانية ضد الصفويين على الرغم من إرهاق الخزينة العثمانية بسبب الحروب المستمرة ضد فارس.

وحصل القائد العثماني فرهاد باشا على موافقة السلطان مراد الثالث لبناء قلعتين حول مدينة روان للدفاع عنها ضد الجورجيين والصفويين(٣). وتمكن العثمانيون في نهاية عام ١٥٨٨ من تحقيق النصر على الصفويين بالقرب من أردبيل بعد أن أسرعت الدولة العثمانية في إرسال الامدادات العسكرية إلى جبهات القتال في فارس، وكانت قد لحقت بالقوات العثمانية بقيادة فرهاد باشا هزيمة منكرة بعد حصاره في بعض الممرات الجبلية وانحياز التتار إلى جانب الصفويين.

(١) Edward Barton to Walsingham. Aug. 31, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII. July - Dec. 1588. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1936) p. 172.

(٢) Steph Powle to Walsingham. Venice, Feb. 12, 1588 (Calendar of State Papers. Vol. XXI. Part I. June 1586 to June 1588. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1927). p. 503, 505; William Harborne to Walsingham Aug. 1, 1588. (Calendar of State Papers). Vol. XXII. July - Dec. 1588. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1936). p. 101.

(٣) Edward Barton to Walsingham. Aug. 29, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII. July - Dec. 1588. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1936). p. 165.

ورغب الشاه عباس الأول في الانتقام من القوات العثمانية واستغل تعرض الدولة العثمانية للخطر في خريف ١٥٨٨ بسبب وجود اتجاهات معادية لها في أوربا حيث كانت بولندا تستعد لشن حرب ضدها[١]. فقسم قواته إلى قسمين توجه الأول نحو بغداد ليمنع انضمام قوات سنان باشا «جيغال أوغلو» إلى قوات فرهاد باشا. وتوجه الثاني إلى تبريز لمقاومة القوات العثمانية التي كانت تستعد لغزو الأراضي الفارسية.

ولكن الشاه عباس الأول اضطر إلى التراجع أمام الضغط العثماني على منطقة أردبيل، وسعى لعقد الصلح مع الدولة العثمانية في عام ١٥٨٩. غير أن القائد العثماني فرهاد باشا رفض الاصغاء لعرض السلام الذي تقدم به الشاه عباس حتى يوافق على إرسال ولده إلى الآستانة ليكون رهينة لدى السلطان العثماني[٢] مراد الثالث الذي كان يشكو أيضاً من استمرار الحرب، ويرغب في عقد الصلح لفراغ خزائنه من الأموال وحتى يتمكن من مواجهة الخطر الأوربي، ولخوفه من خوض الحرب على جبهتين في وقت واحد[٣]، وخشيته من نتائج تمرد الانكشارية، التي رفض ثمانية آلاف من أفرادها في مطلع ١٥٨٩ مغادرة الآستانة إلى فارس قبل أن يذهب السلطان ومعه السباهية اليها، كما تمرد الجنود العثمانيون على ضباطهم في فارس لعدم دفع مرتباتهم في شباط ١٥٨٩. مما أضطر السلطان مراد الثالث إلى التهديد بقطع رؤوس كبار المسؤولين العثمانيين إذا لم يسارعوا بدفع مرتبات الجيش العثماني[٤].

وعلى الرغم من رغبة الدولتين في عقد الصلح فقد استمرت الحرب عاماً آخر، وخيبت القوات العثمانية بقيادة فرهاد باشا الآمال المعقودة عليها

---

(١) Edward Barton to Walsingham. Oct. 12, 25, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII. July - Dec. 1588) p. 282; J. Wrothe to Walsingham. Jan. 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII) p. 393.

(٢) News From Venice. Feb. 3, 1589. (Calendar of State Papers. Vol. XXIII. Jan. 1589- July 1589. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1950) pp. 62-63.

(٣) Edward Barton to Walsingham. Oct. 12 and 25, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII) pp. 281-282.

(٤) Edward Barton? To Walsingham? Feb. 14 and 28, 1589 (Calendar of State Papers. Vol. XXIII. Jan. 1589- July 1589) p. 132, 134.

وفشلت في استعادة الأماكن التي خسرتها الدولة العثمانية في حروبها السابقة. كما أن الهزيمة التي لحقت بها أضرَّت بمحاولات عقد الصلح. وبينما كان الجانبان الصفوي والعثماني يستعدان للحرب في ربيع ١٥٩٠ اضطر الشاه عباس للدخول في مفاوضات لعقد معاهدة الصلح مع العثمانيين لوقف خطر قوات قبائل الأوزبك الذي هدد حدوده الشرقية. وكان السلطان العثماني مراد الثالث راغباً في عقد الصلح[١] أيضاً.

وجرت المفاوضات في الآستانة، وفرض العثمانيون شروطهم على الشاه عباس الأول وتم التوقيع على المعاهدة في ٢٢ آذار ١٥٩٠ وتضمنت ما يلي[٢]:

أ ـ تنازل الشاه عباس الأول للسلطان مراد الثالث عن تبريز والولايات الغربية من فارس ـ خوزستان وشماخي وتفليس وقسم من منطقة لارستان وشهرزور.

ب ـ توقف الفرس عن الاساءة إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة.

ج ـ ارسال حيدر ميرزا ابن أخ الشاه عباس رهينة لدى السلطان مراد الثالث في الآستانة لاحترام المعاهدة.

د ـ الافراج عن الأسرى الصفويين والعثمانيين.

وأرسل فرهاد باشا دفترداره[٣] إلى السلطان مراد الثالث ليبشره بعقد الصلح. ولذلك حظي فرهاد باشا بمنزلة رفيعة في الدولة العثمانية واحتل المرتبة التالية للصدر الأعظم وتلقى من السلطان مراد الثالث هدايا ثمينة، ولكن بعض منافسيه في بلاط السلطان ادعى عليه جمعه أموالاً طائلة أثناء قيادته الجيش العثماني في فارس مما اضطره إلى دفع نصف مليون دوكة إلى السلطان لينجو من مصادرة ممتلكاته. واضطر الشاه إلى ارسال خان أردبيل إلى الآستانة ومعه ابن أخيه حيدر ميرزا مع هدايا ثمينة إلى السطان العثماني[٤].

(١) List and Analysis of State Papers. Elizabeth I. Vol. I, Aug. 1589 - June 1590. Edited By Richard Bruce Wernham (London 1964). p. 432. pp. 438-439.

(٢) لوريمر، ج.ج: دليل الخليج ـ القسم التاريخي ـ (الدوحة، ١٩٧٦) ج ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٣) Ibid p. 439.

(٤) List and Analysis of State Papers. Vol. I p. 444.

واستقبلت العاصمة العثمانية السفارة بحفاوة بالغة حيث كان في استقبالها ٧٠٠٠ من المشاة و٥٠٠٠ من الفرسان و٦٠٠٠ من كبار موظفي القصر السلطاني والانكشارية ولابسي الدروع. ونقلت عشرين سفينة الوفد الفارسي إلى الجانب الأوربي من العاصمة استانبول، كذلك كانت السفارة الفارسية مناسبة للانكشارية للمطالبة بزيادة مرتباتها في مقابل مشاركتها في الاستقبال كما أدى قرار السلطان مراد الثالث بتزيين العاصمة إلى قيام السباهية بأعمال النهب والسلب والاعتداء على السكان[١]. وبعد وصول حيدر ميرزا إلى الآستانة كتب السلطان مراد الثالث إلى ملكة انكلترا اليزابت متباهياً بأنه قد شغل لعدة سنوات بالحرب مع الصفويين حتى توسل الشاه عباس إليه وأرسل ابن أخيه حيدر ميرزا إلى الباب العالي والتمس منه عقد الصلح[٢]. وكان السفير الانكليزي في الآستانة قد أبدى اهتماماً عميقاً بالشؤون العثمانية وحرص على إرسال التقارير إلى لندن عن الدولة العثمانية والتي تضمنت اسماء كبار موظفيها وحكام ولاياتها. كذلك اهتمت الدول الأوربية بالصلح الصفوي العثماني خوفاً من زيادة الضغط على حدودها[٣].

ومهما يكن من أمر فقد حقق العثمانيون هدفين من عقد الصلح مع الصفويين في عام ١٥٩٠ هما:

أ - تأمين سلامة حدودهم على الجبهة الفارسية ليتفرغوا لقتال الدول الأوربية.

ب - وقف الحملات الصفوية المذهبية ضد السكان السنّة لاسيما في مناطق الحدود.

وحرص الشاه عباس الأول في العقد الأخير من القرن السادس عشر على إظهار مودته وحسن نيته نحو الدولة العثمانية وعلى أن يكون السفراء

---

(١) Ibid. p. 444

(٢) Ibid. pp. 452-453.

(٣) Barton Delivers the Queen's Letters. Aug. 23, 1590. (List and Analysis of State Papers. Foreign Series. Elizabeth I. Vol. II. July 1590 - May 1591. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1969). pp. 458-459, 460.

الفرس إلى السلطان العثماني من ذوي المكانة الرفيعة في فارس[1]. وفي الوقت الذي كان فيه يستعد لشن ا خ ب ضدها .ولذلك نقل عاصمته من قزوين إلى اصفهان ليبعد العاصمة الصفوية عن الخطر العثماني المرتقب.

وبعد وفاة ابن أخ الشاه عباس الأول حيدر ميرزا[2] في استانبول في عام ١٥٩٦ أرسل السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣) سفيراً إلى الشاه عباس الأو' لأعادة النظر في معاهدة ١٥٩٠ وليرسل ولده الأكبر إلى الآستانة رهينة في بلاط السلطان. وللحصول على مزيد من الامتيازات وترك خراسان للاوزبك الذين استولوا على مشهد. ورفض الشاه عباس الموافقة على مقترحات السلطان العثماني واستغل سوء الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان مراد الثالث في عام ١٥٩٥ والاضطرابات التي تزعمها بعض الباشوات العثمانيين ومضايقة التجار الفرس والاستيلاء على أموالهم في الأراضي العثمانية، وثورة الجلاليين الذي سيطروا على بعض الولايات العثمانية على الحدود الفارسية وعاثوا فيها فساداً مما أدى إلى اضطراب الأوضاع الاقتصادية في الأناضول بعد هرب الفلاحين من قراهم. وعندما زاد ضغط الدولة العثمانية عليهم في عام ١٦٠٨ هربوا إلى فارس حيث رحَّب الشاه عباس بزعمائهم. كذلك حدثت فتنة في بغداد ضد الوالي العثماني أدت إلى توقف الامدادات عن قلعة نهاوند العثمانية، وانتهز الشاه عباس الفرصة فدمرها في عام ١٦٠٢ . كذلك استفاد الشاه عباس من خدمات الأخوين شيرلي في إنشاء مصنع للاسلحة النارية وتزويد جيشه بالمدافع وفق الأنظمة الأوربية.

وعندما نشب نزاع مسلح في عام ١٦٠٢ بين علي باشا حاكم تبريز

---

(١) Lists and Analysis of State Papers. Foreign Series. Elizabeth I. Vol. III. June 1591 - April 1592. Edited By Richard Bruce Wernham. (London, 1980) p. 504.

(٢) حاول أحد الخدم الجورجيين في مقر السلطان العثماني دس السم للأمير الصفوي في عام ١٥٩٠ ولكن طبيب السلطان أنقذه.
انظر.

List and Analysis of State Papers. Vol. I. p.444.

العثماني وغازي بك الكردي حاكم مدينة سلماس اغتنم الشاه عباس انشغال معظم قوات علي باشا بعيداً عن تبريز فاستولى عليها في عام ١٦٠٣. وعندما حاول علي باشا استعادتها وقع في أسر الشاه عباس الذي تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على قلعة تبريز بدون قتال وأمر بهدمها دلالة على انتهاء الحكم العثماني في منطقة أذربيجان[١].

كذلك استفاد الشاه عباس الأول من الاضطرابات التي حدثت في الآستانة بعد وفاة السلطان محمد الثالث وتولي ابنه السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٦) البالغ من العمر ستة عشر عاماً، وفقدت القوات العثمانية بقيادة شريف باشا الأمل في سرعة وصول النجدات اليها من الآستانة واستسلمت قلاع ايروان الثلاث للشاه عباس في عام ١٦٠٤.

وأمر السلطان أحمد الأول باعداد جيش كبير بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا المشهور باسم جيغال أوغلو لاستعادة نهاوند وتبريز ونخجوان وايروان وغيرها من مدن أذربيجان. وتوقف الجيش العثماني في مدينة قارص على الحدود الفارسية - العثمانية لرسم الخطط والاستعداد للهجوم على أذربيجان. وكان الشاه عباس الأول على علم تام بتحركات الجيش العثماني، فأحرق كل شيء وردم آبار المياه وأمر بترحيل السكان على امتداد الطريق الذي سيسلكه الجيش العثماني في هجومه على أذربيجان. وبنى قلعة جديدة في تبريز وأمر بحفر خندق حولها وزودها بالمعدات العسكرية والمواد الغذائية الكافية[٢].

وتقدم الجيش العثماني من قارص قاصداً ايروان ونخجوان في فصل الشتاء ولكن الأحوال الجوية القاسية وسياسة الأرض المحروقة التي نفذها الشاه عباس اضطرت سنان باشا إلى التراجع نحو وان بعد أن لحقت بجيشه خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وتشجع الشاه عباس فأمر قائده الله وردي خان بمهاجمة الجيش العثماني في وان قبل أن يتمكن من تنظيم صفوفه

(١) بديع جمعة واحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم (القاهرة، ١٩٧٦) ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٣١.

(٢) بديع جمعة واحمد الخولي: المرجع السابق، ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

وقبل أن تصله الامدادات العسكرية، وفوجئ سنان باشا باقتراب القوات الصفوية، فاحتمى مع قواته بقلعة وان وعندما فقد الأمل هرب مع عدد من مستشاريه عن طريق بحيرة وان نحو الأراضي العثمانية وأخذ يستعد لجولة أخرى من القتال ضد الصفويين وتقدم بقواته البالغة حوالي مئة ألف نحو أذربيجان وعسكر بها بالقرب من مدينة سلماس. ولكن القوات الصفوية بقيادة الله وردي خان ألحقت هزيمة أخرى بالقوات العثمانية في عام ١٦٠٥. ومات سنان باشا «جيغال أوغلو» كمدا بعد يومين من هزيمته الأخيرة.

أدرك الصدر الأعظم درويش باشا أن مصلحة الدولة العثمانية تقضي بابرام الصلح مع الدولة الصفوية فاقترح على الشاه عباس الأول طلب الصلح من السلطان أحمد الأول. واستجاب الشاه لطلب الصدر الأعظم وأرسل سفيراً محملاً بالهدايا ومعه رسالة يقترح الشاه عباس فيها على السلطان أحمد عقد الصلح بنفس شروط معاهدة ١٥٦٢ التي توصل اليها الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانوني. ولم ينتظر الشاه عباس الأول موافقة السطان أحمد الأول على مقترحاته بل استمر في إخضاع منطقة أذربيجان والسيطرة على كل قلاعها. وتمكن في عام ١٦٠٧ من الاستيلاء على قلعة شماخي عاصمة أقليم شيروان، وأدرك الصدر الأعظم مراد باشا بأن المصلحة العامة تقضي بالاسراع بعقد معاهدة صلح مع الصفويين فكرر طلب الصدر الأعظم السابق درويش باشا واستجاب الشاه عباس مرة أخرى فبعث رسالة للسلطان أحمد في عام ١٦٠٩ وجرت مفاوضات بين الجانبين استغرقت عدة سنوات وانتهت بتوقيع معاهدة الصلح في عام ١٦١١ بين الشاه عباس الأول والصدر الأعظم مراد باشا ونصت على ما يلي(١).

أ ـ الاعتراف بالحدود الصفوية على ما كانت عليه في عهد السلطان سليم الأول والشاه اسماعيل الأول وبذلك تخلى العثمانيون عن فتوحات السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) ومحمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣).

---

(١) بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص ١٨٣ ـ ١٨٨.

ب ـ تعهد الشاه عباس بتصدير مئتي حمل من الحرير سنوياً إلى الدولة العثمانية بدون مقابل.
ج ـ تقوم كل دولة بتعيين ممثلين عنها لتحديد الأراضي التابعة لكل منهما.

واجتمعت اللجان المشتركة الصفوية ـ العثمانية لرسم الحدود الفاصلة بين الدولتين في مدينة سلماس بأذربيجان ونجحت في رسم الحدود في منطقة أذربيجان وأرمينيا كما تم الاتفاق على تقسيم بلاد الكرج بين الدولتين، مما أدى إلى ثورة طهمورث خان حاكم ولاية كاخت ضد الشاه عباس الذي قضى على الثورة بعنف بالغ في عام١٦١٦ .وتوترت العلاقات الصفوية ـ العثمانية لامتناع الشاه عباس الأول عن إرسال كمية الحرير التي تعهد بتقديمها سنوياً للدولة العثمانية وتجاوزاته على بلاد الكرج، واتهمه العثمانيون بافتعال الهجمات عبر الحدود لتقويض المباحثات، ولكن الشاه عباس أقنع الصدر الأعظم نصوح باشا بأنه أمر جيشه باخضاع الثائرين في الجانب الصفوي من الحدود وللتأكيد على حسن نيته أمر بالافراج عن الأسرى العثمانيين. وأمر السلطان العثماني باعدام الصدر الأعظم نصوح باشا لاتهامه بالتواطوء مع الشاه عباس، وحشد جيشاً كبيراً بقيادة الصدر الأعظم الجديد محمد باشا الذي توغل في منطقة أذربيجان وحاصر قلعة ايروان في عام ١٦١٦ ولكنه فشل في الاستيلاء عليها فعاد إلى مدينة وان حيث عزله السلطان، وعين مكانه خليل باشا الذي تقدم بجيش كبير نحو أذربيجان. وبادر الشاه عباس إلى احراق كل شيء في الطريق بين ديار بكر وتبريز وأخلى تبريز من السكان والمؤن والجنود وأمر باحراقها وعسكر بقواته في مدينة أردبيل.

وقصد الجيش العثماني تبريز وتمكن من دخولها بدون مقاومة. ولما كانت المدينة مهجورة لم يمكث فيها سوى بضعة أيام واضطر إلى الاقامة خارجها. وأخذ يستعد لاحتلال المدن الفارسية الأخرى. ورفض الشاه عباس مقترحات الصدر الأعظم خليل باشا لعقد الصلح وقامت القوات الصفوية بهجوم مباغت على الجيش العثماني المعسكر بجوار تبريز وأوقعت به خسائر فادحة بلغت حوالي خمسة عشر ألف قتيل. وبذلك أصبح الوضع في منطقة

أذربيجان في صالح الشاه عباس وفقدت الدولة العثمانية زمام المبادرة خلال الفترة الباقية من حكم الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩)، وحرصت على توقيع معاهدة سراو مع الدولة الصفوية في ٢٧ أيلول ١٦١٨.

وتضمنت المعاهدة ما يلي[١]:

أ ـ التأكيد على الحدود الصفوية ـ العثمانية كما كانت عليه في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) مع تعديل طفيف حيث تم تبادل مناطق الحدود بين الدولتين فتنازلت الدولة العثمانية عن درنة ودرتنك وتنازلت فارس عن أخسخة[٢].

ب ـ عدم قيام الصفويين باستفزازات مذهبية.

ج ـ عدم تدخل إحدى الدولتين في الشؤون الداخلية للأخرى.

د ـ تعهد الشاه بالوفاء بتصدير مئة حمل من الحرير سنوياً.

وقد سر الشاه عباس بالصلح وأرسل للجيش العثماني على الحدود الفارسية ثمانمئة حمل من المواد الغذائية والهدايا. وبمناسبة جلوس السلطان عثمان الثاني (١٦١٨ ـ ١٦٢٢) أرسل له مئة حمل من الحرير مع هدايا أخرى[٣]. وبعد معاهدة سراو ١٦١٨ استمر الهدوء بين الدولتين حتى عام ١٦٢٣ حيث ساءت العلاقات بينهما لاستيلاء الشاه عباس على بغداد.

استيلاء الشاه عباس الأول على بغداد في عام ١٦٢٣.

استغل الشاه عباس الأول الاضطرابات التي وقعت في العاصمة العثمانية بعد اغتيال السلطان عثمان الثاني في عام ١٦٢٢ وإعادة مصطفى الأول (١٦١٦ ـ ١٦١٨) إلى الحكم مرة أخرى، وثورة بكر الصوباشي قائد

(١) شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٢١ ـ ٢٤. وكان الصدر الأعظم خليل باشا قد نصح الشاه عباس بقبول الشروط العثمانية وتتلخص في ارسال حوالي ثلاثمئة حمل من الحرير سنوياً إلى السلطان العثماني وإعادة المناطق الغربية من اذربيجان وأرمينيا وشيروان وبلاد الكرج للدولة العثمانية وارسال أحد أبناء الشاه رهينة إلى بلاط السلطان.

(٢) ياسين عبد الكريم: اتفاقية الحدود الشرقية إلى نهاية القرن التاسع عشر ـ (الفصل الخامس) في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي ـ دراسة تاريخية ـ (بغداد، ١٩٨١) ص ١٩٢.

(٣) شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤ ـ ٢٧.

حامية بغداد على الوالي يوسف باشا الذي قتل برصاصة طائشة وسيطر بكر الصوباشي على بغداد وأعلن العصيان على الدولة العثمانية، وعهد السلطان عثمان الثاني إلى حافظ باشا والي ديار بكر بقيادة جيوش الولايات المجاورة لبغداد للقضاء على الفتنة فيها.

وخاف بكر الصوباشي، فاستنجد بالشاه عباس الأول الذي استغل الفرصة للاستيلاء على بغداد والعتبات المقدسة في كربلاء والنجف. ولذلك توجه بقواته نحو بغداد متذرعاً بزيارة العتبات الشيعية المقدسة[1] وعندئذ اضطر حافظ باشا إلى رفع الحصار عن بغداد وإلى عقد الصلح مع بكر الصوباشي والاعتراف به والياً على بغداد.

وكان حاكم همدان صفي قلي خان قد بعث برسله إلى بغداد، وكتب بكر الصوباشي إلى الشاه عباس يخبره بتسوية خلافاته مع الدولة العثمانية وعدم حاجته للمساعدة الصفوية، ولكن الشاه عباس رفض الاعتراف بالاتفاق الذي تم بين بكر الصوباشي وحافظ باشا وواصل الزحف على بغداد، ورد بكر الصوباشي على ذلك بقتل المندوبين الفرس وعلقهم على أسوار بغداد[2]. وأحكم الشاه عباس الحصار على بغداد ثلاثة أشهر انتشرت خلالها المجاعة فيها لقلة المواد الغذائية، ولكن بكر الصوباشي لم يستسلم فلجأ الشاه عباس إلى الحيلة فاتفق مع محمد بن بكر الصوباشي على التعاون معه في مقابل حكم بغداد ونجحت الحيلة وفتحت أبواب بغداد في ليلة ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣ وفوجئت حامية بغداد بالقوات الصفوية التي قتلت عدداً كبيراً من أفرادها[3].

وقتل الشاه عباس بكر الصوباشي وعين صفي قلي خان حاكم همدان السابق والياً على بغداد حيث ظل في منصبه حتى عام ١٦٣١ وخلفه بكتاش

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 51-55.
وانظر أيضاً،
أطلس تاريخ ايران ـ دانشكاه تهران (١٩٧٦) خارطة ٢١.

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. p. 56.

(٣) Ibid. pp. 56-57.

خان الأرمني حتى عام ١٦٣٨، واضطهد الشاه عباس السكان السنَّة ودمّر مزاراتهم ومساجدهم في بغداد[1]. ومن بغداد أرسل الشاه عباس قواته للاستيلاء على الموصل وكركوك ولم يبق في حوزة الدولة العثمانية من العراق سوى البصرة التي حاول الشاه عباس الاستيلاء عليها أكثر من مرة لاستكمال السيطرة الصفوية على مجمل الأراضي العراقية ولابعاد البرتغاليين عن تجارة البصرة والأحساء والقطيف بعد طردهم من البحرين وجمبرون وهرمز للقضاء على منافستهم التجارية لميناء جمبرون «بندر عباس»، لاسيما بعد أن أصبحت أسواق البصرة عامرة بالبضائع الشرقية الأوربية ووفدت عليها القوافل التجارية الفارسية. ولذلك شجع الشاه عباس أمير الحويزة التابع له والقبائل البدوية المجاورة للبصرة لازعاجها وتهديد أمنها وتعريض مواصلاتها للخطر، وقد ساعدت طبيعة البصرة القاسية لوجود المستنقعات والأهوار فيها مما سهل على أعدائها الاخلال بأمنها.

ولذلك لم يمض وقت طويل على سقوط بغداد في قبضة الصفويين حتى فرض الشاه عباس الحصار على البصرة في عام ١٦٢٤ بعد أن فشل في استمالة حاكمها علي باشا أفراسياب الذي اعتمد على المساعدة البرتغالية البحرية التي ضمت خمس سفن حربية مما اضطر الشاه إلى رفع الحصار عنها في ٢٣ أذار ١٦٢٥. وقرر الشاه عباس فرض الحصار على البصرة مرة أخرى وعهد إلى حاكم شيراز إمام قولي خان بقيادة الحملة الصفوية[2] واستمر في حصار البصرة حتى وفاة الشاه عباس في كانون الثاني ١٦٢٩ فرفع الحصار عنها وعاد إلى بغداد.

---

(١) Ibid. p. 57.

(٢) Ibid. pp. 103-105; Gombroon, Mar. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634). pp. 130-131.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٥. وانظر أيضاً، عبد الكريم محمود غرابية: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦. وعلي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق، (بغداد، ١٩٢٧) ص ١٠٩.

المحاولات العثمانية لاستعادة بغداد (١٦٢٣ - ١٦٣٨).

بدأت محاولات الدولة العثمانية لاستعادة بغداد بعد فترة قصيرة من استيلاء الشاه عباس عليها، فقد أصدر السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) أمره إلى والي ديار بكر حافظ باشا بالتوجه إلى بغداد على رأس جيش كبير لطرد القوات الصفوية منها. وتمكن حافظ باشا في عام ١٦٢٥ من استعادة كركوك وكربلاء والحلة ثم فرض حصاراً على بغداد استمر ثمانية أشهر، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار والانسحاب في أيار ١٦٢٦ لعدم توفر المدفعية الكافية والذخيرة اللازمة لديه لاسيما بعد أن علم بزحف الشاه عباس الأول إلى بغداد. وكان الأكراد قد ساعدوا القوات العثمانية باخضاع المناطق المجاورة لتبريز لإرغام الشاه عباس على سحب جزء من قواته من بغداد[١].

وقام العثمانيون بمحاولة ثانية لاستعادة بغداد بعد وفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩، وقاد الصدر الأعظم خسرو باشا جيشاً عثمانياً بلغ حوالي ثلاثمئة ألف رجل في أيار ١٦٢٩ توجه إلى اردلان ثم زحف على همدان فوصلها في حزيران ١٦٣٠، وبعد أن نهبها مكث فيها بضعة أيام ثم توجه إلى بغداد وفرض عليها حصاراً شديداً في تشرين الأول ١٦٣٠ وأصبحت بغداد في خطر، ولكن الحامية الصفوية فيها كانت مستعدة للمقاومة بعد أن زودها الصفويون بالمواد الغذائية والذخائر[٢] ولذلك انسحب الجيش العثماني بعد أربعين يوماً من بداية الحصار دون أن يتمكن الصفويون من عرقلة الانسحاب لضعف استعداداتهم العسكرية في عام ١٦٣٠، وكان لدى الشاه صفي حوالي ستين ألفاً من القزلباش الذين عسكروا بالقرب من بغداد، ولم يتجرأ الشاه صفي على قتال العثمانيين على الرغم من استفزازهم لقواته.

وقد أدى فشل محاولة خسرو باشا لاستعادة بغداد إلى وقوع اضطرابات في العاصمة العثمانية وإلى تمرد الانكشارية في سراي السلطان مراد الرابع الذي

---

(١) Thos. Barker, John Purifie, And Robt. Loftus To The East India Company. Ispahan, May 19, 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629). pp. 201-202.

(٢) Postscript. Oct. 26, 1630; Ed. Heynes and Wm. Gibson To The East India Company. Ispahan, Sept. 30, 1630. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. 53-54.

وقف بحزم وأنقذ الدولة من الفوضى[1].

وربما يعود اخفاق الحصار العثماني إلى استنفاد القوات العثمانية طاقتها ومعظم عتادها في العمليات العسكرية التي قامت بها لعدة شهور في الأراضي الفارسية قبل التوجه إلى بغداد.

وبقيت بغداد تحت الحكم الصفوي إلى أن تمكن السلطان مراد الرابع من استعادتها في عام ١٦٣٨، وكان السلطان قد غادر استانبول في ربيع ١٦٣٨ قاصداً حلب على رأس جيش ضم مئة ألف من الفرسان والمشاة[٢]، ومن حلب توجه إلى بغداد فوصلها في ١٥ تشرين الثاني ١٦٣٨ وبعد أن رفض طلب الصلح الذي تقدم به الشاه صفي فرض عليها حصاراً شديداً شاملاً، واستسلمت بغداد في ٢٥ كانون الأول ١٦٣٨ بعد أربعين يوماً من بدء الحصار[٣]. وبعد أن فتحت المدفعية العثمانية ثغرة في سور بغداد واستسلم الحاكم الصفوي بكتاش خان. وفي ١٧ شباط ١٦٣٩ غادر السلطان مراد الرابع مع قسم من جيشه بغداد قاصداً تبريز. وبذلك عادت بغداد للحكم العثماني واعترف الشاه صفي بذلك في معاهدة زهاب في ١٧ أيار ١٦٣٩ التي تم التوصل اليها بعد طرد الصفويين من بغداد وتضمنت ما يلي:

أ ـ تعيين مناطق الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية ولكن صياغة هذه المادة لم تحسم الخلافات الحدودية مما سيؤدي إلى تجدد النزاع بشأن الحدود بين الدولتين لعدم اتفاقهما على رسم خط الحدود. كما لم تتعرض المعاهدة لمسألة شط العرب ولحدود ولاية البصرة ولكنها نصت على أن

---

(١) Edward Heynes and William Gibson At Gombroon To The Company, March 17, 1631. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633. By William Foster. Oxford 1910). pp. 140-141; Agent William Burt To The East India Company. Oct. 6, 1630- (Colonial Papers Vol. V. 1630/1634) pp. 59-61; Selections from State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With A Summary of Events. 1600-1800. p. 9.

(٢) عبد الرزاق الحسني: العراق ـ قديماً وحديثاً ـ (صيدا، ١٩٤٨) ص ٢٧.

(٣) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 68-69.

ولاية البصرة وتوابعها للدولة العثمانية في الجنوب[1].

ب - تمتنع الدولة الصفوية عن التعرض للخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة واستعمال الكلمات غير اللائقة بحقهم.

ج - تمتنع الدولة العثمانية عن التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الصفوية[2].

ووقع الشاه صفي والسلطان مراد الرابع على المعاهدة في أيار ١٦٣٩ واستقرت بذلك الحدود التي رسمتها المعاهدة دون تغيير كبير[3] حوالي ثمانين عاماً لانشغال الدولتين الصفوية والعثمانية بمشاكلهما الداخلية، فعادت العراق إلى الحكم العثماني، بينما بقيت ايروان وأجزاء من القوقاز تحت السيطرة الصفوية.

وبعد وفاة الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٩ خلفه الشاه صفي (١٦٢٩ - ١٦٤١) وفي عهده ساءت الأوضاع الادارية وضعفت سياسة فارس الخارجية وأعدم حاكم شيراز إمام قولي خان مع ثلاثة من أولاده في عام ١٦٣٣ وكان من الخانات الأقوياء الذين اعتمد عليهم الشاه عباس الأول[4]. ولذلك اتخذ اقليم شيراز موقفاً عدائياً من الشاه صفي، كما هرب بعض أولاد إمام قولي خان الآخرين وثار أخوه في جورجيا ضد الشاه صفي. ولم يكتف الشاه بذلك، ففي عام ١٦٣٤ أعدم أربعة من النبلاء الفرس كان من بينهم وزيره الأول «اعتماد الدولة» وأمر أحد الخانات بتنفيذ حكم الاعدام في اعتماد الدولة ورمى رأسه خارج الأسوار، وعين خاناً آخر بدلاً منه في منصبه وحذره بمصير سلفه، مما أدى إلى انتشار الذعر والفزع في أوساط حاشية الشاه فخاف أفرادها على أرواحهم[5].

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار: مرجع سبق ذكره، ص ١٣ - ١٨.

(٢) شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٣٤ - ٣٥.

(٣) Ramazani, Rouhollah K. The Persian Gulf, Iran's Role (U.S.A. 1972). p. 11.

(٤) Edward Pettus To The East India Company. Ispahan. Sept. 27, 1618 (Colonial Papers. Vol. II. 1617-1621) pp. 198-199.

(٥) Agent Wm. Gibson, Wm. Fall, And The Philip Dickson To The East India Company. Ispahan, Oct. 13, 1634. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. =

وتعرضت الدولة الصفوية في عهد الشاه صفي لخطر التقسيم بعد الهجمات التي شنت عليها من الشرق والغرب ولاسيما بعد انتشار الفساد وازدياد قوة وتعديات الأفغان في اقليم قندهار وخلف الشاه صفي الشاه عباس الثاني (١٦٤١ - ١٦٦٦) والشاه سليمان (١٦٦٦ - ١٦٩٤) والشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢) وفي عهد الأخير تمكن مير محمود الأفغاني من دخول اصفهان في عام ١٧٢٢ فأنهى بذلك حكم الأسرة الصفوية في فارس. ثم تقاسمت الدولة العثمانية وروسيا المقاطعات الفارسية مثل كرمنشاه واردلان وأورمية وتبريز وكنجة في عام ١٧٢٤.

= 574-576; Cap. John Weddell To The East India Company. Gombroon, Mar. 24, 1633 (Colonial Papers. Vol. V.) pp. 387-388; Bausani, Alessandro. The Persians. From the Earliest Days To The Twentieth Century. (Translated From the Italian By J.B. Donne New York?) pp. 144-145.

العلاقات الصفوية ـ الأوربية

امتنع الشاه إسماعيل الأول الصفوي (١٤٩٩ ـ ١٥٢٤) عن الاشتباك في حرب مع البرتغاليين الذين احتلوا هرمز ومنعوا ملكها من دفع الاتاوة السنوية له، بل تبادل معهم الهدايا والسفراء[١]. وعقد اتفاقاً معهم نص على مساعدتهم له في حروبه ضد العثمانيين في مقابل استيلائهم على جزيرة هرمز وميناء جمبرون لانشغاله في الحرب ضد العثمانيين في الغرب والأوزبك في الشرق. واستمرت العلاقات الصفوية ـ البرتغالية على هذا النحو حتى نهاية عهد الشاه محمد خدابنده في عام ١٥٨٧.

وكذلك دخل الشاه إسماعيل الأول في مراسلات مع شارل الخامس (١٥١٩ ـ ١٥٥٦) امبراطور المانيا للتحالف ضد العثمانيين فكتب اليه رسالة في تشرين الأول ١٥١٨ ولكنها وصلت في عام ١٥٢٤ متأخرة ست سنوات ورد شارل الخامس على رسالة الشاه اسماعيل في ٢٥ آب ١٥٢٥[٢] واقترح عقد معاهدة بين المانيا وفارس وأرسل ملك المجر وملك سويسرا مبعوثين إلى الشاه اسماعيل.

وحرص الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) منذ بداية حكمه على إقامة علاقات عسكرية سياسية وتجارية وثيقة مع حكام أوربا للحصول على

(١) Barbosa, Durate. A Description Of The Coasts of East Africa And Malabar In The Beginning of the Sixteenth Century. (U.S.A. 1970) p. 38, 40.

(٢) وصل نبأ وفاة الشاه اسماعيل الأول (١٥٢٤) وتولي الشاه طهماسب إلى شارل الخامس في ١٥ شباط ١٥٢٩.

مساعدتهم له في حروبه المستمرة ضد الدولة العثمانية، ولزيادة التبادل التجاري بين فارس والدول الأوربية. فاتصل بامبراطور المانيا رودلف الثاني الذي استقبل سفارة الشاه عباس الأول والتي ضمت حسين علي بك بيات وأنطوني شيرلي ثم استقبل بعثة مهدي قلي بك وروبرت شيرلي، وأرسل رودلف الثاني وفدا ألمانيًا إلى بلاط الشاه عباس في عام ١٦٠٢ لعقد تحالف بين ألمانيا وفارس ضد الدولة العثمانية. كذلك اتصل الشاه عباس بملك هولندا للاشتراك في حلف معه ضد العثمانيين والسماح بمرور قوافل الحرير الفارسي عبر الأراضي الهولندية بعد قرار الشاه عباس تحويل طريق تجارة الحرير الفارسي عن الأراضي العثمانية. ولتحقيق ذلك شجع تجار البندقية على القدوم إلى بلاده للمساهمة بنصيبهم في تجارة الحرير التي عمل على رواجها[١]

ويمكن إجمال الأهداف المشتركة للعلاقات الصفوية ـ الأوربية في عهد الشاه عباس الأول بالرغبة المشتركة للجانبين الصفوي والأوربي في استمرار العداء للدولة العثمانية وفي زيادة التبادل التجاري بين فارس واوربا. ولكن الدول الأوربية لم تبادر إلى تقديم عون عسكري فعال للصفويين في حروبهم ضد العثمانيين، بل لجأ بعض الحكام الأوربيين إلى تحسين علاقاته مع الدولة العثمانية. فبينما أرسل رودلف الثاني امبراطور المانيا وفداً إلى الشاه عباس لعقد حلف لمحاربة العثمانيين إذا به يوقع معاهدة صلح مع السلطان العثماني[٢]. ويمكن القول أن الموقف الأوربي من الحرب الصفوية ـ العثمانية اقتصر على تقديم الوعود بفتح عدة جبهات على الحدود العثمانية في أوربا وببعض المساعدات العسكرية البحرية التي لم تتحقق، باستثناء ما قدمه الأخوان أنطوني وروبرت شيرلي ورفاقهم من خبرة لتنظيم الجيش الصفوي وإعادة تدريبه وتسليحه مما مكنه مع أسباب أخرى من إحراز النصر على القوات العثمانية في منطقة اذربيجان.

---

(١) Sarwar, Ghulam. History of Shah Ismail Safawi. (Ali-garh, 1939) p. 87.
وانظر ايضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٧.

(٢) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

بينما نجح حكام اوربا في حمل الشاه عباس للعطف على[1] الرعـايا المسيحيين في بلاده، فوافق على بناء الكنائس في اصفهان وغيرها من المدن الفارسية كما سمح للبعثات التبشيرية بالقدوم إلى بلاده ومنحهـا الحريـة في ممارسة نشاطها التبشيري، مما أدى إلى اعتناق بعض مستشاري الشاه عباس المسيحية.

وهكذا حققت أوربا مكاسب كثيرة من علاقاتها الصفوية، تمثلت في حرية رعاياها في ممارسة التجارة والتبشير، وعملت أوربا على تعميق الخلافات المـذهبية بـين المسلمين السنَّة والشيعة في منـطقة الخليـج العربي وفـارس. وسنعرض للعلاقات الصفوية ـ الأوربية حسب أقدميتها وسنبدأ بالبرتغال.

(١) بلغ عطف الشاه عباس الأول على المسيحين في بلاده حدا عرض فيه أحد القساوسة على الشاه اعتناق المسيحية، وقد اشارت التقارير الانكليزية إلى ذلك في عام ١٦٠٩.

انظر،

Thos. Bays to Salisbury. June 10, 1609 (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) pp. 185-186.

العلاقات الصفوية - البرتغالية

مارس البرتغاليون سيطرة فعلية على مدخل الخليج العربي، بعد احكام قبضتهم على قلعة هرمز التي أصبحت مركزاً لحكمهم في الخليج العربي، ولم يكن في وسع القوى المحلية خلال القرن السادس عشر طردهم منها لعدم قدرتها على تحدي القوة البحرية البرتغالية[1]. واضطر الشاه إسماعيل الأول للتحالف مع البرتغاليين والتنازل لهم عن جزيرة هرمز وميناء جمبرون الذي استخدمه البرتغاليون مرفأ لسفنهم الحربية الكبيرة التي لا تستطيع سواحل جزيرة هرمز استقبالها. وأقام البرتغاليون في جمبرون قلعة واتخذوا منها قاعدة بحرية ضمت حوالي ثلاثين سفينة لحماية القلعة وتحصيل الرسوم الجمركية من السفن والبضائع غير البرتغالية.

وتمكن الشاه عباس الأول من طرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٠٢ وفرض الحصار على ميناء جمبرون في عام ١٦٠٣ ثم رفعه استجابة لطلب السفير الاسباني أنطونيو دي جوفيا رغبة منه في الحصول على المساعدة الاسبانية له في صراعه ضد العثمانيين، ولكنه لم يظفر منها بشيء. ولذلك أعد حاكم شيراز الله وردي خان حملة بقيادة ابنه إمام قولي خان للاستيلاء على جمبرون وطرد البرتغاليين منها ولكن الحملة فشلت. وبعد وفاة الله وردي خان تمكن ابنه إمام قولي خان من طرد البرتغاليين من جمبرون وهدم قلعتهم فيها

(١) جون. ب. كيلي: بريطانيا والخليج، ١٧٩٥ - ١٨٧٠. ترجمة محمد أمين عبدالله. (القاهرة، ١٩٧٩) ج ١ ص ٨.

وبنى مكانها قلعة فارسية في عام ١٦١٤، وأقام ميناء آخر قريباً من الميناء السابق[١]، مما أدى إلى تدهور العلاقات الصفوية ـ البرتغالية.

وبعد أن عقد الشاه عباس الأول معاهدة سراو مع الدولة العثمانية في عام ١٦١٨ تفرغ لطرد البرتغاليين من هرمز، وعندما رفض البرتغاليون دفع الجزية التي سبق للملوك هرمز دفعها إلى حكام فارس اتخذ من ذلك ذريعة لطردهم من جزيرة هرمز وضغط على الشركة الانكليزية للحصول على مساعدتها العسكرية بعد أن هددها بالغاء الامتيازات الممنوحة لها في بلاده إذا لم تقم بمساعدته[٢]. وهكذا نجح الشاه عباس في طرد البرتغاليين من هرمز في نيسان ١٦٢٢. وعندما حاول البرتغاليون في عام ١٦٢٥ استعادة هرمز تصدى لهم اسطول هولندي انكليزي مشترك وفشلت محاولاتهم اللاحقة فانصرفوا إلى إقامة الحصون القوية في مسقط، لتعزيز مركزهم العسكري والتجاري في منطقة الخليج العربي.

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) Lockhart, Laurence. Persian Cities. (London 1960). p. 174; Nyrop, Richard F. (Editor) Iran A Country Study. (? 1978) p. 43.

العلاقات الصفوية ـ الاسبانية

أصبحت المصالح البرتغالية في الشرق تابعة لاسبانيا بعد ضم البرتغال اليها في عام ١٥٨٠، ووصلت إلى اصفهان في عام ١٥٩٨ بعثة اسبانية ضمت راهبين يمثلان الطائفتين الكاثوليكيتين الفرنسيسكان والدومنيكان للطلب من الشاه عباس الأول ليسمح لمسيحيي فارس بحرية ممارسة الشعائر الدينية وبناء الكنائس ورد الشاه عباس على البعثة الاسبانية فأرسل أنطوني شيرلي وحسين علي بك بيات إلى مدريد في ٩ حزيران ١٥٩٩ وسلكت البعثة الصفوية طريق مازندران ثم روسيا ومنها إلى وسط اوربا. وفي روما حدث خلاف بين مسئولي البعثة فقطع أنطوني شيرلي صلته بالشاه عباس وتوجه حسين علي بك بيات إلى اسبانيا فوصلها في عام ١٦٠١ وأقام فيها شهرين اعتنق خلالهما ثلاثة من مرافقيه المسيحية وقتل إمام البعثة على يد متعصب ولم يتمكن حسين علي بك بيات من زيارة انكلترا وغيرها وعاد دون تحقيق شيء من الأهداف التي سافر لأجلها وتمثلت في عقد المعاهدات مع ملوك أوربا لمحاربة العثمانيين وتسويق الحرير الفارسي في الأقطار الأوربية[1].

وخلال الفترة (١٦٠٢ ـ ١٦١٣) قام السفير الاسباني أنطونيو دي جوفيا بزيارة فارس ثلاث مرات مبعوثاً من الملك الاسباني فيليب الثالث (١٥٩٨ ـ ١٦٢١) وجاء معه في الزيارة الأولى في عام ١٦٠٢ بعدد كبير من المبشرين الانسبان واستقبله الشاه عباس الأول في مشهد، وأعلن الوفد الاسباني رغبة الملك فيليب الثالث اعادة البحرين إلى السيادة الاسبانية ورفع الحصار

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

الصفوي عن جمبرون والسماح للمبشرين الاسبان بحرية العمل في الاراضي الفارسية والتصريح لهم ببناء كنيسة لممارسة شعائرهم الدينية[1]. ورفض الشاه عباس إعادة البحرين، واكتفى برفع الحصار عن جمبرون وساوم الوفد الاسباني في مسألة بناء الكنيسة وربط ذلك بتقديم إسبانيا مساعدتها العسكرية له ضد الدولة العثمانية.

وانشغل الشاه عباس في مشاكله الداخلية فلم يرد على سفارة أنطونيو دي جوفيا الأولى إلا في عام ١٦٠٨. وبعد اشتداد الحرب في منطقة أذربيجان أرسل روبرت شيرلي إلى اسبانيا فوصلها في عام ١٦١٠، وسلم رسالتين دعا الشاه عباس الأول فيهما الملك فيليب الثالث للتعاون معه ضد العدو العثماني المشترك. وعرض عليه تحويل تجارة الحرير الفارسي عن الأراضي العثمانية إلى أي ميناء على الساحل الفارسي في الخليج العربي وفي مقابل ذلك وعد الشاه عباس بمنح رعايا اسبانيا والبرتغال تسهيلات تجارية ولكن فيليب الثالث قابل المشروع بفتور[2] واكتفى بالوعد بحثّ البابا وملوك اوربا الآخرين على شنّ الحرب ضد الدولة العثمانية، كما وعد بارسال السفن الحربية الاسبانية والبرتغالية لاغلاق مدخل البحر الأحمر أمام التجارة العثمانية مع الهند.

وقام أنطونيو دي جوفيا بزيارته الثانية إلى فارس في عام ١٦٠٨ لمطالبة الشاه عباس بإعادة البحرين ومنح الرعايا المسيحيين الحرية لممارسة شعائرهم الدينية في فارس واحتكار التجار الاسبان والبرتغاليين التجارة الفارسية في مقابل المساعدة العسكرية الاسبانية للشاه عباس في حروبه ضد العثمانيين[3].

وأرسل الشاه عباس سفيره دنكيز بك إلى مدريد مع أنطونيو دي جوفيا في عام ١٦١١ لتوثيق العلاقات الصفوية ـ الاسبانية. وبقي دنكيز بك في

---

(١) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٢) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي. ١٧٤٧ ـ ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم. (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٢٠.
(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

اسبانيا حتى عام ١٦١٢ حيث عاد مع أنطونيو دي جوفيا الذي بدأ زيارته الثالثة والأخيرة لفارس في عام ١٦١٣ بهدف حصول التجار الاسبان على امتياز باحتكار الحرير الفارسي والحصول على تأكيد من الشاه عباس باحترام السيادة البرتغالية على هرمز وقشم وجمبرون وغيرها من المراكز البرتغالية في الخليج العربي. ولكن الشاه عباس استقبل السفير الاسباني بفتور شديد وأمر بقتل دنكيز بك[1] مما أدى إلى خوف أنطونيو دي جوفيا على نفسه فهرب إلى هرمز.

واضطر الشاه عباس بسبب شدة الضغط العسكري العثماني لطلب المساعدة العسكرية من الدول الأوروبية فأرسل روبرت شيرلي مرة أخرى إلى اسبانيا في تشرين الأول ١٦١٥ فوصلها في عام ١٦١٧ وبقي فيها حتى عام ١٦٢٢. ولكن المفاوضات التي أجراها مع الملك الاسباني لم تسفر عن نتيجة ايجابية بسبب استمرار العمليات الحربية في الخليج العربي بين الصفويين والبرتغاليين من ناحية وبسبب تشدد الشاه عباس في موقفه مع اسبانيا بعد توقيعه معاهدة سراو مع الدولة العثمانية وتوثيق صلاته التجارية مع الانكليز ليضمن تعاونهم ضد البرتغاليين من ناحية أخرى. وقد ساعدت الهزائم التي لحقت بالقوات البرتغالية في الهند ـ خلال الفترة (١٦١٢ ـ ١٦١٥) الشاه عباس على التفرغ للعمل في المناطق الجنوبية من بلاده ضد البرتغاليين.

واقترح الشاه عباس الأول على الملك فيليب الثالث أن يرسل إليه سفيراً من غير رجال الدين للتفاوض معه واستجاب الملك الاسباني لذلك وأرسل دون جارسيا دي سيلفا فيجورا على رأس وفد كبير مع هدايا

---

(١) أما الاتهامات التي أدت إلى إعدام دنكيزبك، فهي فضه رسالة الشاه عباس إلى فيليب الثالث بناء على طلب الوكيل الإسباني في جاوه وارتداء ملابس الحداد بدلاً من الملابس الفارسية الرسمية بمناسبة وفاة ملكة اسبانيا وبيعه رسالة الشاه عباس إلى البابا لبعض التجار وأساءة معاملة مرافقيه الفرس مما أدى إلى اعتناق بعضهم المسيحية والبقاء في اسبانيا بدل العودة إلى بلادهم. أنظر. بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٢.

ثمينة[1]. فوصل اصفهان في عام ١٦١٨ وحث الشاه عباس على إعادة البحرين وجمبرون والسماح للرعايا المسيحيين بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ومنح التجار الاسبان والبرتغاليين امتيازات تجارية في فارس وابعاد الانكليز عنها وفي مقابل ذلك كرر الوعود الأسبانية بالمساعدة العسكرية ضد العثمانيين، وكان رد الشاه عباس عنيفاً، فقد رفض الحديث عن البحرين وجمبرون وأعلن عن رغبته في بيع الحرير الفارسي لمن يدفع ثمناً أكثر وأنه حر في اختيار الأصدقاء[2] حيث لم تعد الدولة الصفوية بحاجة إلى المساعدة العسكرية من اسبانيا بعد عقد الصلح مع الدولة العثمانية في عام ١٦١٨.

بعد فشل بعثة دون جارسيا أرسل فيليب الثالث رسالة إلى الشاه عباس الأول تحدث فيها عن ضرورة إعادة البحرين وميناء جمبرون للسيادة الاسبانية وحذر الشاه عباس من التعرض لجزيرتي قشم وهرمز، وهدد بقطع العلاقات بين اسبانيا وفارس مما أغضب الشاه عباس فمزّق الرسالة من شدة تأثره وأقسم على استرداد هرمز وطرد القوات البرتغالية منها، ولاظهار احتقاره للانذار الاسباني أصدر أمره بمنح الانكليز تجارة الحرير في بلاده[3]. ولذلك أرسل فيليب الثالث في عام ١٦٢٠ إلى السلطات البرتغالية في هرمز لإعلان الحرب على الدولة الصفوية إذا لم تتخل عن الأماكن التي احتلتها في منطقة الخليج العربي.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٠.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٣) Wright, Arnold. Early English Adventures in the East. (London (1917) p. 247.

العلاقات الصفوية - الانكليزية

أرسلت ملكة انكلترا اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣) أنطوني جنكنسون إلى بلاط الشاه طهماسب الذي استقبله بفتور، ولم يحقق جنكنسون نتيجة ملموسة من رحلته إلى فارس. وأدرك الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) أن استمرار الحرب ضد الدولة العثمانية يحتّم عليه التعاون مع أعدائها الأوربيين، ولذلك تضمنت سفارات الشاه عباس إلى ملوك وأمراء أوربا التأكيد على التحالف ضد العدو العثماني المشترك. وليضمن الشاه عباس وقوف أوربا إلى جانبه حرص على توفير الأمن والحرية للرعايا الأوربيين في بلاده.

وعندما بدأ الصراع الصفوي - البرتغالي باستيلاء الصفويين على البحرين في مطلع القرن السابع عشر، أدرك الشاه عباس حاجته الماسة إلى التحالف مع أسطول أوربي لطرد البرتغاليين من هرمز بعد احتلال دام أكثر من قرن، ولذلك كان على وعي تام بأهمية الصداقة مع الانكليز بعد أن برهنوا على قوتهم البحرية في المحيط الهندي وألحقوا الهزيمة بالبرتغاليين.

ولذلك شجع الشاه عباس الشركة الانكليزية على التجارة مع بلاده ومنحها امتيازات وتسهيلات تجارية منها احتكار تصدير الحرير من الموانئ الفارسية[١] وإقامة وكالة تجارية لها في جاسك على الساحل الفارسي في خليج

(١) Kelly, J.B. Britain and The Persian Gulf. 1795-1880. (Oxford 1968) p. 2; Bennett, Thomas Jewell. The Past and Present Connection of England with the Persian Gulf. (Journal of the Society of Arts. Vol. L. June 13, 1902. pp. 634-652) p. 637.

عمان لرغبتها في تجنب سفنها المرور بمضيق هرمز الذي يسيطر البرتغاليون عليه. وكان هدف الشاه عباس من التعاون مع الشركة الانكليزية توريطها في حرب ضد البرتغاليين[1] الذين حرصوا على عدم السماح لها بالظهور في منطقة الخليج العربي حتى عام ١٦١٥ حيث كان نشاطها محصوراً في الهند، بعد أن أقامت وكالة تجارية لها في سورات في عام١٦١٢ ثم وسعت نطاق تجارتها لتكدس الأقمشة الصوفية الانكليزية في ميناء سورات في عام ١٦١٥ مما حتم عليها البحث عن أسواق أخرى لتصريف بضائعها التي عجزت أسواق الهند عن استيعابها فعثرت على الأسواق الفارسية.

وأدت المنافسة البرتغالية الشديدة للانكليز إلى توثيق التحالف بين الشركة الانكليزية والشاه عباس الأول، ورحبت وكالة الشركة في سورات بالتبادل التجاري مع فارس وما يتبع ذلك من فوائد اقتصادية. وبعد دراسة الشركة لوضعها الاقتصادي وحاجتها الملحة إلى أسواق جديدة لبيع أقمشتها الصوفية، والحرب الصفوية - العثمانية وسفارة روبرت شيرلي إلى اسبانيا، قررت التعاون مع السلطات الفارسية باعتبارها أقوى تنظيم سياسي في منطقة الخليج العربي في الربع الأول من القرن السابع عشر، ولذلك أرسلت احد موظفيها كونوك الى الشاه عباس ليحصل منه على فرمان لتسهيل تفريغ البضائع الانكليزية في الموانئ الفارسية ومنح الرعايا الانكليز حرية التجارة التامة[2].

وبدأت الشركة الانكليزية تجارتها مع فارس بارسال السفينة جيمس إلى ميناء جاسك التي اختارها الانكليز لبعدها عن البرتغاليين المسيطرين على هرمز آنذاك ثم تمكنت خلال فترة وجيزة من إقامة محطات تجارية في شيراز

---

(١) Wright, Arnold. Op. Cit. p. 246.

(٢) A Commission or Instruction for Edward Connock, Chief, Tho. Barker, George Pley, Edward. Pettus, Wm. Tracy, and Mathew Pepwell in the Voyage Intended for Persia. (Letters Received By the East India Company. Vol. IV. 1616. Edited By William Foster. London 1900). pp. 220-221.

وانظر أيضاً، محمود علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي. ١٥٠٧ - ١٦٥٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثاني شباط ١٩٦٠، ص ٢٣٢ - ٢٥٦) ص ٢٤١.

واصفهان وجمبرون. وغدت الأخيرة المركز التجاري الرئيسي لنشاطها التجاري في منطقة الخليج العربي اعتباراً من عام ١٦٢٣. وتعود أهمية ميناء جمبرون إلى اتصاله بالطرق البرية مع شيراز وغيرها من المناطق الداخلية في فارس. ولذلك أقام الانكليز والهولنديون والفرنسيون وكالاتهم التجارية فيه(١). وبرهنت الشحنات التجارية الأولى التي أرسلتها الشركة الانكليزية إلى منطقة الخليج العربي وفارس على أهمية الأسواق فيها لاستيعاب البضائع الانكليزية الفائضة في الهند ومقايضتها بالحرير الفارسي.

وعندما وجد الشاه عباس أن في وسعه طرد البرتغاليين من هرمز بمساعدة الاسطول الانكليزي، عهد الى حاكم شيراز إمام قولي خان بالتفاوض مع وكلاء الشركة للقيام بهجوم فارسي - انكليزي مشترك(٢) للاستيلاء على هرمز فتم ذلك في نيسان ١٦٢٢. ولكن الشركة الانكليزية اتهمت الشاه عباس بعدم التقيد بالشروط التي تم الاتفاق عليها قبل الاستيلاء على هرمز ولذلك رفضت الاستجابة لرغبته الملحة والمتكررة وضنت عليه بالمساعدة العسكرية ضد البرتغاليين في مسقط وغيرها من موانئ الخليج العربي. ومن الامثلة على ذلك:

أ - عندما فرض الشاه عباس الحصار على البصرة (١٦٢٤-١٦٢٥)، استنجد والي البصرة العثماني علي باشا أفراسياب بقائد الاسطول البرتغالي في مسقط الذي استجاب لطلب المساعدة ووقف الى جانب العثمانيين ضد

---

(١) Sykes, P.M. A History of Persia. Vol. II (London 1915) pp. 273-274.
وانظر أيضاً، بنلوب طوسون: المصادر الارشيفية للدراسات العربية ودراسات الخليج في سجلات وزارة الهند (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٤، نيسان ١٩٧٨) ص ٩٧ وأداموف: القنصلية الروسية العامة في تبريز ١٩٠٢. ترجمة نوري عبد البخيت بعنوان التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (مجلة الخليج العربي. البصرة، العدد ٩ لعام ١٩٧٨) ص ١١٠.

(٢) Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal of The Bombay Branch of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914). p. 40; Amin, Abdul Amir. British Interests in the Persian Gulf. (Leiden 1967) pp. 6-7.

الصفويين وأرسل الى باشا البصرة أسطولاً ضم خمس سفن حربية[1]. مما حصل قائد الحملة الفارسية إمام قولي خان على طلب المساعدة من الانكليز الذين رفضوا الاستجابة لأسباب تتعلق بالامتيازات العثمانية للشركة التركية «الليفانت» وعندما بيّن حاكم جمبرون لوكيل الشركة الانكليزية فيها أن المساعدة البحرية المطلوبة ليست ضد العثمانيين وانما ضد السفن الحربية البرتغالية الموجودة في جهات البصرة[2] وأن كل ما يطلبه المسؤولون الفرس من الشركة الانكليزية ارسال اثني عشر بحاراً انكليزياً مع سفنهم الى ميناء البصرة في مقابل دفع نفقاتها ولكن «ويدال» قائد الاسطول الانكليزي في الخليج رفض التعاون مع السلطات الفارسية وفقاً لاتفاقية الاستيلاء على هرمز.

ب ـ عندما اشتد التهديد البرتغالي للموانئ الفارسية في عام ١٦٢٥ وكان البرتغاليون قد ركزوا عملياتهم العسكرية ضد السواحل الفارسية معتمدين على قلعتهم الحصينة في مسقط طلب حاكم جمبرون بقاء الأسطول الانكليزي لتأمين التجارة في الخليج العربي من الخطر البرتغالي وفقاً للاتفاق الفارسي ـ الانكليزي في ١٦٢٢، فأجابه وكيل الشركة الانكليزية في جمبرون بأن السلطات الفارسية قد أخفقت في تنفيذ بنود المعاهدة بعد الاستيلاء على هرمز مباشرة وعندئذ لجأ حاكم جمبرون الى تهديد الانكليز بمساواة الهولنديين معهم في مجال الامتيازات والتسهيلات التجارية اذا هم رفضوا ابقاء اسطولهم في الخليج العربي لابعاد سطوة القوة البرتغالية عن الموانئ الفارسية. ولما رفض الهولنديون ابقاء سفنهم مدة أطول مما هو مقرر لها، اضطر حاكم جمبرون الى عرض مبلغ خمسمئة تومان في الشهر على الشركة الانكليزية في

(١) Minutes of A Court To Consider of The Persian Trade. No. 24, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624) p. 450; Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. p.105.

(٢) Consultations Held At Gombroon, Present. Thos. Kerridge, Thos. Barker, And John Benthall, Factors of Long Residence in Those Parts. Jan. 1 to Feb 10, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) pp. 2-3.

مقابل ابقاء اسطولها ولكنها رفضت العرض الفارسي[1].

جـ ـ تقدمت السلطات الفارسية بطلبات متكررة الى الشركة الإنكليزية للحصول على مساعدتها العسكرية البحرية للاستيلاء على مسقط وطرد البرتغاليين منها، ولجأ المسؤولون الفرس إلى إغراء وكلاء الشركة الانكليزية بالفوائد الاقتصادية التي يمكنهم الحصول عليها بعد الاستيلاء على مسقط زيادة على ما حصلوا عليه نتيجة الاستيلاء على هرمز[2].

ولكّن الإنكليز لم يكونوا على استعداد للتحالف مع الصفويين ضد كل أعدائهم، لاسيما وأن لهم مصالح تجارية مزدهرة في الدولة العثمانية، كما فضّل الإنكليز بعد طردهم البرتغاليين من هرمز (١٦٢٢) اقرار الصلح معهم لأن استمرار العمليات الحربية بين الجانبين الإنكليزي والبرتغالي يهدد المصالح الإنكليزية في منطقة الخليج العربي. ولذلك امتنعت الشركة الإنكليزية عن تقديم المساعدة العسكرية ضد البرتغاليين في مسقط مما أدى إلى فتور العلاقات الصفوية ـ الإنكليزية في آخر عهد الشاه عباس الأول.

ومهما يكن من أمر فقد وصلت إلى أصفهان في نيسان ١٦٢٨ بعثة إنكليزية برئاسة السير دود موركتن وبرفقته روبرت شيرلي الذي عاد من إنكلترا. وعرض السير موركتن على الشاه عبّاس خططا إنكليزية لزيادة التبادل التجاري بين الدولتين. ووعد الشاه عبّاس الإنكليز تسليمهم سنويا عشرة آلاف بالة من الحرير في ميناء جمبرون. وأصدر الشاه صفي (١٦٢٩ ـ ١٦٤١) فرمانا بدفع ديون الشركة التي استطاعت بالتهديد بالانسحاب من التجارة الفارسية في عام ١٦٣٩ الحصول على أمر من الشاه صفي بتسليمها ٢٦٥ بالة من الحرير بالإضافة الى عائداتها المتأخرة من نصيبها في الرسوم

---

(١) Consultations Held While Captain Weddell's Fleet Was At Gombroon. Jan. 1- Feb. 10, 1625. (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) pp. 42-43, 45.

(٢) Henry Darrell, Thomas Barker, John Benthall, And Christopher Rosons In Gombroon Road. (The English Factories In India. Vol. II. 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908) pp. 180-181.

الجمركيه في جمبرون. ورغبت الشركة الإنكليزية في تصفية وكالتها في أصفهان وتركيز نشاطها في جمبرون ولكن المنافسة الهولندية الشديدة لها في العاصمة الصفوية حالت دون تحقيق رغبتها[1].

وفي الربع الأخير من القرن السابع عشر زادت الاعتداءات البرتغالية على المصالح الفارسية في الخليج العربي مما ادى إلى تودّد السلطات الفارسية للإنكليز. فعرض الوزير الصفوي الأول (اعتماد الدولة) على الشركة الإنكليزية دفع حصتها من العائدات الجمركية في جمبرون بانتظام، ونقل البضائع الفارسية على السفن الإنكليزية في مقابل تعهدها بإرسال سفنها إلى الموانئ الفارسية وتقديم كميات كافية من البضائع الإنكليزية واستمرار التبادل التجاري مع فارس. واهتم مجلس إدارة الشركة الإنكليزية بالتجارة الفارسية فقرر في عام ١٦٨٤ انتداب موظفين من الوكالة الإنكليزية في جمبرون للإقامة في أصفهان للإشراف على مصالح الشركة الإنكليزية فيها وطلب من السلطات الفارسية منح الإنكليز الأفضلية على الهولنديين لتصدير صوف كرمان. ثم أصدرت الشركة الإنكليزية تعليماتها إلى وكلائها في فارس في عام ١٦٨٦ ليحصلوا من الشاه على امتيازات خاصة باحتكار الحرير الفارسي وصوف كرمان لتشجيع التجارة الإنكليزية، واستجاب الشاه لرغبة وكلاء الشركة الإنكليزية فأصدر أمره بحماية التجارة الإنكليزية وتأكيد امتيازاتها في جمبرون رغم دسائس الهولنديين ومكائدهم في بلاط الشاه[2].

وفي عهد الشاه حسين (١٦٩٤ ـ ١٧٢٢) واجهت الشركة الإنكليزية صعوبة أثناء محاولتها تأكيد امتيازاتها السابقة، لا سيما بعد أن رفضت تقديم مساعدتها العسكرية للاستيلاء على مسقط من العرب، حيث لم يكن في وسع السلطات الفارسية مواجهة النشاط البحري العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر الذي لم يقتصر على مياه الخليج العربي فحسب، بل امتد ليشمل

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٦.
(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ١٠١.

الساحل الشرقي لافريقيه والساحل الغربي للهند. فقد رفضت الشركة الانكليزية التورط في عمل عدائي ضد عرب مسقط لاحترامهم السفن الانكليزية. ولذلك صدر فرمان الشاه حسين في ١٨ حزيران ١٦٩٧ بعد مماطلة السلطات الفارسية والتي استمرت ثلاث سنوات، وكان مماثلا للفرمان الذي منحه الشاه عبّاس الأول في عام ١٦١٧ للشركة الإنكليزية مع إضافة شرط يقضي بأن تدفع الشركة الرسوم المستحقة على صادراتها ووارداتها في الموانئ والأراضي الفارسية كتلك التي تحصلها السلطات العثمانية في حلب وإستنبول[١].

وفي نهاية القرن السابع عشر تعزز مركز الشركة الإنكليزية في فارس عندما قام الشاه حسين بزيارة الوكالة الإنكليزية في أصفهان في ٢٣ تموز ١٦٩٩. ورغم إنفاقها مبلغ «١٢٠٠» جنيه استرليني على هذه الزيارة فقد منحها الشاه حسين امتيازات جديدة وأمر بدفع جزء من عائداتها المتأخرة[٢] والمستحقة لها في ميناء جمبرون ووعد بدفع الباقي في المستقبل.

وفيما يلي لمحة عن ميناءي جاسك وجمبرون لأهميتهما التجارية في العلاقات الصفوّية ـ الإنكليزية.

أ ـ جاسك

تقع جاسك في أقصى الركن الجنوبي الغربي الفارسي على خليج عمان، وتبتعد حوالي ١٥٠ ميلا إلى الشرق من مسقط وتبتعد حوالي ٤٠ فرسخا (٩٠ كيلومترا) عن هرمز وتبتعد عن أصفهان حوالي ١٠٠٠ ميل وعن ميناء سورات في الهند مسافة ٢٧ يوما. وتشتهر بصخورها الموجودة في جهتها الشمالية على بعد أميال قليلة من الساحل[٣]. وهي في وسط صحراء رملية منخفضة فيها

(١) المرجع السابق، ج ١ ص ١٠٢.

(٢) المرجع السابق، ج ١ ص ١٠٤.

(٣) Miles, S.B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf. (?1966) p. 185; Surat, Aug. 19, 1614 (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) pp. 316-317; McCluer, John. An Account of The Navigation Between India And The Gulph of Persia. (London 1786) p. 14, 16.

بضع شجيرات. ووصفها ابن بطوطة في القرن الرابع عشر بأنها «مرسى وبه ناس من العرب صيادي السمك وعندهم شجر الكندر بكثرة ومنه يستخرج صمغ اللبان ولا معيشة لأهل ذلك المرسى إلا من صيد السمك»[1] أ. هـ.

وكان ريتشارد ستيل قد اقترح جاسك على الشركة الإنكليزية في سورات كميناء مناسب للتجارة الإنكليزية وحصل وكيل الشركة في أصفهان على موافقة الشاه عبّاس وأشاد الإنكليز بلطف السكان وبتوفر المواد الغذائية والتوابل فيها[2].

ثم زهدت الشركة الإنكليزية فيها بعد إقامة دامت حوالي سبع سنوات (١٦١٦ - ١٦٢٣) لبعدها عن أصفهان ولأن نقل البضائع اليها مكلف من ناحية، ولعدم وجود موانع طبيعية تحيط بها مما يشكل خطورة عليها من اعتداءات البرتغاليين من ناحية أخرى[3].

ب - جمبرون:

تقع جمبرون على أرض مستوية بالقرب من مياه الخليج العربي حيث تبتعد التلال عن البحر حوالي ١٥ ميلا، وتبتعد جمبرون عن جزيرة هرمز ثلاثة فراسخ وعن جزيرة قشم أربعة فراسخ وتحتوي على آثار قليلة وآشتهرت رغم موقعها التجاري المهم بعدم ملائمتها لاقامة الاوروبيين وبخاصة في فصل الصيف. ولذلك كان الحاكم والشاهبندر والتجار يتركونها في فصل الصيف ويتجهون نحو الداخل وعندئذ لا يبقى فيها سوى الصيادين الفقراء. ومن يبقى فيها من الاوروبيين يكون عرضة للموت[4]. وكان البرتغاليون قد

---

(١) شاكر خصباك: أبن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١) ص ٧٢.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 185; Capt. Nich. Downton to Sir Robt. Sherley, In Persia. Nov.? 1614; George Pley to Robt. Middleton And Robt. Bateman, London. Dec. 30, 1616 (Colonial Papers. Vol.I. 1513-1616) pp. 345-346, 486-487.

(٣) Thos. Kerridge To The East India Company. Ajmere, March 20, 1615 (Colonial Papers. Vol. I) p. 396.

(٤) Foster, Sir William - Editor - Thomas Herbert, Travels In Persia. 1627-1629. (New York 1929) pp. 42-43; Hamilton, Alexander. A New Account Of The =

استولوا على قرية جمبرون الصغيرة في الربع الأول من القرن السادس عشر بعد احتلالهم هرمز ورغبت الشركة الإنكليزية في الانتقال اليها في عام ١٦١٨ بدلا من جاسك لأنها أكثر ملائمة لمصالحهم التجارية ولأنها مأهولة بالسكان وعامرة بالتجارة وفيها قلعة قوية لحماية الميناء[١].

وبعد أن قرر الشاه عبّاس الأول هجر جزيرة هرمز بعد طرد البرتغاليين منها في عام ١٦٢٢ وإحلال جمبرون مكانها أعيدت تسمية جمبرون فاصبحت تعرف باسم «بندر عباس»[٢]. ومنح الشاه عباس الشركة الإنكليزية تصريحاً باقامة وكالة تجارية في جمبرون ووصف الرحّالة بيدرو ديلا فالا في ١٥ كانون الثاني ١٦٢٣ جمبرون بأنها «مكان واسع على ساحل البحر مأهول بالسكان ومكتظ بكل الطوائف والجنسيات ويأتيها التجار من كل الجهات حيث يمارسون شعائرهم الدينية بحرية ويجدون كل التسهيلات»[٣] وبذلك استمدت جمبرون شهرتها من سقوط هرمز وأصبحت بعد عام ١٦٢٢ من أفضل المدن الفارسية بعد أن هاجر معظم سكان هرمز اليها وازدانت بالمباني الفخمة وآستفادت من الرسوم الجمركية ومن المبالغ التي ينفقها التجار فيها من مختلف الأقطار والجنسيات، وهكذا تحولت جمبرون من قرية صغيرة إلى مدينة ذات تجارة مزدهرة.

East Indies. (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. Digested By John Pinkerton. Vol. VIII. London 1811). pp. 295-297; Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634. p. 196.

(١) Account of the Voyage of The Expedition From Surat To Jask And Back, By John Rewe. (The English Factories In India. Vol. I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906). pp. 45-46.

(٢) Sherley, Sir Antony. His Relation Of His Travels Into Persia. (London 1613) p. 13, 15.

(٣) Foster, Sir William. - Editor - Op. Cit. p. 43.

العلاقات الصفوية ـ الهولندية

إستقرت شركة الهند الشرقية الهولندية في جمبرون «بندر عبّاس» في عام ١٦٢٣، وحرص الشاه عبّاس الأول على إثارة المنافسة التجارية بينها وبين شركة الهند الشرقية الإنكليزية بغية رفع أسعار الحرير الفارسي، وتحقيق مكاسب اقتصادية من الشركات الأوروبية المتنافسة، وفي عام ١٦٢٤ أرسلت الشركة الهولندية بعثة تجارية الى أصفهان نجحت في عقد اتفاقية مع الشاه عبّاس تضمنت السماح للهولنديين بإقامة الكنائس وأماكن العبادة الخاصة بالهولنديين. وحاول الشاه عبّاس الحصول على المساعدة الهولندية ضد القوات البرتغالية في مسقط، ولذلك أرسل سفارة الى هولندا بهدف قطع الصلات التجارية والسياسية بين هولندا والدولة العثمانية، ومشاركة الاسطول الهولندي في الخليج العربي في طرد البرتغاليين من مسقط وغيرها من موانئ الخليج العربي. ولم تحصل السفارة الفارسية على نتيجة ملموسة وآكتفت السلطات الهولندية بتقديم الوعود للشاه عبّاس للحفاظ على مصالحها التجارية التي حصلت عليها في فارس، ووصل المبعوث الهولندي إلى أصفهان في آذار ١٦٢٩ وبعد وفاة الشاه عبّاس ردا على سفارته السابقة إلى هولندا.

ومهما يكن من أمر فقد تمكنت الشركة الهولندية خلال فترة قصيرة من توطيد نفوذها التجاري[1] في الأراضي الفارسية؛ فأقامت ثلاث وكالات تجارية لها في أصفهان وجمبرون ولار. وكانت وكالتها في أصفهان المركز

---

(١) Birdwood, Sir George. Report On The Old Records Of India Office. (London 1891). p. 185.

الرئيسي للتجارة الهولندية من البضائع الشرقية والأوروبية وإعادة شحنها بالبضائع الفارسية التي ضمت الحرير والسجاد والمخمل والمسكوكات الذهبية[1]. أما وكالتها في لار فكانت محطة لاستراحة القوافل التي تنقل البضائع الهولندية التي شملت الأصواف والأواني والعطور ومختلف أنواع العقاقير ـ الأدوية ـ من جمبرون إلى أصفهان.

(1) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

العلاقات الصفوية ـ الروسية

أرسل الشاه عبّاس الأول في عام ١٥٨٩ وفدا فارسيا إلى موسكو برئاسة هادي بك وبوداق بك لطلب المساعدة العسكرية من القيصر الروسي ضد العثمانيين وحرضه على احتلال باكو ودربند وغزو أذربيجان وشيروان وبلاد الكرج لإبعاد السيطرة العثمانية عنها. وكان معظم رسل الشاه عبّاس الأول إلى أوروبا يتوجهون إلى موسكو ومنها يتابعون سفرهم إلى العواصم الأوروبية الأخرى[١].

وشجع الشاه عبّاس الأول التجار الروس على القدوم إلى بلاده لشراء الحرير الفارسي، ومما ساعد على ازدهار النشاط التجاري بين روسيا وفارس إرسال قسم من البضائع الفارسية إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية لإغلاق الطرق التجارية عبر العراق وبلاد الشام بسبب الحروب الصفوية ـ العثمانية. ولأن الشاه عبّاس كان يسعى خلال الربع الأول من القرن السابع عشر لتدمير الاقتصاد العثماني بمنع تصدير البضائع الفارسية إلى أوربا عبر الأراضي العثمانية. لذلك فاوض القوزاق في منطقة البحر الأسود والسلطات الروسية لتأمين طريق تجاري آخر للبضائع الفارسية والشرقية عبر استراخان ونهر الفولغا وآركانجل عن طريق البحر الأسود وبولنده[٢].

وبعد أن استرد الشاه عبّاس أذربيجان وبلاد الكرج وشيروان زاد حجم التبادل التجاري بين روسيا وفارس بعد أن أصبحت حدودهما مشتركة وتم

(١) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص١٥٢.

تبادل السفراء بينهما. ولكن العلاقات الودية بين القيصر ميخائيل رومانوف والشاه عبّاس الأول ما لبثت أن فترت بعد أن ضن الشاه بالمساعدة المالية[1] على القيصر اثر الاضطرابات التي حدثت في البلاط الروسي في عام ١٦١٨، مما أدى إلى توقف الاتصالات وتبادل المراسلات حتى وفاة الشاه عباس في كانون الثاني ١٦٢٩.

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

العلاقات الصفوية مع البابا

إهتم البابا بتوثيق علاقاته بالشاه عبّاس لحماية الرعايا المسيحيين في فارس، ولذلك أرسل البابا عدة رسائل للشاه عبّاس حثه فيها على حسن معاملة المسيحيين في بلاده والسماح لهم ببناء الكنائس وإقامة شعائرهم الدينية بحرية وعدم إرغام الذين يدخلون في الدين المسيحي على التخلي عنه في مقابل أن يحظى الرعايا الفرس بمعاملة مماثلة في أوربا . وحرضّه على مواصلة الحرب صد الدولة العثمانية ووعده بتحريض ملوك أوربا للقيام بهجوم مشترك ضدها من الغرب بينما يقوم الشاه عبّاس بهجوم عليها من الشرق، بعد تزويد الجيش الصفوي بالمهندسين والخبراء العسكريين الأوربيين وأعرب عن رغبته في تبادل السفراء بين روما وأصفهان[1].

---

(١) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

تقويم القرنين الحادي عشر
والثاني عشر الهجريين

بالتاريخين
الهجري والميلادي

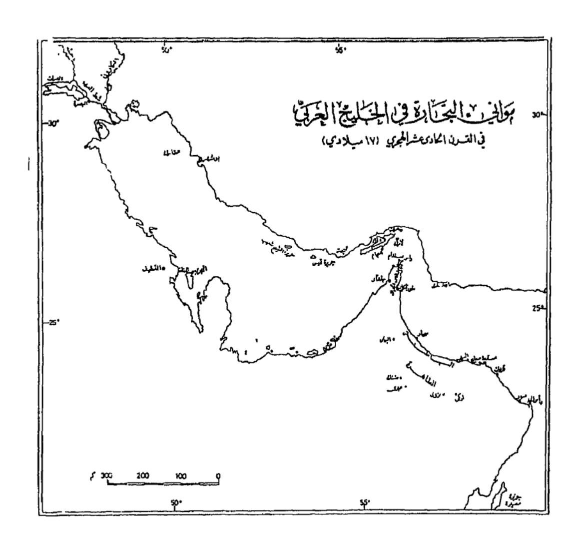
القرن الحادي عشر الهجري

س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م
١٠٠١	١٠-٨	١٥٩٢	١٠١١	٦-٢١	١٦٠٢	١٠٢١	٣-٤	١٦١٢	١٠٣١	١١-١٦	١٦٢١	١٠٤١	٧-٣٠	١٦٣١	١٠٥١	٤-١٤	١٦٤١	١٠٦١	١٢-٢٥	١٦٥٠	١٠٧١	٩-٦	١٦٦٠	١٠٨١	٥-٢١	١٦٧٠	١٠٩١	٢-٢	١٦٨٠
١٠٠٢	٩-٢٧	١٥٩٣	١٠١٢	٦-١١	١٦٠٣	١٠٢٢	٢-٢١	١٦١٣	١٠٣٢	١١-٥	١٦٢٢	١٠٤٢	٧-١٩	١٦٣٢	١ ٥٢	٤-١	١٦٤٢	١٠٦٢	١٢-١٤	١٦٥١	١٠٧٢	٨-٢٧	١٦٦١	١٠٨٢	٥-١٠	١٦٧١	١٠٩٢	١-٢١	١٦٨١
١٠٠٣	٩-١٦	١٥٩٤	١٠١٣	٥-٣٠	١٦٠٤	١٠٢٣	٢-١١	١٦١٤	١٠٣٣	١٠-٢٥	١٦٢٣	١٠٤٣	٧-٨	١٦٣٣	١٠٥٣	٣-٢٢	١٦٤٣	١٠٦٣	١٢-٢	١٦٥٢	١٠٧٣	٨-١٦	١٦٦٢	١٠٨٣	٤-٢٩	١٦٧٢	١٠٩٣	١-١٠	١٦٨٢
١٠٠٤	٩-٦	١٥٩٥	١٠١٤	٥-١٩	١٦٠٥	١٠٢٤	١-٣١	١٦١٥	١٠٣٤	١٠-١٤	١٦٢٤	١٠٤٤	٧-٢٧	١٦٣٤	١٠٥٤	٣-١٠	١٦٤٤	١٠٦٤	١١-٢٢	١٦٥٣	١٠٧٤	٨-٥	١٦٦٣	١٠٨٤	٤-١٨	١٦٧٣	١٠٩٤	١٢-٣١	١٦٨٢
١٠٠٥	٨-٢٥	١٥٩٦	١٠١٥	٥-٩	١٦٠٦	١٠٢٥	١-٢٠	١٦١٦	١٠٣٥	١٠-٣	١٦٢٥	١٠٤٥	٦-١٧	١٦٣٥	١٠٥٥	٢-٢٧	١٦٤٥	١٠٦٥	١١-١١	١٦٥٤	١٠٧٥	٧-٢٥	١٦٦٤	١٠٨٥	٤-٧	١٦٧٤	١٠٩٥	١٢-٢٠	١٦٨٣
١٠٠٦	٨-١٤	١٥٩٧	١٠١٦	٤-٢٨	١٦٠٧	١٠٢٦	١-٩	١٦١٧	١٠٣٦	٩-٢٢	١٦٢٦	١٠٤٦	٦-٥	١٦٣٦	١٠٥٦	١٢-١٦	١٦٤٦	١٠٦٦	١٠-٣١	١٦٥٥	١٠٧٦	٧-١٤	١٦٦٥	١٠٨٦	٣-٢٨	١٦٧٥	١٠٩٦	١٢-٨	١٦٨٤
١٠٠٧	٨-٤	١٥٩٨	١٠١٧	٤-١٧	١٦٠٨	١٠٢٧	١٢-٢٩	١٦١٧	١٠٣٧	٩-١٢	١٦٢٧	١٠٤٧	٥-٢٧	١٦٣٧	١٠٥٧	٢-٦	١٦٤٧	١٠٦٧	١٠-٢٠	١٦٥٦	١٠٧٧	٧-٤	١٦٦٦	١٠٨٧	٣-١٦	١٦٧٦	١٠٩٧	١١-٢٨	١٦٨٥
١٠٠٨	٧-٢٤	١٥٩٩	١٠١٨	٤-٦	١٦٠٩	١٠٢٨	١٢-١٩	١٦١٨	١٠٣٨	٨-٣١	١٦٢٨	١٠٤٨	٥-١٥	١٦٣٧	١٠٥٨	١-٢٧	١٦٤٨	١٠٦٨	١٠-٩	١٦٥٧	١٠٧٨	٦-٢٣	١٦٦٧	١٠٨٨	٣-٦	١٦٧٧	١٠٩٨	١١-١٧	١٦٨٦
١٠٠٩	٧-١٣	١٦٠٠	١٠١٩	٣-٢٦	١٦١٠	١٠٢٩	١٢-٨	١٦١٩	١٠٣٩	٨-٢١	١٦٢٩	١٠٤٩	٥-٤	١٦٣٩	١٠٥٩	١-١٥	١٦٤٩	١٠٦٩	٩-٢٩	١٦٥٨	١٠٧٩	٦-١١	١٦٦٨	١٠٨٩	٢-٢٣	١٦٧٨	١٠٩٩	١١-٧	١٦٨٧
١٠١٠	٧-٢	١٦٠١	١٠٢٠	٣-١٦	١٦١١	١٠٣٠	١١-٢٦	١٦٢٠	١٠٤٠	٨-١٠	١٦٣٠	١٠٥٠	٤-٢٣	١٦٤٠	١٠٦٠	١-٤	١٦٥٠	١٠٧٠	٩-١٨	١٦٥٩	١٠٨٠	٦-١	١٦٦٩	١٠٩٠	٢-١٢	١٦٧٩	١١٠	١٠-٢٦	١٦٨٨

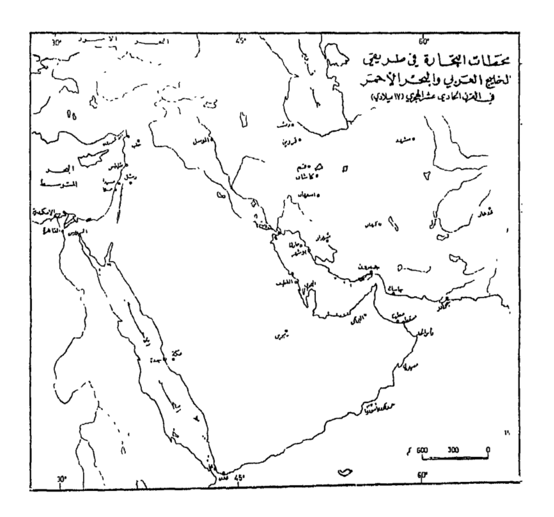
القرن الثاني عشر الهجري

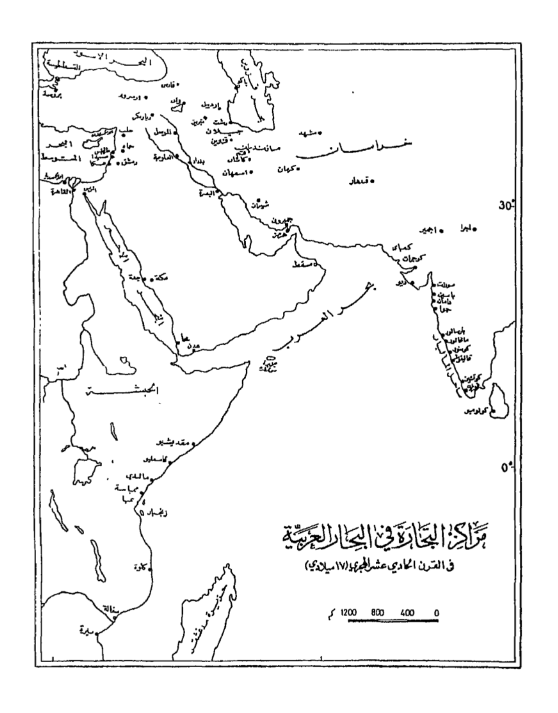
س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م
١١٠١	١٠-١٥	١٦٨٩	١١١١	٦-٢٩	١٦٩٩	١١٢١	٣-١٣	١٧٠٩	١١٣١	١١-٢٤	١٧١٨	١١٤١	٨-٧	١٧٢٨	١١٥١	٤-٢١	١٧٣٨	١١٦١	١-٢	١٧٤٨	١١٧١	٩-١٥	١٧٥٧	١١٨١	٥-٣٠	١٧٦٧	١١٩١	٢-٩	١٧٧٧
١١٠٢	١٠-٥	١٦٩٠	١١١٢	٦-١٨	١٧٠٠	١١٢٢	٣-٢	١٧١٠	١١٣٢	١١-١٤	١٧١٩	١١٤٢	٧-٢٧	١٧٢٩	١١٥٢	٤-١٠	١٧٣٩	١١٦٢	١٢-٢٢	١٧٤٨	١١٧٢	٩-٤	١٧٥٨	١١٨٢	٥-١٨	١٧٦٨	١١٩٢	١-٣٠	١٧٧٨
١٠٠٣	١٠-٥	١٦٩١	١١١٣	٦-٨	١٧٠١	١١٢٣	٢-١٩	١٧١١	١١٣٣	١١-٢	١٧٢٠	١١٤٣	٧-١٧	١٧٣	١١٥٣	٣-٢٩	١٧٤٠	١١٦٣	١٢-١١	١٧٤٩	١١٧٣	٨-٢٥	١٧٥٩	١١٨٣	٥-٧	١٧٦٩	١١٩٣	١-١٩	١٧٧٩
١٠٠٤	٩-٢٤	١٦٩٢	١١١٤	٥-٢٨	١٧٠٢	١١٢٤	٢-٩	١٧١٢	١١٣٤	١٠-٢٢	١٧٢١	١١٤٤	٧-٦	١٧٣١	١١٥٤	٣-١٩	١٧٤١	١١٦٤	١١-٣٠	١٧٥٠	١١٧٤	٨-١٣	١٧٦٠	١١٨٤	٤-٢٧	١٧٧٠	١١٩٤	١-٨	١٧٨٠
١١٠٥	٩-٢	١٦٩٣	١١١٥	٥-١٧	١٧٠٣	١١٢٥	١-٢٨	١٧١٠	١١٣٥	١٠-١٢	١٧٢٢	١١٤٥	٦-٢٤	١٧٣٢	١١٥٥	٣-٨	١٧٤٢	١١٦٥	١١-٢٠	١٧٥١	١١٧٥	٨-٢	١٧٦١	١١٨٥	٤-١٦	١٧٧١	١١٩٥	٢-٢٩	١٧٩٠
١١٠٦	٨-٢٢	١٦٩٤	١١١٦	٥-٦	١٧٠٤	١١٢٦	١-١٧	١٧١٤	١١٣٦	١٠-١	١٧٢٣	١١٤٦	٦-١٤	١٧٣٣	١١٥٦	٢-٢٥	١٧٤٣	١١٦٦	١١-٨	١٧٥٢	١١٧٦	٧-٢٣	١٧٦٢	١١٨٦	٤-٤	١٧٧٢	١١٩٦	١٢-١٧	١٧٨١
١١٠٧	٨-١٢	١٦٩٥	١١١٧	٤-٢٥	١٧٠٥	١١٢٧	١-٧	١٧١٥	١١٣٧	٩-٢٠	١٧٢٤	١١٤٧	٦-٢	١٧٣٤	١١٥٧	٢-١٥	١٧٤٤	١١٦٧	١٠-٢٩	١٧٥٣	١١٧٧	٧-١٢	١٧٦٣	١١٨٧	٣-٢٥	١٧٧٣	١١٩٧	١٢-٧	١٧٨٢
١١٠٨	٧-٣١	١٦٩٦	١١١٨	٤-١٥	١٧٠٦	١١٢٨	١٢-٢٧	١٧١٥	١١٣٨	٩-٩	١٧٢٥	١١٤٨	٥-٢٤	١٧٣٥	١١٥٨	٢-٣	١٧٤٥	١١٦٨	١٠-١٨	١٧٥٤	١١٧٨	٧-١	١٧٦٣	١١٨٨	٣-١٤	١٧٧٤	١١٩٨	١١-٢٦	١٧٨٣
١١٠٩	٧-٢٠	١٦٩٧	١١١٩	٤-٤	١٧٠٧	١١٢٩	١٢-١٦	١٧١٦	١١٣٩	٨-٢٩	١٧٢٦	١١٤٩	٥-١٢	١٧٣٦	١١٥٩	١-٢٤	١٧٤٦	١١٦٩	١٠-٧	١٧٥٥	١١٧٩	٦-٢٠	١٧٦٥	١١٨٩	٣-٤	١٧٧٥	١١٩٩	١١-١٤	١٧٨٤
١١١٠	٧-١٠	١٦٩٨	١١٢٠	٣-٢٣	١٧٠٨	١١٣٠	١٢-٥	١٧١٧	١١٤٠	٨-١٩	١٧٢٧	١١٥٠	٥-١	١٧٣٧	١١٦٠	١-١٣	١٧٤٧	١١٧٠	٩-٢٦	١٧٥٦	١١٨٠	٦-٩	١٧٦٦	١١٩٠	٢-٢١	١٧٧٦	١٢٠٠	١١-٤	١٧٨٥

ملحق : خرائط



موانئ التجارة في الخليج العربي
في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي)
50°
55°
30°
25°
300
200
100
0


محطات التجارة في طريقي
الخليج العربي والبحر الأحمر
في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي)
30°
45°
60°
مشهد
600
300
0


مراكز التجارة في البحار العربية
في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي)
1200 800 400 0
كم
30°
0°
خراسان
مشهد
قندهار
كرمان
اصفهان
كاشان
قزوين
الموصل
بغداد
البصرة
حلب
حماه
دمشق
القاهرة
مكة
جدة
عدن
مسقط
هرمز
كمباي
كوجرات
ديو
اجمير
اجرا
جوا
كولومبو
الحبشة
بحر العرب
مقديشو
ماليندي
ممباسة
زنجبار
كلوة
سفالة

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الانكليزية

IOR: India Office Record, London.

Summary List of India Office Records.

B. Minutes of The Court of Directors and the Court of Proprietors. 1599-1858.

E. East India Company General Correspondence, 1602- 1859.

E/3 Original Correspondence With the East. 1602-1753.

E/4 Correspondence With India 1703-1853.

G. Factory Records 1602-1888.

G/3. Bombay, 1669-1710, 31 Volumes.

G/29. Persia and Persian Gulf. (Basra and Bandar Abbas, 1620,-1822. 39 Volumes.

G/29/1. Factory Records, Early Papers relating to Persia. 1620-1697.

G/29/2. Gombroon diary. Nov. 1, 1708- July 31, 1710.

G/29/2-14. Bandar Abbas Diaries and Consultations Nov. 1, 1708-Feb. 7, 1763.

G/29/15-24. Letters and enclosures, received from Bandar Abbas and Basra, 1704-1811.

G/29/15-17. Letters and enclosures, received from Bandar Abbas. 1704-1763.

G/29/18-24. Letters and enclosures, received from Basra. 1724-1811.

G/36. Surat, 1616-1804. 127 Volumes. Both Bombay and Surat had connections with the Gulf factories.

I. Records relating to European in India Etc. 1425-1824. 214 Volumes.

I/1. The French in India, 1664-1820. 17 Volumes.

I/2. The Dutch In India 1596-1864. 32 Volumes.

I/3. Transcripts and Translations of Dutch and Portuguese Records, 1475-1806. 165 Volumes. The Dutch Collections 1600 - 1700 mainly comprises correspondence with Indonesia.

The Portuguese material 1475-1800 relates principally to Portuguese possessions in India.

I/1/1-17. French in India 1664-1820.

I/2/1-32. The Dutch in India 1596-1824.

I/3/1-106. Transcripts and Transactions of Dutch and Portuguese 1600-1700.

I/3/162-165. Albuquerque's letters. 1507-1515.

L/MAR. Marine Department Records, 1600-1879.

L/P&S. Political and Secret Department Records. 1756-1950.

L/P&S/20. C. 227. Political and Secret Department.

L/P&S/5/277. Secret Letters and Enclosures from India.

P. Proceeings of the Government of India and of the Presidencies and Provinces, 1702-1942.

R/15. Persian Gulf: Residency and Agency Records, 1763-1951. 15326 items.

R/15/1. Persian Gulf, Political Residency. Bushire Records, 1763-1948. 758 Vols./files.

R/15/2. Political Agency, Bahrain.

R/15/3. Political Agents Courts, Bahrain.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1635-1639. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by William Foster. Oxford 1907.

A Calendar of the Court Minutes Etx. of the East India Company. 1640-1643 by Ethel Bruce Sainsbury with an Introduction and notes by William Foster. Oxford 1909.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of The East India Company.

1644-1649. By Ethel Bruce Sainsbury with an introduction and notes by William Foster. Oxford 1912.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury with an introduction and notes by William Foster. Oxford 1913.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company. 1655-1659. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by William Foster. Oxford 1916.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company. 1660-1663. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by William Foster. Oxford 1922.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1664-1667. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by Sir William Foster. Oxford 1925.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1668-1670. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by Sir William Foster. Oxford 1929.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1671-1673. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by W.T. Ottewill. Oxford 1932

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1674-1676. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by W.T. Ottewill. Oxford 1935.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1677-1679. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by W.T. Ottewill. Oxford 1938.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Preserved in Her Majesty's Record Office, and elsewhere. Vol. I. 1513/1616. Edited by William Noel Sainsbury. London 1862.

Calendar Of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. II. 1617-1621, edited by William Noel Sainsbury. 4 Vols. 1617-1634. London 1870-1892.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. III. 1622-1624, edited by William Noel Sainsbury. 4 vols. 1617-1634. London 1870-1892.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. IV.

1625-1629, edited by William Noel Sainsbury. 4 vols. 1617-1634. London 1870-1892.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. V. 1630-1634, edited by William Noel Sainsbury. London 1892.

Letters Received by the East India Company from its Servants in the East. Transcribed from the Original Correspondence Series of the India Office Records. Vol. I. 1602-1613. edited with an introduction by Frederick Charles Danvers. London 1896. Amsterdam reprinted 1968.

Letters Received by the East India Company From Its Servants in the East. Vol. II. 1613-1615. With an Introduction by William Foster. London 1897.

Letters Received by the East India Company. Vol.III. 1615. Edited by William Foster. London 1899.

Letters Received by the East India Company. From its Servants in the East. Vol. IV. 1616. Edited by William Foster. London 1900.

Letters Received by the East India Company From its Servants in the East Vol. V. 1617. Edited by William Foster. London 1901.

Letters Received by the East India Company From its Servants in the East. Vol. VI. 1617. Edited by William Foster. London 1902.

The English Factories in India 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906.

The English Factories in India. 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908.

The English Factories in India. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909.

The English Factories in India. 1630-1633. By William Foster Oxford 1910.

The English Factories in India 1634-1636. By William Foster. Oxford 1911.

The English Factories in India. 1637-1641. By William Foster. Oxford 1912.

The English Factories in India. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913.

The English Factories in India. 1646-1650. By William Foster. Oxford 1914.

The English Factories in India. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915.

The English Factories in India. 1655-1660. By William Foster. Oxford 1921.

The English Factories in India. 1661-1664. By William Foster. Oxford 1923.

The English Factories in India. 1665-1667. By Sir William Foster. Oxford 1925.

The English Factories in India. 1668-1669. By Sir William Foster. Oxford 1927.

The English Factories in India. Vol. I. New Series. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936.

The English Factories in India. Vol. II. New Series. 1670-1677, By- Sir Charles Fawcett. Oxford 1952.

The English Factories in India. Vol. III. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1954.

The English Factories in India. Vol. IV. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1955.

Annals of the Honorable East India Company. 3 Volumes - republished - Germany 1968.

Precis Containing Information Regard To the First Connection of the Hon'ble East India Company with Turkish Arabia. Calcutta 1874.

Precis of Various articles, the Produce of Arabia, Persia and India. 1570-1744,

Selections From The Records of the Bombay Government. No. XXIV. New Series. 1856.

Selections From State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, With a Summary of Events. 1600-1800.

The Register of Letters. The First Letter Book of The East India Company. 1600-1619. Edited by Sir Georges Birdwood. Assisted by William Foster London - reprinted - 1965.

PRO: Public Record Office, London.

SP 97: State Papers Foreign Series Turkey, 1577-1779.

FO 78: Foreign Office, General Correspondence, 1780-1905.

CO 77: Colonial Office, East Indies, 1570-1856.

Calendar of State Papers, Foreign Series of the reign of Edward VI. 1547-1553. Preserved in the State Papers Department, Public Record Office. Edited by William B. Turnbull. London. 1861.

Calendar of State Papers, Foreign Series of the reign of Mary 1553-1558. Edited by William B. Turnbull. London 1861.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1558-1559. Edited by Joseph Stevenson. London 1863.

Calendar of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth. 1561-1562. Edited by Joseph Stevenson. London 1866.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1562. Edited by Joseph Stevenson. London 1867.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1563. Edited by Joseph Stevenson. London 1869.

Calendar of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth 1569-71. Edited by Allan James Crosby. London 1874.

Calendar of State Papers. Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1572-75. Edited by Allan James Crosby. London 1876.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1575-77. Edited by Allan James Crosby. London 1880.

Calendar ol State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1577-78. Edited by Arthur John Butler. London 1901.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1578-1579. Edited by Arthur John Butler. London 1903.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1579-1580. Edited by Arthur John Butler. London 1904.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1581-1582. Edited by Arthur John Butler. London 1907.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth May-Dec. 1582, Edited by Arthur John Butler London 1909.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth Jan.June 1583, Edited by Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth July 1583, July 1584. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1914.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth Vol. XIX. Aug. 1584 to Aug. 1585. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1916.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth Vol. XX. Sept. 1585 - May 1586. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1921.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. June 1586, to June 1588. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1927.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. Vol. XXIII Jan. 1589 to July 1589. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1950.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. Vol. XXII July-Dec. 1588. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1936.

List and Analysis of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth I. Vol. I. Aug. 1589- June 1590. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1964.

List and Analysis of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth I. Vol. II. July 1590- May 1591. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1969.

Lists and Analysis of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth I. Vol. III. June 1591- April 1592. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1980.

ثانياً: المراجع العربية

ابراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد. بغداد، ١٩٦٢.

ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن ابراهيم): رحلة ابن بطوطة (بيروت، ١٩٦٨).

أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢.

أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة ـ فصل العلاقات بين الشرق العربي وأوربا ـ القاهرة، ؟

أحمد قاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر. بيروت، ١٩٥٧.

أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية ١٧٥٠ ـ ١٨٠٠ ـ نشأة وتطور الكويت والبحرين ـ ترجمة محمد أمين عبدالله. بيروت، ١٩٦٥.

محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة. القاهرة، ١٩٦٨.

أحمد نور الانصاري: النصرة في اخبار البصرة ـ تقرير قدمه القاضي أحمد نور الانصارى في عام ١٢٧٧ هـ إلى منيب باشا والي البصرة. تحقيق يوسف عز الدين، مستل من المجلدين السابع عشر والثامن عشر من مجلة المجمع العراقي. بغداد، ١٩٦٩.

السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربى. القاهرة، ١٩٦٨.

الشاطر بصيلى عبد الجليل: الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في

المحيط الهندي وشرق أفريقيا والبحر الأحمر. (المجلة التاريخية المصرية. المجلد الثاني عشر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ص ١٢٩ ـ ١٤٠). القاهرة، ١٩٦٥.

بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. الجزء الأول. الكويت، ١٩٧٨.

بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير ١٥٨٨ ـ ١٦٢٩. ببروت، ١٩٨٠.

بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم. الجزء الأول. القاهرة، ١٩٧٦؟

جمال زكريا قاسم: الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي ـ أصول المشكلة وتطورها ـ (المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون، ١٩٧٣ ص ١٥٣ ـ ٢١١)، القاهرة، ؟

استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا (حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس. المجلد العاشر، ١٩٦٧ ص ٢٧٧ ـ ٣٤٠) القاهرة، ١٩٦٧.

الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية. القاهرة، ١٩٧٥.

دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ ـ ١٨٦١. القاهرة، ١٩٦٨.

مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي ـ، الكويت، ١٩٧٢.

المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا (المجلة التاريخية المصرية. المجلد الخامس عشر، ١٩٦٩).

حامد البازي: البصرة في الفترة المظلمة. بغداد، ١٩٧٠.

حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي. الجزء الثالث. بيروت، ١٩٦٢ والجزء الرابع، بيروت، ١٩٦٥.

خالد العربي: الخليج العربي في ماضيه وحاصره، بغداد، ١٩٧٢.

خضير نعمان العبيدي: **البحرين من إمارات الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٩.**

زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني، القاهرة، ١٩٦٢).

زين الدين (الفقيه الشيخ): تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، لشبونة، ١٨٩٨.
سالم بن حمود السيابي: إسعاف الاعيان في انساب أهل عمان، (؟، ١٩٦٥).
سعيد بن علي المغيرى: جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار. تحقيق عبد المنعم عامر. القاهرة، ١٩٧٩.
سلطان ناجي: الخلفية التاريخية للاحتلال البريطاني لعدن، (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثاني، نيسان ١٩٧٥، ص ٢٩ ـ ٤٢) الكويت.
سليم طه التكريتي: الصراع على الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٦.
سليمان ابراهيم العسكري: التجارة والملاحة في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٧٢.
سيد نوفل: الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، القاهرة، ١٩٦١.
شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته. النجف، ١٩٧١.
شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران. بغداد، ١٩٦٦.
صالح محمد العابد: إمارة كعب العربستانية (الفصل السادس في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.
دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠. بغداد، ١٩٧٦.
موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي. ١٧٩٨ ـ ١٨١٠. بغداد، ١٩٧٩.
صبري فارس الهيتي: الخليج العربي ـ دراسة في الجغرافية السياسية ـ بغداد، ١٩٧٨.
صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي. القاهرة، ١٩٧٤.
طارق نافع الحمداني: تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٤ نيسان ١٩٨٣، ص ٦٣ ـ ٧٢).

عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية. بيروت، ١٩٧٥.

عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ـ العهد العثماني الأول ـ ١٥٣٤ ـ ١٦٣٨ الجزء الرابع بغداد، ١٩٤٩. والعهد العثماني الثاني ـ ١٦٣٩ ـ ١٧٥٠. الجزء الخامس. بغداد، ١٩٥٣.

عبد الأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦.

المصالح البريطانية في الخليج العربي. ١٧٤٧-١٧٧٨. ترجمة هاشم كاطع لازم. بغداد، ١٩٧٧.

المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي. (مجلة الخليج العربي. العدد الثامن سنة ١٩٧٧).

عبد الأمير محمد أمين ومصطفى عبد القادر النجار: دور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية. بغداد، ١٩٧٨.

عبد الرزاق الحسني: العراق ـ قديماً وحديثاً ـ صيدا، ١٩٤٨.

عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١.

عبد العزيز سليمان نوار: العلاقات العراقية الإيرانية ـ دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ـ مؤتمر أرضروم ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤. القاهرة، ١٩٧٤.

المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤. القاهرة، ١٩٦٨.

عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: بريطانيا وإمارات الساحل العماني ـ دراسة في العلاقات التعاهدية ـ بغداد، ١٩٧٨.

علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ـ الرياض، ١٩٨٢.

عبد القادر زلوم: عمان والامارات السبع. بيروت، ١٩٦٣.

عبد الكريم محمود غرابية: مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ ـ ١٩١٨. الجزء الأول. ـ العراق والجزيرة العربية ـ دمشق، ١٩٦٠.

عبدالله الجزائري: نبذة تاريخية عن البحرين. بيروت، ١٩٥٥.

علاء موسى كاظم نورس: الصراع العثماني ـ الفارسي وأثره في العراق حتى أواخر القرن الثامن عشر. (الفصل الثاني في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.
علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق. بغداد، ١٩٢٧.
مختصر تاريخ البصرة. بغداد، ١٩٢٧.
عماد أحمد الجواهري: الدور التاريخى للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠ (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الثالث عشر. كانون الثاني ١٩٧٨).
قطب الدين محمد بن أحمد الشهروالي: البرق اليمانى في الفتح العثماني ـ تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجرى مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر ـ أشرف على طبعه ـ حمد الجاسر ـ لرياض ١٩٦٧.
محمد اسماعيل الندوى: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية. بيروت، ١٩٧٠.
محمد بن خليفة بن حمد النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية. بغداد، ١٣٣٢ هـ.
محمد رشيد الفيل: مشكلات الحدود بين إمارات الخليج العربي. (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الثامن ـ تشرين الأول ١٩٧٦).
محمد عبد اللطيف البحراوى: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. القاهرة، ١٩٧٩.
محمد بن عبدالله السالمى وناجي عساف: عمان ـ تاريخ يتكلم ـ دمشق ١٩٦٣.
محمد عرابى نخلة: تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣. الكويت، ١٩٨٠.
محمد على الزرقا: عمان ـ قديما وحديثا ـ دمشق، ١٩٥٩؟
محمد متولي: حوض الخليج العربي ـ الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٧٤.

محمد محمود الصياد: الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر (مجلة الدارة العدد الثالث ١٩٧٧).
محمد مرسي عبدالله: أبو ظبي بين الأمس واليوم. أبو ظبي، ١٩٦٩.
امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ ـ ١٨١٨. القاهرة، ١٩٧٨.
محمود بهجت سنان: البحرين ـ درة الخليج العربي ـ بغداد؟ ١٩٦٣.
محمود علي الداود: تأريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الخامس. نيسان ١٩٦٢، ص ٢٥٩ ـ ٢٧١.
تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثالث، كانون الثاني ١٩٦١).
الخليج العربي والعمل العربي المشترك. بغداد، ١٩٨٠.
العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد لعام ١٩٦٠ ص ١ ـ ٣٠).
العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٦٥٠. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الثاني ـ شباط ١٩٦٠).
محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان. القاهرة، ١٩٦٤.
محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية. ١٨٩٠ ـ ١٩١٤. القاهرة، ١٩٦١.
ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي. (مجلة الخليج العربي ـ العدد الثامن، ١٩٧٧).
مصطفى عبد القادر النجار: شركة الهند الشرقية ـ ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي ـ ١٦٠٠ ـ ١٨٥٨. (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الخامس عشر تموز ١٩٧٨ ص ١٠١ ـ ١١١.
مصطفى عقيل الخطيب: التنافس الدولي في الخليج العربي، ١٦٢٢ ـ ١٦٧٣. (لبنان، ؟).

مهدي جواد حبيب: الصراع العثماني ـ الفارسي وأثره في العراق حتى أواخر القرن التاسع عشر. (الفصل الثالث في كتاب الدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.

نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي الرياض، ١٩٨٣.

نور الدين بن عبدالله بن حميد السالمى: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان – الجزءان الأول والثاني. القاهرة، ١٩٦١.

ياسين عبد الكريم: اتفاقيات الحدود الشرقية إلى نهاية القرن التاسع عشر (الفصل الخامس في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.

ثالثاً: المراجع المعربة

آداموف، الكسندر: القنصلية الروسية العامة في تبريز ١٩٠٢ ـ التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ ترجمة. نوري عبد البخيت (مجلة الخليج العربي، العدد التاسع سنة ١٩٧٨).

ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها. ترجمة هاشم صالح التكريتي، البصرة، ١٩٨٢.

أوزبران، صالح: الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ ـ ١٥٨١ ترجمة عبد الجبار ناجي. (بغداد،؟)

بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. القاهرة، ١٩٦٢.

بلجريف، جيمس: البحرين. بيروت. ١٩٧١؟

بيرين، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب ـ خمسة قرون من المغامرة والعلم ـ ترجمة قدري قلعجي بيروت،؟.

حوراني، جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي. ترجمة يعقوب بكر. القاهرة، ١٩٥٨.

روت، رودولف سعيد: سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ ـ ١٨٥٦. ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي. البصرة؟ ١٩٨٣.

طوسون، بنلوب: المصادر الارشيفية للدراسات العربية ودراسات الخليج في سجلات وزارة الهند (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الرابع عشر. نيسان، ١٩٧٨).

كيلي، جون: الحدود الشرقية للجزيرة العربية. ترجمة محمد أمين عبدالله. الكويت، ١٩٦٨.
بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ الجزء الأول، ترجمة محمد أمين عبدالله. القاهرة، ١٩٧٩.
لوريمر، ج.ج: دليل الخليج ـ القسم التاريخي ـ الدوحة، ١٩٧٦ (مكتب الترجمة بالقسم الثقافي بديوان حاكم قطر. الدوحة، ١٩٦٨).
هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة. لندن،؟
ويلسون، أرنولد ت: الخليج العربي ـ مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين. ترجمة عبد القادر يوسف. الكويت،؟

رابعاً: المراجع الأجنبية

Printed Sources and Modern Works.

- Abbasi, Muhammad Yusuf. Arabia In The Accounts of The South Asian Travells. *Islamic Studies. Quarterly Journal of the Islamic Research Institute. Vol. XVIII. No. 1. pp. 49-63. Islamabad 1979.*
- Adamiyat, Fereydoun. Bahrein Islands. U.S.A. 1955.
- Aitchison, C.U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads. Vol. X. Calcutta 1892.
- Aitchison, C.U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads. Vol. XIII. Persian and Afghanistan. Calcutta 1933.
- Al-Musawi, Mustafa Murtada. Persian Trade Under The Safavids: 1514-1722. *Sumer, A Journal of Archaeology & History In Iraq. Vol. XXV. Nos. I & II. pp. 99-102.? 1969.*
- Alpers, Edward A. Ivory and Slaves. Gt. Brit. 1975.

-Amin. Abdul Amir. British Interests in the Persian Gulf. Leiden 1967.
- Badger, George Percy. "Translator". History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil-IBN-Razik. From 66-1856. U.S.A. 1963.
- Barbosa, Durate "A Portugese". A Description of the Coasts of East Africa and Malabar in the beginning of the Sixteenth Century. Translated by Henry E.J. Stanley. U.S.A. 1970.
- Barker, J. Ellis. The Rise and Decline of the Netherlands. London 1906.
- Bausani, Alessandro. The Persians. From the earliest days to the

Twentieth Century. Translated From the Italian by J.B. Donne. New York?

- Belgrave, Sir Charles. Persian Gulf. Past and Present. *Journal of the Royal Central Asian Society. Vol. LV. Part I. pp. 28-31. London,. Feb. 1968.*
- Belgrave, C.D. The Portuguese in the Bahrain Islands, 1521-16092. *Journal of The Royal Central Asian Society Vol. XXII. Part IV. pp. 617-630. Oct. 1935.*
- Belgrave, J.H.D. History of the Bahrain Islands. *Journal of the Royal Asian Society Vol. XXXIX Part I. pp. 57-68. January 1952.*
- Bennett, Thomas Jewell. The Past and Present Connection of England with the Persian Gulf. *Journal of the Society of Arts. Vol. L. pp. 634-652. June 1902.*
- Bent, J. Theodore. The Bahrin Islands, In the Persian Gulf. *Proceedings of the Royal Geographical Society and Monthly Records of Geography. Vol. XII. No. 1. pp. 1-19. London, January 1890.*
- Berg, F.J. the Coast From The Portuguese Invasion. "Zamani A survey of East African History". Chapter VI. pp. 119-141. Edited by B.A. Ogot and J.A. Kieran Kenya 1969.
- Birdwood, Sir George. Report On the Old Records of India Office. London 1891.
- Boxer, C.R. Anglo-Portugese Rivalry in the Persian Gulf: 1615-1635. "Chapeters in Anglo Portuguese Relations" pp. 46-129. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971.
- Boxer, C.R. "Editor" Commentaries of Ruy Freyre De Andrada. Gt. Brit. 1930.
- Boxer, C.R. & De Azevedo, Carlos. Fort Jesus and The Portuguese in Mombasa. 1593-1729. London 1960.
- Bradly - Birt, F.B. Persia, Through Persia From The Gulf toThe Caspian. Vol. XX. U.S.A. 1910.
- Carswell, John. the Armenians and East - West Trade through Persia in The XVIIth Century. Sociétés. *Et Compagnies de Commerce en Orient Dans L'Ocean Indien.pp. 481-486. Paris 1970.*
- Chaudhuri, K.N. the Trading World of Asia and the English East India Company. 1660-1760. Gt. Brit. 1978.
- Cotton, Sir Evan. East Indiamen. Edited by Sir Charles Fawcett. London?

- Coupland, R. East Africa And Its Invaders Oxford 1938.
- Dames, M. Longworth. The Portuguese and Turks in the ındian Ocean in the Sixteenth Century. *Journal of the Royal Asiatic Cociety. Part I. January 1921.*
- Danvers, F.C. Report On Portuguese Records. London 1892.
- Danvers, F.C. Report on the India Office Records RelatingTo Persia And The Persian Gulf. London?
- Danvers, F.C.The Portuguese In India. Vol. II. London 1894.
- David, M.D. History of Bombay. 1661-1708. Bombay 1973.
- Davies, D.W. A Primer of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade.? 1961.
- De Andrada, Ruy Freyre. Commentaries. Edited with an introduction by C.R. Boxer. Gt. Brit. 1930.
- De Groot, A.H.The Ottoman Empire And The Dutch Republic. A History of the Earliest Diplomatic Relations. 1610-1630. Leiden, Istanbul 1978.
- Delle Valle, Pietro. Extracts From HisTravels. "A General Collection of the Best and Most Interesting Voyages and Travels In All Parts of the World". by John Pinkerton Vol. IX. London 1811.
- De Oliveria Marques, A.H. History of Portugal. Vol. I. New York 1972.
- De Somogyi, Joseph. A Short History of Oriental Trade. Germany 1968.
- Di Varthema, Ludovico. The Travels of Ludocico Di Varthema. A.D. 1503 to 1508. Translated from the original Italian edition of 1510 by John Winter Jones. New York?
- Dunn, Archibald J. British Interests in the Persian Gulf. *Proceedings of the Central Asian Society read Jan. 9, 1907.*
- Edmonds, C.J. the Iraqi - Persian Frontier: 1639-193ŏ. Asian Affairs - *Journal of the Royal Society for Assian Affairs -Formerly the Royal Central Asian Society. Vol. 62. (New Series. Vol. VI) Part II. pp. 147-154. June 1975.*
- Eliot, Sir Charles.The East Africa Protectorate. London 1966.
- Epstein, M. The Early History of The Levant Company. London 1908?
- Faroughy, Abbas. The Bahrein Islands (750-1951). New York 1951.
- Ferrier, R.W. An English View of Persian Trade In 1618. *Journal*

Of The Economic and Social History Of The Orient. Vol. XIX. Part II. pp. 182-214. May 1976.
- Ferrier, R.W. The Armenians and the East India Company in Persia in the Seventeenth and Early Eighteenth Centuries. *The Economic History Review. Second Series. Vol. XXVI. No. 1 pp. 38-70. February 1973.*
- Ferrier, R.W. The European Diplomacy of Shah Abbas I. And The First Persian Embassy to England. IRAN, Journal of the British Institute of Persian Studies Vol. X. pp. 75-92. 1973.
- Foster, Willim. A View of Ormus in 1627. *The Geographical Journal. Vol. IV. No. 2. pp. 160-162. London, Aug. 1894.*
- Foster, Sir William. England's Quest of Eastern Trade. London 1933.
- Foster, Sir William. "Editor". Thomas Herbert, Travels in Persia 1627-1629. New York. 1929.
- Fraser, Lovat. Some Problems of the Persian Gulf. *Proceeding of the Central Asian Society read Jan. 8, 1908, pp. 1-23.*
- Freeman -Grenville, G.S.P. the Coast 1498-1840. "History of East Africa". Edited by Roland Oliver and Gervase Mathew. Vol. I. Oxford 1963.
- Freman - Grenville, G.S.P. The East African Coast. "Select Documents From the First To The Earlier Nineteenth Century". Oxford 1962.
- Geddes, Charless L. An Account of Socotra In The Early Seventeenth Century. *University of Colorado Studies. Series in History. No. 3. pp. 70-77. U.S.A. 1964.*
- Geographical Section Of The Naval Intelligence Division, A Hand Book of Arabia. Vol. I. London?
- Gray, John. History of Zanzibar From The Middle Ages to 1856. London 1962.
- Hall, Lesley A. Factory Records, Persia and Persian Gulf. 1620-1822. India Office Records G/29.
- Hamilton, Alexander. A New Account of the East Indies. 1688-1723. "A General Collection of The Best and Most Interesting Voyages and Travels In all Parts of the World. Digested on A New Plan. By John Pinkerton-Vol. VIII. London 1811.
- Hamilton, C.J. the Trade Relations Between England and India. 1600-1896. Delhi. 1975.
- Havers, G. The Travels of Pietro Della Valle In India. "From the

Old English Translation of 1664". Edited by Edward Grey. 2 Vols. U.S.A. 1892.
- Hawley, Donald. The Trucial States. London 1970.
- Hay, Sir Rupert. The Persian Gulf States. Washington 1959.
- Hikoichi, Yajima. Maritime Activities of the Arab Gulf People And the Indian Ocean World in the 11th and 12th Centuries. *The Arab Gulf. Vol. 8. pp. 9-16? 1977.*
- Historical Section OF The Foreign Office, Persian Gulf. London 1920.
- Hogarth, David George. The Penetration of Arabia. A Record of the Development of Western Knowledge Concerning the Arabian Peninsula. U.S.A. 1904.
- Hopwood, Derek. "Editor" The Arabian Peninsula, Society and Politics. London 1972.
- Hyma, Albert. A History of the Dutch in the Far East. U.S.A. 1953.
- India Office, "Confidential". The Prospects of British Trade in Mesopotamia and the persian Gulf. Delhi, 1917.
- Ingham, Kenneth. A History of East Africa. London. 1962.
- Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History and Its People. Holland. 1967.
- Issawi, Charles. The Decline of Middle Eastern Trade. 1100-1850. "Islam and the Trade of Asia". A colloquium edited by D.S. Richards. London 1970.
- Jones, John Winter. "Tanslator". The Travels of Ludocico Di Varthema. A.D. 1503-1508. From The Original Italian edition of 1510. New York?
- Kelly, J.B. Britain and the Persian Gulf. 1795-1880. Oxford 1968.
- Krusinski, "Father" History of the Late Revolution of Persia - Taken From the Memoirs of Father Krusinski, Procurator of the Jesuits at Ispahan. 2 Vols. London 1740.
- Law, H.D.G. The Romance of the Persian Gulf in the 17th and 18th Centuries. *The Edinburgh Review* Or *Critical Journal. Vol. 246. No. 502. October 1927.*
- Lockhart, Laurence. Persian Cities. London 1960.
- Lockhart, Laurence. The Fall of the Safavi Dvnasty and the Afghan Occupation of Persia. Cambridge 1958.
- Lockhart, Laurence. The Menace of Muscat and Its Consequences in the Late Seventeenth and Early Eighteenth Centuries

The Asiatic Review. Vol. XLIII. No. 152. pp. 363-369. London. Oct. 1946.
- Longrigg, Stephn Hemsley. four Centuries of Modern Iraq. Beirut 1968.
- Lorimer, J.G. Gazetter Of The Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 5 vols. Irish University Press. 1970. (New Edition).
- Lybyer, A.H. the Ottoman Turks and the Routes of The Oriental Trade. *The English Historical Review. No. CXX. Vol. XXX. pp. 577-588. Oct. 1915.*
- Malet, A. Precis Containing Information in Regard to the First Connection of the Honourable East India Company.
- McCluer, John. An Account of The Navigation Between India and the Golph of Persia. London 1786.
- Miles, S.B. Note On Pliny's Geography of the East Cost of Arabia. *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, New Series. Vol. X. pp. 157-172. London?*
- Miles, S.B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf.? 1966.
- Monshi, Eskandar Beg. History of Shah Abbas the Great. 2 Vols. Translated By Roger M. Savory. U.S.A. 1978.
- Moreland, W.H. The Ships of the Arabian Sea About A.D. 1500. *Journal of the Royal Asiatic Society. Second Quarter. Part II. pp. 173-192. April, 1939.*
- Mukherjee, RamKrishna. The Rise and Fall Of The East India Company. A Sociological Appraisal. Berlin. 1958.
- Naval Intelligence Division, Iraq And The Persian Gulf. London 1944.
- Nyrop, Richard F. Area Handbook for The Persian Gulf States?. 1977.
- Nyrop, Richard F. ''Editor'' Iran A Country Study. 1978.
- Osgood, Joseph B.F. Notes of Travel "or Recollections of Majunga, Zanzibar, Muscat, Aden, Mocha, and Other Eastern Parts. New York - reprinted - 1972. First published 1854.
- Ozbaran, Salih. A Turkish Report on the Red Sea and the Portuguese in the Indian Ocean. 1525. *"Arabian Studies". IV. pp. 81-88. London 1978.*
- Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese in the Persian Gulf: 1534-1851. *Journal of Asian History. vol. 6. No. 1 pp. 45-87.? 1972.*
- Pahlow, Edwin W. Anglo-Dutch Relations: 1671-1672. *Annual*

Report Of The American Historical Association For The Year 1911 Vol. I. pp. 123-127. Washington 1913.
- Pearce, F.B. Zanzibar. New York 1920.
- Phillips, Wendell. Oman, A History? 1967.
- Pitcher, Donaled Edgar. An Historical Geography of the Ottoman Empire - From Earliest Times To The end of The Sixteenth Century - Leiden 1972.
- Prestage, Edgar. Portuguese Expansion Overseas, Its Causes and Results. "Chapters In Anglo-Portuguese Relations". pp. 171-198. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971.
- Ramazani, Rouhollah k. The Persian Gulf, Iran's Role, U.S.A. 1972.
- Rawlinson, H.G. Early Trade Betwèen England and the Levant. *Journal of Indian History. Vol. II. pp. 107-116. 1922-1923.*
- Reusch, Richard. History of East Africa. New York. 1961.
- Ricks, Thomas Millet. Politics and Trade in Southern Iran and the Gulf. 1745-1765. Indiana University, Ph.D. 1975.
- Roelofsz, Meilink. The Earliest Relations Between Persia and Netherlands. *Persica No. VI. pp. 1-50, 1972-1974.*
- Ross, E.G. "Translator". Annals of Oman From Early times to the year 1728 A.D. From an Arabic MS. by Sheykh Sirhan Bin Said Bin Sirhan Bin Muhammad, of the Benu Ali Tribe of Oman,- Keshf-ul-Ghummeh, or Dispeller of Grief - *"Journal of the Asiatic Society of Bengal". Part I. No. 11. pp. 111-196. Calcutta 1874.*
- Saldanha, J.A. Selection From State Papers. 1600-1800.
- Saldanha, J.A. The Portuguese in the Persian Gulf. *The Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914.*
- Saleh, Zaki. Mesopotamia (Iraq) 1600-1914. Baghdad 1957.
- Salil-Ibn-Razik. History of the Imamas and Seyyeds of Oman From 66-1856. Translated by George Percy Badger. U.S.A. 1963.
- Sarwar, Ghulam. History of Shah Ismail Safavi. Aligarh 1939.
- Savory, Roger M. A.D. 600-1800. "The Persian Gulf States, A General Survey". pp. 14-40. by Alvinj. Cottrell - General Editor - London 1980.
- Savory, Roger. Iran Under the Safavids. Gt. Brit. 1980.
- Serjeant, R.B. Historical Sketch of the Gulf In the Islamic Era From the Seventh To the Eighteenth Century A.D. *Qatar - Archaeological Report - Excavations 1973. Oxford 1978.*

- Serjeant, R.B. The Portuguese off The South Arabian Coast. Oxford 1963.
- Sherley, Sir Antony. Relation of His Travels Into Persia. pp. 1-139. London 1613.
- Sidi Ali Reis. The Travels and Adventures of The Turkish Admiral: 1553-1556. Translated From The Turkish, with notes by A. Vambery. London 1899.
- Skeet, Ian. Muscat and Oman. The End of An era. London 1974.
- Standish, J.F. British Maritime Policy In The Persian Gulf. pp. 324-354. I.O.L. (T 22623).
- Steensgaard, Niels. The Asian Trade Revolution of the Seventeenth Century - The East India Companies and the Decline of the Caravan Trade. Chicago?
- Stevens, John. The History of Persia. London 1715?
- Stevens, Sir Roger. Robert Sherley: the Unanswered Questions. *IRAN, Journal of the British Institute of Persian Studies. Vol. XVII pp. 115-125. 1979.*
- Stiffe. A.W. The Island of Hormuz. *The Geographical Magazine. Vol. I. April 1894.*
- Stigand, C.H. The Land of Zinj. "Being An Account of British East Africa, its Ancient History and Present Inhabitants". London 1913.
- Strachan, Michael & Penrose, Boies. "Editors". The East India Company Journals of Captain William Keeling And Master Thomas Bonner. 1615-1617. Minneapolis 1971.
- Strandes, Justus. The Portuguese Period in East Africa. Translated From The German by jean f. Wallwork. Edited with Topographical Notes by J.S. Kirkman. Nairobi 1968.
- Stripling, George William Frederic. The Ottoman Turks and The Arabs: 1511-1574. *Illinois Studies in The Social Sciences. Vol. XXVI. No. 4, U.S.A. 1942.*
- Sutton, J.E.G. the East African Coast. Nairobi 1970.
- Sykes, P.M. A History of Persia. 2 Vols. London 1915.
- Tuson, Penelope. Guide To India Office Collection Of British Residency. Records on Kuwait and Persian Gulf region. London 1979.
- Tweedy, Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. England?
- Warden, Francis. Brief Notes Relative To the Province of Oman. Prepared in Aug. 1819.

— Wilbur, Marguerite Eyer. The East India Company And The British Empire in the Far East. New York 1965.
— Williamson, James A. A Short History of British Expansion. The Old Colonial Empire. London 1955.
— Wilson, Arnold T. Early Spanish and Portuguese Travellers In Persia. Part II. *The Asiatic Review vol. XXII. - Part I & II. No. 72. Oct. 1926- January 1927.*
— Wilson, Sir Arnold T. some Early Travellers in Persia and The Persian gulf. *Journal Of The Central Asian Society. Vol. XII. Part I. 1925. Reprinted in Germany 1963.*
— Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. "Historical Sketch From the Earliest Timesto the Beginning Of The Twentieth Century. Oxford 1928. - reprinted - 1954.
— Wood, Alfred C. A History of the Levant Company. London 1964. - First Edition 1935 -
— Wright, Arnold. Early English Adventures in the East. London 1917.

الفهارس العامة

لكتاب

دراسات في تاريخ الخليج العربي

الجزء الثاني

١ - فهرس الاعلام
٢ - فهرس الأماكن
٣ - فهرس الموضوعات

١ ـ فهرس الأعلام

حرف الألف ـ الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الأماكن

حرف الألف ـ الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣ ـ فهرس الموضوعات

